شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٦٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٧

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

مدير التوزيع : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦١ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢/١ ٣ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٨ دراهم في دولة الامارات العربية ، ٢/١ ٤ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٥٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٦٠ ل.ل. في سائر الأقطار العربية ، ٨٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ١٠٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف بريشة
الفنان كمال بلاطه

المحتويات

تقارير :

رسالة الأخ أبو عمار، القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية في الذكرى الثانية عشرة لانطلاقة الثورة :

عام العطاء والشموخ الثوري

يا كل اهلي داخل وطننا المحتل وخارجه

يا كل المناضلين الشرفاء في المسيرة الطويلة

يا كل الثوار الاشاوس في الدرب العظيم

انقضى عام التصدي والتحدي بكل عنفه وقسوته ، وبكل الآمه واحزانه ، بل بكل ما فيه من ملاحم وبطولات سطرتها دماء ابطالنا ، وعززتها تضحيات شهدائنا ، واغناها الصمود الرائع لشعبنا البطل داخل الوطن المحتل وخارجه ·

انقضى عام ٧٦ بكل ما له وما عليه ، ولكن العبر والتجارب تركت بصماتها قوية وواضحة في المسيرة كلها ، مسيرة الثورة العظيمة المعطاءة دائما ·

عام ٧٦ لم يكن بالنسبة للثورة والثوار اياما واشهرا ، ولم يكن بالنسبة لشعبنا دورات الفصول والاوقات ، ولكنه كان عام الزخم الثوري ، بكل ما فيه من روائع ستبقى صفحاتها البطولية خالدة في سجل التاريخ لثورتنا العظيمة ، ولشعبنا البطل وتشكل ينابيع دفاقة ستنهل منها الاجيال مناهل الرجولة والكرامة والشجاعة والصمود والصبر والمثابرة ·

وبقدر ما كان عام التصدي والتحدي قاسيا ومريرا واليما ، كان فيه من الزخم الثوري الشيء الكثير ، زخما للكفاح والبطولة ، وينبوعا للنضال والشجاعة ، ولهذا الشعب العظيم ، تغني مسيرة الحياة الحقة لامتنا العربية كلها · واية حياة ؟ انها حياة العزة والسؤدد والمجد ·

وليست اية حياة كما يريدها لنا هذا المخطط الاستعماري

الامبريالي الاميركي الصهيوني العميل ·

اما كيف كان الصمود في عام الصمود ؟

وكيف كان التحدي والتصدي في عـام التحدي والتصدي ؟

وكيف كانت المعـانـاة ؟

وكم كانـت التضحيات ؟

وكم كانت الالآم ؟

فتلك قصص ستروى للاجيال القادمة ، لتقص اروع القصص فـي سجل الخالدين ·

اما عن المخطط الاستعماري الخطير وماذا يستهدف الان ؟

وماذا يروم المخـططون المتامرون ؟

وكيف نواجه هذا المخـطط الخبيث ؟

وكيف نتصدى لهذه القوى الامبريالية الصهيونية المخـططة ؟

بالمنطق الواعـي والتحليل الدقيق ، والدراسة الشاملة لمجمـل هذا المخـطط ننطلق للمواجهة بكـل ابعـادها وتبعاتها وجبهاتهـا ، لا نضيع في متاهات بعيدة ومتناثرة ، بـل نضع الحقائق والوقائـع بمنتهى الدقة والاناة ، مصحوبة بالصلابـة والايمان الثـوري ·

فمثلا ، لم يكن من نافلة القول ما صرح به كيسنجر امام احد الزعماء الاصدقاء بعـد مؤتمر الرباط سنة ٧٤ ، حول نتائـج هذا المؤتمر التي افقدتـه عـوامل خطتـه الوئيدة ، وخطواته المتانية للجم المنطقة وتصفية الثـورة الفلسطينية ، فقد قال ان ما حـدث في الرباط قد اربك مخططاته وحساباتـه برمتهـا · ومـن ثـم كان عـليه ان يبدأ بضرب جوهـر الصمـود العربي وبالذات حلفـاء حرب رمضان ، مصر وسوريا والثورة الفلسطينيـة ، ثم تجريـد العرب من سـلاح البترول كعامل مؤثر في المعـركة الحضارية بين امتنا العربية ، وهـذه الهجمة الصهيونية الامبريالية عـليها ، ولا بد ان نعترف ان كيسنجر قد حقق نجاحا ملحوظا في هذا الهجـوم الذي قام بـه ·

ومن هنا لا بد لنـا ان نسجـل اهمية ما وصلنا اليه في مؤتمـري الرياض والقاهرة من وقف لنزيف الدماء في لبنان ، وانهاء للقتـال

الدائر بيننا وبين سوريا ، وعودة العلاقات المصرية ـ السورية ، وبالتالي عودة التلاحم المصري السوري الفلسطيني ، كركيزة اساسية متجددة للصراع العربي ـ الصهيوني ثم بالتالي التحرك باتجاه استخدام البترول كسلاح فعال في المواجهة الحالية .

بهذه الاسطر القليلة ، نضع يدنا على الخطوط العريضة لمجمل الصورة في منطقتنا ، وللمؤامرة الكبيرة الجاثمة علينا ، منطلقين من نقطة هامة واساسية ، هي ان المؤامرة الامبريالية الاميركية الصهيونية لم تنته ، بل لا بد ان نعي انها ستزداد ضراوة في المرحلة المقبلة ، ولكن باشكال وصور جديدة ومبتكرة ، وسيزداد التركيز على الثورة الفلسطينية كعامل اساسي ، ورقم جوهري، في الصراع الدائر حاليا في المنطقة وما تمثله هذه الثورة من قوى كامنة فيها ، فالثورة الفلسطينية واسطة العقد ، في هذه المواجهة المحتدمة الان بكل قساوة وشراسة .

ولذا كان تركيز هذه القوى الامبريالية الصهيونية المخططة هو تصفية الثورة الفلسطينية ، بوصفها العامل الصعب في مخططها الجهنمي للمنطقة ، فاذا لم تتمكن القوى الامبريالية من تصفية الثورة ، فلا بأس من تدجينها او ترويضها او تقليم اظافرها ، لتصبح هذا الكيان المدجن المكبل ، المجرد من هذا السلاح أو ذاك العتاد ، الخالي من روحية الكفاح الحي النشط والمقلق لاحلام الاستعماريين والصهاينة ، لتصبح بذلك مقبولة فيما يمكن ان يجري في المنطقة من تغييرات وتبدلا تـمرسومة ومخططة من دوائر الامبريالية العالمية .

ان ارادة التحدي في امتنا العربية ، فيها من الزاد الزاخر ، وفيها من الوعي الصادق ، وفيها من القوى الكامنة ، ما يمكنها من مواجهة هذه المخططات المرسومة ، هذه الامة العظيمة المعطاء التي مر عليها الكثيرون ، مر عليها تيمورلنك وذهب ، ومر عليها هولاكو وذهب ، ومر عليها ريتشارد الافرنجي وذهب، ومر عليها لويس التاسع وذهب ، ومر عليها ايدن وذهب ، وما مر عليها غاصب او معتد الا ذهب .

وبقيت هي تتحدى الزمن والخطوب ، وبقيت في هذه المنطقة تروي من دمائها كل بقعة من بقاعنا الحبيبة وتغذي بارواحها كل موقع من مواقعنا المقدسة .

وهكذا ستبقى هذه الارض لنا ولاشبالنا ، ورثناها عن اجدادنا لنورثها لاحفادنا دون تعصب او فاشية او شوفينية .

من هذا المنطلق لشمولية الصورة الحية التي امامنا ، تقع على كواهل الثوار الابطال في ثورتنا مسؤوليات جسام علينا ان نكون اهلا لها ، لاننا في هذا انما نسجل للتاريخ احقيتنا لهذه الامانة التي حملتها اجيالنا بوعي وبصيرة واصرار وفخر واعتزاز امانة النضال وشرف الثورة .

ومسؤولية الكفاح وقدر شعبنا وثوارنا في حملها .

فما اعظمها من رسالة يتحملها هذا الجيل من شعبنا وهذه الجحافل من امتنا .

رسالة تستحق ان نناضل من اجلها .

رسالة تستحق ان نستشهد في سبيلها .

رسالة تستحق ان نضحي بكل مرتخص وغال دونها .

رسالة الجيل للاجيال القادمة .

رسالة الجيل للتاريخ المعاصر .

رسالة التاريخ المعاصر للاجيال المقبلة .

ومكان ثوارنا في هذا كله هو القلب وفي الصدارة ،بل هو في الحقيقة وبكل فخر واعتزاز في المقدمة ، في ممر الماراثون ، كالجلاميد ثابتة راسخة ، قوية عزيزة مهابه ، تمر عليها السيول والاعاصير لا تهزها ولا تؤثر فيها ، مؤمنة بما حملت من قناعات، وواثقة بما امنت به من مثل امام المحن والخطوب والالام والمؤامرات والمتآمرين والمخططات والمخططين .

نحن كثوار نواجه هذا كله ، بمزيد من الصلابة ومزيد من الشجاعة ومزيد من العطاء الثوري ومزيد من التلاحم ، ومزيد من الوحدة الوطنية القوية المتراصة ، ومزيد من التعاضد والاخوة والمحبة .

وامام هذا كله يقف شعبنا ، ودماء القلوب في المآقي، مشدودا الى الهدف ، مصمما على بلوغه ، باذلا بسخاء اسطوري كل العطاء للوصول اليه .

اليس الهدف العظيم بجانبه الشعب العظيم ؟ ٠

اليس الهدف الكبير امامه الثوار الابطال ؟

ومن هذا المنطلق يقوم ، اهلنا داخل الارض المحتلة يصنعون هذه الملاحم وتلك البطولات باظافرهم ، بالحجارة ، بزجاجات المولوتوف ، بصبرهم ، بكبريائهم الرائع ، بتحدياتهم المستمرة يسخرون من عدوهم ، بابائهم الاصيل وشيمهم الراسخة ٠ فهم نفحة السماء عندما يوصفون بانهم قوم جبارون ، تتعانق ارواحهم وعظمتهم مع روعة شعبهم خارج الوطن المحتل ، بتضحياتهم الكبيرة ونضالهم المستمر ، ليشكلوا هذه الاهزوجة الثورية النادرة الصورة والامثولة ٠

وهكذا يمضي الركب بكل ثواره ، بكل شعبنا ، بكل عطائه السخي الدائم في المسيرة الثورية العظيمة ، التي تتخطى الالام والقساوة والمحن ، بارادة فولاذية وعزيمة ومضاء نادرين ، لتخلق منها مواكب ومشاعل على دروب العودة والتحرير ، فهذا قدرنا قد اخترناه بانفسنا ، لاننا نخاطب التاريخ بل ونصنعه ، ومن يصنع التاريخ لا بد ان يكون بمستواه وعلى قدره ٠

وليستمر الركب ولتستمر المسيرة ، ولتكن الحوافز في عامنا المقبل ، عام العطاء والشموخ الثوري ، متفجرة من كوامنها ، لتصنع الملاحم والبطولات لثورتكم العظيمة الخلاقة ، لكي نحمي المسيرة ، ونذود عنها ونغذيها ، وليكن العطاء عظيما بحجم ثورتكم ، وليكن الشموخ متساميا يلامس مكانة شعبكم وامتكم الثورية لكي نقوي اندفاعنا الى الامام ، مع المزيد من الانتصارات في مجالاتها المتعددة : سياسية وعسكرية ، شعبية وثورية ، محلية ودولية ، عربية وفلسطينية ٠

ولازمة علينا في هذه الذكرى ، ذكرى الانطلاقة العظيمة لثورتكم الخلاقة ، ان نذكر بمحبة كبيرة ، وعرفان بالجميل اكبر ، هذا الشعب اللبناني البطل وحركته الوطنية المعطاء الوفية ٠

ولا بد لنا في هذه الذكرى العظيمة في الفاتح من يناير (كانون الثاني) ان نذكر باجلال واكبار ، هؤلاء الشهداء الابرار في عليبهم ، الذين سقطوا على الدرب الطويل وفاء وعهدا وقسما ٠ وفاء لهم وعهدا لارواحهم الطاهرة الزكية ، وقسما ان نمضي قدما حتى التحرير بعونه تعالى ٠

وانها لثورة حتى النصر

١٩٧٧-١-١

اخوكم

ابو عمار

حكايات عن الجبل والحرب

جهاد أحمد صالح

- ١ -

الجبل ، الوطن ، الاطفال ·

الجبل ، المطر ، الثلج ، الضباب ، حفارو القبور ·

على اطراف الجبل ، ينتشر عشرات المقاتلين في انتظار بزوغ الفجر ، في انتظار الطلقة الاولى ، او الاشارة الاولى ·

او الامر الاول ، لا فرق ، المهم ان يبدأ الاقتحام ·

رجال المدفعية يعدون قذائفهم القليلة ، يجهزونها بالصواعق ·

ويرسمون المواقع على خرائطهم ، وينتظرون ·

حرارة انفاسهم تبدد البرد الذي يخترق العظام ، وشوقهم طلوع الجبل واعادة خارطة الوطن الواحد ، والقلب الواحد ، والعين الواحدة ···

ابو خالد يعطي الاشارة الاولى ·

ولكن لا طلقة اولى ··· سيول من الطلقات ، تنخر الثلج المكدس على قمم الجبال ، وتمزق مواقع الاعداء ·

القذائف تحفر في الثلج قبورا لحفاري القبور ·

دقائق معدودة بعد الاشارة الاولى ، تحول بعدها العمل العسكري الى عملية سباق وتسارع ·

بين الاطفال الفقراء وحفاري القبور ،

بين الهروب من رائحة الوطن وبين الشوق لصنع الولادة ·

التلفريك يزداد توهجا ودفئا عندما وصله المناضلون ينزعون ما علق به من قذارة ·

التلال المغـربية وتلال الزعـرور ترفض بشدة غربتها عـن الوطن ، وتعـانق ابناءها العائدين اليها ٠

الفنادق، وقد تحطمت فيهـا كل زجاجات الخـمر ولوحـات السياحة ، تستعـد لاستنشاق رائحـة الحرية ٠

المقاتلون ٠٠ يجلسون عـلى الارض ، يكتبون اسماءهم واسماء الشهـداء عـلى صفحـة الثلج البيضاء ٠

يوزعون انفسهم ، ويغرسون اسلحتهم في المواقع الجديدة ٠

ولاول مرة تشرق الشمس عـلى الجبل ٠

★ قال لنا شيخ من قرية مجـدل ترشيش :

منذ ثلاثة شهـور لـم نر الشمس في هـذه المنطقة ، استغرب بزوغ هـذه الشمس الدافئـة في مثـل هـذه الاوقات من السنة ٠

المناضلون من بلدة عـينطورة يحضرون ٠ والفرح يتفجر في عيونهم ٠ فرحـة المناضل بلقاء المناضل على ارض الوطن الواحد ٠

يحضرون لنا الطعـام والملابس ، ويرشدوننا الى مواقـع الاعـداء ٠

في المساء يحضر فلاح من عينطـورة وهو يلهـث ٠ شاهدنـا الرعـب والخوف خلف دموع عينيه ٠ صرخ الفلاح :

ـ لقد ذبح حفـارو القبور الاوغـاد مناضلي عينطورة امام مبنى الكنيسة ، وامام اعـين اطفالهم وامهاتهم وزوجاتهم ، لقد ذبحـوا عشرين مناضلا دفعـة واحـدة ، وغـدا سيذبحون البقية ٠

لحظات من الصمت والحزن تملأ مقر القيادة وتصل الى قلوب المقاتلين على التلال ٠

جميع العيون الحاقدة الغاضبه تتجه الى حفاري القبور في عينطورة ٠
غـدا سيذبح بقية مناضلي البلدة ٠
وفي صبيحة الغد ، كان الرصاص ينهمر على عينطورة ٠ والقذائف تتمزق فوق مواقع العـدو ٠

المقاتلون يتقدمون بسرعة تفوق سرعة المقاتل فـي المعركـة ، الدفاعـات الاولى تتهاوى ، الدفاعـات الثانية تنهار ٠

المقاتلون يتقدمون من كل الاتجاهـات ٠

تختلط رائحة اجسادهم برائحة الارض ورائحة الجثث المغدورة ٠

وعندما اصبحت الشمس في منتصف السماء ، كانت عينطورة قد ودعت سماع اخر طلقة ، وتمزق اخر قذيفة ،بينما مجموعة من المناضلين ـ تواري جثث ابناء البلدة المغدورين تحت التراب ٠

عجوز تهتف والدموع في عينها :

ـ كم كانت امنيتهم ان يشاهدوا هذه البلدة ، وقد عادت الى الوطن الام قبل ان يستشهدوا ٠

قال لها مقاتل : ـ

ـ هل للشهداء ابناء ٠٠ ؟ ٠

ـ نعم لهم ابناء كثيرون !

ـ لا تحزني ، فابناؤهم قد شاهدوا امنية ابائهم وهي تتحقق ٠

★ ★

ـ ٢ ـ

كلا انها ليست قبوركم : ـ

مقاتلونا ٠٠٠ لم يتعودوا على الحفر والتحصين ٠٠٠

مع العدو الاسرائيلي : اضرب واهرب ٠
مع النظام الاردني : قتال المواقع المتحركة ٠

مع النظام اللبناني : الانقضاض ٠

مع القوى الانعزالية : التقدم ـ والتطهير ٠

مقاتلونا لم يتعودوا على قتال الدفاع من مواقع ثابتة ، بل من مواقع متحركة ، الدفاع من خلال الهجوم او الهجوم الوقائي ٠

التحصين ٠٠٠ التحصين ٠٠٠ التحصين ٠

الخندقة ٠٠٠ الخندقة ٠٠٠ الخندقة ٠

تعليمات يومية تصدر من قيادة المنطقة الى كل مقاتل في الجبل ٠عبر التسلسل العسكري ٠

ـ تحصين مواقع الاسلحة ٠

ـ بناء دشم المقاتلين وادامة استمرار قتالهم في اقسى الظروف ٠
ـ خنادق الاتصال بين مختلف المواقـع والدشم ٠

ـ الخنادق الفردية لحماية المقاتلين من القصف ٠

ـ مستودعـات الذخائـر ٠

اذن التحصين والخندقة ، لضمان حياة المقاتلين ، وللحفاظ عـلى الاسلحـــة والذخائـر من اجـل استمـرار المعـركة ،

احدى دروس التجربة ، التي صنعها مقاتلو الجبل بعرقهم ٠٠٠ ودمائهـم ٠

الجبال الجرداء ، والقصف المتواصل ، والبرد ، والمطر ، تجعـل التحصين والخندقة ٠ احدى اهم واجباتنا ٠

العـادة تولد الكسل ، ومقاتلونا لم يتعـودوا الحفر ٠

تلك المـهمة الصعبة التي عـلى قادة المحـاور والمواقع اقناع مقاتليهم بها ٠٠٠
ـ هل نحفر قبورنا بايدينا ٠٠٠؟

ـ نحن لسنا جبناء ٠٠٠ ولسنا خائفين من العـدو حتى نحفر !

ـ الهجوم عـلى مواقعـهم افضل من حفر مواقعـنا!

ـ نحن رجال حرب الشعب ٠٠٠ ولسنا جيشا نظاميا ! ٠

ـ لم نتعـود عـلى الحفر !

ـ لـن نحفر !

كانت هذه هي تعليقات المقاتلين كلما طلبنا منهم القيام باعمال التحصين٠٠
حضر الى الجبـل الفنان هانـي جوهريه ، من مؤسسة السينما الفلسطينيـة، قاطعـا المسافة الطويلة والشاقة بين خيال الفنان والواقع ، ومن الواقـع الـى العـمق حيث الرجال يصنعـون النصر ٠٠ والصمود ٠ يداعبون اسلحة العدو، والطبيعـة القاسية ٠

الفنان يريد تصوير فيلم عـن الاشتباك ، وذلك لا يكون الا في مواقع الاشتباك، وفـي لحظـات الاشتباك ٠

التصوير سيبدا من التلال الغربية ، اكثر المواقع سخونة ٠

المقاتل الذي يرفض الحفر ، لانه يرفض ان يحفر قبره بيده ، يستعـد ، يجـلس في حفرة صغـيرة ، حفرتها احدى القذائف الثقيلة ٠

هاني جوهرية يقترب منه ، يركز الكاميرا ٠

الرائـد ابوعيسى يعـطي التعليمات للمقاتلين ٠

وعـندما اعـلن الفنان عـن بدء العـمل ، كانت قذيفة الهاون ٨١ ملم مـن موقع الاعداء اسرع ٠٠٠

تناثرت شظايا القذيفه مع شظايا الجسد الفنان ٠ مع دماء الرائد ابوعيسى تنزف من جرحه البالغ ٠

بينما الكاميرا تسقط في حضن المقاتل ٠٠ وكأنها تبحـث عـن حفرة تحميها ٠
وهكذا رحل الفنان هاني جوهرية الى اعـماق الوطن ٠

مثلما كان فنـه يرحـل باستمرار الـى اعـماق القضية والشعـب ٠

وانهالت طلبات ادوات الحفر ، واكياس الرمـل ، والابـواب والجسـور الحديدية من المقاتلين ٠٠٠

وهكـذا فلكـل تجربة ثمـن ٠٠٠

وثمن التحصين ، كان الشهيد هاني جوهرية ٠٠٠

* *

ـ ٣ ـ

الذاهبون الى الولادة :

الشمس تجمع اشعتهـا تستعـد للرحيل خـلف قمم الجبال الشامخـه ٠

البرودة تسري متماوجة في اجساد المقاتلين ٠

الاجراس تقرع فـي بسكنتا ، حـركة غـير عـادية هناك ٠

بعـض الفلاحين من بسكنتا يجتمعـون مع ابوخـالد مطولا ٠

ـ انهـم يجمعـون انفسهم ٠

ـ ضربوا خوري المدينة بعد ان رفض دخولهم الى المدينة ٠

ـ اعتقلوا معـظم المناضلين ، وبعـضهم تمكن من الفرار ٠

ـ احضروا اعـدادا كبيرة من الاليات والافراد ٠

ـ تركناهم مجتمعـين ، يعتقد ان هجومهم سيبدأ غـدا صباحـا ٠

ابو خالد يجتمع بقادة المحاور ويعطيهم التعليمات ٠

التعليمات تصدر من لسانه ومن يديه · ومن عينيه اللتين اصبحنا نفهمهما جيدا ·

الدواب تحـمل بالذخـائر الى المواقـع ، تعـزيز بعـض المواقع بالمقاتليـــن الجبل حركة مستمرة الحذر والترقب يملأن كل العيون ··

اجهزة اللاسلكي تصفر بلا توقف ·

صفير الاجهزة مستمر طالما بقيت هـذه المواقع بايدينا ·

فجأة ··· اطفات جميع الانـوار في مواقـع الانعـزاليين · الحـذر يرتفـــع والاعـين قد شدت بقوة الـى مواقعـهم ·

اصوات الاليات تهـدر عبر الاودية والجبال ·

بعض الاليات تضطر الى الانارة الخاطفة لتحديـــد مسارهـــا · صريـــر جنازيرها يمزق الصمت ·

الملاحـظات والمشاهـدات تمرر من جميع المحاور ، والمراقبات · المقاتـــلون يلتصقون باسلحتهم ·

خبل الاليات يكاد لا ينقطـع ، المقاتلون يعـدونها معتمدين عـلى الصـــوت، والضوء الخافت والخـاطف ·

اذن ستكون معـركة قاسية في الصباح·

انتابني شعـورمن الحـزن وانـا اتذكـر ان قذائف المدفعـية لا تكفي لصـــد هجوم قـوي عـلى مواقعـنا ·

مدفعيتنا تمزق الصمت · تقصف تجمعـات الاليات · الاليات تهرب، وبعضها يختبىء ثـم تعـاود التحرى · العـدو لا يرد عـلى مدفعيتنا ، مدفعيتنا ترمي بمعـدل كل ربـع ساعـة قذيفـة·

اتجاه الاليات وتجمعها ، يشير الى ان المعـركة ستكون عـلى محور الفنـادق تلال الزعـرور ·

ابو خالد على الجهاز الرئيسي ، ينادي المواقع باستمرار ·

الوضع جيد ، الجميع فـي حالة يقظة ، جاهزون لتلقي الضربة الاولـــى وتحطيمها ·

الفجر يشق طريقه ، والليـل ينجـلي عـن قمم الجبال ·

السـاعـة الخامسة الا ربعـا ، الوقت يمضي ببطيء · الظلام ينجلي متثاقـــلا

الصمت يلقي ظلاله الثقيلة عـلى نفوس المقاتلين • برد الصباح يراقص ابداننا • العيون تصارع النوم بحـدة •

الساعـة الخامسة صباحـا ،

صوت خفيف في بسكنتنا ، صفير ، دوي انفجار على موقعنا ،

وتلاحقت الانفجارات : قذائف الهاون من مختلف العـيارات تتساقط بالعشرات عـلى التلال والسفوح والاودية •

الشمس تشرق من فوق القمم • تزداد كثافة القذائف مع تزايد حـــرارة الشمس •

ابو خالد يطلب من جميع المحاور تقدير الموقف •

لا شيء سوى القصف • خـطة العـدو غـير واضحـة حتى الان • القصف عـلى جميع المحـاور ، ولكن عـلى اي محـور سيكون التقدم ؟

هذا غـير واضح • الا ان تقديرنا ما زال كما كان :

سيكون التقدم على محور الفنادق ـ تلال الزعـرور •

القصف يستهدف شل الحـركة •

تلك الفترة القاسية عـلى نفوس المقاتلين ، يلتزمون خنادقهم بلا حـركة حتـى لحـظة ، الاشتباك ، حيث تصبح الحـركة حـرة ••••

الساعـة الثامنة صباحـا •••

الاليات تتقدم تحـت نيران غزيرة الى منطقة الفنادق •

قذائف الـ ار• بي•جي• تدمر راس حربة التقدم • الهجمة الاولى تتحطـم • معـنويات المقاتلين ترتفـع •

القصف على مواقعنا يزداد شدة وضراوة وغزارة • دمر للعـــدو ثـــلاث اليات ، خسائرنا لا شيء •

وتلتها الهجمة الثانية اكثر ضراوة ، تميزت بالاصرار :

اصرارهم على التقدم ، واصرارنا على الاحتفاظ بمواقعنا •

تلتها الهجمة الثالثة ، والرابعـة ، والخامسة •

ارخى الليـل سدولـه عـلى المنطقة ، واغـرقها فـي بحـر من الظـلام بـــلا اقـمار او نجـوم •

فقط رصاصات الرشاشات ، ووهــج انفجار القذائف كان يبدد هذا الظلام .
المواقــع تزود بالذخــائــر ليلا ، تحــت جنح الظلام .

ما اصعب المسير في المناطق الجبلية في هذه الفترات المظلمة .

في نفس الوقت من صبيحــة اليوم التالــي ، سقطت القذيفة الاولى . وتتابــع سقوط القذائف بالعشرات .

سرية من الاليات ... وكتيبة من المشاة ، تتقدم باتجاه الفنادق . مقاتلو الفنادق العشرة ، يتصدون للهجــوم ببسالة .

حماد من السرية الطلابية ... يرسل تقديرات الموقف عــلى الجهاز .

المعــركة قاسيه ... وبمختلف الاسلحــة ...

قذائف ال ار.بي.جي تنهال عــلى اجسام الاليات ...

رشاشات ال ٥٠٠ المتبادلة تأكل الارض . وتمزق الــتحصينات .

حماد ـ يطلب المدفعية ـ للرماية على ثلاث اليات متقدمة ..

ثم يطلبها للرماية عــلى المشاة عــلى بعــد عشرين مترا منه .

ثم يطلب بالحاح قصف مكانه بالضبط ...

يتوقف صوت حمــــاد ...

يتوقف صوت حماد ...

ولكن الرشاشات ما زالت متبادلة . الانفجارات تتوالى .

الاتصال مع مجموعــة الفنادق مقطوع ، القصف عــلى كل المحاور يشتد .

الشمس الحارقة تنتصف في السماء ، تزيد المواقع سخونه ، الدخــان يتصاعد من ابنية الفنادق .

ابو فراس ـ قائد محور التلفريك ـ ينعي الشهيد حماد واربعة من رفاقه .

الرشاشات ما زالت متبادلة ، عدد من مدافعنا يخرج مــن العمــــل ، واذا استمر الوضع هكذا ، ستخــرج بقية المدافــــع ، بسبب استنفاد القذائف .

عبد الفتاح ابو سنينه مع ابو مازن من رماة ال ٥٠٠ ظلا يقاتلان يمزقــــان هجمات العدو . حتى نفذت الذخيرة منهما ، اخرجا اسلحتهمــا الفرديـــــة ، ظلا يقاومان ، اخترقتهما قذيفة دبابة .

وهكذا لم نعــد نسمع صوت او رشاشات مجموعــة الفنادق .

المقاتلون العشرة ، الابطال العشرة · الشهداء العشرة ·

احبوا فلسطين فاعطوها دماؤهم ، واحبوا لبنان فتساوى عندهم مع فلسطين، واحبوا الجبل فاستشهدوا عــلى ترابه ·

هل سيتوقف الهجوم عند هذا الحد ام انه سيستمر غدا صباحا ؟

الليل يخيم عــلى التلال والاودية ، مجموعــات زرع الالغــام ، تبذر الارض، امام مواقعــنا ، المواقع تزود بالذخائر ، والتموين الاحتياطــي ، ولكن لا عناصر جديدة ، لا يوجد في الجبل عناصر احتياط ·

المقاتلون ارهقهم التعــب والسهر ورغــم ذلك فحركتهم نشطه ، ··

الفجر يشق طريقه عبر القمم ، السادسة صباحــا ، القذائف تتساقط بغـزارة على التلال الغربية ، اذن هدفهم الجديد ، هــو التلال الغربية ·

القصف اصبح لا يطاق ، جميــع مدافعــنا تخــرج عــن العــمل ، ما عـــدا مدفـــع واحــد ·

المقاتلون لا يستطيعون القيام باي حركة ،

ابو راكز ، عامــل اللاسلكي على التلال الغربية ، رقيق كالنسيم ، صلب كالمــوت ، منــذ ثلاثة ايام لم يــذق طعــم النوم · ينادي عــلى الجهاز ، ويرسل تقديرات الموقف ، يبتسم باستمرار ، ويدخن باستمرار · لـــم يتحرك من خندقه، ولم يغير جلسته منذ بدء الاستنفار ·

اطلب من ابوخـــالد بالحاح ثلاثة قذائف مدفعــية ، للتعــامل مــع اليه عــلــى قناة باكيش تسيطر على مواقعنا وترميها بغزارة مؤثرة ·

ابو خالد يعطيني امر المدفعية ··· وثلاث قذائف ، ادقق في الخارطة ، عينت موقع الالية على الخارطة ، لا بد من اصابة الهدف ، بالقذائف الثلاث · ابو راكز بفرح ، يرسل الاحداثيات ·

القذيفة تسقط بالقرب من الالية ·

ـ خمسون مترا ـ يسارا ·

ـ سبعــون مترا ـ اماما ·

ابو راكز يرفع راسه ليشاهد الدخان والغبار المتصاعد الى جانـــب الاليــة اعطيته التصحيح ، ارسله بسرعــة الــى المدفعية ·

ـ خمسون يسار ـ سبعـة امام ٠

مدفـع رمـي ـ راقب ٠٠

ـ استلمت ٠٠٠

وكانت الالية قد ارسلت احدى قذائفها الى الموقع ، قبل ان تصلها قذيفتنا ٠ سمعـت انفجارا خلفه ، لـم التفت اليه اكاد اقفز من المراقبة ، وانا اصرخ :

ـ جيد على نفس المكان طلقة اخرى ارم ولكني لم اسمع ابو راكز يردد الامـر خلفي ، كعادته ، نظرت خلفي ، كان الغبار ما زال يتصاعد مـن خندقـه ، وقد مزقتـه القذيفة الى قطـع متناثرة ٠

الشمس تميل الى الـغروب ، تختفي خـلف الجبل ، الظلام يسيطر عـلـى المنطقة من جديد ٠

وفي اليوم التالي ، كان الهدوء هو وحده الذي يسيطر على المنطقة ٠ بينمـا عيوننا تتجه الى جثث الشهـداء ،

لا بـد من سحبهـم ٠٠٠

لا بـد من سحبهـم ٠٠٠

وهكذا رحلوا ، ليس الـى الموت ، بـل الى الولادة ٠



ـ ٤ ـ

السبـاق عـلى صنين : ـ

سالني احد المقاتلين :

ـ لماذا لون التفاح في هذه المنطقة احمر ؟ ٠

ولانني لا افهم كثيرا في الزراعة اجبته :

ـ لانه احـمر ليس الا ٠

وضعـنا العسكري بدا يتحسن ، تعزيزات بالرجال ، والقذائف والذخائـر ، والتموين ٠ المحاور اصبحت قادرة على صد اي هجوم ، بل واصبحت قـادرة عـلى القيام بعـمليات محـدودة داخـل مواقع العـدو ٠

مقاتلون اكفاء يصلون الجبل ، معـنويات مقاتلي الجبل ترتفع عـندما وصلت كتيبة بيت المقدس التي تحتفظ باسماء شهداء اقسى المعـارك ٠

الجبل ، خلية من النحـل في حـركة مقاتليه ، ومحط الانظار في بعــده السياسي ، ومختبر بشري في دروسه وتجاربه ٠

جميع العيون والقلوب والاحاسيس تتجه الى الجبل الابيض ٠ المواطنون في المنطقة : ـ

ـ لا تستطيعـون البقاء عـلى المرتفعـات اذا اهملتـم الاستيلاء عـلى جبـل صنين ٠

وصنين شامخ بثوبه الابيض المتوهج ، يعتز بالضباب الـذي لا يفارق قممـه المرتفعـة ٢٥٢٦ م عـن سطح البحـر ٠

لا بد من الصعود الى صنين ٠ وبدأ العمل المضني لازالة الثلـج الـذي يبلغ ارتفاعـه خمسة امتار في بعـض المناطق ، لشق الطريق الى صنيـن ٠ الجرافات تعمل ليل نهار ٠ ومعاول المقاتلين تزيل الثلج ٠

وصلتنا معـلومات ٠ تفيد بان الانعـزاليين يشقون الطريق للوصول الـى صنين من الناحية الاخرى ٠ اذن لا بد من الوصول الى اعلى القمم قبلهـم، وبدأت عـملية السباق ٠

بعـد عشرة ايام كان المقاتلون يحصنون مواقـع اسلحتهـم عـلى اعـلى قممه، ويبنون من الثلج منازلهم وخنادقهم ٠

مقاتلو كتيبة بيـت المقدس ومعـهم بعـض المناضلين الاخـرين ، يتناوبـون الخـدمة فـي صنين ، كـل يومين دفعـة جديدة ، البقـاء اكثر من ذلك مستحيل، فدرجة الحرارة اقل من الصفر بكثير ، الماء ليس مشكلة ، ولكـن المشكلـة هو الوصـول الى المواقـع ٠ عشر ساعات من السير فوق الثلج وسط الضباب٠

ورغـم كل ذلك ، فلا بـد من السيطـرة عـلى صنين ، تلك الحقيقة التـي يعرفهـا كـل الجبليين ، من مقاتلين ومواطنين واعـداء ٠

وبعد فترة اصبح لجبل صنين حكاياته المتداولة بين المقاتلين واصبح لـه ابطاله ورجاله ٠

وبدأت قذائف الانعـزاليين تتساقط بغزارة عـلى المواقـع الثلجية وبـدأت عملية ذوبـان الثلج بفعـل حرارة الانفجارات ، وحرارة حركة المناضليـن ٠

واصبح لصنين ايضا شهداؤه ٠٠٠ الذين كتبوا اسماءهم علـى الثلـج بدمائـهم ٠

قال لـي ابوخـالد جورج ، قبل استشهاده عـلى صنين :

ـ جميع المشاكل تحـل في زمن الاشتباك ٠

كنا في السابق نعـاني من وصـول التموين والذخـائـر ومن قلة البطانيـات والملابس للمقاتلين ، اما الان وقد اصبحوا على مقربة منا ، فلا مشكلة ، عندما يجوع المقاتلون ، يرتبون دورية انقضاض عـلى احـد المواقـع المعـاديـة ، فيحضرون الطعـام الطازج ٠ وعـندما تقـل التجهيزات ، يحضرون التجهيزات والذخائر والاسلحـة ، انهـا تجربة حـرب الشعـب الجبلية ٠

وبعـد يومين استشهد ابو خـالد جورج ، تاركا بعض البصمات الخـالـدة عـلى صفحـة الثلج ، وعـلى ملامح التجربة ٠

الغريب ان يتساقط الثلج في شهر آب ، والاغرب هذا الضباب الكثيف الى درجة فقدان الرؤيا ٠

هكذا هتف ابوعـمار، احـد مواطني بلدة كفرسلوان ٠

البرقيات تتدفق عبر اجهزة اللاسلكي من صنين ٠

ـ البرد قاس جدا ، البطانيات تعتصر ماء بعد ان تمزقت جميع الخيـام ، حالات من التجمد تصيب خمسة مناضلين ٠ الضباب كثيف ٠ المعنويات عالية٠

تعليماتكم ٠

شعرت بقشعريرة برد تمزق عظامي ، وانا استمع الى البرقية ٠

وجاء رد الاخ ابوخـالد ليضعـني بين شعـور عـميق ورغبة في الحـزن والضحـك في ان واحـد ٠

ـ المحافظة عـلى مواقعـكم ٠ سنحاول عـمل شيء بعـد ان تخف وطـأة الضباب ٠ استخدموا وسائل التدفئة المتوفرة لديكم ٠

استخدمـوا وسائـل التدفئـة المتوفرة لديكم ٠

لو توفرت هـذه الوسائـل ، لما حصلت حـالات التجمد ٠ واستمر الضبـاب والبرد وهطلت امطار غزيرة جدا ٠

وبلغت حالات التجمد اثنتي عشرة حالة ٠

في اليوم التالي زارني الملازم يغمور امر موقع صنين ٠ تعرفـت عليـه بصعوبة ٠ من بين ملابسه التـي تلفه باحكام ما عـدا وجهه ٠ عيناه تشعـان كانهما عينا صقر وقف فوق صخرة كبيرة يحدق في عصفور جميل يحـوم في السماء ٠

لفت انتباهي احمرار وجنتيه ، الـدم الاحـمر يكاد يتفجر منهما خيل الـــي انني لو لامستهما فسيخرج دمه على اصابعي لقد اصبح وجهه قالبا من الثلـج الاحـمر ·

تذكرت سؤال ذلك المقاتـل · غـمرني شعـور ورغبة في الضحـك وانــا احاول الربط بين احمرار وجنتي الملازم يـغمور ، وبين سؤال المقاتل :

لـماذا تفاح هـذه المنطقة احـمر ؟

★ ★

ـ ٥ ـ

اربع جعب وكلاشنكوف واحد :

المقاتلون يلصقون اذانهـم باجهزة الرايـو ·

قادة المحـاور يلتصقون باجهزة اللاسلكي ·

الجبل كله اصبح اذانا صاغية للاخبار ، البلاغـات العسكريـة تتوارد ، الموسيقى الحماسية والاغـاني الثـورية تلهب المشاعـر ، الحذر ، والترقـب يطبقان حصار الصمـت ·

في العـيون تنفجر عشرات الاسئـلة وعشرات الاحتمالات ·

صيدا تأكل الدبابـات ·

صوفر تقف حاجزا قويـا في وجـه الاليات ·

بيروت اقوى من راجمات الصواريخ ·

ورغم كل ذلك ، فالضربة قد تكون في الجبل · الجبل هذا الجسر المغلـق بالاف البنادق ، والخنادق في وجه مؤامرة تجزئة العين الواحدة ، في المساء ، الوجبة الاولى من راجمات الصواريخ تمشط المنطقة · تبذر المنطقة شظايا · تلطخ صفاء السماء باعـمدة الدخـان والغبار ·

يسقط شهيدان · ويجرح اربعـة ·

كثير من الامور والقضايا ترهق القادة ، بينما يتصرف المقاتلون معـها ببساطة ومرح رغـم ارتباطها الوثيق بمصيرهم · وطموحاتهم الخاصة والعـامة ·

المقاتلون في حركة مستمرة · منهم من يعبيء مخازن سلاحه بالذخائــر ،

ومنهم من ينظف سلاحـه ، ومنهـم من يحزم امتعته ، ومنهـم من يودع بعـض اصدقائـه . الجميع سيكون جاهـزا للتحـرك بعـد ساعـة الى المواقع الجديدة الىنصف الدائـرة الاخـر .

يقف بعضهم امام خنادق الاتصال ودشم الاسلحـة . وكأنه يودع عزيـزا عليـه ، الخنادق التـي حفروهـا بعرقهـم ودمائهـم طـوال مـدة اقامتهم عـلى هـذه التلال ، حتى اصبحت جزءا منهـم محفورة في ذاكرتهم . كما هي محفورة في صخـور الجبل .

النقيب ماهر يشرف عـلى تجهيـز عناصره بنفسه ، يتفقد لوازمهم وتجهيزاتهم فردا فردا .

يداعبهم يضاحكهم يحاورهم وهم في حالة من الفرح . تلك العـلاقة الخفيـة التي تجمع بين القائـد وعناصر فـي الثورة . القائد يودع عناصره . بحـزن عميق . كل واحد قطعة من جسده بينما المقاتلون يندفعـون لتحقيـق مهمـة القائـد .

ذلك الرباط القوي الذي كان يجمع بين قـادة ومقاتلي الجبل والـذي حرص الجميع عـلى الحفاظ عـليه ، وتقويته .

هذا هو دافعـنا الى الصمـود والنصر .

دخـلت غـرفة النقيب ماهر كان مزيجا غريبا من الحماس والنشاط والحـزن. قلت مستوضحـا : ـ

ـ هـل من جديد ؟.

ـ نعم لقد طلب مني قائد المنطقة ان ارسل فصيلا مجهزا الى نصف الدائـرة الاخرى . بالرغم من انني اشكو قلة العناصر في محوري .

ـ لقد طلب مني نفس الطلب ، وارسلت له المطلوب . وانت تعـلم انني اعاني ما تعانيـه .

وسيطرت عـلينا الحيرة ،وكلانا يعـرف ما يدور في رأس الاخـر . وكلانا يعـرف ما يدور فـي رأس القائـد .

الحسابات العسكرية ـ ترتبط بالقرارات السياسية ، والقرارات السياسية تعتمد عـلى القدرات العسكرية .

اننا بحاجة الى قوات عسكرية اضافية الى ذخائر واسلحة وبحاجـة الـى

معــرفة اي نصف من نصفي الدائــرة اهم من الاخــر ٠٠

في هذه الاثناء دخــل عــلينا مقاتــل يمني يبدو عــليه الاضطراب ٠ يخفي خــلف عــينيه القاسيتين ارادة قوية ، اجعــد الشعــر ، اسمر البشــرة، وخاطب النقيب ماهر :

ـ اريد ان تصرف لي جعبة جديدة !

نظرت اليــه ، تفحصته من اعــلى راسه الى اخمص قدميه ٠ ضعــيف البنيــه قصير القامة يحمــل جعبتين عــلى جنبيه ، وجعبة ثالثة على صدره ! ٠

كان منظره مثيرا للضحــك وهو يخــاطب النقيب ماهر ٠

قلت مستغربا : ـ

ـ ولكنك تحمل ثلاث جعــب يا ابا الطول ٠

ـ الاولى احضرتها معــي من العــرقوب وهي لمقاتلة اسرائيل ٠

الثانية عندما حضرنا الى عينطورة لتحطيم مؤامرة تقسيم لبنان

والثالثة ٠ لانهــم قالوا ان القوات الانعــزالية طلبت قوات دولية لمقاتلتــنا ٠

اريد جعبة رابعــة لانني ذاهب الى موقعــي الجديد ٠ الى نصف دائرة المؤامرة الاخــر ٠

حضنت المقاتل ، وقبلت رأسه ٠٠

ـ هــل انــت يمنــي ؟

ـ كلا انا فلسطيني رغــم اني ولــدت انا وجميع اجدادي في اليمن ٠

قال لــه النقيب ماهر مازحــا ٠٠٠

ـ هل سمعــت الاخبار يا ابــا الطــول ؟

ـ كلا ٠ هل مــن جديد ؟ ٠

ـ لقد صدرت الاوامر للقوات اليمنية المتواجدة فــي لبنان ، ان تقاتل مــع الانعــزاليين ضدنا ٠

نظر الينا بمرح ثم ضحــك وقال ببراءة :

« اذن اريد جعبة خامسة »٠

★ ★

وللمدفعية حكاياتها : ـ

وصلتنا دفعة جديدة من الاسلحة ، بينها بعض مدافع الهاون ودفعة جديدة من الذخائر ، بينها كمية من القذائف ٠

كان امر المدفعية مركزيا ، نظرا لقلة عدد المدافع الموجودة في المنطقة وكان ذلك يحد من امكانية السرعة والتلبية ، خاصة بعد ازدياد عدد المحاور التي الحقت بالمنطقة والتي استجدت بعد دخول القوات الاخرى طرفا مباشرا في الصراع ٠

فكان اذا ما تعرض محور لقصف او لمعركة ، تطلب رماية المدفعية من قيادة المنطقة ، وقد يحدث قتال على اكثر من محور وتطلب الرماية على اكثر من هدف ، الامر الذي يجعل امكانية التلبية اقل سرعة وفعالية ٠

وكان هاجسنا احتمال انفجار المعركة على كل المحاور او معظمها بالاضافة الى انخفاض قوة المناورة لدى قائد المحور في المعركة ، لعدم سيطرته على الرماية بشكل مباشر ٠

وكان طموح قيادة المنطقة انه يستطيع كل قائد محور ادارة معركة مستقلة على محورة اذا كانت محدودة ٠

لذا ، وعندما توفرت المدافع الكافية والقذائف الكافية الحق في كل محور بطارية مدفعية ١٢٠ ملم و٨٢ ملم و٨١ ملم ، مع مستودع مستقل من القذائف ٠ مع اهداف محددة للتعامل معها ٠

★ ★

(١) سعادات يقصف نفسه

منذ الصباح ، والانعزاليون يقصفون التلة الغربية بمدفع ١٢٠ ملم من موقع جديد غير مسجل عندنا ٠ اتصلت بالمواقع الامامية ، لمراقبة مكان المدفع، وتحديده على الخارطة ٠ فكان الامر صعبا لان المنطقة التي يقصفون منها داخل بلدة بولونيا والضباب يغطيها تماما ٠

وفي اليوم التالي ، ذهبت لملاحظة المكان وبدأ المدفع باطلاق القذائف ٠ طلبت رماية المدفعية ، بعد تحديد المكان ٠ القذيفة الثالثة سقطت في نفس المكان ٠ طلبت تسجيل الهدف « باسم سعادات »٠

وسعادات هو احد عناصرنا من رماة المدفعية ٠

ضخم الجثة ، كبير الراس ، املس الشعر ،كبير الفم ،حافي القدمين باستمرار لعدم وجود احذية على قياس قدميه رغم الشوك ومسامير الصناديق والاحجار الصخرية المدببة ٠

يضحك باستمرار وبصوت مرتفع ٠ يضحك لانه يضحك ٠ عندما يتكلم مع شخص الى جانبه ، يبدو وكأنه ينادي عليه عن بعد مئة متر ٠

ولدت زوجته ذكرا وهو في الجبل ٠ ذهب اجازة لمدة يومين وسمى ابنه يعيش ٠ وعندما سألناه لماذا هذا الاسم الغريب قال :

ـ غدا عندما يسأله احد عن اسمه يجيب يعيش سعادات ، اي يعيش انا ٠

وكان سعادات مجازا عندما سجلنا الهدف المعادي باسمه ٠ حضر سعادات وذهب ابو الهيجاء امر البطارية اجازة الى صيدا ٠ وفي اليوم التالي، وبينما اقوم بتفقد المواقع ، بدأ العدو بقصف مواقعنا من نفس المكان وبغزارة٠ على جهاز اللاسلكي طلبت من المدفعية التعامل مع الهدف سعادات وكان على جهاز المدفعية يكلمني المناضل سعادات ، سمعت ضحكته على الجهاز ٠ وبانفعال رددت الامر ٠

ـ ثلاث طلقات متتالية على سعادات !

ازداد في الضحك ٠٠٠ صارخا : ـ

ـ هل تكلمني انا ٠٠٠ ام تكلم الكتائب حتى يقصفوا سعادات !

وفي حالة من الاضطراب نتيجة القصف المركز والمؤثر طلبت منه ان يعود الى ورقة تسجيل الاهداف ، ويتعامل ٠

نفذ الامر ٠ وعندما اصبح جاهزا وهو يضحك ايضا ٠٠٠

ـ جاهز ٠

ـ ثلاث طلقات متتالية ارم ٠

ـ ثلاث طلقات على راس سعادات رمى٠ رمى ٠ خمس طلقات بدل الثلاثة٠٠ اسكتت مواقع العدو ، عندها ضحكنا من الاعماق ! ٠

★ ★

(٢) ابو حديد يتعلم الرماية

في محور عينطورة النقيب ماهر يعاني من مشكلة اسمها ابوحديد ٠

وابو حديد يبلغ من الوزن ثلاثة رجال من الحجم المتوسط ٠

يطلق النار باستمرار رغم العقاب المتواصل ، يحمل مسدسين ويطلق النار من الاثنين عـلى الحجارة عـلى الاشجار ، عـلى اي شيء ··· يضعـه فـي الكمائن الامامية فتصبح هذه الكمائن بحاجة الى نهر متدفق من الطلقات ·

قال لـه النقيب ماهر : عـلى اي سلاح لا تستطيع الرماية ·
اجاب : ـ عـلى المدفعية ·

ـ اذن انت منقول الى بطارية المدفعية ·

كانت المدافع موجهة الى الاهداف المعـادية ، كل مدفـع باتجاه هدف وكلمـا صدر امر بالرماية يهرول ابوحديد الى المدفـع ويرمي حسب الاوامر ·

في احدى الايام قـام امر البطارية بتنظيف المدافـع ونصبها دون توجيـه حتى تجف · وحـدث ان حصـل اشتباك في نفس اليوم مع العـدو ، فاصدر امر المحـور تعليماته للمدفعية بالتعامـل · هرول ابو حديد دون ان يعـلم ان المدافع غـير موجهة ، واطلق ثلاث قذائف · سقطت بالقرب من النقيب ماهر ·

اصدر ماهر امرة بايقاف الرمي فورا · وعـرف ان ابوحديد هو الرامـي فاقترح احد العناصر عليه ، ان ينقله الى الكتائب حتى يستنفذ ذخيـرة العدو·

★ ★

(٣) ثلاث قذائف فقط !!!

ابو حسين هو رجل المدفعية الاول لثلاثةاسباب : ـلانه امر مدافع ال ١٢٢ملم وال ١٣٠ ملم · ـ لانه امهر رام · ـ لانه يهدد ويزمجر ويتوعـد العـدو ، منذ ان يأخـذ امر الرمي وحتى تصل القذيفة الهدف· واذا اخطأت القذيفة الاولـى يشتم ويهددهم بالثانية ·

ابو حسين بسيط التعليم ولكنه يتقن كل العلوم المتصلة بالمدفعية ·

يقرأ الجرائد والمجلات والكتب باحثا عـن كلمة مدفع او قذيفة ·

يقرأ ليعرف تأثير المدفعية وفعاليتها في الحروب فقط ·

حضر الى المنطقة اربعـة ضباط مدفعية اقلهم برتبة رائد ، اجتمعـوا مـع ابوحسين لتضبيط المدفعية ، وكان الضباط قد تدربوا في كليات الجيوش العربية·
اخرجوا خرائطهم ومساطرهم واجهزتهم ·

طلب منهم قائـد المنطقة رماية هدف معـاد في احدى قمم صنين ·

اطلقوا اكثر من عشرين قذيفة والهدف ما زال قائما كما هي حساباتهم واجهزتهم وخرائطهم قائمة٠

ابو حسين لا يتكلم يكتفي بعض شفته السفلى باسنانه ٠ يدخل على ابوخالد منفعلا وبالحاح طلب منه ان يسمح له بالرماية ٠ على الهدف طلب ثلاث قذائف فقط ٠

رمى القذيفة الاولى وكانت على يمين الهدف بثلاثمائة متر ٠ الثانية امام الهدف بمئتين متر ٠ الثالثة وما ان انفجرت حتى اصبح الهدف دخانا أسود ٠

وترك مكانه وهو يشتم الهدف ويهدد ويتوعد ٠ بينما احد الضباط يسأل عن رتبة ابوحسين العسكرية ٠ وذهل عندما عرف انه مناضل فقط في الثورة الفلسطينية ٠

★ ★

(٤) لن يمروا :

بواسطة جهاز اللاسلكي ، ضبطنا المكالمة التالية للقوات الانعزالية :

ـ ساحضر انا والزملاء الثلاثة الان لطرفكم ٠

ـ كلا لا تحضر ٠

ـ لماذا ؟

ـ لانهم يلاحقون حتى العصافير بقذائف المدفعية ٠

ـ اذن ارجو ابلاغي ، عندما يتوقفون عن الرماية ٠

ـ اعتقد انك لن تتمكن من الحضور اليوم ، لانهم يلاحقون اية حركة ٠



ـ ٧ ـ

الشبل ٠٠٠ يخترق الحصار ٠

انعكست الازمة التموينية على الجبل وزاد في حدتها بعد احكام الحصار والسيطرة على طريق قبيع من قبل القوات السورية الممر الوحيد الى المنطقة٠

مستوى التموين في انخفاض مستمر من حيث الكمية ومن حيث القيمة الغذائية علائم الارهاق والجوع بدات تظهر على المقاتلين ٠

قادة المحاور بدأوا يواجهون طلبات ملحة من قبل المقاتلين ومطلوب منهم ان ان يوضحوا لكل مقاتل ماذا يعني وضعنا في حالة حصار تمويني.

رغيفين من الخبز - وعلبة سردين - وحبة بندورة او خيار غذاء المقاتل اليومي في مواجهة البرد القاسي والارهاق وحفر الخنادق وتحصين المواقع ومواجهة العدو.

في احدى الدشم الرملية جلست مع بعض المقاتلين بعد دورية ناجحة قام بها بعضهم على طريق بسكنتا المروج. وعندما تطرقنا الى الحصار التمويني المفروض حول الثورة كانت تعليقاتهم : -

- لقد اصبح بطني بركه سردين.

- في بطني معمل لرب البندورة.

- قبل الحصار كنت اشكو من وجود الدود في بطني اما الان والحمد لله ولاخواننا في دمشق فقد مات الدود جوعا.

- صحيح ان الجوع هو ابو الثورات في العالم.

- لو صدر قرار الهجوم على مواقع الانعزاليين ساطهر المطابخ من التموين.

- المهم ان يبقى السردين والبندورة والخبز متوفرا.

وهكذا تستمر تعليقات المقاتلين المرحه حول الحصار التمويني بينما الجوع يداعب (معدتهم).

لم تكن هذه القضية تشغل بال المقاتلين اكثر مما تشغل قيادة المنطقة. وقادة المحاور. كيف نحطم هذا الحصار ؟. كيف نوفر المواد الغذائية الاساسية ؟ كيف نستفيد من القيمة الغذائية على حساب الكمية ؟كيف نوفر الطعام المرزوم للمقاتلين ولمدة اسبوع على الاقل في حال نشوب المعركة ؟.

قمنا بتشغيل فرن مهجور وقد تبرعت بعض النسوة من المنطقة بالعمل فيه.

وتقرر تخزين المواد الغذائية.

فرغم الجوع ، تجد في الكمائن تموينا مخزونا بانتظار المعركة.

المعركة حتمية بعد الحصار ، والحصار يفرض حالة قصوى من الحذر والحذر يجعل تفكير الجميع ينصب على كيفية تحطيم الحصار.

مقاتل على سبيل المداعبة يقترح ان نزرع المنطقة قمحا وبندورة ، يقترب منه

مقاتل اخر هامسا في اذنه ان القمح والبندورة لا ينبتان في الثلج ·

ـ ماذا يزرع في الثلج ؟

ـ لا شيء غـيرنا ·

احد المقاتلين يقف متحديا ، من فيكم يعـرف لون اللحـم الطازج ؟

جواب : لا احد ، منذ شهر لم نر اللحم الطازج · ربمـا تغيـر لـون اللحم خلال هذا الشهـر · هناك امور كثيرة قد تغيرت وتبدلت خلال هذا الشهر ·

وانطلق الجميع الى مواقعـهم لاتمام عـمليات التحصين ·

وفي صبيحة اليوم التالي ،حضر الشبل سعـدالله ،

وسعـدالله ، عـمره لا يتجاوز الرابعـة عشرة ، يضحـك باستمرار يثرثـر باستمرار ، ولكنه يجيد لعبة الموت · اخبرني ان هناك بعضـ رعاة الماعـز يقتربون من مواقعـنا بحجة الرعـي ، واعتقد انهـم يحضرون لاستطلاع هـذه المواقع ·

فقد شاهدت في الصباح من خـلال المنظار ان احدهـم يحمـل بندقية ام ١٦ عـلى كتفه ومنظارا عـلى صدره ·

ـ ولماذا لم تطلق النار عـليه الست فدائيا ·

اطرق الى الارض واجاب هامسا : بلـى انا فدائـي ·

هل من شيء اخـر ··؟·

ـ الحيطة والحـذر ؟·

وعندما بدأت الشمس تتهيأ للغوص في رحم الجبل ، والمقاتلون ينطلقـون لمراقباتهم الليلية المتقدمة ، والكمائـن الليلية تستعـد للانطلاق ، انفجـر الصمت فجأة وبشكل عـنيف ·

اربعـة رشاشات ثقيلة ترسل اربعـة سيول متصلة من طلقات ال ٥٠٠ قذائف الهاون تتساقط على التلة الغربية بشكل مثير ·

اعتقدت باديء الامر ان هجـوم قد وقـع عـلى التلة ·

اتصلت بالمراقبات الامامية لا شيء · لا نشاهد سوى الطلقات ، رشاشاتنا ترد عـلى مصادر النيران ·

مدفعيتنا تقصف مواقـع العـدو قذائف متلاحقة ·

برقية الى قيادة الجبل :

«لا شيء عندنا سوى تبادل بالرشاشات والمدفعية» ٠

وبعد نصف ساعة ، عاد الصمت ليخيم على المنطقة ، ويرمي بظلاله الثقيلة على النفوس الثائرة ٠ انفجار لغم يحدث دويا امام تلة الزعرور اليمنى ٠

وحضر سعد الله ، والضحك يجعلك لا تفهم ماذايقول، ولكن ظهرخلفهشليةمن الماعز ، اصبح الموقف الان واضحا ، ونتائج ودوافع الرمايات واضحة ايضا ، خسائرنا لا شيء وخسائرهم مئة وعشرون راس ماعز وعدة الاف من الطلقات والقذائف ٠

ماذا حدث يا سعدالله ٠٠

انفجر ضاحكا ، عندما خرجت من عندك ، اعلمت قائد الموقع بانني مكلف من قبلك بتصفية الراعي ، لانه ضابط استطلاع للعدو ٠

كمنت له في المكان الذي يحضر اليه يوميا ، وبعد ساعة حضر مع الماعز ٠ اطلقت عليه النار ، فارديته قتيلا ، وبسرعة جردته من بندقيته ومنظاره ٠

قلت في نفسي ساقدم المنظار لك ، والبندقية لابوخالد ولكن ماذا ساقدم لرفاقي فقررت احضار جميع الماعز وفي الطريق انفجر لغم فقتل سبعة منها ٠

ارسلنا الماعز الى قيادة المنطقة ٠ وقدم الشبل سعدالله البندقية لملازم ابوخالد ٠ عانقه ابوخالد ـ واهداه مسدس ٧ ملم ٠

وقضينا عشرة ايام ، ونحن نأكل اللحم الطازج يوميا ٠

احتمال "الحل السلمي" وموقع المقاومة الفلسطينية منه

د. محمد ربيع
جامعة جورج تاون - الولايات المتحدة

يعتقد الكثيرون من رجال السياسة والمثقفين العرب وغير العرب ان الصراع العربي الاسرائيلي قد اوشك على الانتهاء وان احتمالات حله سلميا تبدو شبه مؤكدة • اذ ان حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ خلقت العديد من الحقائق الجديدة ورسخت بعض الحقائق القديمة والتي اهمها :

١ ـ انتهاء اسطورة التفوق العسكري الاسرائيلي على العرب ومعها اسطورة التخلف العربي •

٢ ـ عدم امكانية القضاء على اسرائيل ، على الاقل في هذه المرحلة من مراحل الوفاق على الساحة العربية والساحة الدولية •

٣ ـ رفض المجموعة الدولية لاستمرار اسرائيل في احتلال الاراضي العربية التي استولت عليها في سنة ١٩٦٧ ومعارضتها لاجراءات التهويد في تلك الاراضي •

ان الاعتقاد بصحة هذه الحقائق وواقعيتها قاد الدول العربية المتصلة مباشرة بالصراع الى اتخاذ مواقف اكثر ايجابية من مشاريع الحلول السلمية المقترحة • ودون الدخول في مناقشة تفاصيل الحلول المقترحة ، وذلك لان التفاصيل تبقى من اختصاص المتفاوضين ، يقوم الحل في اطاره الشامل على الاسس التالية :

١ ـ انسحاب اسرائيل من كافة الاراضي العربية التي احتلتها سنة ١٩٦٧ •

٢ ـ الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني •

٣ ـ اقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات علاقات خاصة بالاردن في كل من

الضفة الغربية وقطاع غزة ٠

٤ ـ انهاء حالة الحرب مع اسرائيل والاعتراف بها ضمن حدود ما قبل حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ٠

٥ ـ الاعتراف الفلسطيني بدولة اسرائيل وبحقها في الوجود ضمن حدود سنة ١٩٦٧ ٠

هذه الاسس تعكس بوجه عام القاسم المشترك الاعظم لاراء المجموعة الدولية ممثلة في قرارات هيئة الامم المتحدة ومواقف وسياسات كل من الاتحاد السوفيتي والمجموعة الاوروبية ، والى حد كبير ، سياسة حكومة الولايات المتحدة الاميركية ٠ كما تحتل في الوقت ذاته الحد الاقصى من التنازلات العربية في مقابل سلام في المنطقة يعيد للفلسطينيين بعضا من حقوقهم المسلوبة ويوفر اجواء مناسبة لنجاح مشاريع التنمية وتحقيق التقدم لمختلف الشعوب العربية ٠

ان السعي من اجل التوصل الى الحل المقترح لا بد وان يأخذ في اعتباره امورا كثيرة اهمها : ماذا لو فشلت جهود السلام ، وكيف نقوي احتمالات نجاحها ونتحاشى الى اكبر حد ممكن نتائجها السلبية على الواقع العربي ؟ لذلك نرى انه من الضروري الاجابة على الاسئلة الثلاثة التالية كأساس لبناء « استراتيجية التفاوض » وابعادها المختلفة ٠

١ ـ هل من الممكن تحقيق الحل المقترح ٠٠٠ اي هل ان القوى الفاعلة عربيا ودوليا قادرة في المرحلة الحالية على فرض هذا الحل وراغبة في تحقيقه ؟٠

٢ ـ واذا كانت الاجابة على السؤال الاول بالايجاب ٠٠ ما هو الاسلوب الافضل الاكثر فعالية للوصول الى ذلك الحل ؟

٣ ـ ما هي الادوار والمسؤوليات التي يجب ان تقوم بها الاطراف العربية المعنية بالحل وذلك من اجل التحضير لمرحلة المفاوضات وتقوية احتمالات نجاحها؟

امكانية تحقيق الحل المقترح

ان الجهود السياسية والاعلامية التي تبذلها الدول العربية المعنية بالحل ، وبشكل خاص الحملة الاعلامية التي تقودها جمهورية مصر العربية وردود الفعل عليها بين اوساط رجال السياسة والاعلام والمثقفين الاوروبيين والاميركيين ،تشير الى امكانية نجاح تلك الجهود ٠ اذ بينما تخاطب الحملة الرأي العام العالمي

باسلوب ذكي يفهمه ويتقبله ، تركز على قرارات هيئة الامم المتحدة وتعلن تجاوبها مع المنادين بالسلام ورغبتها في تحقيقه • الا ان نجاح تلك الحملة او عدمه يبقى محصورا ضمن حدود مقدرتها على النفاذ الى صانعي القرار السياسي ، والتأثير في تشكيل ما يصنعونه من قرارات •

ان محاولة التعرف على مدى فاعلية تلك الجهود ، وبالتالي مدى نجاحها في تحقيق هذف السلام في الشرق الاوسط تستوجب تحديد اطراف النزاع الرئيسيين والقوى التي تملك القدرة على تقرير مصيره • وعلى الرغم من تعدد القوى ذات العلاقة القوية بالصراع العربي الاسرائيلي ، فان القوى الاساسية التي تملك قوة الفعل وبالتالي تحديد مصير جهود السلام الحالية هي :

١ ـ القوة العربية وتشمل الدول العربية الساعية من اجل التوصل الى حل سلمي ، ومن ضمنها غالبية القوى الفلسطينية والدول العربيةالنفطية التي تساند تلك الجهود وتساهم في دعمها ماديا وسياسيا •

٢ ـ اسرائيل ومن ورائها الحركة الصهيونية العالمية •

٣ ـ الولايات المتحدة الاميركية •

٤ ـ الاتحاد السوفياتي •

وهذه القوى جميعا تبدي رغبتها في تحقيق السلام في الشرق الاوسط وتعلن عن استعدادها للتعاون مع كل الجهود التيترمي الى تحقيق ذلك الهدف• الا ان تباعد وجهات نظر الاطراف المعنية واختلاف اهدافها وتناقضاتها يجعل قضية التوصل للحل المنشود قضية في غاية الصعوبة • وعلى العموم لا يمكن تسوية اية قضية سياسية متنازع عليها الا اذا توفر واحد او اكثر من الاحتمالات التالية :

الاحتمال الاول : توصل الاطراف المعنية اساسا بالنزاع الى حل وسط يقبلون به ويضعون حدا للنزاع على اساسه •

الاحتمال الثاني : حصول احد الاطراف على القوة الكافية لفرض الحل الذي يريده على الاطراف الاخرى •

الاحتمال الثالث : قيام قوة ثالثة باستخدام ما لديها من امكانيات الترغيب والاقناع وربما التهديد بفرض حل على الاطراف المعنية اساسا بالنزاع •

ولما كان العرب والاسرائيليون هم الاطراف المعنية اساسا بالنزاع فان مجريات الامور على الجانبين تشير الى عدم توفر الاحتمال الاول٠اذ ان اسرائيل كحكومة واحزاب سياسية ورأي عام وحركة صهيونية ترفض الحل العربي المقترح وباغلبية كبيرة ٠ كما ان العرب كحكومات وشعوب يرفضون وبشدة الموقف الاسرائيلي من الحلول المقترحةووجهة نظر الاسرائيليين من الحل الممكن٠ اذ ان الموقف الوحيد الذي اعلن بشكل محدد كان يتراوح ما بين مشروع الون الى مشروع رابين بعقد مؤتمر سلام على غرار مؤتمر هلسنكي للامن الاوربي ، وهو المؤتمر الذي اتجه الى ترسيخ الامن في اوروبا على اساس الاعتراف بالامر الواقع والقبول بالحدود التي صنعتها الحرب العالمية الثانية ٠

ان اسرائيل التي تحاول عرقلة مؤتمر جنيف وترفض اعلان مطالبها من الجانب العربي في مقابل السلام تسير في سياسة تهويد ما احتلته من الاراضي العربية في سنة ١٩٦٧ بخطى حثيثة وثابتة ٠ فالى جانب اعلان ضم القدس وتغيير معالمها التاريخية تقوم ببناء المستوطنات في الضفة الغربية والجولان وسيناء وتعمل على توطين اللاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة ٠ يضاف الى ذلك ضعف الحكومة الاسرائيلية – اي حكومة رابين– وتعرضها للضغوط والازمات المتكررة السياسية منها والاقتصادية ٠ وبينما تبدو حكومة رابين غير قادرة حتى على تنفيذ قرارها بالغاء مستعمرة كفر قدوم في الضفة الغربية يتصاعد نفوذ الكتلة الدينية وتزداد قوة الاتجاه الديني الذي يرفض الانسحاب من اي جزء من الاراضي العربية المحتلة ٠

واثناء زيارة بيريز وزير الدفاع الاسرائيلي ، للولايات المتحدة الاميركية في شهر ديسمبر سنة ١٩٧٦ ، اي قبل ايام قليلة ، صرح بان هدف اسرائيل من حضور مؤتمر جنيف هو محاولة تحسين سمعة اسرائيل في الخارج واعطاء صورة افضل عن رغبتها في السلام ، وليس من اجل تغيير سياسة اسرائيل او تعديل مواقفها ٠ ولذلك يرى بيرز ان مصير مؤتمر جنيف الفشل ومعه جهود الرئيس السادات في قيادة العرب من اجل السلام في سنة ١٩٧٧ ٠ اما رأيه فيما يقال بان الرئيس الاسد سيقود العرب الى الحرب مع اسرائيل في سنة ١٩٧٨ – اذا لم يتحقق السلام – فانه يتلخص في عدم قدرة العرب على الحرب لانهم لا يملكون التفوق العسكري المطلوب ولا يستطيعون شن حرب مفاجئة اخرى كحرب سنة ١٩٧٣ ٠ ومن اجل تدعيم هذه المواقف يطالب بيرز الولايات المتحدة بتقديم مساعدات عسكرية لاسرائيل للعام ١٩٧٧ قيمتها ١٥٠٠ مليون دولار ومساعدات اقتصادية قيمتها ٨٠٠ مليون دولار ، اي ما مجموعه ٢٣٠٠ مليون دولار لعام ١٩٧٧ فقط ٠ كما طالب الرئيس فورد بالايفاء بوعوده التي اعلنها

اثناء حملة انتخابات الرئاسة الاميركية بالموافقة على اعطاء اسرائيل كل الاسلحة المتقدمة التي طلبتها ومن بينها صواريخ بيرشنج و٢٥٠ طائرة ف ـ ١٦ وتمويلها ٠ اما رأي بيرز فيما يتعلق بحل قضية الشرق الاوسط ودور امريكا فيها فقد قدمه على شكل نصيحة للرئيس المنتخب كارتر ويتلخص في ان افضل ما تستطيع ان تقوم به امريكا في مجال خدمة قضية السلام في الشرق الاوسط هو في محاولة قيامها باتباع اساليب جديدة وخيالية لاضعاف دور النفط العربي وعدم الخضوع لمطالب وضغوطات شيوخ النفط ، وهم الذين استطاعوا تركيع اوروبا الغربية واذلالها ٠ وهكذا يعلن بيرز ببساطة ـ ولو بشكل غير مباشر ـ عن تمسك اسرائيل باحتلالها للاراضي العربية ، ويأمر الولايات المتحدة بتقديم المساعدات والاسلحة التي تحتاجها حكومته ويدفع كل القوى والدول التي تحاول اتخاذ مواقف معتدلة تنادي بالسلام على اساس الانسحاب الاسرائيلي ، بانه خضوع واذعان للدول العربية المصدرة للنفط ٠

واذا كان من غير الممكن ضمن معطيات الواقع العربي والواقع الاسرائيلي التوصل الى حل مقبول من كلا الطرفين ، فان ملابسات حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ وما تبعها من احداث ومضاعفات اثبتت انه ليس لدى اي طرف من اطراف الصراع الرئيسين القدرة على فرض الحل الذي يريده على الطرف الاخر ٠ وضمن هذا الاطار تأمل اسرائيل باضعاف الجانب العربي على المدى الطويل وادخاله في صراعات داخلية وجانبية تشغله عن قضية الاحتلال وتضمن لاسرائيل فرض سياسة الامر الواقع على الامة العربية ٠

ان توجيه الحملة العربية الاعلامية والدبلوماسية الى امريكا يظهر بوضوح ان احتمال قيام طرف ثالث باستخدام ما لديه من قوة ونفوذ لفرض حل معين على الاطراف المتنازعة هو المدخل الوحيد لاقرار السلام في الشرق الاوسط في رأي اصحاب هذا التوجه ، اذ عندما يقول الرئيس السادات بأن امريكا تملك ٩٩٪ من الاوراق فانه يطالب حكومة الولايات المتحدة في الوقت ذاته باستخدام ما لديها من اوراق لحسم النزاع الى جانب السلام في المنطقة ٠

ولما كان الجانب العربي والاتحاد السوفيتي يقبلان الحل الذي رسمت حدوده المجموعة الدولية ويسعيان لتنفيذه ، فان احتمالات نجاح جهود السلام تتوقف على مدى قدرة ورغبة امريكا في اجبار اسرائيل على قبول ذلك الحل ، اذ ان اعتماد اسرائيل على الدعم المادي والعسكري والدبلوماسي الذي تحصل عليه من الولايات المتحدة الاميركية يجعل مصير اسرائيل كدولة رهنا بارادة الحكومة الاميركية ٠ وبينما تملك الولايات المتحدة الاميركية نظريا القدرة على حرمان اسرائيل من امكانيات البقاء ومتطلبات الاستمرار ، فهي لا تملك مثل تلك

القدرة او ذلك النفوذ بالنسبة للجانب العربي · وهذا يعني باختصار ان الحل الممكن هو الحل الذي يقبل به العرب ـ ولو بعد ضغوط كيرة ـ وتتبناه امريكا وتقتنع بضـــرورة فرضه على الجانب الاسرائيلي · فهل تملك الحكومة الاميركية ـ عمليا وليس نظريا ـ القدرة على فرض حل مقبول عربيا على اسرائيل ؟ ·· وهل لديها الرغبة ـ على افتراض انها تملك المقدرة ـ في اجبار اسرائيل علـــى القبول بحل عربي او حل متجاوب مع المطالب العربية على تواضعها والمطالـــب الدولية على اهميتها ؟

ان المراقب لمراحل تطور الصراع العربي الاسرائيلي والمتتبع لمواقف امريكا من طرفي النزاع يلاحظ انحياز امريكا الكامل الى جانب اسرائيل ووقوفها ضد اماني ورغبات الحكومات والشعوب العربية · اذ استطاعت اسرائيل مستخدمة نفوذها داخل امريكا ان تقنع حكومة الولايات المتحدة بتوافق مصالحها فيمنطقة الشرق الاوسط مع مصالح اسرائيل ، وان طريق امريكا من اجل الحفاظ على تلك المصالح ينحصر في الحفاظ على اسرائيل كتواجد بشري واقتصادي وقـــوة ضغط عسكرية في قلب الوطن العربي · فهل تغيرت السياسة الاميركية ···وهل اصبحت لدى قيادات امريكا صانعة القرار تصورات جديدة لمصالحها في الشرق الاوسط من الممكن ان تشكل اساسا لسياسة اميركية متطورة ، او كما يقولـــون « متوازنة » تجاه طرفي الصراع ؟

اجيب على التساؤل ، دون الدخول في كثير من التفاصيل « بلا » ، واذكر ما يلي للتدليل على صحة هذه الاجابة ·

١ ـ اضطرار حكومة امريكا الى سحب مشروع روجرز ونسيانه بسبـــب معارضة اسرائيل ورفضها له ، وهو المشروع الذي تبنته امريكا على لسان وزير خارجيتها روجرز في سنة ١٩٧٠ كاساس لحل النزاع العربي الاسرائيلي · اذ ان قبول العرب بذلك المشروع وابداءهم الاستعداد لحل النزاع على اساسه ، وهو المشروع الاميركي ، لم يكن كافيا لنجاح ذلك المشروع او حتى لاختبـار مـــدى صلاحيته وواقعيته ·

٢ ـ اعلان الرئيس الامريكي فورد ان نصف المساعدات التي تلقتها اسرائيل من امريكا خلال تاريخها على مدى ٢٨ سنة جاء خلال فترة حكم الرئيس فـــورد نفسه في السنتين الاخيرتين فقط ·

٣ ـ اتجاه الكونجرس في الولايات المتحدة الى تجـــاوز سلطات الرئيس الامريكي من اجل تقديم المعونات العسكرية والاقتصادية لاسرائيل وتدعيم موقفها

ضد الارادة العربية والارادة الدولية بوجه عام · يؤكد ذلك قيام الكونجرس بايقاف المساعدات الاميركية لمنظمة اليونسكو بسبب قيامها بطرد اسرائيل من المنظمة الدولية واتجاهه الى معارضة المبيعات العسكرية لكل من الاردن والسعودية ·

ولقد كان من المتوقع ان يضعف النفوذ الصهيوني والاسرائيلي في امريكا بعد ازمة الطاقة وان يزداد النفوذ العربي وضوحا وفاعلية · الا ان الاحداث ـ مع الاسف ـ اثبتت عكس ذلك · اذ بينما تقوم السعودية ببذل كل الجهود من اجل مساعدة الاقتصاد الغربي وذلك من خلال محاولة تثبيت اسعار النفط وانتاج احتياجات الغرب منه تقاد الحملات في امريكا،خاصة في الكونجرس وعلى لسان الرئيس الاميركي المنتخب من اجل افشال المقاطعة العربية وتشويه سمعة العرب بوجه عام ·

ان اسرائيل بما لديها من نفوذ سياسي واقتصادي داخل امريكا استطاعت ان تصبح شريكا في صياغة السياسة الاميركية تجاه الشرق الاوسط والاتحاد السوفياتي · كما استطاعت من خلال خلق وتطوير مراكز القوى داخل امريكا ان تملك حق النقض (الفيتو) بالنسبة لاية سياسة او اي برنامج اميركي شرق اوسطي لا يتجاوب مع اهداف اسرائيل وتطلعاتها ·

نستخلص من ذلك كله ان الحل الممكن في المرحلة الحالية ، وهو الحل الذي تستطيع الولايات المتحدة فرضه على اسرائيل ، هو حل تقبل به القوى المساندة لاسرائيل في داخل امريكا · وهذه القوى ، وان كانت تعكس وجهة النظر الاسرائيلية الى حد كبير ، الا انها لا تتبنى الموقف الاسرائيلي برمته · ولذلك اعتقد ان الحل الذي يمكن ان تتبناه امريكا في هذه المرحلة والذي تملك النفوذ والرغبة لفرضه على اسرائيل هو حل يقوم على انسحاب جزئي من الاراضي العربية التي احتلت سنة ١٩٦٧ واعتراف عربي وفلسطيني كامل باسرائيل وبحقها في الوجود ضمن الحدود الجديدة ، وربط المناطق المحررة من الضفة الغربية بالضفة الشرقية في اتحاد فدرالي يحول دون قيام دولة فلسطينية مستقلة وخلق مناطق منزوعة من السلاح حول اسرائيل من ضمنها الضفة الغربية والمناطق المحررة من الجولان وسيناء · اي ان الحل الممكن في ظل الظروف الحالية سوف يكون حلا اسرائيليا في الجوهر وامريكيا في المظهر ·

ولما كانت القناعات والمواقف تتبدل تبعا لتبدل المصالح وتتغير تحت وطأة الضغوط الاقتصادية ، فان حصول العرب على حل مرض ومقبول لقضية الصراع

العربي – الاسرائيلي ما زال ضمن الممكن اذا ما توفرت الشروط الضرورية والكافية لتحقيقه ، وذلك لان العرب يملكون القوة الأقتصادية الكافية لخلـق ظروف الحل • ولما كانت الاساليب القديمة قد اثبتت عدم فاعليتها فان عليهم ان يعيدوا ترتيب الاولويات وان يحسنوا توجيه الضغوط وتوقيتها • ان غالبية الرأي العام العالمي خارج امريكا وقطاع كبير منه داخل امريكا يشكو من وطأة النفوذ الاسرائيلي وما تسببه له اسرائيل من متاعب اقتصادية وسياسية • ولذلك فانه على استعداد لان يقبل ويوافق على كل ما يمكن العرب ان يأخذوه مـن اسرائيل في مقابل عودة الامن والطمأنينة التي افتقدها منذ حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ •

صياغة الموقف العربي ودور القوى العربية فيه

يتجه الرأي العام العالمي في غالبيته الى اعتبار المرحلة الحالية للصراع العربي – الاسرائيلي فرصة تاريخية من الممكن ان تعطي ميلادا لحل سلمي يحقق الكثير من مطالب طرفي النزاع وذلك بعد مخاض طويل وتضحيات كبيرة • لذلك كان على الموقف العربي ان لا يكتفي بالتجاوب مع هذا الرأي وما يشتمل عليه من مطالب بل يتجاوزه الى حد الضغط المباشر على القوى التي تعارض هذا التوجيه وهي القوة الاسرائيلية والقوة الامريكية ومن ورائهما الصهيونية العالمية والعقلية الاستعمارية • اذ ان امريكا التي اعلنت عن رغبتها في تبني سياسة متوازنة عندما اعلنت مشروع روجرز سنة ١٩٧٠ ، اصبحت في ضوء ملابسات ازمـة الطاقة غير ميالة بالالتقاء مع وجهة النظر العربية خوفا من ان يترجم الالتقاء – كما قال بيرز عن اوروبا الغربية – بانه ابتزاز عربي ادى الى تركيع امريكا واذلالها •

ان هذا التصور للموقف الامريكي يبدو وكأنه يتناقض مع سياسة امريكا في اعادة بناء جسورها مع كل من مصر وسوريا وبدء عهد جديد شامل من التعاون مع السعودية • الا ان تحليل الدور الاميركي وتفهم اهدافه من الممكن ان يزيل الغموض ويكشف النوايا الحقيقية • اذ ان هدف امريكا من اجراءاتها تلك تتلخص في ثلاث نقاط :

١ – احتواء النفوذ السوفياتي في المنطقة تمهيدا لاخضاع المنطقة للسيطرة الاميركية •

٢ – احتواء اهمية النفط المتزايدة ، وبالتالي اعادة تحجيم القوة العربية وترويض جيادها •

٣ ـ الحيلولة دون قيام تعاون عربي اوروبي يلغي اعتماد اي من المجموعتين على الولايات المتحدة الاميركية او على الاقل يزيد من احتمالات استقلالها ٠

وعندما نقارن حجم المساعدات الاميركية لكل من مصر وسوريا في ضوء انحسار النفوذ السوفياتي وتحجيم المقاومة الفلسطينية ، سنكتشف نجاح امريكا في تحقيق هدفها الاول ٠ اما بالنسبة للهدف الثاني فان المشوار امام امريكا ما زال طويلا ٠ اذ بينما استطاعت الولايات المتحدة بجهود وزير خارجيتها كيسنجر ان تنهي حظر تصدير النفط العربي دون ان يحقق اهدافه ، فشلت في الحد من النفوذ والثقل العربي المتزايد بالنسبة للدول العربية المصدرة للنفط ٠ وفي مجال التعاون العربي الاوروبي وضعت امريكا «فيتو» على الحوار السياسي بين المجموعتين مما ادى بالحوار العربي الاوروبي الى الجمود ٠

واذا كانت معظم القوى الصديقة في العالم ، وبشكل خاص مجموعة الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز وبعض دول اوروبا الغربية ، تعتبر الحل المقترح اقصى ما يمكن ان يحصل عليه العرب في هذه المرحلة واقرب ما يكون الى العدل ضمن معطيات الواقع الحالية فان اهداف القوى المتحمسة للحل في امريكا تختلف عن ذلك كثيرا ٠ اذ بينما يريد البعض ، ومن بينهم بعض اليهود ، التخلص من وطأة الاعباء الاقتصادية التي فرضها الوجود الاسرائيلي على امريكا ، يريد البعض الآخر ان لا يضيع فرصة عودة النفوذ الاميركي الى المنطقة ٠ اذ ان فشل الحكام المعتدلين في العالم العربي ، من الممكن ـ كما يقولون ـ ان يؤدي الى انتهاء عهد الاعتدال في البلاد العربية وعودة المتطرفين ومعهم النفوذ السوفياتي الى السيطرة على زمام الامور ٠

ولما كان الاتجاه المنادي باغتنام الفرصة هو الاتجاه الاقوى في امريكا ـ على الرغم من انه لا يلتقي مع منطلقات الحل المقترح في تصوره للحل الممكن ـ فان وسائل الاقناع والاعلام الاسرائيلية تحاول اقناع هذا الطرف بخطأ تصوراته ٠ اذ تحاول القوى الصهيونية اقناع الامريكيين المتحمسين للحل بأن من مصلحة امريكا واسرائيل تفويت هذه الفرصة ٠ وعلى الرغم من صعوبة تحديد الاسس التي يقوم عليها المنطق الاسرائيلي في محاولة اقناع الامريكيين بالاتجاه نحو كسب المزيد من الوقت بدلا من التسرع في الرضوخ لمطالب العرب ، فان النقاط التالية تشكل ـ في تقديرنا ـ اهم الاسس والتصورات التي يمكن ان يرتكز عليها المنطق الاسرائيلي ٠

١ ـ لقد اثبتت تجربة الصراع العربي الاسرائيلي على مدى تاريخها الطويل ان ما رفضه العرب في الامس هو اهم ما يطلبونه اليوم ، وان ما يرفضونه

اليوم سوف يشكل مطلبهم الاساسي في المستقبل · ولذلك لا بد من ان يحمل المستقبل مزيدا من المكاسب لاسرائيل على حساب المزيد من التنازلات العربية ·

٢ ـ ان جو المزايدات بين «القابلين» و«الرافضين» في العالم العربي او «المعتدلين» و«المتطرفين» من المؤكد ان يؤدي ـ كما اثبتت احداث لبنان الاخيرة ـ الى مزيد من التصدع العربي ومزيد من التمزق والتشتت الفلسطيني · وهذا من شأنه ان يضعف احتمالات التعاون العربي على الاصعدة السياسية والعسكرية والاقتصادية ويؤدي ـ مع المزيد من التنازلات العربية في المستقبل ـ الى تصغير حجم القوى الفاعلة ضد اسرائيل بوجه خاص ودول الغرب الراسمالية بوجه عام ·

٣ ـ ان القبول بالحل المقترح ، وهو مطلب عربي الى حد كبير ، من المؤكد ان يقوي الثقة بالنفس لديهم ، وبالتالي من المتوقع ان يزيد قناعاتهم بامكانية التاثير على المواقف والسياسات الاميركية ، وهو امر ـ في ضوء ازمة الطاقة ـ من الممكن ان يقود الى تركيع الولايات المتحدة الاميركية واضطرارها الى الرضوخ لمطالبهم كما هو حادث بالنسبة لمعظم دول اوروبا الغربية ·

٤ ـ ان قبول العرب بالحل الاسرائيلي ،، في المستقبل ، وهو الامر الممكن والمفضل اذا ما فوتت الفرصة الحالية ، سوف يؤدي الى تقوية اسرائيل وترسيخ نفوذ ومكانة الولايات المتحدة في المنطقة · وهذا من شأنه ان يقنع العرب بصلابة الموقف الامريكي ورفضه لكل الضغوط النفطية المحتملة ·

٥ ـ اما بالنسبة للتخوف من احتمالات سيطرة المتطرفين على العالم العربي اذا ما فشلت جهود السلام او تأجلت ، فانه تخوف ليس له مبرر · اذ ان انشغال عرب اليوم ، حكومات وشعوبا وتنظيمات سياسية ، بقضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية افقد قضايا التحرر ومحاربة الاستعمار الكثير من اهميتها · وبذلك اصبحت شرعية الحاكم ومبرر وجود الانظمة تعتمد على قدرتها على الايفاء بالمتطلبات الحياتية للجماهير اكثر من اعتمادها على الالتزام بقضية تحرير فلسطين · يضاف الى هذا ان نضج معظم الانظمة العربية وانشغالها بالقضايا الداخلية ضمن حدودها الاقليمية جعلها اكثر استقرارا واقوى مناعة ضد الانقلابات واقل رغبة ـ معتدلة ومتطرفة على حد سواء ـ في تصدير او استيراد محاولات التغيير عبر الحدود العربية ·

وبناء على ما تقدم ، وضمن هذا التصور لمواقف مختلف الاطراف من قضية الحل السلمي المقترح ، لا بد للزعامة العربية من توضيح مواقفها ووجهة

نظرها كاملة امام الشعوب العربية اولا ومن ثم امام الاصدقاء والاعداء على حد سواء • ان تحديد الموقف واعلان الارادة بكل وضوح وصراحة هما الضمانة الوحيدة لتجاوب الشعوب العربية والرأي العام العالمي مع دعاة الحل السلمي من الزعماء العرب ، وبالتالي ضمان حد كبير من النجاح للجهود العربية من اجل تحقيق الحل المقترح • واعتقد انه من الممكن تحقيق ذلك اذا ما توفرت الشروط التالية في الموقف العربي :

١ ـ دخول جميع الاطراف العربية المعنية بالحل من الان في مشاورات ونقاش وربما مفاوضات من اجل تحديد وتعريف الحد الاقصى والحد الادنى للمطالب العربية من مفاوضات السلام • ولا يمكن تحقيق ذلك الا من خلال تشكيل لجان عمل متخصصة تزود بكل الوثائق والدراسات المتوفرة وتكلف بتحديد وتعريف تفاصيل كل الامور والقضايا التي ستطرح والتي يمكن ان تطرح للنقاش على طاولة المفاوضات • اذ ان الاتفاق العربي على الخطوط العامة ، كما هو الحال في الوقت الحاضر ، سوف يشكل ـ في تقديرنا ـ كارثة بالنسبة للفريق العربي المفاوض بكل ما تعنيه كلمة كارثة من مضاعفات •

٢ ـ الالتزام العربي بالتفاوض مع اسرائيل بشكل جماعي ، ومن خلال فريق عربي واحد ممثل لكل الاطراف المعنية بالحل وتخويله سلطة اتخاذ القرارات المناسبة ضمن حدي المطالب العربية الاقصى والادنى بالنسبة لكل قضية من القضايا المطروحة على طاولة المفاوضات • وبذلك يمكن للعرب تحاشي خطر تمزيق الموقف العربي مجددا من خلال محاولة ارضاء او اغراء فريق عربي معين في مقابل تخليه عن الفرقاء الاخرين •

٣ ـ الالتزام صراحة وتحديدا بأن البديل الوحيد لفشل جهود السلام هو استئناف القتال من اجل تحقيق الحل الذي اجمعت عليه المجموعة الدولية في قرارات هيئة الامم المتحدة •

٤ ـ اتخاذ موقف عربي فاعل ومتحرك في كل الاتجاهات الممكنة اثناء المفاوضات وفي مراحل التحضير لها • ويمكن صياغة ذلك الموقف من خلال :

ا ـ تصعيد الضغط العربي على اسرائيل •

ب ـ الاستمرار في كسب المزيد من الاصدقاء في العالم كوسيلة لزيادة الضغط على امريكا وعلى غيرها من القوى القادرة على التاثير في المواقف الاسرائيلية •

ج – المساعدة في اعداد الشعب الفلسطيني لمواجهة احتمالات السلام او الحرب مع اسرائيل ·

ويمكن تحقيق فاعلية الموقف من خلال تبني مشروع محدد نطلق عليه «ضريبة فلسطين من اجل السلام» ، نقدم فيما يلي شرحا موجزا له :

ضريبة فلسطين من اجل السلام

لقد تميز تاريخ العرب القديم والحديث بعدم القدرة على ربط قضايا السلام بالحرب ، وبالتالي باللجوء الى فصل العمل السياسي عن العمل العسكري · ولما كان العمل السياسي هو احد الاسلحة التي تملكها الدولة ، وان السلاح والحرب وسيلة للتوصل الى حل سياسي ينهي النزاعات بين الامم والشعوب ، فانه يصبح من الخطأ فصل العمل السياسي عن العمل العسكري · وهذا يعني انه في حالات النزاع تكون كل موارد الامة وامكانياتها العسكرية والسياسية والاقتصادية والبشرية مكملة لبعضها البعض ومتضامنة من اجل تحقيق الهدف المنشود كما تتحمل مجتمعة مسؤولية النجاح والفشل ·

وانطلاقا من هذا الفهم لضرورة تحمل جميـــع موارد الدولة او الوطن مسؤولية التعاون والتنسيق من اجل تحقيق اهدافه اقترح اجتماع وزراء المال والنفط العرب الاعضاء في منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط (اوبك) كما اجتمعوا في شهر اكتوبر سنة ١٩٧٣ اكثر من مرة لاتخاذ القرار التالي :

١ – فرض ضريبة على البترول العربي الذي يصدر للخارج بنسبة ١٪ فقط من السعر المعلن تودع في صندوق يسمى «صندوق فلسطين من اجل السلام» يشكل له مجلس ادارة مستقل تماما عن الاجهزة الحكومية والمؤسسات العربية الاخرى ، وتحدد نشاطات الصندوق في المجالات الثلاثة التالية :

ا – الدعاية في الخارج من اجل كسب المزيد من الاصدقاء لفلسطين وتقليل عدد الاعداء للنفط ، ضمن حدود الرغبة في التوصل الى حل سلمي لمشكلة الصراع العربي – الاسرائيلي ·

ب – مساعدة كل اليهود الذين يرغبون الهجرة من اسرائيل وكل اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفياتي ويرفضون الهجرة الى فلسطين للاستقرار في اي بلد يريدون ·

ج – اعـــداد الشـــعب الفلسطيني علميا واقتصاديا وسياسيا لمواجهة

احتمالات الحرب او السلام التي ستترتب على انتهاء المفاوضات ·

٢ ــ زيادة نسبة الضريبة بمقدار ¼٪ كل عام وحتى يتم ايجاد حل لقضية فلسطين ·

ولما كانت صادرات دول منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط (اوبك) من المتوقع ان تتجاوز ١٧ مليون برميل في اليوم في عام ١٩٧٧ ، فان ريع تلك الصادرات في ضوء الاسعار الجديدة ستبلغ حوالي ٨٠ مليارا من الدولارات · وبناء على ذلك من المتوقع ان تصل واردات الصندوق لنفس العام حوالي ٨٠٠ مليون دولار ·

واذا كانت قرارات مؤتمر منظمة الاقطار المصدرة للنفط (اوبك) الاخير قد جعلت امكانية الاجماع العربي بالنسبة لاقرار هذا المشروع صعبة في الوقت الحالي ، فان حقيقة كون اسعار نفط السعودية ودولة الامارات اقل من اسعار غيرها من دول الاوبك الاخرى يوفر فرصة مثالية لقيام المملكة السعودية ودولة الامارات بأخذ زمام المبادرة وفرض الضريبة على بترولها المصدر للخارج · اذ يعتبر مثل هذا القرار الى جانب كونه عملا قوميا وانسانيا مكملا لسياسة الدولتين في ربط اسعار النفط بايجاد حل لقضية الصراع العربي الاسرائيلي · ان البدء بهذا الشكل من المتوقع ان يخفض موارد الصندوق الى ما بين ٥٠٠ ــ ٦٠٠ مليون دولار ، وذلك تبعا لكميات النفط المصدرة من كلتا الدولتين ·

ان الشعب الفلسطيني الذي عاش لمدة تقارب الثلاثين عاما في مخيمات اللاجئين انتظارا لرغيف العيش تقدمه له وكالة اغاثة اللاجئين الفلسطينيين ، لا زال ينتظر مبادرة الامة العربية ــ وقد اصبحت بعض دولها قادرة ومقتدرة ــ لانتشاله من الفقر والمرض وبؤس حياة المخيمات والكهوف في لبنان وسوريا والاردن والضفة الغربية وقطاع غزة · كما ان سكان المناطق المحتلة منذ سنة ١٩٦٧ ، وقد صمدوا لمدة تقارب العشرة اعوام يقاومون الاحتلال بالاضراب عن الطعام في السجون ويقاتلونه رجالا ونساء ، شيوخا واطفالا ، بالعصي والحجارة اصبحوا اليوم بأمس الحاجة الى معونات العرب ودعمهم · اذ بينما تزداد نسبة البطالة بينهم يوما بعد يوم ، ترتفع اسعار ما يحتاجونه من مواد غذائية بشكل خيالي وتقوم سلطات الاحتلال بمصادرة حرياتهم واموالهم والاستيلاء على ممتلكاتهم ، وذلك في نفس الوقت الذي تقوم فيه تلك السلطات بالعمل على تفريغ الاراضي العربية من شبابها عن طريق الهجرة للعمل في بلاد الخليج العربي او الرحيل الى بلاد المهجر في كل من امريكا الشمالية والجنوبية واستراليا · ان هذا الشعب وقد ادى واجبه في المساهمة في بناء كل الدول

العربية التي احتاجت الى جهوده يتطلع اليوم الى الدول العربية الغنية لتمده بالدعم الكافي لاعداد نفسه لمواجهة احتمالات الحرب او السلام مع الكيان الصهيوني الذي يسعى الى الغاء وجوده وابتلاع ارضه وادعاء حضارته واخضاع كل البلاد العربية لسيطرته ·

ان غياب العرب شبه الكلي عن الساحة الاميركية ترك المجال واسعا لانفراد الصهيونية بالرأي العام الامريكي ومراكز القوى في الحكومة وفي الكونجرس مما مكنها – كما سبق ايضاحه – من امتلاك حق النقض (الفيتو) بالنسبة لكل سياسة اميركية تتعارض مع رغبات اسرائيل واهدافها · ولقد بلغ النفوذ الصهيوني في امريكا – مستخدما اساليب الاقناع والرشوة والتزوير والتشهير – حدا اسكت كل قوى المعارضة الجادة لسياسة الدعم غير المحدود لاسرائيل في سياستها التوسعية · يدل على ذلك اضطرار رئيس اركان حرب القوات العسكرية الاميركية الجنرال «براون» الى الاعتذار العلني والتراجع المخجل عن موقفه الذي انتقد فيه سياسة بلاده التي ادت في سنة ١٩٧٣ الى تجريد الجيش الامريكي من احتياطي سلاحه المخزون من اجل مساعدة اسرائيل على هزيمة العرب في حربها ضدهم · وفي اوائل شهر ديسمبر ١٩٧٦ عقد اجتماع مغلق لمجموعة منتقاة من رجال السياسة والمال والاقتصاد والفكر الاميركيين وحضره بعض اعضاء الكونجرس وكبار المسؤولين في الحكومة ، ومن بينهم اعضاء في وزارة الرئيس الجديد كارتر وذلك من اجل وضع اسس سياسة امريكا تجاه الحلول المقترحة لانهاء الصراع العربي – الاسرائيلي · وعلى الرغم من اهمية ذلك الاجتماع وحاجة الادارة الاميركية الجديدة له ، فقد فشل في التوصل الى اية نتائج او توصيات محددة ، وذلك بسبب قوة النفوذ الصهيوني وسيطرته على المجتمعين · اذ بينما رفض الموالون للصهيونية اعتبار الحل الذي اقترحته المجموعة الدولية اساسا لسياسة امريكا تجاه قضية النزاع العربي – الاسرائيلي، نجحوا – كالعادة – في اسكات كل الاصوات المعتدلة او المعارضة لموقفهم ·

ولما كانت امريكا تملك حوالي ٩٩٪ من الاوراق الضرورية لوضع حد للنزاع العربي – الاسرائيلي ، فان حل قضية فلسطين عاجلا ام آجلا ، وسواء اكان بالطرق السلمية ام العسكرية ، سوف لن يتحقق دون موافقة امريكا ، او على الاقل عدم معارضتها لما يمكن ان يفرض على اسرائيل من حلول · وهنا تكمن اهمية كسب الرأي العام الامريكي وخلق مراكز نفوذ عربية داخل امريكا لتحييد مراكز النفوذ الصهيونية من جهة وتعريف الامريكيين بمصالحهم بعيدا عن الارهاب الفكري والنفسي الذي تمارسه قوى الصهيونية ضدهم من جهة اخرى·
ان سوء الاوضاع الاقتصادية في اسرائيل وتعرض الليرة الاسرائيلية خلال

السنوات القليلة الماضية الى التخفيض اكثر من عشرة مرات وسيطرة التضخم الذي يبلغ معدله الحالي حوالي ٤٠٪ في السنة يقود اليوم الى خلخلة الاوضاع والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية داخل اسرائيل ٠ وبينما بدأ البعض يفقد الامل في امكانية خلق الجنة الموعودة بدأ البعض الاخر يترك البلاد عائدا الـى دول الغرب الصناعية او الى بعض البلاد العربية ، كما هو حادث بالنسبـة للمغرب بشكل خاص ٠ وبينما كانت نسبة اليهود المهاجرين الى اسرائيل من الاتحاد السوفياتي تزيد عن ٩٠٪ انخفضت في السنة الاخيرة الى اقل من ٥٠٪ وهذا يعني ان اليهود السوفيات ــ ويمكن مشاهدتهم في مدن اوروبا الغربية رافعين اللافتات التي تعلن رفض الهجرة الى اسرائيل وطلب المساعدة من اجل الاستقرار في مكان آخر ــ قد فقدوا الرغبة في الهجرة الى إسرائيل ٠ ولقد بلغ حقد القادة الصهاينة على مهاجري الاتحاد السوفياتي الذين يرفضون الهجرة الى اسرائيل حد المطالبة بعدم مساعدتهم في الهجرة الى اي مكان اخر او في محاولات الخروج من الاتحاد السوفياتي ٠

يتضح مما سبق ان المشروع المقترح «ضريبة فلسطين من اجل السلام» له ما يبرره من كافة النواحي ٠ اذ بينما يساهم في تدعيم المقاومة الفلسطينية وفي اعداد الشعب الفلسطيني ليلعب دورا اكثر فاعلية في مستقبل المنطقة ، سوف يقوم بدور ابراز الوجود العربي على الساحة الاميركية ، وهو الدور الذي فشل العرب في ادائه خلال تاريخ علاقتهم مع القارة الاميركية ٠ وفي الوقت ذاته يساهم في خلخلة الاسس التي تقوم عليها الحركة الصهيونية ويعطي املا كبيرا لكل يهودي يريد التحرر من الفكر الصهيوني وقسوة الحياة في ظلها ٠ ولما كانت الادوار كلها متكاملة وهدفها انساني وغايتها الاسراع في اقرار السلام والاستقرار في المنطقة ، فان مشروع الصندوق المقترح ونشاطاته سوف تلاقي الترحيب من كافة القوى المحبة للسلام في العالم ، في البلاد الرأسمالية وخارجها ٠

وفي نهاية الحديث عن مشروع «ضريبة فلسطين من اجل السلام» نرى من الضروري تسجيل الملاحظات التالية حول هذا المشروع :

١ ــ ان تنفيذ هذا المشروع سوف لن يحمل الدول العربية اية اعباء مالية وذلك لان موارده تاتي من نسبة ١٪ التي ستفرض كضريبة على النفط المصدر للخارج ٠

٢ ــ ان ربط الضريبة باقرار الحل المقترح من هيئة الامم المتحدة ، وهو الحل الذي قبل به العرب ، سوف يفرض على كل مستهلك للطاقة في دول الغرب الصناعية ، ان يصبح جزءا من الحل ليضغط في اتجاه خضوع اسرائيل لارادة المجموعة الدولية ٠

٣ ــ ان تكاليف المشروع بالنسبة لدول الغرب المستوردة للنفط قليلة جدا ٠ اذ بينما تشكل نسبة ١٪ فقط من ثمن النفط المستورد ، تبلغ تكاليف المشروع بالنسبة للفرد الذي يعيش في دول الغرب الصناعية دولار واحد في العام ٠ ولما كانت معظم اموال الصندوق سيعاد انفاقها في دول الغرب ذاتها لتغطية تكاليف النشاطات الاعلامية ومشاريع توطين غالبية المهاجرين اليهود ، فان مساهمة المواطن الغربي في حل اسوأ نزاع عرفه التاريخ الحديث من خلال مساعدة الشعب الفلسطيني على استعادة جزء قليل من حقوقه الوطنية والانسانية التي حرم منها على مدى ثلاثين عاما ، سوف لن تتجاوز بضعة سنتات قليلة في العام ٠ ثمن بخس يدفعه من اجل استعادة الطمأنينة والاستقرار التي افتقدها مع ازمة الطاقة وتكرر الحروب العربية الاسرائيلية ٠

٤ ــ ان التزام الصندوق بعدم المساهمة في تدعيم اي نشاط عسكري سوف يفقد المعارضة الاسرائيلية والاميركية معظم اسلحتها ، كما انه سوف يقنع الفلسطينيين بضرورة اعطاء جهود السلام فرصة اكبر ووقت اطول دون الكثير من التعقيدات او المشاكل ٠ يضاف الى ذلك قدرته على تشجيع كل القوى المحبة للسلام والاستقرار في دول الغرب الصناعية وخارجها للتعاون مع جهود الصندوق في تأدية رسالته ٠

وبعد تحديد اهم الشروط العربية والاميركية الواجب توفرها لضمان حد من النجاح لجهود السلام ، وذلك ضمن تصورنا للموقف الامريكي والاسرائيلي من تلك الجهود ، لا بد من تحديد موقف المقاومة الفلسطينية من تلك الجهود ودورها فيها ٠

المقاومة الفلسطينية وموقفها من جهود السلام

يعتقد بعض المؤمنين بحتمية نجاح جهود السلام الحالية بان الموقف الفلسطيني المعارض يشكل العقبة الرئيسية ، وربما الوحيدة ، التي تحول دون انعقاد مؤتمر جنيف لاستكمال تفاصيل الحل واجراءاته ٠ ولذلك تغدو قضية تدجين المقاومة الفلسطينية واعادة تحجيمها من اهم القضايا التي يجب انجازها خلال مرحلة التحضير لمؤتمر جنيف ٠ ولما كان الموقف الفلسطيني من جهود السلام لا زال يشوبه الكثير من الغموض والتردد ، فان امكانية تكرار الصدام الفلسطيني مع القوات السورية واللبنانية ــ وصولا الى هدف تحجيم المقاومة ــ يصبح في حكم المؤكد ٠

واذا كان من غير الممكن ان تقف المقاومة موقف المعارض لجهود السلام الحالية فان المخاوف الفلسطينية من الالتقاء مع تلك الجهود له ما يبرره ايضا ٠ اذ ان تمسك اسرائيل بالاراضي المحتلة والعمل على تهويدها ، وغموض الموقف الامريكي ، والشك في قدرته على وضع الضغوط الكافية لحمل اسرائيل على قبول الارادة الدولية يقود الى قناعات فلسطينية شبه مؤكدة بان الحل المقترح لا تتوفر له امكانيات النجاح في هذه المرحلة من مراحل تطور الصراع العربي ـ الاسرائيلي ٠

ان اصرار الاطراف العربية الاخرى على دخول المقاومة الفلسطينية ضمن جهود السلام ينبع من اهميتها في تقرير السلام من عدمه ، ومن كونها المعبر عن الراي والصوت الفلسطيني ٠ اذ تعتبر المقاومة الفلسطينية صاحبة الفضل في احياء قضية فلسطين بعد ان اوشكت على الاندثار ، وفي اعادة بناء الشخصية الفلسطينية بعد ان كاد يدركها التلاشي والذوبان ٠ الا ان تحقيق هذا الهدف الكبير لم يكن بدون مقابل ٠ اذ استنفذت المسيرة الفلسطينية على مدى اثني عشرة عاما ارواح ما لا يقل عن خمسين الفا من الشهداء ٠

لقد جاءت بداية العمل الفلسطيني على شكل غارات على المواقع الاسرائيلية داخل ارض فلسطين المحتلة ثم تطور العمل الى صدامات مسلحة وقتال مواجهة مع قوات الجيش الاسرائيلي ادت في مجموعها الى رفع معنويات الجيوش والشعوب العربية وزيادة الامل في امكانية التحرير ٠ الا ان قيام اسرائيل بالرد على غارات الفدائيين بغارات جوية وبرية على البلاد العربية حيث كانت تنطلق المقاومة ، قاد الحكومات العربية الى العمل على تحجيم المقاومة وحصر نشاطاتها لتصبح في وضع لا يسمح لها بتشكيل اي خطر حقيقي على بقاء اسرائيل وامنها ٠

واذا كان العمل العسكري الموجه ضد اسرائيل بشكل مباشر قد اصبح في حكم المستحيل في ظل الظروف الراهنة ، فان عمليات الارهاب التي مارستها بعض فصائل المقاومة الفلسطنية كانت قد استنفدت كل اغراضها خلال فترة قصيرة من الزمن لتنقلب فيما بعد الى سلاح مضاد للعمل والهدف الفلسطيني ٠ اذ ان صحوة الضمير العالمي على صوت السلاح الفلسطيني في مختلف عواصم العالم مطالبا اياه بضرورة تفهم عدالة القضية التي يناضل من اجلها ، تطورت تلك الصحوة ـ مع استمرار عمليات العنف وتصاعدها ـ الى رعب دائم اخذ يغذي الشعور بالحقد ضد تلك العمليات ومنفذيها ٠ ولما كان على البلاد العربية ان تتحمل جزءا من مسؤولية تلك العمليات انتقل الرعب تدريجيا الى قلب البلاد العربية مما قاد كل الفرقاء من الحكام العرب وغير العرب الى ادانة عمليات العنف ومقاومة مرتكبيها ٠

ان الوضع الحرج غير المتفائل الذي انتهت اليه المقاومة الفلسطينية بعد اثني عشرة سنة من الكفاح والنضال يعتبر ـ في تقديرنا ـ من مسؤوليات الواقع العربي ككل ، وليس من مسؤوليات المقاومة الفلسطينية . اذ بينما كان الواقع العربي غير مؤهل لتحمل مسؤوليات حرب تحرير شعبية طويلة الامد ، لم تنجح المقاومة الفلسطينية في انضاج ذلك الواقع واعداده لتحمل اعباء تلك المسؤولية.

والآن ، وقد اصبحت مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان آخر معاقل المقاومة الفلسطينية المسلحة ، فان اي صدام جديد مع الجيش السوري ، وقد ركز قواعده حول تلك المخيمات سوف يؤدي ليس فقط الى تصفية آخر قواعد المقاومة وانما ايضا الى التضحية بعشرات الآلاف من الابرياء والعزل من السلاح . ولذلك يعتبر اصرار القيادة الفلسطينية على تجنب اي صدام جديد مع القوات السورية في لبنان موقفا وطنيا وقوميا في وقت واحد ، وذلك لان فيه ضمانة ليس فقط لاستمرار حركة المقاومة ، وانما ايضا للحفاظ على حياة ابناء فلسطين وقدرتهم على التحرك مجددا عندما تسنح الظروف .

واذا كانت المقاومة الفلسطينية قد مارست اساليب القتال المسلح فقادتها الى وضع محاصر وشبه يائس ، ومارست اساليب العنف فقادتها الى الادانة والملاحقة ، فانه لم يبق امامها الا ممارسة النضال السياسي كما يجب ان يكون عليه ذلك النضال . وعلى الرغم من ان المشاركة في جهود السلام التي تشير معظم الدلائل الى انها ستصل الى طريق مسدود ، من المؤكد ان تفقد المقاومة شرعيتها في حالة فشل تلك الجهود ، فان معارضتها تحمل اخطار تصفية الوجود العسكري الفلسطيني في آخر معاقله في لبنان . ولذلك تبدو المقاومة في موقف لا تحسد عليه وفي وضع خطير وحرج ، لا يسمح لها بالجمود ، او التراجع بل يفرض عليها ان تسير مع التيار وان تبذل كل الجهود مستفيدة من كل العقول والامكانيات الفلسطينية وغير الفلسطينية المتوفرة لضمان امكانية الوصول بالمركب الى بر الامان .

ومن اجل ضمان امكانية تقليل الاخطار وتعظيم الفوائد التي من الممكن ان ترافق محادثات السلام وتترتب عليها ، كان على الموقف الفلسطيني ان يتبنى من تلك المحادثات موقفا مرنا يتحرك ضمن استراتيجية بعيدة النظر تعي موقع المقاومة الفلسطينية من الصراع العربي ـ الاسرائيلي في مراحل تطوره المختلفة وتستوعب التجربة التاريخية لعلاقاتها بمختلف الحكومات والشعوب العربية . وفي اعتقادنا تشكل النقاط والمنطلقات التالية محاور ارتكاز الموقف الفلسطيني من جهود السلام ودوره فيها :

١ ـ تبني الدعوة لعقد مؤتمر عربي لكافة القوى المعنية بالحل السلمي

وهي مصر وسوريا والاردن كدول مواجهة ، والسعودية والكويت ودولة الامارات وقطر كدولة دعم ومساندة ٠

٢ ـ ان تحاول مع المؤتمرين بلورة الموقف العربي من الحلول المقترحة وان تشارك معهم في رسم استراتيجية العمل من اجل التوصل الى الحل المرضي والذي يحفظ للشعب الفلسطيني حقه في تحقيق حلم الدولة الديمقراطية العلمانية في كل فلسطين ٠

٣ ـ ان تعلن صراحة بان قناعتها بعدم امكانية التوصل الى حل مقبول عربيا لا يمنعها من المشاركة في جهود السلام الحالية وانها ـ اي المقاومة ـ سوف تلتزم بنتائج مؤتمر جنيف وشروط الحل اذا ما نجحت المفاوضات السلمية في تحقيق الحل الذي يتطلع اليه العرب ٠

وفي مقابل الموافقة الفلسطينية على المشاركة في جهود السلام ضمن اطارها العربي الشامل لا بد ان تحصل المقاومة من الدول العربية المذكورة اعلاه على ما يلي :

١ ـ اقرار مشروع «ضريبة فلسطين من اجل السلام» واخراجه الى حيز التنفيذ حالا ٠

٢ ـ الالتزام صراحة باقامة الدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين كبديل لجهود السلام في حالة فشل المباحثات المقبلة ٠

٣ ـ الالتزام ـ في حالة فشل مؤتمر جنيف ـ بدعم المقاومة الفلسطينية ومنحها حرية الحركة على الساحة العربية ٠

٤ ـ تقديم مزيد من الدعم العسكري لدول المواجهة والمقاومة الفلسطينية خلال فترة التحضير للمفاوضات واثنائها وزيادة درجة التنسيق العسكري بين الجيوش العربية المختلفة ٠

ان امكانيات السلام والاستقرار التي ستترتب على نجاح المفاوضات كبيرة، كما ان نتائج ومضاعفات فشلها خطيرة ٠ لذلك كان على العرب المعنيين بالحل السلمي ان يتحملوا مسؤوليات الفشل والنجاح بشكل جماعي بعيدا عن المواقف الانتهازية والاحساس بضرورة البحث عن «كبش الفداء» ٠ ويتحمل المصريون والفلسطينيون مسؤولية خاصة في الحفاظ على وحدة العمل الجماعي وتطوره ٠ اذ بينما تمثل القدرة العسكرية والرغبة المصرية العامل الحاسم الذي يحدد مكان

وزمان اي حرب عربية ضد اسرائيل في المستقبل ، تمثـل القـدرة والرغبـة الفلسطينية في قبول اي حل للصراع لا يعيد كل فلسطين للفلسطينيين العامـل الحاسم الذي يحدد امكانيات السلام من عدمه في الشرق الاوسط · ولذلك كان على القيادتين المصرية والفلسطينية حيث يتقرر مصير السلام والحرب في المنطقة ان تعملا معا بشكل اندماجي متكامل وان لا تسمحا ابدا بانقطاع الحوار بينهما مهما كانت الاسباب ·

وفي مرحلة التفاوض والتحضير لمؤتمر جنيف والتحاور مع امريكا يبقى على الدول العربية ان تدرك ان المقاومة الفلسطينية هي اقوى الاوراق في معركة المفاوضات ، وان من مصلحة الامة العربية حكومات وشعوبا ان تحافظ على هذه الورقة كقوة حيوية متنامية ·

لبنان في الثورة الفلسطينية

بشارة مرهج
طارق أحمد

مقدمة :

موقع فلسطين الجغرافي والتاريخي والسياسي في الامة العربية هو ذاته موقع ثورتها الراهنة في مسار الثورة العربية المعاصرة ...

وفلسطين ، منذ مطلع هذا القرن ، كما في العصور الغابرة ايام الحروب الصليبية ، لم تكن هدفا لذاتها في عقل المخطط الاستعماري ـ الصهيوني ، بقدر ما كانت هدفا لموقعها الخاص في الامة العربية ... وثورة فلسطين اليوم ليست هي المستهدفة بقدر ما الثورة العربية الشاملة ، باحتمالاتها ، بتطورها ، بركائزها الفكرية والسياسية والمادية ، هي الهدف الاساسي للمؤامرة الكبرى التي نشهد كل يوم فصولا جديدة منها ...

واذا كتب الكثير عن المطامع الصهيونية التوسعية التي اتخذت من فلسطين منطلقا لها ، وعن الاستراتيجية الاستعمارية التي ارادت من اسرائيل حاجزا في وجه الوحدة العربية ، ومخفرا اماميا من مخافر التصدي للتحرر العربي ، فان من الواجب اليوم ان ينصب البحث ، كما الممارسة ، والعمل الفكري ، كما النضالي ، على استجلاء كل جوانب الترابط بين ثورة الامة العربية وثورة شعب فلسطين ..

واذا كانت نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ كاشفا مضيئا لكافة جوانب التخلف العربي ، فلقد اصبح واضحا ايضا ان نهضة الامة العربية بالتالي مرتبطة ايضا بالتحرير ... ذلك ان التحرر العربي الشامل هو قاعدة التقدم الاجتماعي والاقتصادي الحقيقي ، وفي غيابه تصبح كل المحاولات «الحثيثة» للتنمية جهودا ناجحة لصب الطاقات العربية في عجلة النظام الامبريالي العالمي لا يبقى للعرب منه سوى بريق الاستهلاك . وفتات التقدم ...

ومن هنا فقد كان التعامل العربي ، الرسمي والشعبي ، مع فلسطين ينطلق

من هذه الاعتبارات ، فحين تطوق الانظمة العربية الجهد الفلسطيني الثوري على طريق التحرير لا تفعل ذلك لانها لا تريد ان ترى فلسطين عربية حرة، ولا لانها فقط ـ كما يقال ـ مجرد ادوات في استراتيجية استعمارية تريد ان تضمن لاسرائيل البقاء ، ولكن لان هذه الانظمة اكثر من غيرها تدرك المضمون التغييري الحاسم الذي يمتلكه مثل هذا التوجه الفلسطيني الثوري، والتفاعلات الاجتماعية والوطنية الضخمة التي يطلقها هذا التوجه على الارض العربية باسرها ٠٠٠

وبالمقابل حين تتمسك الحركة الشعبية العربية بفلسطين وثورتها وتحريرها فلا تفعل ذلك حبا في ارتفاع العلم العربي الحادي والعشرين يعلن استقلال دولة عربية جديدة فحسب ، وانما لانها تجد ان مصيرها ومستقبلها مرتبطان بفلسطين وثورتها وتحررها ٠٠٠ وكل انتعاش على طريق هذه الثورة ينعكس انتعاشا في الوضع الثوري العربي باسره ، وان اي انتكاس فلسطيني سرعان ما يولد انتكاسات في الاقطار العربية الاخرى ٠

واذا كانت العقود الماضية قد اظهرت نجاحا ملحوظا في قدرة الانظمة المتخوفة من « الاثار » الثورية الفلسطينية على ضبط هذه الاثار مرحليا في العديد من اقطارها ، فان الحركة الشعبية العربية بشكل عام بالمقابل لم تكن على القدر ذاته من النجاح في ترجمة تمسكها بفلسطين وثورتها وطريقها الى ممارسات عملية وصيغ نضالية تعبر عن الترابط الوثيق بين ثورة فلسطين وثورة العروبة ٠٠٠

ولم يكن هذا العجز الذاتي في واقع الحركة التقدمية العربية ناجما عن قصور عملي وتنظيمي ونضالي لبعض فصائلها التي ادركت نظريا الترابط بين قضية فلسطين والقضية العربية عموما (البعث او الحركات الاخرى) بل كان ايضا نتيجة قصور نظري وسياسي لدى بعض الفصائل الوطنية والتقدمية العربية التي لم تستطع ان تستوعب منذ البدء تلك العلاقة المحورية الخاصة بين نضال فلسطين ونضال العرب ، وانما بقيت اسيرة التحاليل القطرية المحدودة التي لم تتعامل مع الواقع العربي كوحدة سياسية وتاريخية واقتصادية وقومية متكاملة ومترابطة ارتباطا جدليا عميقا ٠٠٠

ان هذه الموضوعات جميعها نطرحها اليوم للنقاش ، وندعو كل البراهين والادلة لمناقشتها اما لتأكيدها او لتعديلها وتصحيحها ، او لنفيها بشكل نهائي ٠٠

وما محاولتنا اليوم في تسليط الاضواء على الاثار التاريخية لثورة فلسطين على الاوضاع اللبنانية ، اكثر من جهد يستهدف مناقشة هذه

الموضوعة على طريق اثبات منطلقاتها بشواهد تعززها التجربة اللبنانية··

واذا كنا سنلاحق الاثار والتفاعلات السياسية والاجتماعية والوطنية التي اطلقتها ثورة فلسطين على الصعيد اللبناني ، فلكي نظهر عمق التأثير الفلسطيني في حياة هذا القطر العربي ، وان هذا التأثير ، بجوانبه الايجابية والسلبية ، هو تعبير عن حقيقة تاريخية هامة وهي ان الثورة المسلحة في فلسطين هي طليعة الثورة العربية الشاملة ···

فحين كانت تتمسك القيادات الوطنية الفلسطينية اللبنانية بهذه النظرة، وتتصرف على اساسها ، كنا نلمس الاثار الايجابية والانتصارات الكبرى، وحين كان يجري التخلي عنها ، اما نتيجة تعاظم الضغوط الدولية والعربية ، او بسبب قصور فكري وسياسي ، كنا نلمس الاثار السلبية وما تجمله من عثرات وانتكاسات ·

لقد كانت العلاقة بين الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية هي تطور هام على طريق التطور الثوري الفلسطيني ، فحين كانت العلاقة بين هذه الثورة والحركة الوطنية الاردنية مثلا علاقة محدودة جدا ، ومعرضة في مرات عديدة الى الاهتزاز والانتكاس ، تقدمت هذه العلاقة في لبنان لتحمل العديد من سمات التحالف الاستراتيجي الذي تنصب كل الجهود لضربه وفك لحمته ··· غير ان هذا العلاقة على نموها وتطورها ، وعلى رغم ما افرزته من ايجابيات تاريخية ، كان ابرزها التلاحم اللبناني ـ الفلسطيني طيلة السنتين الماضيتين ، لم ترق الى المستوى المطلوب الذي لا يعتبر انها علاقة بين حركتين وطنيتين متحالفتين ، بل انها علاقة بين جناحين لحركة ثورية واحدة هي الحركة العربية الثورية المعاصرة ···

كذلك كانت هذه العلاقة الفلسطينية ـ اللبنانية امتدادا تاريخيا لاحتضان الجماهير اللبنانية للقضية الفلسطينية منذ العقود الاولى في هذا القرن ، كان من ابرز مظاهرها استقبال استنكاري اعده اللبنانيون « للورد بلفور » عندما زار بيروت في طريقه الى فلسطين عام ١٩٢٦ ، كما كانت مشاركة اللبنانيين بقيادة القاوقجي (الطرابلسي الاصل) في ثورة ١٩٣٦ ، كما في جيش الانقاذ فيما بعد ، محطات هامة على طريق المشاركة اللبنانية في الكفاح الفلسطيني ···

ومن هنا فان لبنان ، قبيل ولادة العمل الفدائي او مع ايامه الاولى، كان من اكثر الاقطار تحسبا وتحسسا لهذه الظاهرة الثورية الجديدة ···

لبنـــان قبل الثـورة الفلسطينية

تميز الوضع اللبناني في الستينيات بنوع من الاستقرار السياسي الكـاذب اذ ان التركيب العسكري للسلطة اللبنانية ، التي ولـدت بعـد انتفاضة عـــام ١٩٥٨ ، وسيطرة الجيش اللبناني ، عبر الشعبة الثانية، عـلى معـظم مرافـــق الدولة والعديــــد من المؤسســـات والهيئات الشعبية اديا في حقيقة الامـــر الى تقليص وتيرة العمل السياسي الوطني في لبنــان الى المستويات الدنيا . او بالاحرى اديا الى تحديد هذا العمل ضمن اطرضيقة جدا .

ولم تكن الجبهة النيابية المسماة « المجبهة الديمقراطية البرلمانية » سوى اداة تشريعية وسياسية في السلطة التي كان يتربع على قمتها العسكري اللبناني الاول ومؤسس الجيش الرئيس فؤاد شهــاب .

وفي الوقت الذي كانت فيه هــذه الجبهة تمثـل الاكثرية النيابية ، فانهـا لـم تكـن تملك اي نوع من انــواع الاكثرية الشعبية . غـير ان ذلك لـم يكن يشكل لهـا اية مشكلة مهمــة اذ كانت السلطة العسكريةهــي التــي تملا هذا الفراغ .

وعـلى الرغـم من ان الحــرارة السياسية التي كان يتسم بهاالوضع اللبناني سابقا انخفضت الى ادنى درجاتهـا ، الا ان التقاليد الديمقراطية من الناحيــة الشكلية بقيت سائدة وبلغت ذروتها في امتناع الرئيس شهــاب عـن تعديل الدستور ورفضه التجديد لنفسه عـام ١٩٦٤ رغـم امتلاكه للاكثرية النيابيـــة وحماس هــذه الاكثريــة في هــذا الاتجــاه ، بغض النظر عن التفلت الذي اظهـره كامـل الاسعـد رئيس مجلس النواب وكتلته عبر سياسة « الاستئناس» المشهورة .

وفي الحقيقة فان السياسة الانعــزالية التي اتبعتهــا الشهابية كانت سياســة ذكية جـدا ، اذ انهــا استطاعــت عبرعــلاقاتها العربية وقوتها الداخليـــــة، وبالاستناد الى تردي الوضع العربي بعـد انهيــار وحـــدة عـــام ١٩٥٨ ،

استطاعت تحجيم نضال الحركة الوطنية على الصعيد القومي مثلما استطاعت عبر بعض الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية ، تقليص نضال هذه الحركة على الصعيد الاجتماعي وامتصاص نقمة الطبقات الشعبية ، علما بان الجيش كان يقف دائما بالمرصاد لمواجهة اي تحرك شعبي سواء كان هذا التحرك على الصعيد الوطني ام على اي صعيد اخر ٠

ومثلما نجحت الشهابية نجاحا ملموسا في عزل الدولة عن السياسيين واستخدام طبقة التكنوقراط كبديل لهم ، كذلك نجحت في عزل حركة الجماهير عن السياسة عبر هيمنتها على الاحزاب والنقابات والجمعيات والنوادي والمجالس البلدية ٠

بيد ان النجاح الاكبر الذي حققته الشهابية كان على صعيد عزل لبنان عن واقعه العربي وعن قضيته القومية عزلا حقيقيا ، بحيث انحصرت المشاكل اللبنانية الظاهرة في ذلك الوقت في الاقتصاد والاجتماع ٠ ولقد تمثل ذلك في الازمة المالية التي تفاقمت وادت في النهاية الى انهيار مصرف انترا وبعض المصارف الاخرى ، الامر الذي ادى الى زيادة درجة السيطرة الرأسمالية الدولية على الاقتصاد اللبناني ، والى زيادة تدخل الدولة في الاقتصاد عبر تشريعات جديدة كان بطلها السيد الياس سركيس حاكم المصرف المركزي انذاك ٠٠٠ وقد عززت تلك التشريعات من وجود الاقتصاد الرأسمالي اللبناني ودوره كوسيط بين البورجوازية العربية المتخمة والمراكز الرأسمالية الدولية « الجائعة » اما الحركة التقدمية التي كانت بشكل او باخر تتحرك ضمن مظلة النظام الشهابي فقد انحصر نشاطها تقريبا في النضال الاجتماعي ، وخاصة على مستوى النشاط الشعبي لتعديل قانون الايجارات وتحسين وضع العمال وتسويق الانتاج الزراعي ، وبالدرجة الاولى انتاج التفاح الذي بلغ ارقاما قياسية بعد انتشار زراعته في الجبال وسهل البقاع ٠

ولقد ساهمت هذه التطورات التي كانت تخفي وراءها قهرا طبقياوقوميا ، ساهمت في تعزيز وجهة نظر الطبقة الحاكمة وفلسفتها الانعزالية ٠ اذ ان هذه الطبقة عزت جميع الانجازات الاقتصادية والاجتماعية الى طبيعة النظام اللبناني نفسه ، وتسلحت بهذه النظرة لتمتين اطاراتها الشعبية ومواجهة حركات التغيير واتهامها شتى الاتهامات وخاصة بانها ضد النظام الذي يؤمن معيشة « لائقة » للبنانيين ، وبأنها ضد الكيان الذي يؤمن وضعا «متفوقا ومتميزا » للبناني بالنسبة للمواطنين العرب الاخرين ٠

وفي الواقع يمكن القول ان تركيب النظام اللبناني بمرونته الفائقة قد

مكنه من امتصاص الصدمات السياسية والاجتماعية التي كان يتعرض لها ، في الوقت الذي كان فيه هذا النظام يحاول اللحاق بالعصر عن طريق الالتزام بسياسة اجتماعية متطورة تأخذ بعين الاعتبار ضرورة توسيع اطار الخدمات التي تقوم بها الدولة خلافا للنظرية التقليدية التي كانت ترى انه من واجب الدولة الابتعاد كليا عن تلك النشاطات وخاصة على الصعيد الاقتصادي٠

وبفضل ذلك نجح هذا النظام في تفادي الكثير من الازمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تخيم على البلاد ٠ غير ان هذا السبب لا يفسر وحده تلك البراعة التي اظهرها النظام في التغلب على التحديات التي كانت مطروحة امامه ٠ ان السبب الحقيقي الذي ساعد النظام على هذا النجاح هو جو التراجع القومي الذي كانت تعيشه الامة العربية بفضل الخلافات التي ذرت قرنها بين قوى الثورة العربية وانهيار التجربة القومية الكبرى من الوحدة ، وبروز الانفصال في سوريا وغيرها من الاقطار العربية كحركة هدفها تعميق التجزئة وتحويلها من حقيقة مصطنعة الى حقيقة قائمة ٠ لقد سمح ذلك كله بتقوية النفوذ الاستعماري ـ القوي اصلا في لبنان ـ وبتحصين النظام الاقطاعي ـ الرأسمالي في وجه رياح التحرر القومي والاجتماعي ٠

ولقد ظهرت قوة هذا النظام على وجه الخصوص ابان حرب حزيران اذ استطاعت الدولة ان تكرر تجربة حرب السويس ، فبقيت على الحياد في الحرب بين العرب واسرائيل دون ان يؤدي موقفها هذا الى اي احراج خاصة وان الحرب كانت خاطفة واسفرت عن هزيمة محزنة تم توظيفها لصالح النظام وفلسفته وسياسته٠

لبنان مع دخول العمل الفدائي

الاثار السياسية للعمل الفدائي في لبنان

وكما كان لحرب حزيران وجهها الكالح البشع ، كذلك كان لها وجهها الايجابي المفيد ٠ ذلك ان الوعي القومي الهائل الذي ولدته الهزيمة المرة استطاع ان يتملك نفوس الجماهير الشعبية وان يسيطر على عقول الطلاب والشباب والمثقفين الذين هزتهم الحقائق المروعة وزادت من احتقارهم للنظام اللبناني ودوره في حرب الايام الستة ٠ وفي الواقع كانت هذه الحرب على المدى القصير فرصة ذهبية تلقفها النظام لتعزيز سطوته وسياسته ونفوذه مستفيدا من اجواء ما بعد الحرب التي سيطرت على الامة العربية ٠

ان صعود المقاومة حول هذه الفرصة الذهبية الى حلم قصير جدا ، اذ ان المعارك البطولية التي بدات تخوضها القوات الفلسطينية تمكنت من رأب الصدع ووقف الانهيار على الصعيد الشعبي القومي ، وبذلك برز البديل الثوري الذي استقطب الجماهير العربية في كل مكان وعزز ثقتها بنفسها وبامتها وبقدرة هذه الامة على الصمود والتحدي والانتصار ·

ومن جهة ثانية كان لصمود عبدالناصر في مصر وبدئه حرب الاستنزاف وحدوث تحولات ايجابية عبر تغيير بعض الانظمة العربية ، الاثر الكبير ايضا في تعزيز الصمود القومي للجماهير العربية ومنع الخطة الاستعمارية من تحقيق جميع مآربها في المنطقة العربية ·

ومما لا شك فيه ان هذه التطورات كان لها الاثر الابرز في لبنان خاصة وان العروبة فيه هي في حرب مستمرة مع اعدائها من جهة ، ولان المقاومة الفلسطينية من جهة اخرى كانت موجودة في البلد ، وتملك تراثا نضاليا فيه طالما تفاعل مع الوعي الوطني والقومي للحركة الشعبية في لبنان ·

وفي هذا الاطار لا يمكن تجاوز حقيقة الوجود الفدائي في لبنان · فالعمل الفدائي كان منذ نشاته يعتمد دائما على الشعب الفلسطيني في لبنان · وليس من الصدفة مطلقا ان اول بيان لقوات العاصفة والذي صدر في ١ـ١ـ١٩٦٥ نشرته صحيفة بيروتية هي صحيفة « الاحرار » وان ابو عمار كان الفدائي الذي سلم البيان بنفسه الى هيئة التحرير ·كمانه ليس صدفة ان اول فدائي فلسطيني استشهد على ايدي السلطات العربية انما استشهد على ارض لبنان وعلى يد السلطة اللبنانية · وفي الواقع كان استشهاد جلال كعوش على يد المكتب الثاني الشراره التي اشعلت السهل · وتلك الشراره لم تلهب السهل تحت اقدام الحكم العسكري المقنع فحسب بل اطلقت الحركة الشعبية في الاتجاه القومي واطلقتها في الاتجاه الصحيح ·

لقد كانت المظاهرة الشعبية التي انطلقت في كانون الثاني ١٩٦٦ استنكارا لمقتل جلال كعوش صغيرة بالقياس الى ما شهدته الساحة اللبنانية لاحقا غير انها كانت في الوقت نفسه البداية الثورية التي شقت الطريق · وصحيح ايضا ان القوى الوطنية التي شاركت فيها كانت محدودة غير ان هذه المظاهرة بقيت تحديا وحافزا امام القوى الوطنية الاخرى كي تصحح موقفها وتنتقل تلك النقلة المطلوبة فتجمع بين النضال الاجتماعي والنضال القومي ·

ان الاصطدام الحقيقي بين القوى الشعبية اللبنانية والاجهزة العسكرية الديكتاتورية انما حدث في واقع الامر لاسباب فلسطينية ، ذلك ان معظم

الظلامات التي وقعت على كاهل الجماهير اللبنانية بسبب تسلط المكتب الثاني واعوانه لم تؤد الى انضاج اي تحرك شعبي واضح المعالم (القومية) ضد النظام ، لكن الجماهير اللبنانية المضطهدة انذاك هبت في اول سانحة لمواجهة الاجهزة وتأييد العمل الفدائي عندما شعرت بان هذا العمل مستهدف من قبل السلطة ٠ واذا كان هذا الاتجاه لم يأخذ شكلا افقيا شاملا عام ١٩٦٦ بسبب مناعة النظام وانغماس اطراف من الحركة الوطنية فيه فانه بدأ يبرز بوضوح كامل بعد حرب حزيران وانطلاق المقاومة الفلسطينية ٠ ولقد تمكن العمل الفدائي في المرحلة الاولى من استقطاب مشاعر اللبنانيين على اختلاف مشاربهم ونزعاتهم باستثناء بعض الدوائر والاوساط المرتبطة بالاجهزة الاستعمارية والصهيونية وانعكس ذلك في الاضراب الشهير الذي تلا الهجوم على المطار في ٢٨ كانون الاول ١٩٦٨ ٠٠٠ ذلك الاضراب الطلابي الذي استمر ستة اسابيع واشتركت فيه كل الجامعات دون استثناء ٠

كما ان الطبيعية الفاشية الكالحة التي كان يتمتع بها النظام اللبناني لم تظهر على حقيقتها الا بسبب المعارك مع المقاومة الفلسطينية وخلالها ٠ ولولا تلك المعارك لاحتفظ هذا النظام بوجهه الضاحك واستمر في ادعاءاته الديمقراطية الفارغة و« تميزه » عن الاوضاع العربية المحيطة ٠

ان وجود المقاومة الفلسطينية في لبنان لم يكشف هشاشة وانحطاط النظام اللبناني فحسببل ساعد الحركة الوطنية – او قليلها بالاحرى – على تبصر حقيقة خصمها والعمل على تغيير نمط نضالها للتكافؤ مع المهمات النضالية التي كانت قد بدأت تطرح نفسها بالحاح شديد على الساحة ٠ من اجل انقاذ نفسه استخدم النظام سلاحه « الاقليمي » فبدأ التهويل بالخطر الفلسطيني من اجل اغتيال عملية التفاعل الايجابي بين الثائر الفلسطيني والوطني اللبناني ٠

وفي هذا الاطار اصطدمت السلطة اكثر من مرة بالعمل الفدائي من اجل خلق وتعميق الهوة بين الثورة الفلسطينية والشعب اللبناني ٠

وعندما شعرت السلطة بأن تشتيت العمل الفدائي بات امرا مستحيلا رضخت للواقع ووقعت اتفاق القاهرة بعد سبعة اشهر من الازمة السياسية التي امسكت بخناق البلاد اثر مجزرة ٢٣ نيسان ١٩٦٩ او التاريخ الحقيقي لسقوط النهج واداته العسكرية ٠

وتوقيع هذا الاتفاق لم يكن اعترافا من السلطة بشرعية العمل الفدائي وتواجده في لبنان فحسب بل كان يحمل في طياته ايضا اعترافا بأن هنالك

طرفا لبنانيا شريكا في الوطن وشريكا في السلطة يقبل بوجود العمل الفدائي، ومستعد لتحمل تبعات هذا الموقف ٠

ولم تؤد تلك المعارك التي كانت تفتعلها السلطة الى تحقيق الغرض منها اذ انه على الرغم من نشوء هوة بين المقاومة وقسم من الاوساط اللبنانية الا ان المقاومة كانت تخرج مع حلفائها في كلمرة اقوى بكثير مما كانت عليه في بداية المعركة هذا في حين ان السلطة كانت تخرج من تلك المعارك وهي اكثر ضعفا واقل تماسكا بحيث اضطرت هذه السلطة الى التراجع امام هجمات الجناح الاخر في النظام (الحلف الثلاثي) وامام التقدم الملموس الذي احرزته الحركة الوطنية ٠ ونتيجة لذلك تشكلت حكومة عبدالله اليافي في اواخر عام ١٩٦٩ كحكومة متوازنة تضم اليمين واليسار ٠ وانتزع كمال جنبلاط القائد الابرز في الحركة الوطنية وزارة الداخلية وتمت عملية الاجهاز على المكتب الثاني والترخيص للاحزاب اليسارية ٠ وبذلك انتهى العهد الشهابي الثاني دون ان يتمكن الياس سركيس مرشح النهج صاحب الاكثرية البرلمانية من الفوز امام سليمان فرنجية ٠

الاثار الاجتماعية والاقتصادية :

« وقد يقودنا تطور القضية الفلسطينية الى اعادة النظر في الكثير من قيمنا الاقتصادية » ٠

(ميشيل شيحا – لبنان في شخصيته وحضوره ص ٧٥)

منذ رسوخ التواجد الفدائي في لبنان ، على اثر اتفاقية القاهرة في نهاية عام ١٩٦٩ ، انقسمت الطبقة الحاكمة في مواجهة هذا « الطاريء » الجديد الى رأيين ، لم يكونا بالضرورة متناقضين ، بل كانا في كثير من الاحيان متكاملين ٠٠٠

رأي يعتبر هذا الوجود الفدائي المسلح ، ككل وجود قومي عربي في لبنان ، قوة لحركة التغيير والتقدم في لبنان ، كما يرى بالمقابل ان هذا الوجود يكتسب قوته ويستمد حمايته من وجود شعور واسع بالحرمان والغبن عند فئات ومناطق واسعة من اللبنانيين ،ولهذا يعتبر اصحاب الرأي ان الاطار الصحيح لضبط هذا الوجود يتمثل في بناء دولة عصرية تعنى بشؤون الفئات المحرومة والمناطق المتخلفة حتى لا تبقى نهبا « للافكار الهدامة» و« الايادي الخارجية » تعبث بها ، وتستغل حاجتها ، وتؤجج نقمتها وحقدها ٠٠٠

تمسك بهذا الرأي فريق متنور من البورجوازية اللبنانية ، ليواجه برأي مقابل يعتبر ان الطريق الانجع للقضاء على الثورة الفلسطينية هو طريق المجابهة القمعية لكل القوى والحركات التغييرية باعتبار ان تصفية هذه القوى هو تجريد للمقاومة من سياجها اللبناني وبالتالي تسهيل ضربها او تحجيمها الى ابعد الحدود ...

كان السياسيون الاكثر تخلفا في الصيغة اللبنانية هم اصحاب الرأي المقابل (تصفية اليسار قبل المقاومة) لا سيما اولئك الزعماء الذين ترتكز زعاماتهم على اجواء شعبية متعاطفة مع المقاومة والثورة الفلسطينية ...

ففي حين شهدت مرحلة ما قبل عهد فرنجية تركيزا لبنانيا محموما ضد الثورة الفلسطينية فلقد شهدت المرحلة الاولى من عهد فرنجية (١٩٧٠ ـ ١٩٧٣) بشكل عام انتصار وجهة النظر الاخيرة حيث تركز القمع الحكومي على الحركات اليسارية والمطلبية والنقابية (قانون الاحزاب ، قمع الحركة الطلابية ، صرف المعلمين ، اطلاق الرصاص على عمال غندور ومزارعي التبغ) في محاولة منها لتحييد المقاومة الفلسطينية باعتبارها لا تتدخل في « الشؤون الداخلية للاقطار العربية » ..

غير ان انتصار وجهة النظر هذه لم يمنع من محاولة « التيار العصري» ان يعبر عن نفسه في جملة من الاجراءات تهدف الى تحديث الدولة وبالتالي تأمين التفاف جماهيري حولها وحول سياستها (قانون ١٩٤٣ للحماية الجمركية على الصناعة الوطنية (الياس سابا) محاولة تنظيم تجارة الادوية (هنري اده)، محاولة تطوير وزارة التربية (غسان تويني)، الضمان الصحي بعد الضمان الاجتماعي) .

واذا كانت هذه المحاولات تصطدم بجدار سميك من الاصرار المتخلف على عدم التطوير فبالمقابل اندفعت داخل هذه الفئات ، تيارات اكثر «تطرفا»، تبالغ في الحديث عن المحرومين والمقهورين والضعفاء في لبنان من دون ان تربط هذا الحرمان بالاسباب السياسية والاجتماعية ، وبالتاكيد من دون ان تربطه بابعاده القومية والثورية ... بل على العكس من ذلك تحاول عبثا وضع قضية المحرومين في وجه الثورة الفلسطينية .

فحينما كانت اسرائيل تشن هجومها الكبير على العرقوب في ١٢ ايار ١٩٧٠ ، مسببة نزوحا كبيرا بين ابناء القرى الحدودية ، وكان حزب الكتائب يقيم في بيروت (في اليوم ذاته) مهرجانا خطابيا يحرض فيه ضد المقاومة : « لبنان كله يجب ان يتحرك ... لبنان كله يجب ان يتكلم ...

لبنان كله يجب ان ينهض لاسترداد ارضه وهويته وسيادته وكرامته» ·· (خطاب لرشاد سلامة في الاشرفية في ايار ١٩٧٠) ، كان يقوم تحرك رديف على ارض الجنوب هدفه طرح المأساة الجنوبية (النزوح والتشرد) على لبنان والعالم ، واعتبار القضية الجنوبية قضية « اهمال وحرمان » من دون اي تعرض لمصدر « الاهمال او الحرمان » · من دون تحديد مسؤولية الدولة في الدفاع عن ارض الجنوب ، على نحو يترك مجالا للتعبئة السرية ضد الوجود الفدائي في الجنوب واضعا قضية « المحرومين » في وجه حق الفلسطينيين في النضال لتحرير ارضهم ··· ومن اجل المزيد من الاثارة والفعالة رفع ذلك التحرك شعارات متطرفة اجتماعيا (احتلال القصور في بيروت) اذا لم يوضع حد للنزوح من الجنوب ···

فالتيار الذي كان يعتقد على الدوام بامكانية فصل النضال القومي ، ممثلا بالكفاح الفلسطيني المسلح ، عن النضال الاجتماعي ، محاولا ان يدفع بشيء من الاصلاحات الاجتماعية الخطر الفلسطيني ، كان تيارا حاضرا باستمرار في دوائر النظام اللبناني مستندا الى التجربة الشهابية في هذا المضمار (اصلاحات اجتماعية + علاقات رسمية عربية = حصر التفاعل القومي والعربي داخل لبنان) ·

وبهذا المعنى لعبت المقاومة الفلسطينية ، وما زالت حتى اليوم ، كالتعبير اليومي عن الحضور القومي العربي في لبنان ، دورها الايجابي الاول في « استثارة »همم التطوير ، ونوازع « العصرنة والتحديث » في الدولة اللبنانية لرفعها الى مصاف التحدي الجديد ··

اما الوجه الايجابي الاخر لهذا الحضور الفلسطيني الثوري على ارض لبنان فقد كان في اطلاق مجالات واسعة امام التحركات الجماهيرية ذات الطابع الاجتماعي والتي اخذت في بعض الاحيان اشكال انتفاضات طبقية بالغة الاهمية ···

فانتفاضة فلاحي عكار صيف ١٩٧٠ ، وتحركات مزارعي بعض القرى الجنوبية ضد الاقطاع في السنوات السبعينية الاولى ، (حانين ، القنطرة الخ) بالاضافة الى عشرات التحركات الطلابية والعمالية ، انما تمت جميعها في ظل التوازن الجديد للقوى على الارض اللبنانية بعد رسوخ العمل الفدائي فيها ، رغم حرص قيادات المقاومة الرئيسية الدائم على ابعاد العمل الفدائي عن التدخل المباشر في هذه القضايا ··· مراعاة منها للاعتبارات والحساسيات المعروفة لبنانيا وعربيا ··

وكانت ذروة التفاعل بين قضايا النضال الفلسطيني التحريري ، والنضال اللبناني التغييري ، حين تمكنت الحركة الوطنية اللبنانية من طرح بعض القضايا الاجتماعية بهدف حماية الثورة الفلسطينية بعد تشديد الحصار عليها ٠٠ويمكن ايراد مثلين واضحين في هذا المجال :

المثل الاول من الشمال حيث تمكنت (اللجان الشعبية)في طرابلس منتصعيد النضال الاجتماعي ضد احتكار شركة قاديشا للكهرباء واستخدام اساليب نضالية متطورة (منع الجباة من تحصيل الرسوم من المواطنين الذين قاطعوا الشركة) مما ادى الى توتر مستمر في طرابلس استمر عدة اشهر منذ خريف ١٩٧٠ (اي بعد نكسة الثورة الفلسطينية في الاردن) حتى حزيران ١٩٧١ (حيث اضطرت الدولة القيام بعملية «احتلال» لمدينة طرابلس اثارت نقمة المواطنين وعمقت التناقض بين النظام والجماهير اللبنانية) ٠٠

المثل الاخر كان في الجنوب ٠٠٠ فعلى اثر العدوان الاسرائيلي على العرقوب والقطاعين الاوسط والغربي في ١٦ ـ ١٧ ايلول ١٩٧٢ ، واعلان حالة الطوارىء في الجنوب ، واخراج القواعد الفدائية من القطاع الاوسط ، بات واضحا ان النظام اللبناني يستثمر الاعتداءات الاسرائيلية في ظل الصمت العربي من اجل فرض المزيد من التنازلات على الثورة الفلسطينية محاولا ، عبر أدواته المختلفة ، تعبئة الجماهير الجنوبية ضد العمل الفدائي محملا اياه مسؤولية كل ما يتحمله الجنوب من عبء العدوان الاسرائيلي ٠٠٠

وفي وجه هذه الخطة وضعت بعض الفصائل الوطنية العاملة في اطار (المؤتمر الوطني لدعم الجنوب)خطة تحرك شعبية في الجنوب تستهدف اعادة تسليط الاضواء على التناقض الحقيقي بين الجنوبي وبين من كانوا مصدر شقائه وبؤسه طيلة العهود الماضية ، وفي مقدمتها احتكار التبغ (الريجي) ٠٠٠ فجرى تنظيم حملة شعبية ونضالية واسعة لمزارعي التبغ افقدت السلطة توازنها واطلقت قواتها المسلحة النار على تظاهرة لمزارعي التبغ في ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٣ ادى الى استشهاد مزارعين وجرح عدد اخر ،مما حول الحملة المطلبية الى ما يشبه الانتفاضة الجماهيرية التي لم تحصر اثارها في الجنوب ، وانما شملت لبنان باسره وتمكنت من كسر هيبة الدولة حين تمكنت مجموعة من متظاهري بيروت من الوصول الى ساحة ٢٣ نيسان وتنفيذ القرار الوطني بالتظاهر رغم كل جو الارهاب ـ المنع الذي احاطت به الحكومة تلك التظاهرة ٠٠٠

في الحالتين كان الهدف حماية العمل الفدائي واعادة التناقض بين الجماهير واعدائها ٠٠٠ وفي الحالتين ايضا استطاعت الجماهير ان تحقق

بعض المكاسب وان تفرض على احتكار (قاديشا) ، كما على احتكار (الريجي) بعض التنازلات ...

وفي هذا الاطار ايضا يمكن ان نفهم كيف ان الحركة الوطنية اللبنانية ، بعد احداث ايار ١٩٧٣ ، وجدت ان الرد الحقيقي على مؤامرة ايار هو في اعادة طرح القضايا الاجتماعية باوسع اشكالها فكان التحرك ضد الغلاء، وضد ارتفاع سعر الرغيف ، ومن اجل زيادة الاجور، ومن اجل تعديل المادة التي تجيز التسريح الكيفي للعمال في قانون العمل (المادة ٥٠) ، فكانت التظاهرات الصاخبة والانتفاضات الطلابية المحدودة (انتفاضة طلاب الجامعة الاميركية) تطبع مرحلة ما بعد ايار ١٩٧٣ ، وتتمكن من فرض جملة من التنازلات ذات الطابع الاجتماعي على الحكومة وتوسع من قاعدة الصمود الجماهيري .

وبهذا المعنى ايضا كان الوجود الفدائي على ارض لبنان حماية لهذا الجو النضالي الجماهيري ، مثلما كانت مهمة حماية الثورة الفلسطينية مهمازا لطرح وتحريك العديد من القضايا الاجتماعية ...

وبهذا المعنى ايضا سقطت كل محاولات وضع القضية الاجتماعية في وجه القضية القومية تماما مثلما ظهر بكل وضوح ان حركة التحرير في فلسطين هي قوة موضوعية الى جانب ارادة التغيير في لبنان .

الاثار الوطنية (الحرب الخارجية والحرب الداخلية)

لم تطرح (السياسة الوطنية) للبنان ، بمعنى التحديات الوطنية في وجه المطامع الصهيونية ، يوما في حياة هذا البلد ، بالقوة والاتساع الذي طرحت به في السنوات التي رافقت نمو العمل الفدائي في لبنان ...

لقد كانت السياسة الرسمية اللبنانية في هذا المجال ، والتي قلما كان يجري التصدي لها من قبل الاوساط الشعبية والوطنية ، هي ان « قوة لبنان في ضعفه » وان « الضمانات الخارجية هي سلاح لبنان الاوحد في وجه المطامع الصهيونية ... »

وعلى الرغم من ان منظري الطبقة الحاكمة في لبنان لم ينكروا الخطر الذي يحمله وجود اسرائيل على لبنان : « وهكذا يبدو مستقبل لبنان حيال اسرائيل ، مستقبلا حالك الجوانب ولنا ما يدعو حقا الى المخاوف ، في السلم او في الحرب على السواء» . (ميشيل شيحا، لبنان في شخصيته وحضوره ،

ص ٤٥) الا ان الساسة اللبنانيين اختاروا اسلوب (النعامة) في مواجهة هذا الخطر مستفيدين الى درجة كبيرة من تردي مستوى الصراع العربي ـ الاسرائيلي واختيار العديد من انظمة المواجهة لسياسات « لبنانية » بهذا الصدد وبدرجات متفاوتة ··· في هذه الحقيقة و« الامر الواقع » اللبناني جاء الحضور الفلسطيني الثوري تحديا واختراقا ··· فكان على الطبقة الحاكمة ان تختار بين « الحرب الخارجية » مع العدو الاسرائيلي نتيجة القبول (بالوجود الفدائي) وبين « الحرب الداخلية » مع المقاومة والوطنيين اللبنانيين ··· اذا ما اختارت طريق رفض الثورة الفلسطينية ···

وكانت الطبقة الحاكمة طيلة السنوات السابقة للاحداث الاخيرة ، تتهرب من الاختيار الحاسم والنهائي ،فتختار حينا طريق « الحرب الداخلية » المحدودة (نيسان ١٩٦٩ ، تشرين ١٩٦٩ ، اذار ١٩٧٠ ، ايار ١٩٧٣) لتفادي « الحرب الخارجية » ، وتستخدم حينا اخر (الحرب الخارجية)المحدودة (اعتداءات اسرائيل في ك١ ١٩٦٩ ، ايار ١٩٧٠ ، ، ايلول ١٩٧٠ ، شباط ١٩٧١ ، شباط ١٩٧٢ ، ايلول ١٩٧٢ ، نيسان ١٩٧٣ طريقا لفرض التنازلات التي لم يكن ممكنا تحقيقها (بالحرب الداخلية) المحدودة ····

غير انه مع احتدام الصراع العربي ضد اسرائيل ، ومع اتخاذه اشكالا عسكرية محدودة (حرب تشرين)، كانت السياسة الرسمية اللبنانية تتراوح بين مستويات مختلفة ···

فتحت ستار حاجات الدفاع عن الوطن ، اضطر عهد فرنجية في سنواته الاولى الى ان يضع خطة للتسليح قيمتها حوالي (٢٠٠) مليون ليرة كان هدفها الحقيقي (بسبب نوعية الاسلحة وطبيعتها) تقوية الجيش اللبناني في وجه المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ···

واذا كانت هذه السياسة لم تحقق ثمارها المرجوة (بسبب الفساد الاداري ، وعقلية السمسرة والرشوة ، وبسبب امتداد الوعي الوطني الى داخل الجيش) ، فان سياسة التسليح هذ كانت مضطرة الى التسليم « بضرورة الاعداد لمواجهة العدو الصهيوني » ··· الامر الذي فتح ثغرة في المنطق التقليدي للنظام اللبناني ، تمكنت القوى الوطنية من العمل على توسيعها حتى اضطر لبنان ، وللمرة الاولى ، في تاريخه ، لان يطالب دول الجامعة العربية ببحث تطور اوضاع المجابهة مع العدو على حدوده ، وان يطالب بخطة لتدعيمه عسكريا بالاسلحة والعتاد من الدول العربية ، كما اضطر الى

التسليم بوجود اسلحة متطورة للدفاع عن المخيمات بما فيها الصواريخ المضادة للطائرات (سام)التي ظهرت لاول مرة في سماء بيروت تلاحق الطائرات الاسرائيلية فيكانون الاول ١٩٧٤ ٠

وهكذا تمكن الحضور الثوري الفلسطيني على ارض لبنان من ان يحقق تطورا ايجابيا هاما على صعيد سياسة النظام الوطنية والدفاعية التي وان كانت في حقيقتها تطمح الى الالتفاف على العمل الفدائي وتحجيمه، الا انها في النهاية قادت النظام الى التظاهر اكثر فاكثر بالالتصاق بمهمات المجابهة مع العدو ٠٠٠ هذه السياسة هي التي تجعل العهد الجديد في لبنان نفسه يقر بأكثر من مناسبة ان لبنان سيصبح دولة مواجهة طبعا بالمفهوم الرسمي العربي للمواجهة ٠

اما الجانب الايجابي الاخر الذي رافق الحضور الثوري الفلسطيني على الصعيد الوطني فهو في المستوى الجديد الذي حاولت بعض الفصائل الوطنية اللبنانية الارتقاء اليه في مسألة المجابهة مع العدو ٠٠٠

لقد انعكس هذا المستوى الجديد في مسألتين :

الاولى : طرح مسألة تدعيم الصمود الوطني في الجنوب من النواحي الدفاعية والحياتية ٠٠٠ واذا كانت اطراف الحركة الوطنية بمجملها قد وضعت هذا الشعار في رأس برامجها واطروحاتها ، فان بعضها قد اختط لنفسه طريقا عمليا لترجمته على ارض الجنوب ٠ فباشر المؤتمر الوطني لدعم الجنوب (وهو اطار شعبي يضم بعض القوى السياسية الوطنية) بحملة لبناء الملاجيء في القرى الحدودية (كفركلا ، الطيبة ، تولين ، حاصبيا ، الرفيد، كامد اللوز الخ)٠ كما حاول اعداد مشاريع اجتماعية واقتصادية تساهم في دعم صمود ابناء الجنوب في مناطقهم (كالمساهمة في بناء بعض المدارس وانشاء بعض التعاونيات)٠

الثانية : مسألة بناء قوى شعبية جنوبية مسلحة تتولى عملية الدفاع عن قرى الحدود في وجه الاعتداءات الاسرائيلية وقد شرع اكثر من حزب سياسي في هذا المجال حيث اعطى هذا التحضير ثمارا في عدة قرى ابرزها كفركلا (التي تصدت للعدو الاسرائيلي عدة مرات) وكفر شوبا ــ الطيبة وغيرها ٠٠٠

وبهذا المعنى كان للعمل الفدائي اثاره الايجابية في المجال الوطني سواء على الصعيد الرسمي او على الصعيد الشعبي ، الامر الذي اثار

مخاوف العدو الذي اعلن اكثر من مرة عبر كبار مسؤولية انه اذا استمرت الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان فان ذلك « سيدفع لبنان اكثر فاكثر الى الارتماء في احضان العرب » ..

وبالتأكيد كانت هذه المخاوف هي احد ابرز الاسباب التي تقف وراء الاصرار الاسرائيلي على تمزيق لبنان وتفجيره داخليا في الحرب الاهلية التي استمرت على مدى العامين الاخيرين ...



ان رصد هذه الاثار السياسية والاجتماعية والوطنية التي رافقت الوجود الفدائي في لبنان ، تظهر بوضوح ان هذا الحضور الثوري الفلسطيني قد ساهم في اخراج الحياة السياسية اللبنانية من رتابتها وكان قوة موضوعية هامة من قوى الديمقراطية والتقدم الاجتماعي والسيادة الوطنية، الامر الذي يؤكد طليعية ثورة فلسطين في الحركة الثورية العربية ... تلك الطليعية « الموضوعية » التي اذا لم تواكبها طليعية «ذاتية» تتعلق بالبنى والاساليب النضالية للحركة الثورية الفلسطينية والعربية ، فانها تجد نفسها محاصرة بآثار سلبية تضعف من اندفاعها وزخمها وقدرتها ...

الاثار السلبية للعمل الفدائي

اذا كان العمل الفدائي في لبنان قد ساهم الى درجة كبيرة في كشف الطبيعة الحقيقية للنظام اللبناني فانه كشف وبدرجة اعمق الطبيعة الفاشية العنصرية التي تتميز بها القوى الانعزالية للسيطرة على هذا النظام . غير انه مما لا شك فيه ان هذه القوى استطاعت بسبب وجود المقاومة المجرد من ان تخلق هوة عميقة بين الشعب الفلسطيني وقسم من اللبنانيين ... هوة تصعب ازالتها في المدى القريب، وبالطبع فان المسؤولية هنا لا تقع مطلقا على المقاومة .

ان اجواء التسلط والاستغلال والاضطهاد التي كان يعاني منها الانسان الفلسطيني قبل ذلك في لبنان تركت في نفسه جرحا عميقا وعقدة مزمنة تجاه السلطة اللبنانية ومظاهرها ورموزها ... وما ان تحررت المقاومة بعد ثورة المخيمات حتى شعر الفلسطيني فجأة باجواء الحرية تسود عالمه الصغير مع ما ادى ذلك من قيام وضع جديد اختلطت فيه الاشياء والعلاقات بالمقارنة مع الوضع السابق خاصة وان الحرية المنتزعة كانت مرتبطة بالبندقية ومهددة دائما بالخطر الشديد مما كان يضع هذا الانسان في جو من

الترقب والقلق والحالة العصبية التي كانت تظهر كلما كان هناك اعتداء اسرائيلي على هذا المخيم او ذاك او كلما كان هناك اعتداء من السلطة او الانعزاليين . وبالقدر الذي برز فيه المقاتل الفلسطيني الحقيقي كقدوة وكنموذج للثائر العربي ، فقد برز الى جانبه حامل البندقية الذي لم يستوعب قيمة هذه البندقية وكيف وصلت اليه فجعل منها وسيلة تضر بالثورة اكثر مما تفيدها ، الامر الذي ادى الى ولادة شعور سلبي لدى اللبناني العادي، الذي وان كان يفهم لماذا يحمل الثائر الفلسطيني بندقية ،فقد صعب عليه ان يرى نفسه في بلده محروما من نفس «المتعة »، الى جانب التجاوزات المضرة التي كان بعض افراد المقاومة غير الواعين ينزلقون اليها مثلهم مثل البشر العاديين ، في حين ان اخطاءهم كانت تضخم الى درجة كبيرة لتتحملها المقاومة نفسها . ومما لا ريب فيه ان الكثير من المندسين على العمل الفدائي كانت مهمتهم منحصرة في تشويه سمعة هذا العمل المقدس امام الجماهير والحاق الاذى فيه . ولا مجال هنا للانكار مطلقا في ان مجموع هذه التجاوزات ـ الطبيعي منها والمفتعل ـ مع تراكمها وتنوعها قد ادى الى خلق نفور في بعض الاوساط ، والى حقد في بعض الاوساط الاخرى ، خاصة اذا ربطنا بين ذلك وبين الخطةالدائمة لاشعال المعارك مع المقاومة واظهارها كعنصر عدم استقرار ، اضافة الى الضربات الاسرائيلية الانتقامية التي كانت تستهدف تأليب اللبنانيين على المقاومة وتفسير كل ضرر يلحق بهم على ضوء ذلك.

واذا كانت هذه التجاوزات قد اضرت بالمقاومة وساهمت في انحسار بعض التأييد الشعبي عنها ، فان خطة السلطة في اظهار المقاومة كجيش لفريق من اللبنانيين مقابل جيش الفريق الاخر ، نجحت نجاحا كبيرا خاصة وانها اعتمدت على الاثارة الطائفية الرخيصة . ومما رسخ هذا الاعتقاد في الاذهان ان اتكالية واضحة المعالم استشرت في اوساط الحركة الوطنية والشارع الوطني على وجه العموم .

فبينما كانت الاحزاب الانعزالية تعد للصدام عبر عمليات التنظيم والتدريب والتسليح ، كانت اطراف من الحركة الوطنية تنام على حرير المقاومة وتحتمي داخل اسوارها وتهدد بسيوفها دون ان تفطن الى النتائج السلبية التي كانت تنتظرها من جراء هذه السياسة الاتكالية وفوق ذلك ولدت هذه الاتكالية ظاهرة اخطر هي ظاهرة الشعور بالتفوق ، اذ كانت الحركة الوطنية تشعر بقوة كبيرة بالمقارنة مع الاحزاب الانعزالية مستفيدة من قوة المقاومة وهيبتها وسطوتها ، الامر الذي ادى الى اهمال الكثير من الجوانب وساهم في تعزيز الثغرات التي تعاني منها هذه الحركة .

لا يعـود هذا الى التصاق الحـركة الوطنية بالمقاومة الفلسطينية كما يتبـادر الى الذهن للوهلة الاولى ، بل على العكس فان السبب الحقيقي الذي يكمـــن وراء ظاهرتي الاتكالية المفرطة والتفوق الوهمي هو في ابتعاد بعضـــ فصائل الحركة الوطنية عن جوهر المقاومة الفلسطينية كحركة كفاح مسلح ٠ بعبارة اخـرى ، لم تكن الحـركة الوطنية « فلسطينية » بالقدر المطلوب ، او انهـا لم تكن عـلى مستوى المهمـات القومية التيطرحـت نفسها بقوة وعـنف في تلـك الفترة ٠

ومن جهة اخرى فقد ترك الجهل النسبي للاوضـــاع اللبنانية الذي كانـــت تعـاني منه حركة المقاومة ، الى جانب السياسة التجريبية التي اتبعتها في كثير من الاحيان ٠٠٠ ترك ذلك كلـه اثـار سلبية ملموسة عـلى صعـيد العلاقات اللبنانية الفلسطينية ٠ واذا كانت الحـركة الوطنية تتحـمل قسطا مـــــن المسؤولية ، فان القسط الاخـر تتحـمله حـركة المقاومة التي لم تكن حـــركة « لبنانية » ـ او حركة قومية ـ بالقدر المطلوب اذ بقيت هذه المقاومـــة فلسطينية الجسم والاداة رغم انها عربية القلب والاهداف والتحديات ٠٠

خاتمـــة :

لقد استطاع الحضور الفلسطيني الثـوري ان يشكل في لبنان حـالة نموذجية لنمو الحركة التغييرية في هذا البلد ، بل ولاشعاع التفاعـــل الفلسطيني ـ اللبناني على الامة العربية باسرها ٠٠٠

فقد كشف هذا الحضور الثوري ، بالتحديات التي حملها ، الطبيعة القمعية والاستغلالية والاقليمية للنظام اللبناني ، كماكشف الكثير من التضليل التاريخي الذي تقوم عـليه المرتكزات الفكرية والسياسية لهـذا النظام ٠٠٠

وفي محاولة النظام للالتفاف على عملية الانكشاف هـذه ، قـام بجملة من الاجراءات ذات الطابـع الاصلاحـي (نجح بعضها وفشل الاخـر) ، كما تراجع، عـن جملة من الممارسات (القمعية) والمنطلقات (السياسية) سهلت جميعـهـا نموا واسعـا للحـركة الشعبية العربية التي استطاعـت ان تجعـل من لبنـان واحـدا من اخصب الميادين الفكرية والسياسية والنضالية ليس عـلى المستـوى العربي فحسب ، وانما عـلى المستوى العـالمي ايضا ، بل جعلته ، المنبـــر القومي الاول في المنطقة العربية وساحة نضالها الرئيسية ضد اعدائها ٠٠
وبحجم الامكانات النضالية الكبرى التي فجرتها ثورة فلسطين على ارض لبنان والتي كان الصمود الاسطوري للشعبين الفلسطيني واللبناني احد مظاهرها ٠

كان حجم المؤامرة الكبرى التي تعرض لها لبنان واستنفرت ، فيما استنفرت من قوى عربية ودولية ، ليس فقط اعداء التحرير في فلسطين بل واعداء الحرية والوحدة العربية والتقدم الاجتماعي ...

واذا كان المشروع الانعزالي ، الانتحاري التصادمي ، يشهد اليوم نهاية ايامه واحلامه في تصفية الوجود الثوري الفلسطيني لحساب المنطق الكياني والامتيازات الطائفية ، فان مشروعا اخر ، اشد خطورة ، واعمق تأثيرا يطل برأسه عبر خطة « استيعابية التقافية » لا تستهدف تحجيم المقاومة الفلسطينية نفسها بقدر ما تستهدف تحجيم اثارها الثورية والنضالية على المستوى العربي ..

كلمة السر في هذا المشروع الفصل بين ارادة التحرير في فلسطين وارادة التغيير في الوطن العربي ليتسنى ضرب الاثنين معا ...

البرنامج العملي لذلك .. فك التلاحم بين ثورة فلسطين وحركة التقدم الوطني والتحرر العربي في لبنان ...

طبيعة الحرب اللبنانية

المقدّم الهيثم الأيوبي

الحرب بمعناها الشامل ، صراع مسلح يندلع بين طرفين تتناقض مصالحهما بشكل حاد وجذري ، عندما يتعذر حل هذا التناقض بالوسائل السلمية ، ويصبح الاحتكام الى السلاح الوسيلة الاخيرة لحسم النزاع لصالح احد الطرفين رغم ارادة الطرف الاخر . ومع تطور العلاقات الدولية ، وظهور منظمات عالمية واقليمية تنظم العلاقات بين الدول والقوى المتنازعة ، وتشابك المصالح العالمية ، تعدل الجزء الاخير من هذا التعريف ، وظهر نوع جديد من الحروب التي تنتهي بتدخل قوة خارجية تمنع الحسم المسلح ، وتمنع بالتالي فرض ارادة احد الطرفين على الطرف الاخر ، وتفرض حلا وسطا يحقق للمتنازعين جزءا من اغراضهم ، ويجبرهم على التخلي عن العنف والعودة الى الحوار لحل التناقض ، او يفرض عليهم ، على الاقل ، تجميد الصراع خوفا من اتساعه وانتقاله من المستوى المحلي الى المستوى العالمي (النووي) .

ورغم انطباق هذا التعريف على جميع الحروب ، فان الحروب لا تدور دائما بالشكل نفسه ، وليس لها بالضرورة الطبيعة ذاتها . واذا كان بالامكان تقسيم الحروب (اخلاقيا) الى حروب عادلة واخرى غير عادلة ، فان تقسيمها (تقنيا) يفرض تحديد ما اذا كانت الحرب تقليدية ، ام استعمارية ، ام ثورية، ام نووية . وتكون الحرب التقليدية شاملة او محدودة ، خاطفة او استنزافية ، في حين تأخذ الحرب الثورية شكل الثورة ، او الحرب الاهلية ، او الحرب الدينية ... الخ .. وهي في الغالب حرب طويلة الامد تطبق فيها تكتيكات الحرب السرية او حرب العصابات الصغيرة او حرب العصابات الكبيرة ... الخ حسب الوضع وموازين القوى .

وليست الحواجز بين انواع الحروب ثابتة . فقد تتحول الحرب المحدودة الى حرب شاملة ، وتتصعد الحرب التقليدية الى حرب نووية ، وتنقلب الحرب الاستعمارية الى ثورة وطنية اذا بقي المستعمر معزولا عن المواطنين او الى حرب اهلية ــ استعمارية اذا استطاع المستعمر اكتساب جزء من المواطنين وتسليحهم واستغلال التناقضات الداخلية لاستخدامهم ضد ابناء وطنهم. وهناك حالات تحولت فيها الثورة الى حرب اهلية (الاتحاد السوفياتي واسبانيا)،

كما ان هناك حالات تشابكت فيها الحرب الاهلية مع الحرب الدينية(ايرلندة)، او الحرب الاهلية مع الانتفاضة (الفاندي) ٠

ولقد اختلفت الاراء حول تقييم الحرب اللبنانية ، فاعتبرها البعض « ثـورة وطنية ـ اجتماعية » ، ورأى البعض الاخر انها « حرب اهلية » ، في حين اعتبرها جانب ثالث « حربا تحريرية لبنانية ضد الفلسطينيين » ٠ ومن المفيد تاريخيا تحديد طبيعة هذه الحرب بدقة ، ووضعها في مكانها الصحيح على منحنى التطور في المنطقة ، وذلك عن طريق دراسة مسارها ، والقوى المشتركة فيها ، والتناقضات التي ادت الى اندلاعها ، والتعبئة النفسية التي سبقتها ورافقتها ٠

السبب الاستراتيجي لاندلاع الحرب :

ان البحث عن السبب الاستراتيجي يتطلب تحديد جوهر التناقض الاساسي بين المقاومة الفلسطينية والسلطة اللبنانية القديمة ، وسبب عدم حله بالوسائل السلمية ، وكيف ادى تعذر الحل السلمي الى تبني العنف كوسيلة للحل ٠

لقد تبنت المقاومة الفلسطينية منذ انطلاقة الرصاصة الاولى في العام ١٩٦٥ استراتيجية حرب التحرير ٠ وهي استراتيجية هجومية الطابع ، تعتمد على تسديد الضربات الى العدو الصهيوني ، ومتابعة تسخين المنطقة ، والتلاحم مع الجماهير العربية والفلسطينية ، في سبيل وضع الامة العربية بكل ثقلها وكامل طاقاتها في ميزان الصراع مع العدو الصهيوني ، وحمل مشعل النضال وتحمل اعبائه حتى عندما توقف الدول العربية القتال مؤقتا لاسباب خاصة بها ٠ وكان للبنان استراتيجية اخرى تبناها منذ هدنة رودس ١٩٤٩ ٠ وهي استراتيجية دفاعية الطابع ، تعتمد على سياسة امنية سداها احترام الوضع الراهن والحفاظ على هدوء خطوط الهدنة ، ولحمتها الضمانات الدولية لسيادة لبنان وسلامة اراضيه ٠ وتعني بالتحليل الاخير عدم ربط الامن الوطني مع الامن القومي ، والاكتفاء بالسلامة الذاتية مقابل عدم المشاركة في الجهد القومي التحريري ٠

ومن المؤكد ان اختلاف الاستراتيجيتين بالجوهر نابع عن اختلاف المنطلقات ٠ فلقد اعتبر الفلسطينيون الهجمة الصهيونية التي توجهت الى فلسطين خطرا قوميا لا على الفلسطينيين وحدهم بل على الامة العربية بأسرها، ورأوا في احتلال فلسطين خطوة لا بد وان تتبعها خطوات تنسجم مع السياسة الصهيونية التوسعية ، واعتبروا ان لهم ، كعرب مشردين ، الحق بالعمل على كل ارض عربية ، وان الواجب القومي والخطر المشترك يفرضان على كل نظام عربي ان يفتح لهم ارضه ، وان يقدم لهم الدعم المادي والمعنوي من اجل متابعة معركة التحرير ٠ في حين كان النظام اللبناني والقوى الداعمة له تعتبر ان

الفلسطينيين ضيوف على ارض لبنان ، وان بوسعهم السعي لتحرير بلادهم شريطة ان لا يؤثر ذلك على الامن اللبناني ٠

وكانت السلطة اللبنانية في عامي ١٩٦٧ و ١٩٦٨ قادرة على ضبط الامور وفرض استراتيجيتها ٠ ومع تنامي المقاومة على الارض اللبنانية في العام ١٩٦٩ برزت على الساحة قوتان واستراتيجيتان ٠ ففي الوقت الذي كانت به المقاومة تتصرف كثورة ، وبمنطق وطني ـ قومي ، كانت السلطة اللبنانية تتصرف كدولة ، وبمنطق وطني قطري ٠ وكانت حجة السلطة والقوى المؤيدة لها ، وهي حجة لا يزال اليمين اللبناني يدافع عنها حتى اليوم (راجع تصريحات بيار الجميل ، النهار ٢٨ و ٢٩ ـ ١١ ـ ١٩٧٦ حول القوة النابعة من الضعف) ان لبنان الضعيف عسكريا حافظ على اراضيه ، ومنع العدو من احتلالها بفضل علاقاته الدولية ، في حين ان الدول العربية الاقوى عسكريا من لبنان لم تستطع الصمود في حرب ١٩٦٧ امام اسرائيل ، ووقع جزء من اراضيها تحت الاحتلال ٠ وان على المقاومة ان تحد من نشاطها ضد اسرائيل حتى لا تتخذ اسرائيل من ذلك ذريعة لتحقيق اطماعها في لبنان ، خاصة وان القوات المسلحة اللبنانية اصغر من ان تستطيع منع الصهاينة من ذلك ، وان تعزيز هذه القوات سيكلف مبالغ طائلة وسيضعف لبنان بدلا من ان يقويه ، لانه سيحوله الى دولة مواجهة وسيضعه في مجابهة قوة لا يستطيع مقاومتها ٠

ولم تكن هذه الحجة متماسكة رغم مظهرها المنطقي ، لانها كانت تتجاهل ان الطبيعة التوسعية العنصرية ركن اساسي من اركان الصهيونية ، وان المخطط الصهيوني للقضم المتتابع قد مرحل اغراضه : بناء مستوطنات على الساحل وفي المناطق الحاكمة والتقاط المفتاح ـ هجرة ـ احتلال جزء من فلسطين ـ احتلال النقب والجليل ـ هجرة ـ احتلال بقية الاراضي الفلسطينية وجزء من سوريا ومصر ـ هجرة ـ الاستعداد لاحتلال اراضي جديدة وهجرة جديدة ، حتى يصل الدور الى لبنان ٠ وتجاهل ايضا العلاقة بين الهجرة والتوسع ٠ فبعد كل توسع تاتي مرحلة الاستيعاب (الهضم) التي تتطلب مهاجرين جدد يملؤون المناطق المحتلة ويعدون لتوسع جديد يتطلب هجرة جديدة ، حتى يتجمع اكبر عدد من يهود العالم في ارض الميعاد ، وتتشكل دولة الملايين السبعة ٠

وتسقط الحجة المسألة القومية لصالح المسألة القطرية ، وهي تدل على ان اصحابها لم يستوعبوا جيدا مغزى تهدئة اسرائيل للجبهة اللبنانية ٠ ولم يفهموا بالضبط ان اسرائيل التي تقاتل على خطوط داخلية ، تفضل انقاص عدد الجبهات ما امكن ، وتقليص عدد دول المواجهة الى الحد الادنى ، حتى تستطيع قهر القوتين الاساسيتين مصر وسوريا ٠ وبعد قهر هاتين القوتين تصبح بقية القوى مشلولة الارادة وخاضعة لارادة الدولة الصهيونية بشكل آلي ٠ وان عدم

تعرض اسرائيل لسلامة لبنان حتى الان ، لا ينبع من الضغط الخارجي وصداقات لبنان الدولية ، بل ينبع اساسا من ان مخططي السياسة الامنية الاسرائيلية يرون ان الوقت لم يحن بعد لتسخين الجبهة اللبنانية ودفع لبنان لان يكون دولة مواجهة ، وان تهدئة الجبهة اللبنانية هو الرشوة التي تقدمها اسرائيل الى السلطة اللبنانية مؤقتا ، مقابل تخلي هذه السلطة عن دورها القومي في مجابهة العدو القومي ·

ولقد حاول الطرفان ايجاد حل للتناقض بين منطقي الدولة والثورة عن طريق الحوار والاتفاقات · وبذلت في هذا المجال جهود محلية وعربية متعددة (ومن بينها اتفاق القاهرة ١٩٦٩) وكان من الممكن ان يتعايش المنطقان في مناخ « الحوار والصراع » لو ان اسرائيل كانت دولة عادية تدافع عن نفسها على الحدود ، وتكتفي بصد الهجمات الفلسطينية عند الحدود ، ولكن الدعم الاميركي غير المحدود لاسرائيل سياسيا وعسكريا ، اعطى العسكريتاريا الاسرائيلية هامش عمل عريض ، وسمح لها بتطبيق « قاعدة العمل وراء الحدود » ، وهي قاعدة دأبت اسرائيل على تطبيقها منذ الخمسينات ، ثم وسعت حدود التطبيق بعد أن وضع الاميركيون في فيتنام خلال الستينات اسس نظرية عسكرية متكاملة « للعمل وراء الحدود » بغية مطاردة قوات جبهة التحرير الوطنية (الفيتكونغ) وضرب قواعدها في فيتنام الشمالية ولاووس وكمبوديا، وطوروا هذا « العمل » واعطوه عمقا اكبر ، واستخدموا فيه القوات البرية والمحمولة جوا والبحرية وسلاح الطيران ·

وغني عن الذكر ان هامش العمل الاسرائيلي افاد كثيرا من سكون الجبهات العربية بعد توقف حرب الاستنزاف وقبول مشروع روجرز في اواخر العام ١٩٧٠ ، مما ادى الى ظهور مرحلة « العربدة الاسرائيلية » ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ · كما ان تناقص امكانية التنسيق العسكري المصري ـ السوري بعد اتفاق سيناء جعل المنطقة على عتبة مرحلة « عربدة اسرائيلية جديدة » وساعد اسرائيل على الانفراد بالجبهة اللبنانية ، وضرب العمق اللبناني بمختلف الاساليب ، وتهديد السلطة اللبنانية باجتياح الجنوب ، للرد على عمليات المقاومة الفلسطينية ، سواء كانت اغارة حدودية ، ام عملية داخلية ، ام ضربة خارجية ·

وبفضل عمليات الانتقام الاسرائيلية ، اصبحت كل عملية عسكرية تقوم بها المقاومة ضد الكيان الصهيوني ، تهدد السياسة الامنية اللبنانية بشكل مباشر ، ولهذا اخذ التناقض بين الاستراتيجيتين اللبنانية والفلسطينية شكلا حادا وتوترت العلاقات بين الطرفين اكثر من مرة ، وعجزت السلط اللبنانية وحلفاؤها عن اقناع الفلسطينيين بالتخلي عن العمل ضد العدو لخلق الاثر

التراكمي الذي يؤدي الى قهر ارادته واجباره على قبول الدولة الديمقراطية كصيغة للتعايش على ارض فلسطين ، كما عجزت المقاومة عن اقناع السلطة بضرورة بناء الدرع الواقي ، والتخلي عن فكرة القوة النابعة من الضعف ، وتبني فكرة القوة النابعة من القوة الذاتية المتحالفة مع عرب الحرب • وسار كل طرف على طريقه الاستراتيجي • وبدأت السلطة وحلفاؤها يعدون لفرض استراتيجيتهم بالقوة وتطبيق سياستهم الامنية ، في حين لجأت المقاومة الى تحصين مخيماتها وتدعيم قواها العسكرية وتمتين تحالفاتها لحماية نفسها من ضربة لبنانية على الطريقة الاردنية ، والحفاظ على البقاء لمتابعة المسيرة التحريرية •

وخلقت تدابير الطرفين جوا من الشك المتبادل الذي رافقه تحريض مكثف، واعداد عسكري واضح المعالم • وكان من الطبيعي ان يؤدي التداخل الجغرافي، والزخم النفسي ، والتعبئة المستمرة ، الى نتائج عملية تمثلت في : التحرشات والتجاوزات والاستفزازات ••• الخ • ومن سوء حظ الشعبين اللبناني والفلسطيني ان الاهتمامتوجه دائما نحو ايجاد الحلول للنتائج ، وتنظيم العلاقات التي تضمن احتواءها او التخفيف من حدتها ، رغم بقاء التناقض الاساسي الاستراتيجي الذي نبعت منه هذه النتائج • لهذا فشلت كل المحاولات والوساطات التي ضاعت في خضم حل الثانويات قبل التوصل الى صيغة الحل الرئيسي الذي جرى الالتفاف حوله لتعذر حله ، طالما ان كل طرف من الطرفين متمسك باستراتيجيته المقتنع بصحتها ، والمؤمن بأنها افضل السبل لتحقيق اغراضه •

وبتجاهل الاصل ، والتركيز على النتائج ، اصبح حل المعضلات مسالة يومية ، فلا يتم التوصل الى الغاء نتيجة حتى تظهر نتيجة اخرى • واستغلت النتائج كوسيلة للتحريض والتعبئة النفسية المتبادلة ، كما استخدمت في ايار ١٩٧٣ ونيسان ١٩٧٥ كشرارة لاندلاع الصدامين الكبيرين بين المقاومة وحلفائها من جهة والسلطة وحلفائها من جهة اخرى • ولقد ركز الاعلام اليميني طوال ١٩ شهرا على ان النتائج هي سبب الحرب • والحقيقة ان في هذا تجاوز للواقع وتحميل للامور اكثر مما تحمل • وقد تكون النتائج والثانويات الذريعة او الشرارة المباشرة للحرب ، ولكنها لم تكن مطلقا سبب الحرب ، التي لم تندلع الا لوجود قوتين لهما استراتيجيتان متناقضتان على الارض اللبنانية• وتعذر حل هذا التناقض سلميا ، واستحالة تجميده في ظل الردع الديناميكي الاسرائيلي ، ووسط جو التحريض الذي مارسته قوى ودول ، عربية وخارجية، ترى ان من مصلحتها ضرب المقاومة واضعافها ، وخاصة اذا تم الضرب بقوة عربية •

تحول النزاع اللبناني ـ الفلسطيني الى حرب اهلية لبنانية :

ان كل ما تقدم يؤكد مقولة السلطة اللبنانية وحلفائها بان الحرب كانت حربا بين اللبنانيين والفلسطينيين · ولكن حقيقة القوى المشتركة في الصراع تؤكد عكس ذلك ، لان القوى الفاعلة في لبنان لم تقف كلها الى جانب السلطة اللبنانية في حربها مع المقاومة · ولم تبق القوات المسلحة اللبنانية ، بما فيها قوى الامن ، كتلة متماسكة واحدة بيد السلطة ومستعدة لتنفيذ سياستها كما حصل في الاردن في عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ · ولو تم ذلك ووقفت الجماهير اللبنانيةوالقوات المسلحة الى جانب السلطةضد المقاومة الفلسطينية وجماهيرها، لامكن اعتبار الحرب (من منظور قطري) حربا لبنانية ـ فلسطينية ، وان كانت في جوهرها (من منظور قومي) حربا ضد بين جزئين شمالي وجنوبي من شعب عربي قسمه المستعمرون فيما بينهم منذ العام ١٩١٦ (معاهدة سايكس ـ بيكو) ·

وحتى لو نظرنا الى المسالة بمنظار قطري ؛ فان الحرب فقدت طابعها كحرب لبنانية ـ فلسطينية عندما انقسمت الجماهير والقوات المسلحة اللبنانية الى ٣ اجزاء غير متساوية ، ووقف جزء منها مع المقاومة ، وبقي الجزء الثاني الى جانب السلطة ، في حين راوح الجزء الثالث في مكانه ليبقى على الحياد، في الحالات التي استطاع فيها البقاء محايدا · ومع استمرار القتال انقسم المجتمع اللبناني جغرافيا ونفسيا وعسكريا ، وحمل كل قسم السلاح ضد القسم الاخر وهذه هي السمة الاساسية للحرب الاهلية التي اجمع المنظرون العسكريون على تعريفها بانها « الحرب التي ينقسم فيها الشعب الى قسمين متصارعين ، يقف احدهما الى جانب التغيير ، ويقف الاخر الى جانب النظام القديم ، ويدعي كل واحد منهما انه يمثل الشرعية ويجسد ارادة البلاد · سواء تم الانقسام على اساس وطني او طائفي او ديني او طبقي » · وهذا هو ما حصل بالضبط على الارض اللبنانية ·

ويرجع هذا التحول في الحرب اللبنانية الى طبيعة النظام والمجتمع في لبنان ·

لقد كان النظام قبل الحرب نظام الامتيازات الطائفية · وبما ان الموارنة حصلوا عند الاستقلال على تطمينات وضمانات سياسية ، تحولت مع الزمن الى ميزات اجتماعية ـ اقتصادية ، فقد كان من الطبيعي ان يقفوا الى جانب الوضع الراهن وفيخندق السلطة · ولقد خرج عن هذا الخط مجموعات وشخصيات مارونية كثيرة دفعها وعيها السياسي الى رفض مجتمع الامتيازات والمناداة بالمساواة بين المواطنين · ولكن الكتلة المارونية الاساسية وقفت مع

السلطة والامتيازات بسبب فقرها السياسي ، او الفائدة التي تجنيها من الامتيازات ، او بسبب التعبئة الدينية التي زادت من حدتها المذابح الطائفية وعمليات التهجير المتبادله · وفي الوقت نفسه كان ابناء الطوائف الاخرى يشعرون بالغبن ويطالبون بالغاء الامتيازات · فما ان حملت السلطة السلاح واشتبكت في القتال ، حتى وقف ابناء هذه الطوائف ، بنسب متفاوتة ، الى جانب خصم السلطة التي لم يبق معها من ابناء الطوائف الاخرى سوى المنتفعين من الوضع الراهن ·

وفي المجتمع اللبناني بشكل عام فئتان : تعتبر اولاهما لبنان البداية والنهاية ، وتؤمن الثانية بلبنان ولكنها تعتبره جزءا لا يتجزأ من الوطن العربي · واذا كانت الفئة الاولى تعتبر نفسها قاعدة غربية متقدمة في المشرق العربي ، وتتطلع حضاريا وسياسيا نحو الغرب ، فان الفئة الثانية تعتبر نفسها امتدادا للمنطقة وجزءا من حضارتها ، وتتطلع دائما نحو الشرق · ولذا وقفت الفئة الاولى مع لبنان المنعزل عن هموم المنطقة ومعضلاتها ، وعلى رأسها المسألة الفلسطينية ، وتبنت استراتيجية السلطة ذات الطابع اللبناني القطري، بينما وقفت الثانية مع لبنان العربي الذي لا بد وان يلعب دوره الحضاري في المنطقة ، وان يشارك دولها في صد الغزوة الصهيونية ، وتبنت بالتالي استراتيجية المقاومة ذات الطابع العربي ·

وفي المجتمع اللبناني محرومون ومترفون · والمحرومون بالضرورة ضد سلطة المترفين ، والمترفون يقفون عادة مع السلطة التي تؤمن مصالحهم · وعندما اندفعت السلطة الى الحرب ، وجد المحرومون الفرصة المناسبة لتفجير الاوضاع ، وقلب نظام الاحتكارات التي عانوا منها طوال سنوات · وكان من المنتظر ان يرفع جميع المحرومين حرابهم ضد السلطة ، وان يكون جميع المترفين الى جانبها · ولكن التعبئة الطائفية التي تحدثنا عنها ، والخوف على الامتيازات المارونية ، والعقد المترسبة منذ عدة قرون ، جعلت السواد الاعظم من المحرومين المسيحيين (موارنة وغير موارنة) يقفون الى جانب السلطة (عدوهم الطبقي) ، في حين لعب العامل القومي ، والرغبة في المساواة السياسية داخل الوطن (المشاركة مثلا) دورا في دفع العديد من المترفين المسلمين الى العمل ضد السلطة (حليفهم الطبقي) ، والتحالف عضويا او موضوعيا ، بشكل ظاهر او خفي ، مع حلفاء المقاومة من اللبنانيين الراغبين في التغيير ، او التغيير الجذري (اعداؤهم الطبقيون) ·

وهكذا لعبت العوامل الطائفية والقومية والاجتماعية دورا في شق المجتمع اللبناني · ولكن تشابك العوامل جعل الشقوق متعرجة ، فلم يكن الشرخ عموديا تماما على اساس طائفي او قومي ، كما لم يكن افقيا تماما على اساس طبقي

ـ اجتماعي ، بل كان مختلطا ومتداخلا · وزاد من الاختلاط والتداخل العلاقات العشائرية السائدة في لبنان ، والتي كرسها النظام السياسي بعد الاستقلال · وهناك امثلة عديدة ابرزها المثال الدرزي ، والمثال الزغرتاوي ، والمثال الشيعي · وسنكتفي هنا بالمثال الدرزي كنموذج ·

فالدروز قوميون اساسا ، ومن الطبيعي ان يقفوا مع الاستراتيجية القومية ضد الاستراتيجية القطرية ، مع المقاومة وحلفائها ضد السلطة وحلفائها · بيد ان انقسام الدروز عشائريا الى جنبلاطيين ويزبكيين ، جعل غالبية الجنبلاطيين تقف مع المقاومة (وخاصة بعد وقوف كمال جنبلاط وحزبه مع المقاومة) ، منسجمة بذلك مع تطلعها القومي ورغبتها في الغاء الامتيازات السياسية ، وولائها لاسرة جنبلاط ، في حين حملت قلة من اليزبكيين السلاح مع الحركة الوطنية ووقف العديد منهم مع السلطة او على الحياد ، بسبب موقف الامير مجيد ارسلان زعيم اليزبكيين ، مفضلين بذلك الولاء العشائري ، رغم ان موقعهم الطبيعي هو في خندق المقاومة ·

ومن هنا نرى ان عوامل الانشقاق الموجودة في رحم المجتمع اللبناني قبل الاستقلال ، وقبل وجود المقاومة ، وقبل بدء الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، والتي كرسها النظام ولم يحاول تخفيفها ، كانت وراء الشرخ المتعرج الذي اصاب هذا المجتمع عندما اصطدمت السلطة مع المقاومة · ولا يمكن القول ان المقاومة سببت الشرخ ، وان كانت عاملا ساعد على كشفه · وكل ما فعلته المقاومة منذ وجودها في لبنان انها وجدت في المجتمع اللبناني قوتين : تقف احداهما مع السلطة الراغبة في ضربها على الطريقة الاردنية بسبب التناقض الاستراتيجي الذي تحدثنا عنه ، وتقف الثانية ضد السلطة وضد تصفية المقاومة، فتحالفت مع الثانية لحماية نفسها وتطبيق استراتيجية « الحفاظ على البقاء »، وعندما قامت السلطة وحلفاؤها بالهجوم في نيسان ١٩٧٥ لحسم التناقض الاستراتيجي ، وقفت القوة الثانية الى جانبها « لتكريس عروبة لبنان وحماية المقاومة واصلاح النظام» ، وتحول الصدام من حرب لبنانية ـ فلسطينية الى حرب اهلية لبنانية ذات دوافع مختلطة (قومية ، اجتماعية ، دينية ، عشائرية) ·

ولا ينفي الصفة الاهلية عن الحرب ان السلطة وحلفاءها وجهوها في البداية ضد المقاومة · لان انقسام الشعب اللبناني حول مسألة حماية المقاومة لم يكن سوى تعبير عملي مكثف عن انقسامه حول المسألة القومية · وفي الحرب الاهلية الاميركية (١٨٦١ ـ ١٨٦٥) مثال مشابه · فلقد تحاربت الولايات الشمالية مع الولايات الجنوبية بعد ان اختلفتا حول مسألة تحرير العبيد التي لم تكن سوى تعبير مكثف عن التناقض القائم بين المجتمع الصناعي الرأسمالي في الولايات الشمالية والمجتمع الاقطاعي الزراعي في الولايات الجنوبية ·

ولا يبدل طبيعة الحرب الاهلية اشتراك قوى غير لبنانية فيها • فلقد تدخل الفرنسيون بقيادة المركيز لافاييت في الحرب الاهلية الاميركية ، وتدخلت دول عدة في الحرب الاهلية الروسية ، وقامت المانيا النازية وايطاليا موسوليني بدعم احد الطرفين بينما دعمت فرنسا والاتحاد السوفياتي الطرف الاخر في الحرب الاهلية الاسبانية • والحالة مماثلة في انغولا واليونان وقبرص ولبنان • ولا يمكن تصور اي حرب اهلية يقف فيها الجوار موقف المتفرج ، ولا يتدخلون، بشكل او بآخر ، لدعم هذا الطرف او ذاك • فالتدخل تعبير عن مصالح ، ومن المستحيل ان تكون مصالح الجوار متطابقة مع مصلحة الطرفين المتنازعين ، لان اندلاع النزاع في حد ذاته دليل على وجود تناقض في مصلحة طرفي الحرب الاهلية •

★★★

ان اندلاع الحرب في لبنان وتحولها الى حرب اهلية دامية اخذت كل سمات الحرب الاهلية : الابادة ، قتل الاسرى والجرحى ، الرهائن ، التدمير المتبادل للممتلكات ••• الخ • مسألة ذات مدلولات هامة • فهي تكشف ان في قلب هذا المجتمع تناقضات متعددة كافية ومؤهلة للانفجار في كل لحظة • واي محاولة لاظهار الحرب وكأنها حرب لبنانية ضد الفلسطينيين عبارة عن التركيز على جزء من التناقض (اللبناني ـ الفلسطيني) واخفاء الجزء الاخر (اللبناني ـ اللبناني) • ولا يفيد اخفاء التناقض وتمويهه سوى اصحاب المصلحة من بقاء النظام القديم الذين يفضلون الحفاظ على الوضع الراهن ، بكل ما فيه من احتمالات صدام مستقبلية تلحق بالشعب اللبناني افدح الخسائر ، وتؤثر على الامن القومي تأثيرا بالغ الضرر •

التسليح الايراني والأحلام الامبراطورية

سامي حداد

تدل الاحصائيات العالمية ان ايران كانت في العام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ الزبون الاول للسلاح الاميركي ، وان الدولة الصهيونية كانت الزبون الثاني · ولكن الفرق بين الزبونيين لا يكمن فقط في حجم الاسلحة والمعدات الحربية المسلمة الى كل منهما ، بل يكمن ايضا ، وبشكل اساسي ، في ان ايران تدفع ثمن مشترياتها نقدا او نفطا ، في حين تحصل اسرائيل على القسط الاكبر من السلاح كمساعدات مجانية ·

ولقد كان من الممكن فهم هذا التمايز لو ان مصلحة الولايات المتحدة في تقوية اسرائيل اكبر من مصلحتها في تدعيم العسكرية الايرانية ، ولكن الامر مخالف لذلك اذ لا تقل الخدمات التي تقدمها ايران الى المصالح الاميركية عن الخدمات التي تقدمها اسرائيل · ولا تحتل الدولة الصهيونية في مخططات السياسة الخارجية الاميركية موقعا افضل من الموقع الذي تحتله ايران ·

واذا كانت اسرائيل مخفرا لحراسة جزء من الطريق البحري لمرور النفط الى اوروبا (شمالي البحر الاحمر وشرقي البحر الابيض المتوسط) ، فان ايران مخفرا لحراسة جزء من الطريق لا يقل عنه اهمية (الخليج العربي)· واذا كانت اسرائيل ادة الامبريالية لفرض سيطرتها على جزء من الامة العربية ، فالامبراطورية الفارسية اداة مماثلة لفرض السيطرة الامبريالية في منطقة الخليج · وكلتا الدولتان جزء من المعسكر المعاد لحركة التحرر الوطني العربي ، وجزء من القوى العاملة على منع التغلغل السوفياتي في منطقة تهم الولايات المتحدة استراتيجيا واقتصاديا·

وقد يظن البعض ان السبب في هذا التمايز يرجع الى غنى الدولة الايرانية المنتجة للنفط وفقر اسرائيل ، استنادا الى ان الدخل القومي الايراني يعادل ٣٥ر٦ مليار دولار ، في حين ان الدخل القومي الاسرائيلي لايزيد عن ١١ر٧ مليارا · ولكن هذا الظن لا يلبث ان يتبدد اذا عرفنا ان دخل الفرد سنويا في اسرئيل يعادل ٣٤٨٢ دولارا ، في حين انه يعادل في ايران ١٠٧٥ دولارا (الارقام ماخوذة من احصائيات ١٩٧٤) وهذا يعني أن مستوى دخل الفرد في اسرائيل يعادل حسابيا ٣٢٣ ٪ من مستوى دخل الفرد الايراني ، مع انه يعادل عمليا اكثر من ذلك نظر التباين عدالة التوزيع في البلدين · ولا يمكن تفسير التصرف الاميركي المتحيز

ازاء اسرائيل الا بتأثير الضغط الصهيوني على الادارة والكنغرس الاميركيين وتفوق الصهاينة على الايرانيين في مجال الابتزاز ٠

والحقيقة ان ايران كانت تحصل على السلاح الاميركي في الاربعينات بشروط مناسبة وضمن اطار المساعدات العسكرية التي قدمتها الولايات المتحدة للدول الصديقة بعد الحرب العالمية الثانية ٠ وكانت هذه المساعدات تغطي قيمة الاسلحة والمعدات والتجهيزات ، ونفقات التدريب والصيانة والشحن ٠ ولقد تلقت ايران بموجب برنامج المساعدات ، في الفترة الواقعة بين ١٩٤٩ و١٩٦٠ ، ما تزيد قيمته على مليار دولار ٠(١)

وفي مطلع الستينات ، بدأت الولايات المتحدة تقلص مساعداتهاالعسكرية ، وتشجع تجارة الاسلحة مع حلفائها القادرين نسبيا على الدفع ، بغية تعديل الخلل المتزايد في ميزان المدفوعات الاميركي من جراء الحربفي فيتنام٠ وادى هذا التدبير الى انخفاض المساعدات العسكرية الممنوحة لايران ٠ ومنذ منتصف الستينات ، اصبحت الاسلحةالمشتراة من قبل ايران اكبر من حجم المساعدات ٠

وكان بوسع طهران ان تقف عند هذا المنعطف بحزم ، كما وقفت تركيا ، وان تفهم الاميركيين انها لن تشتري الاسلحة من مال الشعب الايراني ، ولن تقتطع من ميزانيات الانماء الضرورية لاخراج ايران من التخلف الموروث ، من اجل تدعيم القوة العسكرية التي لا تخدم الا مصالح اميركا ٠ ولو انها فعلت ذلك لاضطرت الادارة الاميركية للخضوع ولقامت بتسليح ايران مجانا ،تماما كما سلحت دول الحلف المركزي الاخرى ودول حلفجنوبي شرقي آسيا ٠ ولكان السلاح المقدم الى ايران متناسبا مع مصالح اميركا ٠

ولكن الامور لم تجر بهذا الشكل ، لان نرجسية شاه ايران واحلامه الامبراطورية ، ورغبته في لعب دور الدولة العظمى في المنطقة ، دفعته الى التفكير ببناء قوة مسلحة تفوق متطلبات المصالح الاميركية ، وتحتاج بالتالي لاسلحة تزيد على ما يمكن ان يقدمه البنتاغون من مساعدات واستغلت واشنطن هذه الثغرة ، فطرحت فكرة البيع ، ودغدغت غرور الشاه بالحديث عن ارتفاع دخل ايران عن مستوى الحد الادنى المتعارف عليه دوليا للدول المتخلفة ، فوقع الشاه في الفخ الذي نصبه لنفسه ، وبدأ يشتري السلاح ، ودارت المصانع الحربية الاميركية بالزيت الايراني ٠

وهكذا تزايدت المصروفات العسكرية الايرانية بنسبة تفوق ١٠ ٪ سنويا ٠ وارتفعت الزيادة في العام ١٩٧٠ بما يعادل ٥٠٪ مرة واحدة (٢) ٠ وفي فترة (١٩٧٤ ـ ١٩٧٥) اشترت ايران من الولايات المتحدة اسلحة ومعدات قيمتها ٤ر١٠ مليار دولار ٠ وترجعهذه القفزة المذهلة في الترسانة الايرانية الى رغبة الشاه محمد رضا بهلويباملاء الفراغ الامني المزعوم الناجم عن انسحاب بريطانيا من الخليج في العام ١٩٧١ ، وتامين الاستقرار في المنطقة ٠ كما يرجع الى وفاة الرئيس جمال عبدالناصر ، واعتقاد الشاه بانه غدا قادرا على العمل دون منافسة ، وصار بوسعه ادعاء الحق في تامين الاستقرار في المنطقة ٠

وساعدت الولايات المتحدة هذا التوجه الجديد الذي يحقق لها خمسة مكاسب :

١ ـ ملء «الفراغ» بقوة حليفة مضمونة ، ٢ـ ضمان تنفيذ هذه المهمة بقوة محلية مبنية باموال ايرانية ، ٣ـ زيادة بيع الاسلحة والمعدات لايران ٤ـ ايجاد عامل محفزيدفع الدول العربية النفطية لشراء اسلحة اميركية لموازنة التسليح الايراني الامر الذي يؤدي الى امتصاص جزء من الدخل العربي النفطي ، ٥ـ اضطرار ايران الى متابعة الشراء لتدعيم قواتها وموازنة التسليح العربي الجديد ٠

ولقد شدد الرئيس السابق ريتشارد نيكسون على دعمه لمخطط التسليح الايراني وذلك في خطاب القاه في آب ١٩٧٣ ، خلال زيارةالشاه للولايات المتحدة ، وقال فيه انه يتعهد للشاه بمساعدته كلياً لملء «فراغ القوة » الذي تركه انسحاب بريطانيا (٣) ٠ وكان ذلك بمثابة الضوء الاخضر للبنتاغون ، وشركات التصنيع الحربي ، والسماسرة ، والوسطاء ٠

وجاء ارتفاع اسعار النفط في اعقاب حرب تشرين ليضع بين يدي الشاه ميزانية ضخمة تساعده على تحقيق احلامه ٠ فلقد كان دخل ايران من النفط قبل هذه الحرب ٥ر٢ مليار دولار ، ووصل في العام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ الى ٥ر٢١ مليار؛ ٠ ولكن انخفاض الانتاج الايراني بما يعادل ٣ مليارات ، بسبب تناقص الطلب على النفط من جراء ما تعانيه الدول الصناعية من تضخم وبطالة وارتفاع في الاسعار ، دفع الشاه الى المطالبة بزيادة سعر النفط لسد العجز في ميزانيته ، وتأمين النفقات العسكرية التي وصلت في السنة المالية الحالية الى ٢٧ ٪ من الميزانية الايرانية ، واكثر من ١٢٪ من الدخل القومي ٠

وعندما اصطدمت محاولات رفع الاسعار بمعارضة اميركية ـ سعودية ٠ وتعذر الحصول على ميزانية اضافية ، كان من الطبيعي ان يوقف الشاه توسيع قواته المسلحة ، خاصة وانه ليس بحاجة لقوة اكبر مما يملك ، ولا يتعرض لاي خطر جدي من جيرانه (وسنأتي على توضيح هذه النقطة فيما بعد)، او ان يطالب الولايات المتحدة بسد الثغرة كما تفعل مع اسرائيل وتركيا وباكستان وكوريا الجنوبية ، ولكنه آثر السير على سبيل آخر ، وقرر سد الثغرة على حساب الانماء ، فاعاد النظر في بعض المشاريع الاقتصادية (الصناعية والزراعية) واجل تنفيذ البعض الاخر ٠ وقام بزيارة الى الولايات المتحدة في اب ١٩٧٦ ، عقد خلالها اتفاقية عسكرية اقتصادية مدتها ست سنوات ٠

ولقد تعهدت اميركا بموجب هذه الاتفاقية (الموقعة في ١٩٧٦/٨/٧) بان تبيع ايران اسلحة متطورة قيمتها ١٠ مليارات دولار ، بالاضافة الى منتجات غير حربية قيمتها ٢٤ مليارا ٠كما تعهدت ايران بان تبيع الولايات المتحدة بضائع ومنتجات قيمتها ١٦ مليارا (منها نفط قيمته ١٤ مليارا)، وان تسدد ١٨ مليار دولار نقدا تجمعه من مبيعاتها النفطية للدول الاخرى ٠ولكن الاتفاقية لم تتطرق الى المفاعلات النووية التي ترغب ايران في شرائها بسبعة مليارات دولار٠

وما ان اذيعت انباء هذه الاتفاقية حتى بدأت الاوساط الصحفية والرسمية تتحدث ، بكثير من النقد ، عن ضخامة التسليح الايراني واثره على المنطقة في الظروف الدولية والمحلية القائمة ٠ ورغم اننا ننظر الى التسليح الايراني بكثير من الحذر ، فاننا نعتبر هذا النقد

ظاهرة تستدعي الانتباه • خاصة وان صفقات الاسلحة التي تقدم الى اسرائيل مجانا ، وعلى حساب المكلف الاميركي ومستواه المعاشي ، لا تلاقي اي نقد ، في حين تنصب الانتقادات على ايران مع انها تدفع ثمن ما تحصل عليه •

ولقد اعدت « لجنة شؤون العلاقات الخارجية » في مجلس الشيوخ تقريرا اكدت فيه ان تسليح ايران غدا « **خارج السيطرة** » • ويحذر التقرير الادارة الاميركية من النقاط التالية :

اولا : ان السلاح الذي تحصل عليه ايران متطور الى الحد الذي يجعل من الصعب استخدامه دون الاستعانة بخبراء اميركيين • فالطائرة « تومكات ف ١٤ » ، التي اشترت ايران ٨٠ منها ، متطورة بشكل يجعل البحرية الاميركية تلاقي صعوبة في استخدامها ، والمدمرات الست من طراز « سبروانس» المخصصة لايران ،اشد تعقيدا من المدمرات الاميركية•

ثانيا : ان في ايرانعدد من الخبراء الاميركيين سيرتفع مع الصفقة الجديدة الى ٥٠ــ٦٠ الف خبير • وهذه بداية خطرة تشبه بداية التورط في فيتنام •

ثالثا : ليس هناك ما يسمى « صفقات سلاح غير ملزمة » ، ولذا فان من المتعذر على اميركا البقاء على الحياد في اي نزاعتخوضه ايران ، لان تشغيل الاسلحة وصيانتها يتطلبان وجودا اميركيا يكون بداية التورط •

رابعا : ان بيع الاسلحة الى ايران واسرائيل والسعودية والاردن ،سيضع اميركا في موقف حرج اذا اندلع القتال في الشرق الاوسط بين اطراف متنازعة تسلحها الولايات المتحدة وترسل اليها الخبراء والمدربين •

خامسا : ان المعضلة الاساسية التي تواجه اميركا هي كيفية البقاء خارج ساحة الحرب• والمخرج من المعضلة هو ايجاد حل سلمي للنزاع العربي ــ الاسرائيلي ، وايقاف سباق التسلح في الخليج •

وتختلف وجهة نظر الخارجية الاميركية عما جاء في هذا التقرير • فلقد صرح الدكتور هنري كيسنجر ان بيع الاسلحة الى ايران « لم يخرج من السيطرة » (٤)، وان تسليح ايران يخدم سياسة الولايات المتحدة ومصالحها في الخليج ، كما حددها الرئيس السابق نيكسون عندما اكد بأن السعودية وايران قادرتان على تامين الاستقرار في منطقة الخليج (٥) • واضاف كيسنجر في تصريحه بأن من الامور المتفق عليها ، ان تقدم الولايات المتحدة السلاح للدول الصديقة حتى تدافع عن نفسها •

ورغم تفسيرات وزارة الخارجية ، ورغم ربط التسليح الايراني بسياسة الولايات المتحدة ومصالحها وهيبتها ، فقد استمرت الانتقادات الصحفية وشبه الرسمية •ويرجعذلك باعتقادنا الى عدة اسباب اهمها : ١ ــ حمى الانتخابات الاميركية التي رافقت الانتقادات ، ورغبة الديمقراطيين في تشوية اعمال وانجازات الجمهوريين ، ومن بينها سياسة التسليح الاميركي لايران التي وضع نيكسون (الجمهوري) حجرها الاساسي ، ٢ ــ حرص بعض المنتقدين على نظام الشاه ، وخوفهم من ان يؤدي تخفيض المصروفات الداخلية في ايران الى تذمر

شعبي تعقبه انفجارات عنيفة تدمر النظام وتبعد السيطرة الاميركية عن ايران ، خاصة وان تصرفات الامبراطور الشبيهة بتصرفات حكام القرون الوسطى ، وسياسته الداخلية الرجعية، تشكل مناخا ملائما لنمو الحركات الثورية ، ٣ ــ الخوف من التورط على الشكل الفيتنامي، ٤ ــ الرغبة في مهاجمة الادارة الاميركية التي تحتكر اتخاذ القرارات في المسائل الامنية وقضايا السياسة الخارجية ، ٥ ــ المطالبة بعدم التساهل عند عقد الصفقات ، واستخدامها كوسيلة للضغط على الشاه ، ومنعه من ترؤس حملة المطالبة برفع اسعار النفط ٠

ولقد رافق الانتقادات المبدئية حول تسليح ايران انتقادات ذات طابع شخصي ٠ ففي جلسة عقدتها لجنة فرعية تابعة لمجلس الشيوخ الاميركي تقوم بالتحقيق في قضية بيع طائرات « تومكات ف ــ ١٤ » الى ايران ، عرض مندوب البنتاغون بان القادة العسكريين نصحوا نيكسون ، قبيل سفره الى ايران في ايار ١٩٧٢ ، بعدم بيع هذه الطائرات لجيش الشاه ، ان نيكسون ضرب بهذه النصيحة عرض الحائط ، الامر الذي ادى الى بيع ٨٠ طائرة بسعر ٢ر٢ مليار دولار ٠ ويذكر ان اللجنة الفرعية لمجلس الشيوخ المكلفة بقضايا الشركات متعددة الجنسيات ، استنتجت من الشهادات التي قدمت امامها « بأن السبب في موافقة نيكسون على بيع هذه الطائرات الحربية الحديثة الى ايران يرجع الى الضغوط التي مارستها شركة غرومان عليه » (٦) ٠ والحقيقة ان شركة غرومان استخدمت عدّدا من الوكلاء لمساعدتها على انجاز صفقة طائرات « ف ــ ١٤ » ٠ ولقد انتقد مارتين هوفمان شركتي « غرومان » و « دوغلاس » المشتركتين بانتاج الطائرة « فــ ١٥ » لانغماسهما في منافسات البيع داخل ايران بهدف تسويق منتجاتهما الحربية ٠ وصرح الجنرال الاميركي المتقاعد اليس وليامسون، الذي كان رئيسا لبعثة المستشارين الاميركيين في ايران من ١٩٧١ الى ١٩٧٣ ، ان ايران كانت في مطلع السبعينات « مثل فطيرة طيبة المذاق بالنسبة الى رجال الاعمال » (٧) ، وان ٣٥ من رجال الاعمال الاميركيين على الاقل كانوا يفدون اسبوعيا الى ايران في تلك الحقبة٠

ولقد انتقد الجنرال الايراني حسان توفانيان ، المسؤول الرئيسي عن عقد صفقات شراء الاسلحة للقوات المسلحة الايرانية ، تصرفات شركة غرومان ، واتهمها باعطاء معلومات خاطئة ومضللة عن صفقة طائرات « ف ــ ١٤ » ، وشجب بشدة تصرفات وكلاء الشركة وخاصة « الاخوة ليفي » الذين وصفهم بانهم زمرة من المحتالين ، كما شجب ثلاثة من الايرانيين المقيمين في لونغ آيلند (هوشانغ ، وبارفيز ، ومنصور) الذين ادرجتهم الحكومة الايرانية على القائمة السوداء قبل قيام شركة غرومان باستخدامهم (٨) ٠

ومن القضايا التي اثيرت في هذا المجال ، قضية اتلاف السجلات المالية للبعثة العسكرية الاميركية في طهران (في اب ١٩٧٦) ، بغية اخفاء عمليات سمسرة جرت في مشروع العون الاميركي لايران (٩) ٠

★ ★

هكذا تتضافر الطموحات الشاهنشاهانية ، والمصالح الاميركية ، وضغوطات شركات التصنيع الحربي ، والسمسرات والعمولات في سبيل تدعيم القوة العسكرية الايرانية ٠٠٠كان هذا في عهد نيكسون وفورد ، وسيكون في عهد كارتر الذي لن يقل عن سابقيه اهتماما بامتصاص فائض الدولارات الايرانية ، وتدعيم السيطرة الاميركية على طرق نقل النفط ، وضرب حركة التحرر الوطني العربي ، وموازنة التغلغل السوفياتي في المنطقة اذا تعذر اقتلاعه ٠ وهذا ما يدفعنا الى الاعتقاد بان واشنطن ستتابع السير على سبيل تدعيم القوة العسكرية الايرانية ٠

لقد ذكر هنري كيسنجر ، في معرض الدفاع عن تسليح ايران ، ان الولايات المتحدة تقدم السلاح للدول الصديقة « لكي تدافع عن نفسها » (١٠) . ولكن هذا القول لا ينطبق على جميع حالات تقديم السلاح . فالولايات المتحدة تزود اسرائيل بالاسلحة في الوقت الذي تحتل فيه الدولة الصهيونية اراضي دول مجاورة ، وتهدد باحتلال اراض اخرى ، وتقف في وضع الدفاع الهجومي ، مع التلويح بالتحول الى الهجوم . وهي تزود ايران بالاسلحة للدفاع . ولكن ضد من ؟

ان القوة الايرانية ، مهما تضخمت ، عاجزة عن الدفاع ضد اي خطر سوفياتي . والاميركيون يعرفون ذلك ، ويعرفون ان اوروبا الغربية كلها عاجزة عن الوقوف بوجه السوفيات لولا المظلة النووية الاميركية . ولا تملك الجارة افغانستان اية نوايا عدوانية ازاء ايران ، كما انها لا تملك سوى ٨٨ الف جندي ، و ٣٥٠ دبابة متوسطة ، و ٤٠ دبابة خفيفة ، و ٤٠٠ عربة مدرعة ، و ٥٠٠ مدفع و ١٦٠ طائرة مقاتلة . وهي قوة لا تذكر امام الجيش الايراني الذي يضم ٢٥٠ الف رجل ، و ١١٦٠ دبابة متوسطة (بالاضافة الى ١٦٨٠ دبابة متوسطة و ٢٥٠ دبابة خفيفة تحت الطلب) ، و ٢٠٠٠ عربة مدرعة ، و ٦٥٠ مدفعا ، و ٢٥٢ طائرة مقاتلة (بالاضافة الى ٤٣٥ طائرة اخرى تحت الطلب) (١١) . والجارتان تركيا والباكستان داخلتان مع ايران في الحلف المركزي . وليس للهند مطامع في ايران ،وهي تحاول على العكس تحسين علاقاتها معها باستمرار بسبب حاجتها للنفط الايراني .

ان ايران لا تتعرض لاي خطر من الجوار . وليس لها جيران تتناقض مصالحهم مع مصالحها سوى الدول العربية، التي لم تترك ايران فرصة الا اعتدت بها عليها (السيطرة على الاهواز او عربستان ، دعم الحركات الانفصالية الكردية ، الاستيلاء على جزر طمب الكبرى وطمب الصغرى وابو موسى في العام ١٩٧١ ، المطالبة بالبحرين في العام ١٩٧٢ ... الخ). ولكن ميزان القوى القائم حاليا بين ايران والدول العربية المطلة على الخليج العربي يضمن التوازن حتى دون حساب الاسلحة التي ستصل الى ايران خلال السنوات الست المقبلة . ولا يرجع ذلك الى ان العرب لا يملكون القوة ، بل يرجع الى ان جزءا من قوتهم مكرس لصد الغزوة الصهيونية .

ومن هنا نرى ان القوة الايرانية لا تعد للدفاع كما يدعي كيسنجر ، بل تعد اساسا للعدوان على الدول العربية ، او للتهديد بالعدوان . ولا يشكل تزايدها وسيلة استقرار وسلام في منطقة الخليج بل يشكل على العكس وسيلة توتر وعدم استقرار ، تكمن وراءها احلام امبراطورية عفى عليها الزمن .

المراجع

١ ـ
SIPRI, the Arms trade with the Third World (Stockholm , Peace Research Institute, Almquist and WickSell, 1973) P.P. 576 - 577

٢ ـ المصدر السابق ص ٥٧٩ ـ راجع

ايضا :
SIPRI, Yearbook : World Armement and Disarmement , 1972 , P. 103

٣ ـ
U.S. Department of State Bulletin , Vol . Lxix No 1782 (August , 20 , 1973) P.P. 275 - 276

٤ ـ واشنطن بوست ، ٨ آب ، ١٩٧٦ .

٥ ـ حدد نيكسون سياسة الولايات المتحدة في منطقة الخليج في تقرير نشر في :
The Department Of State Bulletin , Vol. Lxiii , No 1771 , June 1973 , P. 788 .

٦ ـ نيويورك تايمز ، ٢٨ ايلول ، ١٩٧٦

٧ ـ المرجع نفسه ·

٨ ـ نيويورك تايمز ، ١ تشريـن الاول ، ١٩٧٦ ·

٩ ـ نيويورك تايمز ، ١٦ ايلول ، ١٩٧٦ ·

١٠ ـ واشنطن بوست ، ٨ اب ، ١٩٧٦ ·

١١ ـ الارقام الخاصة بالتسليح ماخوذة من المرجع التالي ، ومعدلة من اجل العـــام ١٩٧٦ :

Military Balance 1975 — 1976 . The International Institute For Strategic Studies , London .

الامبرياليّة والقارة العربيّة

نبيل قاسم

(١) تشكل الرأسمالية في العصر الامبريالي ـ الرأسمال المالي بالمعنى الذي يحدده لينين ـ نظاما عالميا : السلسلة الامبريالية العالمية أو النظام الامبريالي العالمي · ولكننا نستطيع تمييز مناطق وتكتلات ومجموعات اقليمية داخل هذا النظام ، باختصار ، نستطيع تمييز « انظمة تابعة » او « سلاسل تابعة»· وهذه هي حالة القارة العربية · ولكن التماسك الذي يحكم كلية النظام الامبريالي العالمي هو كثير التعقيد ، انه يجيز في غضون ذلك استقلالية نسبية خاصة بشروط كل « سلسلة تابعة » ضمن تحديد النظام الامبريالي العالمي ·

(٢) اخضعت الامبريالية القارة العربية لنظام معقد من الهيمنة نطلق عليه « السلسلة الاقليمية التابعة للامبريالية » هذه الاخيرة تتمفصل على محورين او سلكتين للتبعية·

المحور الاول : السلكة العامة للتبعية الامبريالية ·

المحور الثاني : سلسلة السلكات الخاصة للتبعية ·

هذا المحور المزدوج الذي يعيد انتاج « السلسلة الاقليمية التابعة للامبريالية» ونظام السيطرة الذي يقابلها ، هو محور معاصر ويتبع واحده الاخر ، انه يؤلف كلا متمفصلا ومتنمذجا · بمعنى اخر ، لا يعمل المحور الاول بدون او على جانب او خارج او حتى بطريقة متوازية بالنسبة للمحور الثاني والعكس صحيح ، كل محور من الاثنين هو شرط وجود الاخر ، اي كل واحد منهما يوجد في الاخر · ضمن هذا الشرط يصبح تمييز **الاساسي** محددا بالمحور الاول عن **الرئيسي** محددا بالمحور الثاني له معنى ·

(٣) المحور الاول : السلكة العامة للتبعية الامبريالية ·

هذا المحور يخص العالم العربي كما **هو** ، وظيفته الرئيسية اعادة انتاج الشروط العامة للاشكال اللامباشرة للهيمنة الامبريالية · بهذا المعنى نستطيع

تمييز التناقض الاساسي في الاطار التاريخي المشترك لمجموع الشعب العربي، هذا التناقض هو الذي يضع الشعب العربي مقابل اعدائه الاساسيين ٠ الشعب العربي ـ الامبريالية ـ الصهيونية ـ البورجوازيات العربية ٠

وفي كل مرة يجب ان نشير الى ان هذه « العناصر » الثلاثة (او «الظواهر» بالمعنى الذي يعرفها ماو : الظواهر هي التعارضات التي تتواجه وتتقابل في تناقض ما) المكونة للتناقض الاساسي لا تتوجد على نفس المسطح ونفس الارضية ولا تحمل نفس الوظيفة ، لان التناقض الاساسي ليس كلا اصيلا وبسيطا ولكنه بنية : اي نموذج مترابط ، متسلسل ومتمفصل ٠

واذا تصرف كل واحد من « الظواهر » الثلاث ضمن تحديد تاريخيللامبريالية باستقلالية نسبية ، فهذا لا ينفي استمرار العلاقة الصهيونية ـ الامبريالية كونها مبنية بعلاقة متميزة ومحددة بهويتها الطبيعية ، بالرغم من ان ظاهرة « بورجوازية عربية » توجد على مفصلة المحور الاول وفي سياق المحور الثاني ٠

(٤) هذا التناقض الاساسي يظهر كأنه لا متغير للحقبة التاريخية الجارية : انه لا ينجز ولا يأخذ طريقه الى النهاية الا عبر ايجاد الحل الصحيح ، والذي يتضمن بالضرورة هزيمة الامبريالية وابادة الكيان الصهيوني وهزيمة البورجوازيات العربية ، وهذا لا يتم الا بوضع مشروع الوحدة العربية على طريق الحركة ٠ ان حرب التحرير الشعبية هي التي تستطيع حل التناقض الاساسي ، بشرط فهم الوحدة التي نتحدث عنها كغاية وليس كنقطة انطلاق ، بهذا الشيء تصبح هذه الوحدة **الهدف واطار التحقق** للثورة العربية في المرحلة الديمقراطية الوطنية ٠ عندئذ سوف تستعاد في الاساس وحدة الجماهير العربية في صراعها ضد اعدائها الاساسيين ، فلا تصبح وحدة الشعب العربي هذه عاملا ايديولوجيا موطدا فقط ، بل تؤلف الشرط المحدد الذي نرتضيه للتحرر « الحقيقي »٠

(٥) المحور الاول الذي يحدد « الاشكال اللامباشرة » للهيمنة الامبريالية ينقسم الى ثلاثة سلكات متمفصلة :

(أ) سلكة «اقليمية »لتقسيم العمل ٠

(ب) سلكة البلقنة ٠

(ج) سلكة الاخضاع ٠

هذه السلكات الثلاث هي تبادليا سببا ونتيجة كل واحدة بالنسبة للاخرى او

كما قال ماركس « تسند بعضها البعــض »٠

(٦) المحور الاول يفترض التحرر «الصريح» اي التحرر الوطني ، انه يفــرض على كل « مجتمع عربي » خاضع موقعا ووظيفة مناسبة لهذا الموقــع في حضـــن السلسلة الاقليمية التابعـــة للامبريالية ، موقعـــا ووظيفة محددين في « التقسيـم الاقليمي للعمل » ، هذا التقسيم هو الذي يحــــدد تــــوزع الاعمـــال ، بحيث ان هذه « المجتمعــات العربية »تتم وتتحقق في « السلسلة الاقليمية التابعــــــــة للامبريالية » بالنسبة للموقع الذي تشغله (محدد في سلكة البلقنة) ٠

(٧) هذا المحور الاول يعيد انتاج القارة العربية بـ :

(أ) اسرائيل ـ فلسطين ٠

(ب) الاقطار ٠

(ج) الكيانـــات ٠

(٨) اسرائيل ـ فلسطين :

وظيفة الكيان ـ الدولة الاسرائيلية مقصورة بالتكون الوحيد للمحور الاول ، وهي وظيفة خارج اقتصادية : اسرائيل لا تستل ولا تنهب العالم العربي٠ اسرائيل تمثل « لحظة العنف الامبريالي » الضرورية لاخضاع (سلكة الاخضاع) الجماهير العربية والبورجوازيات التي بحالة قطيعــة مع الامبريالية ، قطيعة ضروريـــــة طالما ان المجتمعــات العربية ليست حبلى بالتطور الرأسمالـــي الـــذي لا يهتم باستمرار المداخلة والتوسط الاجنبي ٠

(٩) الاقطار : مصر ـ سوريا ـ العراق ـ الجزائر ٠٠٠ اليمن الديمقراطيـــة تؤلف ضمن اطار الاقطار حالة على حدة ؟

لنقل حتى نتنقل الى المهــم ، ان هــذه الاقطار هي « تشكيـــلات اجتماعـية » حيث نجحت في تركيز رأسمالية منتجة او بشكل عــام « نمط مترسمــل » (أي بدون عــلاقه مع علاقات الانتاج الاولية) بالحقيقة خاضع ، ولكن مع ذلك ذاتـــي المركز ٠ نظام مترسمــل ذاتي المركز يعــني ان عــناصر الانتاج لرأسمال معـين متصلة بمدى وطني واحد ، بالرغــم من ان عناصر هكذا انتاج هي منخرطـــة (بشكل غير مباشر ما بين عــامي١٩٦١ ـ ١٩٧٢ وبشكل مباشر في السنـــوات الاخـرى) بالنظام الامبريالي العــالمي ٠

ان اعادة انتاج العلاقات الراسمالية او المترسملة هي جوهريا من الشكل الاجتماعي نفسه ومن نمط تكراره وتجدده ، وهذا ما نسميه تحكم وسائل الانتاج الذي يحدد تقسيم الاشكال الاجتماعية الى طبقات متخاصمة ·

ولكن هذا لا يعني ان تاريخ « الاقطار » ولد بورجوازية وطنية وبالتالي راسمالية وطنية · بورجوازية وطنية يعني بورجوازية مستقلة وفي حالة **قطيعة اساسية** مع الامبريالية وتصبح على هذا الاساس جزءا مأخوذا في **صراع جذري وغير مرتد** مع الامبريالية تكون غايته التحرر « الحقيقي » « وثورة وطنية حقيقية » ·

(١٠) « ثورة حقيقية » لا تكون الا بالعصيان العام للجماهير الشعبية مرة واحدة وضد الامبريالية وضد الطبقات الملحقة في السلطة (البرجوازيات الوسيطة ـ الامراء ···)

«ثورة حقيقية» هي تلك التي ترتب قطيعة اساسية مع الامبريالية وتبني اقتصادا وطنيا (حالةاليمن الجنوبية ؟)

اننا نرى في غضون ذلك ثورات ولكنها ليست « ثورات حقيقية » وهذه هي تحديدا حالة « الاقطار » ، لقد حققت هذه الاخيرة قطيعة جزئية مع الامبريالية (مصر عبد الناصر ـ سوريا وعراق البعث ـ الجزائر المستقلة ـ ليبيا (؟) كل واحدة منها بالشروط الخاصة بتاريخها) · هذه « الجذرية السلطوية » الخاصة بالاقطار اوصلت طوال مرحلة من تاريخها الى تغيير ثانوي في العلاقه مع الامبريالية ، ولكنها لا توصل في النهاية الا الى اعادة انتاج الراسمالية او النمط المترسمل تحت اشكال من التبعية الجديدة والمتجددة · يجب ان نعرف كيف نغير الاشياء حتى لا تتغير ·

هذا النوع من الثورات تقوم به « الشرائح البرجوازية » ، الضباط الصغار للبرجوازية الوطنية ، انها تعمل عمل الاجزاء الراديكالية لبعض « المهن الليبرالية » بقطيعة ايديولوجية مع الامبريالية وبقطيعة مع الطبقات المحلية السائدة (المثقفين الراديكاليين) وتعمل بالنهاية عمل « الكوادر العسكرية » ·

بشكل عام هذه الاجزاء الراديكالية هي ضد الامبريالية ولكن ليس بالضرورة ضد الراسمالية وانها تتحرك في قلب وضعية ثورية موضوعيا من اجل ان تحتكرها لمصلحتها ومن اجل القيام بجملة من التغييرات السياسية والاقتصادية: نمو بورجوازية دولة وراسمالية دولة وتوطين « جعله وطنيا » وانماء القطاع

الشعبي ، اتاحة التصنيع بشكل كثيف ، احتكار التجارة الخارجية ،اصلاحات زراعية ... نوع من « الثورة من فوق » او كما يقول انجلز «ثورة على الطريقة البسماركية » من اجل ذاتية المركز كما هي ، هذه الرأسمالية أو هذا النمط المترسمل يبقى اذن في موقع تبعية في مواجهة رأس المال المالي الدولي .

(١١) ان النظم الانتاجية لهذه الاقطار **تبقى مترابطة ، فالسلسلة الاقليمية التابعة للامبريالية تساعد جزئيا سلكة الانتاج الدولية مستعملة قوة العمل الاقل نوعية الاكثر عددا والاقل كلفة في نفس الوقت التي تستمر في الاتجاه نحو السوق العالمي** (بشكل غير مباشر وباستدارات معقدة) **حيث تتحقق قيمة الدخول .**

اذ ذاك وفي الأساس لا يتغير اطلاقا موقع التبعية : انه يتغير ثانويا بمقدار ما يتعلق بالسلكة التكنولوجية لانتاجية العمل وبشبكة معقدة من العلاقات الوكالية (بالوكالة) مع الرأسمال العالمي ، بالعمل المالي الخ .. وبالمقدار التي وحدها السلع الناضجة قد تحققت في السوق العالمية المهيمن عليها بالرأسمال المالي العالمي .

(١٢) من اجل ان يكون كذلك يصبح « سهلا » نسبيا على الامبريالية مرورا بصراعات شرسة وعينية ان تسترد سياسيا هذه الشرائح البورجوازية الراديكالية . هذا الشيء حصل : بشكل شبكة دقيقة الاجزاء منذ ١٩٦٧ ، وبشكل تظاهري بدون خجل ولا تأنيب منذ اكتوبر ١٩٧٣ ؟ ان توبتهم هذه هي بالنهاية منقوشة بنفس منطق ثورتهم .

(١٣) الكيانات العربية : لبنان ـ الاردن ـ الدول النفطية .

الملفت عبر تركيزنا على المهم ان هذه الكيانات لا تؤلف تشكيلات اجتماعية ، انها لم تنجح حتى في توسيع ورقي نظام انتاجي مهيمن في نطاق مداها الوطني ، ذلك ان نوعية التراكم داخلها هو بالاكثر تراكم ثروة اكثر مما هو تراكم رأسمال متصل مباشرة بالنظام الانتاجي العالمي . لهذا فان هذا التراكم هو تراكم خارجي المركز ومرتبط مباشرة بالرأسمال العالمي . خارجي المركز تعني ان عناصر هكذا تراكم ليست متصلة في اطار مدى وطني واحد ولكنها مبعثرة على طول النظام الامبريالي العالمي ، لان تراكم الثروة هذا متأت من بزل (بزل الشيء اي استخراج فائضه « غير النافع ») فائض القيمة العالمي المنتج داخل النظام الانتاجي العالمي ، انه يأخذ شكل تراكم رأسمال نقدي .

(١٤) هناك ثلاثة انواع من الكيانات داخل عالم الكيانات العربية الواسع :

● لبنان : هيمنة سلكة رواج رأس المال ·

● الاردن : يحيا او بالاحرى يبقى حيا بالاوامر الصماء للراسمال الاجنبي : الولايات المتحدة الامريكية ـ بريطانيا ـ الدول النفطية ـ المانيا الاتحادية ·· واذا كانت الامبريالية تحمله على منكبيها فذلك لاسباب سياسية واضحة ·

● الدول النفطية : هيمنة « عائدات الملكية النفطية » (الجزائر ، العراق ، وليبيا تقبض ايضا جزءا من « عائدات الملكية النفطية » ولكن في حالة الدولتين الاولين هذه العائدات يعاد تشغيلها في اطار النظام الانتاجي الذاتي المركز ، اما مصير ليبيا فلم يلعب بعد : انها كيان في مرحلة الانتقال الى قطر) ·

في حالة الكيانات العربية ليس تحكم وسائل الانتاج هو الذي يحدد تقسيم « المجتمع ـ الكيان » الى طبقات متخاصمة ، ولكن احدى الاواليات المحددة لهيمنة طبقة مبني على قدرة بعض هذه الطبقات على تحيقق تراكم الثروة وتوزيعها ·

(١٥) اذا كانت الاقطار تؤلف دولا حقيقية اي دولا قوية ، فالكيانات ليست سوى دولا هزيلة وخاضعة في العمق ، انها كيانات معارضة في الداخل وملحقة عضويا بالامبريالية خارجا ، « بالارتهان الكامل » للامبريالية تؤلف هذه الكيانات قوة لنظام الهيمنة الامبريالية ، حتى استقلاليتها ليست واضحة : انها في الحقيقة استقلالية « اسمية » ·

(١٦) المحور الثاني : نظام السلكات الخاصة للتبعية الامبريالية ·

المحور الثاني يشتمل مجموعة السلكات الخاصة للتبعية الامبريالية ، وبهذا المعنى فانه لا يخص مباشرة القارة العربية كما هي بل يخص مباشرة كلا من اقطارها وكياناتها ماخوذة بشكل افرادي ·

ولكن اذا كانت كل واحدة من هذه السلكات تستقل كل منها عن الاخرى فلا يعني هذا انها منفصلة عن بعضها · وبصورة معكوسة فان اسباب ونتائج « السلسلة الاقليمية التابعة للامبريالية » ومجموعة السلكات الخاصة للتبعية الامبريالية تشكل نظاما : لاعادة الانتاج الاقليمي الامبريالي ·

(١٧) ضمن تحديد المحور الاول او السلكة العامة ، فان وظيفة المحورالثاني هي اعادة انتاج الشروط الداخلية « للاشكال المباشرة » للتبعية الامبريالية داخل كل قطر وكل كيان على حدة ، تحت هذه « الاشكال المباشرة » يتحقق بالشروط الخاصة لكل قطر او كيان شكل تحكم النظام الانتاجي من جهة (حالة الاقطار وكل

سلكات الانتاج المباشر في الكيانات) ، وانظمة الرواج من جهة ثانية (حالة الكيانات ، والاقطار ايضا) مع ما تفترضه هذه الوضعية المتشابكة من امتزاج . وبالتالي فان هذه «الاشكال المباشرة » تتحقق تحت شكل استثمارات مباشرة لرؤوس الاموال الاجنبية الظاهرة او المنحجبة بشكل رساميل مسماة وطنية . هذه « الاشكال المباشرة » تتحقق بشكل متناسب مع استقلال الجماهير الشعبية البروليتارية في الاطار الخاص للمدى الوطني . باختصار ، هذه « الاشكال المباشرة » تتحقق تحت شكل تحكم مباشر او غير مباشر بسلكة تراكم رأس المال (حالة الاقطار) وتراكم الغنى (حالة الكيانات) .

(١٨) هذه « الاشكال المباشرة » لا تتحقق بالنسبة للقارة العربية في اطار تشكيلة اجتماعية عربية واحدة ، ولا في الاطار « المجرد » للعالم العربي ، ولكن **بطريقة داخلية** في كل من الاقطار والكيانات مأخوذة بذاته وبالشروط الخاصة لكلٌ قطر وكيان .

انه جلي للبيان ، ان نمو هكذا نظام معقد من « السيطرة المباشرة » مترافق بالضرورة مع توسع ونمو مقابل لللاتكافؤ ، ليس فقط بين مختلف البلاد العربية، ولكن أيضا بين مختلف « القطاعات الاقتصادية » ، وهذا لا يتم دون اعادة ترسيخ سلكة البلقنة .

يستتبع هذا ان المحور الثاني هو عكسيا سبب ونتيجة لسلكة البلقنة ، وبصفته هذه يستتبع كشرط ضروري اعادة انتاج الدول العربية على اساس دول عربية « مستقلة » .

(١٩) لكي نلخص ما ذكرنا ، وضمن التحديد التاريخي للمحور الاول ، يعرف المحور الثاني لكل قطر وكيان مأخوذ على حدة « نمط التحاق » خاص في «السلسلة الاقليمية التابعة للامبريالية » مندمج « بنمط تمفصل » خاص بالنظام الامبريالي العالمي .

كل من هذه العمليات الخاصة تحدد اذن ، لكل قطر او كيان علاقة مميزة عن الامبريالية ، حيث يستقل في داخلها تاريخ متميز لكل قطر وكيان .

اشكالية حركة التحرر العربي :

(٢٠) التناقض الاساسي هو التناقض الذي بوجوده ونموه يحدد ويشرط وجود ونمو التناقضات الاخرى ومنها التناقض الرئيسي .

بهذا المعنى يكون التناقض الاساسي هو « ثابت البنية التاريخية » بمعنى ان جوهر سلكة التاريخ محددة بالتناقض الاساسي وتلك السلكة نفسها لا تتلاشى قبل اتمام السلكة التاريخية بحد ذاتها : هزيمة الامبريالية ، تصفية الدولة الصهيونية وهزيمة البورجوازيات العربية ·

وكون التناقض الاساسي هو ثابت البنية التاريخية فهو يلعب الدور المحدد ويثبت الموقع المحدد على طول مسيرة السلكة التاريخية· ولكن بالرغم من ان جوهر التناقض الاساسي يبقى ثابتا فان « اشكال ظهوره » اي انماط ظهوره تتغير تبعا للظروف ولتشابك الاحداث · بعض الظواهر (التعارضات التي تتواجه وتتقابل في تناقض ما) تتشكل وتبرز ، والبعض ينحل او يخف وقتيا او جزئيا والبعض الآخر يولد ويأخذ شكلا ، لهذا نجد عدة حقب او (مراحل) في السلكة التاريخية لنمو التناقض الاساسي ·

(٢١) اما التناقض الرئيسي كلحظة في التقاء الاحداث هو الذي يلعب الدور المهيمن ، هو الذي يحتل موقعا مهيمنا في التقاء الاحداث السياسية او الحقب السياسية المعطاة ، كلحظة في التقاء الاحداث يظهر التناقض الرئيسي **كنمو ظهور** التناقض الاساسي ، بمعنى انه يكثف (بالمعنى الذي حدده لينين عن ان «السياسة هي تكثيف للاقتصاد ») مجمل علاقات القوى المحلية والعالمية بمجابهاتها ومعاهداتها في اللحظة المعطاة لتاريخ الشعب العربي في علاقاته المتناقضة مع البورجوازيات في السلطة وبواسطة تناقضاته الداخلية (الداخلية بالنسبة للبورجوازيات العربية) ·

باختصار ، ان التناقض الرئيسي يظهر كمكثف لنظام التناقضات الذي يحكم تاريخ الشعب العربي في لحظة من لحظات نموه ·

(٢٢) انه لا يشكل اذن ثابتا لتاريخ الشعب العربي ، بل يتغير طوال مسيرة سلكته التاريخية ، **بفعل تطور** نظام التناقضات تحديدا، وعلاقات القوة التي تشكل قاعدته ·

ان سلسلة التناقضات الرئيسية هذه تعمل **كنظام تحولات** للتناقض الاساسي ، نظاما يكشف طوال تاريخ نموه الظواهر الجديدة للتناقض الاساسي خلال نموه ·

وهذا هو الحل الصحيح ، في كل مرة من سياق التناقضات الرئيسية مأخوذة كبانية للتناقض الاساسي ينبع في النهاية الحل الصحيح للتناقض الاساسي نفسه، لان هناك بعدا سياسيا عن التاريخ الذي لا نستطيع تجاهله ضمن جهد ان نظل في هامش التاريخ الذي يصنع ·· وايضا وايضا حلول مختلفة معطاة لتناقضات

رئيسية مختلفة ، وشروط من خلالها تحل مختلف هذه التناقضات الرئيسية التابعة ونضج وتسارع الحركة الثورية العربية : باختصار استراتيجية حرب الشعب العربية ·

(٢٣) في الشكل الواسع للتناقضات الرئيسية نستطيع تمييز ثلاثة ابواب :
ـ الباب الاول : وهو الذي يتجذر بشكل رئيسي في احد الاقطار ، انه يحرك بشكل متفاوت الطبقات الشعبية ضد الطبقة السائدة في السلطة (مصر ١٩٥٢ ـ سوريا الانقلابات العسكرية ـ عراق ١٩٥٨ ـ اليمن الجنوبية) انه في داخل هذه الحالات ولدت الشرائح البورجوازية الراديكالية ·

ـ الباب الثاني : وحقل فعله العالم العربي نفسه ، انه يكبت « مواقع النفوذ » التي تنتج عن الباب الاول ، انه يحرك بشكل متفاوت الطبقات الشعبية للاقطار تحت قيادة الشرائح البورجوازية الراديكالية في وجه البورجوازيات العربية المرتهنة بلا شروط للامبريالية · كمثل على ذلك :

(أ) ـ مصر الناصرية « ومواقع نفوذها » مع لحظة ذروتها سنة ١٩٥٨ : الوحدة المصرية السورية ـ الحرب الاهلية في لبنان ـ الانقلاب العسكري في العراق ـ وبعد ذلك الحرب الاهلية في اليمن والانقلاب العسكري في ليبيا ·

(ب) ـ حركة المقاومة الفلسطينية و « مواقع نفوذها » ولكن على النمط الدفاعي هذه المرة :

الحرب الاهلية الوقائية في الاردن (حزيران ١٩٧٠ ـ تموز ١٩٧١) ـ الحرب الاهلية الوقائية في لبنان في مختلف اشكالها (نيسان ١٩٦٩ ـ ايار ١٩٧٣ و ١٩٧٥ و ١٩٧٦) ·

ـ الباب الثالث : حيث التناقض الاساسي يأمر التناقض الرئيسي ، انه يعارض « القارة العربية » بالصهيونية · وفي هذه الحالات ، « ظواهر » (التعارضات التي تتواجه وتتقابل في تناقض ما) هذه السلسلة من التناقضات الرئيسية قد تطورت بالشكل التالي :

١٩٥٢ ـ ١٩٧٣ : وضعت هذه الفترة بشروط نمو متفاوتة حركة الجماهير العربية بمجملها تحت قيادة الاقطار ضد الامبريالية والصهيونية و «الحياد الرديء» المرتهنين كليا ·

١٩٧٣ : في هذه الفترة يتحرك التناقض الرئيسي بشروط نمو متفاوتة ،والجماهير

العربية في مجملها تحت قيادة عصبوية مجموع البورجوازيات العربية في السلطة (الاقطار + الكيانات) ضد الصهيونية (كمظهر رئيسي للتناقض الاساسي) والامبريالية (كمظهر ثانوي للتناقض الاساسي) في نفس الوقت الذي يضعها (اي البورجوازيات) في تناقض مع الجماهير العربية ·

(٢٤) هذا الترتيب المختصر الذي يحمل فروقات صغيرة ويتضمن مزيجا متنوعا ، لا يجب ان ينسينا ان مجمل هذه الصراعات « الوطنية » هي على نفس الارضية ومحمولة بسلسلة معقدة ومتباينة من الصراعات الداخلية المنتجة بفعل السلسلة المتباينة للمشكلات الخاصة للتبعية الامبريالية التي تقيد كل جزء من الشعب العربي (اقطارا وكيانات) ·

طبعا هذه الصراعات الداخلية السهلة التحقيق والتوحيد في حالة الاقطار، هي سهلة التحقيق تحت « اشكال متغيرة » ، تحت « اشكال متحولة » ، اشكال مشتقة وفاسدة في حالة الكيانات · هذه الصراعات تواجه حسب سلكة تشابه قوي التعقيد ، الطبقات الشعبية وبورجوازيتها في السلطة في الاطار الخاص للمدى الوطني ·

غير انه ضمن التحديد التاريخي للتناقض الاساسي تتعاظم هذه السلسلة من « التناقضات الداخلية » وضمن هذا التحديد تتناسل في بعض الحالات كتناقضات رئيسية ·

اذ ذاك وفي اي حال ، هذه السلسلة من « التناقضات الداخلية » لا تجد نهايتها بذاتها : لا تكون اطلاقا في الحقبة الديمقراطية الوطنية محددة ، حتى ولو ارادت ان تتولى ظرفيا « اشكالا مهيمنة » ·

يجب ان لا نجهل اطلاقا البعد المهم « والاساسي » لكل سلكة من « التناقضات الداخلية » او « الازمة الداخلية » حتى عندما نعرف تناقضا رئيسيا ·

(٢٥) هذا لا يعني اطلاقا ان حركة التحرر عليها في هذه المرحلة التاريخية ان تقفز سلم « التناقضات الداخلية » بشكل حازم ، او عليها ان تجمد

اذا كان واضحا انه في عملية سلكة التحرر العربي لا يمكن ان نطابق السبق على التحولات الثورية للمجتمع (خاصة بالمرحلة الاشتراكية) ، يكون واضحا ايضا انه نستطيع ان نرى في هذه السلكة نفسها وجوها محددة ،بنفس

منطق هذا التقدم الذي يتطلب بذاته تحولا في هيمنة الطبقة وقلبا لعلاقة السلطة السياسية مع ما يستتبعه من تحولات في العلاقات الاجتماعية (كلحظة هيمنة ـ تحديد) ، الا ان ضعف الطبقات في السلطة يجعلها غير مؤهلة لدفع سلكة التحرر العربي الى الامام ·

امام هذا الكابح لا بد ان تنشأ حرب اهلية لتعيد مسيرة التحرر العربية الى الامام · الناصرية بين غيرها هي المثال المعبر على ذلك ·

(٢٦) يظهر اذن ان الحرب الاهلية المكونة بامتزاج التناقضات الداخلية والتناقضات مع الامبريالية ـ الصهيونية ـ (المرتهنة) ، ضمن تحديد هذه التناقضات ، هي مركب هام ، لخطة جوهرية ، مرحلة فاصلة على طريق حرب الشعب العربية التحررية ·

ولم تكن الانقلابات العسكرية التي حقبت مرحلة ١٩٥٢ وحتى ١٩٦٧ـ٧١ تاريخ الاقطار ، لم تكن سوى محاولات ناجحة لنحر امكانيات الحرب الاهلية النابعة عن الوضع في تلك المرحلة المميزة بانهيار الطبقات الحاكمة ؛ كانت الانقلابات العسكرية بمثابة حروب اهلية مجهضة ·

اذا كانت هذه البورجوازية الراديكالية لا تلزم الامبريالية على اتخاذ فعل بقطيعة لا عودة عنها ، واذا لم تعدل على الصعيد الداخلي « الجذر »نفسه لهيمنة البورجوازية ، واذا كانت قد ازعجت الامبريالية منذ سنة ١٩٥٢ وحتى ١٩٦٧ مؤدية لاضعاف الشروط العامة لوضع اليد الامبريالية على الاقطار العربية ومؤدية لاعادة طرح قضية سلكة حركة التحرر العربي في الشروط الواضحة لها ، فان هذه البورجوازية الراديكالية ترتب على الصعيد الداخلي تغييرات تنجح في تعديل « اشكال » الهيمنة البورجوازية والتبعية للامبريالية ·

(٢٧) يظهر اذن ان التناقضات الداخلية التي تجتاز وتحكم سلكة حركة التحرر العربية ، ليست عاملا خارجيا لهذه السلكة نفسها · هذا يقودنا لطرح مشكلة « طبيعة » هذه التناقضات الداخلية في عصر التبعية الواضحة حيث عالمية رأس المال تصبح المظهر المهيمن للاوالية الامبريالية ·

هذه التناقضات الداخلية ليست ناتجة عن نمو الرأسمال الوطني التي تضع وجها لوجه بشكل اساسي طبقة عاملة وبورجوازية وطنية ، هذه التناقضات الداخلية منتجة بالنمو نفسه للرأسمال المالي الدولي (ضرورة توسيع قاعدته الاستغلالية ، تقوية علاقاته الاستغلالية ـ الانتاجية ، توسيع دورته الانتاجية وتراكم رأس المال ···) ·

في الحقيقة ، ارادة الهيمنة الامبريالية ، ضرورة توسيع قاعدة استغلالها وسيطرتها دون انقطاع (شروط رئيسية من اجل دفع التراكم العالمي) تقضي على الرأسمال العالمي بتضييق تدريجي « لطوق » الاشكال المباشرة لسيطرتها: هدم علاقات الانتاج القديمة ومجمل العلاقات الاجتماعية القديمة ، قل المترسبة، لتضع مكانها علاقات انتاج رأسمالية (الاقطار خصوصا بعد ١٩٧٣) او علاقات رأسمالية – رواج – توزيع ، لكي تحفظ جيدا دوران – رواج الرأسمال العالمي (حالة الكيانات آخذة بعين الاعتبار التمازج الخصوصي الذي تستلزمه وضعية العالم العربي المعقدة ٠

وتتحكم الرأسمالية بجميع هذه الاوضاع بشكل مباشر او غير مباشر مثلما كان الوضع ابان مرحلة انتفاضة البورجوازيات المتجذرة ٠

منذئذ ، الرأسمال المالي العالمي ، وهو يمد اذرعه ، يقيم تدريجيا قوانينه الخاصة وعلاقاته الخاصة ، وهو متهم حتى يحقق مشروعه في –اعادة التحول، – اعادة الدورة – و – اعادة التراتب – (علاقات تفكك – بقاء) لمجمل « المجتمعات العربية » التقليدية : يصفي تدريجيا بعض الطبقات واجزاء الطبقات والشرائح ، يصفي تدريجيا بعض العلاقات الاجتماعية القديمة « المترسبة » بكثرة ، لان اعادة انتاج هذه الطبقات وهذه العلاقات الاجتماعية يؤلف عقبة امام الانتاج الموسع للرأسمال العالمي وامام التراكم العالمي ٠

يصفيها ليقيم مكانها مجموعة طبقية وعلاقات اجتماعية حديثة ، اي مرتبطة مباشرة بتراكم رأس المال على صعيدي الانتاج (حالة الاقطار) والرواج (حالة الكيانات) او على صعيد استخراج المواد الاولية كوسائل انتاج (حالة الكيانات – الدول البترولية) ٠

ولكن هذا الميل التاريخي للامبريالية متصادم بشكل دائم مع مواجهات الطبقات الشعبية المستغلة او التي في طريق التصفية (اعادة التحول – اعادة الدورة – اعادة التراتب)٠

ميل ، وميل مضاد ينجب سلكة طويلة معقدة من الصراعات والتناقضات الداخلية احيانا بشكل صريح وساطع واحيانا بشكل متخف ومحتجب ٠ اذن فالتناقضات الداخلية التي تعنينا هي تناقضات داخلية خاصة بمرحلتنا ، انها تناقضات داخلية ضد الامبريالية ٠

حول حرب تشرين

ربيع الأسير

كانت حرب تشرين حدثا من اكثر الاحداث تاثيرا على مجمل الاوضاع في المنطقة العربية ، وفي العالم كله خلال سبعينات القرن العشرين · وعلى الرغم من ان تلك الحرب كانت موضوعا للكثير من الدراسات والكتب التي مثلت وجهات نظر متناقضة ومتفاوتة الاهمية ، فانها تبقى بحاجة الى المزيد من الفهم والدراسة ، خاصة وانها تتعلق بصراع يتوقف عليه مصير منطقتنا العربية ، تلك المنطقة التي تكتسب مزيدا من الاهمية يوما بعد يوم على الصعيد العالمي ·

وسنستعرض فيما يلي حرب تشرين من خلال ما ورد في احد الكتب التي نشرت مؤخرا في الولايات المتحدة الاميركية ، ويحمل عنوان « بوتقة الشرق الاوسط » The Middle East Curcible ولقد شارك في تأليف الكتاب مجموعة من الباحثين المتخصصين العرب والاجانب · ولقد حاول الكتاب ان يغطي الحرب من كافة جوانبها · وعلى الرغم من تفاوت مستوى الموضوعات التي يحملها الكتاب ، والتناقضات الواضحة في عدد من دراساته ، فلقد حاولنا ان ننقل جوهر التحليلات التي تضمنها ، دون اشارة الى مواطن الخلل الكامنة في تلك التحليلات ·

حرب تشرين وآفاق الصراع العربي ـ الاسرائيلي :

اتجهت الكثير من الكتابات التي ظهرت بعد تشرين الاول ، ١٩٧٣ ، الى التاكيد على ان العوامل الاقليمية والدولية تتجه نحو الالتقاء لتفسح المجال امام حل تفاوضي لصراع شكل هاجسا للعالم طوال اكثر من جيل ·

ويشير ابراهيم ابو لغد في مقدمة الكتاب الى ان حرب تشرين كانت حدثا ذا دلالات عميقة بالنسبة «لاسرائيل» · اذ لم تكشف تلك الحرب ان اسرائيل لا يمكن ان تسيطر على كل الدول العربية كل الوقت فحسب ، بل وبالامكان تحدي سيطرتها على جزء محدود من المنطقة العربية ايضا · وبمقدار ما تحافظ « اسرائيل » على موقفها المنطلق من فكرة السيطرة المطلقة ، بمقدار ما تضمن تحدي تلك السيطرة ·

ولقد ظهر تطوران هامان على الوضع بالنسبة للمنطقة بعد الحرب بفترة قصيرة · فمن جهة هناك ازدياد الدعم السياسي والدبلوماسي الذي يحصل عليه العرب من المجتمع الدولي ، الامر الذي اظهر لاسرائيل عزلتها المتزايدة في العالم · ومن جهة ثانية هناك اصوات المعارضة داخل اسرائيل ، التي تصر على درجة من التعايش مع الفلسطينيين والدول العربية·

ولقد بدت التغييرات الاقليمية في علاقات القوى ومواقف الاطراف المعادية وكأنها تتجه نحو الالتقاء ، كما تتحرك نحو تعايش يرتكز على التفاوض وليس الصراع ٠

ويحدد ابو لغد الموقف التفاوضي لكل الاطراف المعنية ، والتي يمكن ان تشكل ارضية للحل تقبل بها كل الاطراف المشاركة في الصراع العربي الاسرائيلي ٠

فبالنسبة للدول العربية المعنية ، يشكل الانسحاب من الاراضي المحتلة موقف التفاوض ، اما الفلسطينيون ، فانهم يرمون الى اعادة ترتيب الوضع بشكل جذري في فلسطين ٠ ومن هنا تاتي الضغوطات عليهم للتخلي عن الدولة الديمقراطية ، والاستعاضة عنها بدولة فلسطينية ٠

وينتقل ابو لغد الى تحديد الموقف التفاوضي الاسرائيلي ، فيشير الى ان اسرائيل ترى ان بعض التعديلات على حدود هدنة ١٩٤٩ مطلب اساسي « لمعالجة مخاوفها » الا انه يؤكد ان رفض اسرائيل المطلق للوجود الفلسطيني ومطلب الفلسطينيين المطلق لتغيير كامل يتناول الوجود الاسرائيلي يحتم لجوء الطرفين الى الصراع المسلح ٠

ومن ثم يحدد ابو لغد ملامح سياسة الولايات المتحدة في الآونة الاخيرة ٠ فمن جهة اعتمدت الولايات المتحدة على المواجهة كاحدى البدائل التي لجأت اليها ؛ ومن جهة ثانية اعتمدت على تحالفات مختارة مع انظمة «يعتقد بأنها مهددة من القوميين العرب» كسياسة مكملة للبديل الاول ٠ ولقد فشلت هاتين السياستين في منع الصراع العربي ـ الاسرائيلي من الانفجار عام ١٩٧٣ ٠ كما ان الشعور بالكراهية تجاه الولايات المتحدة تصاعد ٠

الميزان العسكري ، ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ :

يعالج احمد الخالدي موضوع الميزان العسكري ، ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ ، مشيرا في بداية دراسته الى انه « سيتفحص العوامل الكمية والنوعية لميزان الشرق الاوسط العسكري » ٠

ويضيف الخالدي انه سيتطرق الى العوامل الخاصة بالمنطقة، ومن «ضمنها دور القوى العظمى » فيها ، بالاضافة الى العوامل الاخرى التي تتطرق اليها عادة دراسات موازين القوى العسكرية لاية مجموعة من الاطراف المتصارعة ٠ كما يشير الى صعوبة التقييم المبني على مقارنة كمية للقوى ٠

وبعد استعراض نمو القوة الكمية للاطراف الرئيسية في صراع الشرق الاوسط في الفترة ما بين ١٩٦٨ و ١٩٧٣ ، ينتقل الخالدي الى موضوع صيانة السلاح والتدريب ، مشيرا الى الثغرة التكنولوجية بين مصر واسرائيل في حقل كحقل الطيران الذي يمكن ان يعتبر امتحانا للمتطلبات العالية الضرورية من تدريب وصيانة ، وحيث حافظ الاسرائيليون على مستوى اعلى من الفاعلية من القوى العربية في الفترة ما بين الحربين ٠

ومن ثم ينتقل الخالدي الى موضوع الانتشار العسكري ، فيقول انه ليس من الكافي ان يكون لبلد ما مستوى عال من الصيانة والتدريب اذا لم يكن ذلك البلد قادرا على دفع

اعداد القوات اللازمة للمعركة · كما ان الاحصاء العددي لكل من الاطراف المتصارعة قد يكون مضللا جدا · اذ يجب ان تخفض هذه الاعداد بحيث تؤخذ بعين الاعتبار عوامل الصيانة ، والتدريب والانتشار العملياتي ·

وعند مقارنة فاعلية الاسلحة الجوية والمضادة للطائرات ـ اخذا بعين الاعتبار الصعوبات وعدم الدقة الناجمة عن مقارنة كمية بحتة للميزان العسكري ـ يمكن ترجمة التمايز ما بين الاسلحة المختلفة الى اختلافات في القوة النارية التكتيكية ، حيث يجب ان يتم تفحص فاعلية السلاح بحد ذاته ، وايضا عملية تفاعل مختلف الاسلحة ، بمعنى فاعليتها كنظام · وبعد تقديم جدول بميزات الطائرات والاسلحة المضادة لها لدى الطرفين ، يحلل الخالدي ما ورد في الجدول ليستنتج ان الحرب الجوية في الشرق الاوسط قد اختلفت جذريا في العام ١٩٧٣ عما كانت عليه في العام ١٩٦٧ لتصبح مواجهة بين نظامين متكاملين: صواريخ سام ـ مدافع م/ط زد ـ س ـ يو ٢٣ ـ ميغ ضد فانتوم ـ الاجراءات المضادة الالكترونية ـ صواريخ جو ـ ارض ·

وينتقل الخالدي الى المدرعات ، مقدما جدولا بالدبابات والعربات المدرعة المتواجدة لدى الطرفين · ويحلل الخالدي الجدول ليستنتج ان حرب ٧٣ اظهرت قليلا من الحركية التي كانت من مميزات حرب حزيران · ولقد ادى استخدام المصريين والسوريين للاسلحة الموجهة المضادة للدروع الى الحد من فاعلية اعتماد الاسرائيليين التقليدي على الهجمات المدرعة ، كما اظهر انه بالامكان استخدام الاسلحة « الدفاعية » تكتيكيا في الهجوم ·

وعند مقارنة الاسلحة المدفعية ودورها يتبين أنه في حين لعبت المدفعية دورا ثانويا في حرب حزيران ، فلقد كانت ذات اهمية حيوية بالنسبة للهجوم العربي · ولقد سدت قاذفات الصواريخ الثغرة في الدعم المدفعي المتحرك الذي كان غائبا في الجانب العربي · اما دور المدفعية الاسرائيلية فلم يكن كبيرا ·

كذلك شهدت حرب ١٩٧٣ ـ اذا ما قورنت بحرب حزيران ـ استخداما اكبر بكثير لصواريخ جو ـ جو ، وجو ـ سطح ، والصواريخ التي تطلق من السفن · الا انه ليس هناك معلومات كافية حول عدد الطائرات التي اسقطت بصواريخ جو ـ جو ، او فاعلية صواريخ جو ـ سطح الاميركية ·

وينتقل الخالدي الى التقييم الكيفي ، بادئا بمعنويات الاطراف المتصارعة ، فيشير الى ان المعنويات ـ على الرغم من صعوبة قياسها ـ تعتمد على مقدار «الدافع» في اي حرب ، والفرق بين النتائج المتوقعة والفعلية في تلك الحرب والحروب التي سبقتها · ولم يحز الاسرائيليون على ارتياح من اي من العاملين في حرب ٧٣ (على عكس ٦٧) ، في حين كانت معنويات العرب عالية في ٧٣ (على عكس ٦٧ ايضا) ·

وعند مقارنة المبادىء التكتيكية يتبين ان مبادىء العرب التكتيكية في العام ١٩٦٧ التي كانت تعتمد على المواقع الدفاعية لم تتمكن من ان تتوقع او تتعامل مع مزيج من اعمال خرق مدرعة ذات حركية عالية وتفوق جوي معاد اما في العام ١٩٧٣ ، فلقد كان الانتشار التكتيكي العربي يفتقد للمرونة، وذلك على عكس الاسرائيليين · ويشير الخالدي الى انه

في حين تتطلب المبادىء التكتيكية العربية مزيدا من المرونة ، فان المبادىء الاسرائيلية تتطلب مرونة اقل مما هي عليه الآن ٠

وينتقل الخالدي الى النظرة الذاتية للمتصارعين ، مستنتجا ان ميزان القوى الذاتي في الشرق الاوسط يشير الى ان الراي العام العربي في العام ١٩٧٣ كان يتوقع من حرب جديدة ان تقود الى كارثة جديدة (مع بعض الاستثناءات السياسية والعسكرية) ، بينما كان الاسرائيليون يعيشون في شعور خاطىء بالامن ، الامر الذي ساهم فيه آراء « الخبراء » الغربيين ٠

ولقد اظهرت حرب ١٩٧٣ ان القوى المحلية في الشرق الاوسط ستظل تعتمد بقوة على الامدادات الخارجية من الاسلحة المتطورة ، اذ ان مدة القتال والعمليات العسكرية خلال الحرب كانت تعتمد الى حد كبير على وجود السلاح والمعدات من القوى العظمى ٠

ولقد فشل الرادع الاسرائيلي المعتمد على الحدود الطبيعية في منع هجوم عربي ، الا انه جعل من الصعب على العرب ان يحصلوا على مكتسبات كبيرة من حيث الارض ٠

ويتطرق الخالدي الى القوة العسكرية الكامنة ، فيعدد ثلاثة عوامل تحدد قدرة بلد ما على خوض الحرب : ١ ـ القدرة الاقتصادية والتكنولوجية ، ٢ ـ القدرات الادارية ، ٣ ـ الاساس السياسي لقوتها العسكرية ٠ ويلحق الخالدي بدراسته جداول تبين الدخل القومي والنفقات الدفاعية في البلدان المتصارعة ٠

وينتقل الخالدي الى الثغرة التكنولوجية بين الاطراف المتصارعة ، فيشير الى عدد العلماء ، والى صناعات الاسلحة ، والى الاستثمار في الابحاث العلمية والتطوير ٠ ويؤكد انه على الرغم من محاولات اسرائيل الوصول الى الاكتفاء الذاتي ، فان حرب ١٩٧٣ اظهرت مدى اعتمادها على الولايات المتحدة ، كما ان كلفة حرب ١٩٧٣ وكلفة حرب مقبلة ستكون اكثر تاثيرا على اسرائيل منها على الدول العربية ٠

وينهي الخالدي دراسته لعامل الادارة والدعم الشعبي ، مبينا قدرة اسرائيل على التعبئة السريعة ، اما بالنسبة للدعم الشعبي ، فلقد اختلفت ردود الفعل داخل اسرائيل جذريا في حرب ١٩٧٣ عما كانت عليه في حرب ١٩٦٧ ٠ كما ستتضح مسالة الدعم الشعبي في الجانب العربي مع تبلور النتائج السياسية للحرب ٠

استراتيجيات الحملة الرابعة :

يعالج المقدم الهيثم الايوبي موضوع « استراتيجيات الحملة الرابعة » ، بادئا باصول تلك الاستراتيجيات ٠ كان الخط السياسي الاسرائيلي بعد حرب حزيران وحرب الاستنزاف يؤكد على ضرورة المحافظة على الاراضي المحتلة ، مع اطلاق دعوات استفزازية «للسلام» تضمن الرفض العربي لطريق المفاوضات ٠ وكان الاسرائيليون يعتمدون على الفرضيات التالية : اولا : ان القوتين العظيمتين تفضلان الهدوء والاستقرار في الشرق الاوسط ،ثانيا:

ان الولايات المتحدة مقتنعة بان « اسرائيل قوية » هي الاداة المناسبة لحفظ الاستقرار في منطقة غير مستقرة ، ثالثا : ان الولايات المتحدة تدرك انها تحتاج الى اسرائيل قوية لمنع انتشار النفوذ السوفياتي في المنطقة ، رابعا : ان مصر كغيرها من الدول العربية تعاني من صعوبات داخلية وصراعات اقليمية ، وهي واقعة في فخ التناقض بين آمال التحرير والمصادر المالية المحدودة ، خامسا : ان الثورة الفلسطينية التي تنامت في العام ١٩٦٩ اصطدمت بالاستراتيجيات الاقليمية لدول المواجهة العربية في العام ١٩٧٠ ، سادسا : ان اسرائيل مقتنعة بقدرتها على احتواء ابناء الاراضي المحتلة ، واقتلاع ميولهم القومية ، واضعاف مشاعرهم المعادية تجاهها ، سابعا : ان اسرائيل مقتنعة بأن العقل العربي معاد جدا لاسرائيل واليهود ، وان الطريق الوحيد للتعامل مع العرب كان من خلال القوة ، الامر الذي يقود الى مبادىء ثلاثة هي : أ ـ يجب استخدام القوة على الدوام ، ب ـ يجب عدم تقديم اية تنازلات ، ج ـ من غير المجدي التفاوض مع العرب لتحسين صورة اسرائيل امام العالم ، ثامنا : ان دول النفط العربية غير قادرة على استخدام سلاح النفط ضد اسرائيل ، او الضغط على الدول المساندة لاسرائيل . ولقد قرر صانعو السياسة الاسرائيلية المحافظة على حالة اللا حرب واللا سلم اعتمادا على هذه الفرضيات ، تلك الحالة الموجودة تحت مظلة الردع الاسرائيلي والدعم الاميركي المطلق لاسرائيل .

وينتقل الايوبي بعد ذلك الى تحديد الاخطاء النظرية الاسرائيلية ، فيقول : ان المنظرين الاسرائيليين يبدأون بفكرة ان الجندي العربي غير مقاتل ، وان القادة العرب غير مستعدين لخوض غمار حرب حديثة . وفشل الاسرائيليون كذلك في فهم العامل النفسي القوي الذي جاء نتيجة لهزيمة ١٩٦٧ ، ورغبة العربي في تجاوز ذاته . كما اعتمد الاسرائيليون على التخلف التقني والعلمي العربي ، ولم يفهموا حقيقة تطور القوات المسلحة المصرية والسورية. وتمسكوا بالفكرة العسكرية القائلةان الحدود الآمنة تعني قناة السويسونهر الاردن ومرتفعات الجولان . الا ان الاخطر من ذلك كان اعتقادهم بقدرة جهاز الاستخبارات الاسرائيلي «الاسطوري» على التحذير المسبق حول اعداد عربي للهجوم . واخيرا اعتقد الاسرائيليون ان سيناء قامت بتوسيع العمق الاستراتيجي الاسرائيلي بشكل كاف .

ولوضع الخطة الامنية موضع التنفيذ ، بدأ الاسرائيليون بناء استراتيجية جديدة عبر انشاء مواقع محصنة على الحدود التي وصلوا اليها في العام ١٩٦٧ ، وخلق قوة عاملة عسكرية قوية ، يمكن لاسرائيل عبرها الوصول الى الردع غير النووي .

وينتقل الايوبي الى معالجة الاستراتيجية العربية الدفاعية ، فيقول ان العرب تبنوا استراتيجية دفاعية صرف لمواجهة استراتيجية التدخل الاسرائيلية ، وانهم بالتالي انشأوا جبهات دائمة ومستقرة مشكلة من شريط طويل من المواقع الامامية المحمية بحقول الالغام ، مع نقاط دفاع قوية خلفها . ولقد نبعت جذور الاستراتيجية العربية الدفاعية من ١٩٤٩ حتى ١٩٧٣ من السياسة العربية القاضية بتهدئة الحدود مع « الجارة القوية » . واعتمدت تلك السياسة على الفرضيات التالية :

١ ـ اسرائيل دولة موجودة ومعترف بها دوليا ، ٢ ـ الامبريالية تحمي اسرائيل كدولة ـ قاعدة ورأس جسر يؤمن المصالح الامبريالية ، ٣ ـ الدول العربية الراديكالية غير قادرة على مواجهة الامبريالية وقواعدها العسكرية بشكل مباشر ، كما لا يمكنها الاعتماد على الدعم العسكري الفعلي السوفياتي اذا ما هاجمت اسرائيل ، ٤ ـ المحافظة

على الوضع القائم ومنع اسرائيل من التوسع كان اقصى ما يمكن للدول العربية ان تصل اليه ضمن موازين القوى المحلية والدولية ، ٥ ـ مواجهة قاعدة امبريالية متقدمة وصناعية كاسرائيل لا يمكن ان تتم طالما ان الدول العربية تبقى غير موحدة وغير متطورة تكنولوجيا ·

ويشير الايوبي الى العقلية القطرية التي كانت عاجزة عن فهم العلاقة بين امن القطر والامن القومي بالاضافة الى سياسة المحاور وعدم وعي الخطر بالنسبة لكل الدول العربية، والضغوطات على الدول العربية المرتبطة بالامبريالية ، وخوف الدول التقليدية من تنامي تأثير الدول الراديكالية · كل هذا ساهم في اخفاق الاجراءات الدفاعية العربية ·

وبسبب الفشل في تحقيق نظام دفاعي عربي ، القي العبء على الدول العربية المحيطة باسرائيل ، تلك الدول الفقيرة نسبيا ، والتي اضطرت ان تقوي جيوشها على حساب نموها وتطورها الاقتصادي · وهكذا خلقت « الحرب بالوكالة » التي كانت بحق الاستراتيجية العربية ·كذلك لم يتمكن العرب من اعتماد استراتيجية انهاك العدو بسبب عدم قدرة الانظمة على تعبئة الجماهير · وادى الفشل في استخدام العوامل الجغرافية والبشرية العربية الى فقدان العرب لفرص خوض حرب مناسبة لمواجهة التفوق التقني الاسرائيلي ·

اما التقصير العربي الثاني ، فكان الفشل في فهم موقع الصراع العربي الاسرائيلي في المنافسة الكبرى بين الكتلتين الشرقية والغربية · وينتج هذا عن طبيعة الانظمة العربية وطبيعة الفرق ما بين مصالح السوفيات ومصالح الاميركيين في المنطقة ·

ولقد ادخلت حرب الـ ٦٧ تغييرا دراماتيكيا في موقف العرب بعد احتلال واسع لاراضيهم كما ان اسرائيل فقدت صورة الدولة الضعيفة المحاصرة · وجاءت النجاحات العربية في الميدان السياسي معتمدة على عدة عوامل : ١ ـ دعم الكتلة الاشتراكية في الصراع الدبلوماسي الدولي ، ٢ ـ الولايات المتحدة تضمن وجود اسرائيل ، ولكن ليس توسعها، ٣ ـ اوروبا الغربية رفضت الموقف الاسرائيلي على الرغم من ضمان امن اسرائيل، ٤ ـ فشل جهود القادة الافريقيين لتحقيق تقارب عربي ـ اسرائيلي ، وتأييد العالم الثالث للموقف العربي · ولقد تمكنت الجهود الدبلوماسية العربية من تأمين اول شرط مطلوب للانتقال من الدفاع الى الهجوم : الرأي العام العالمي الايجابي · وكان الشرط الثاني الاستعداد العسكري ، في حين كان الثالث وجود حالة استرخاء عسكري داخل اسرائيل ، والرابع هو التعنت الاسرائيلي رغم الاجراءات الدبلوماسية العربية ·

وفي حين ساهمت نجاحات الجهود الدولية في تمكين العرب من الانتقال من الدفاع الى الهجوم ، فانها حددت درجة عنف العمل العسكري الهجومي في الوقت نفسه · فكان على العرب ان يقوموا بعملياتهم العسكرية في ظل الشروط التالية : اولا : عدم التوغل في سيناء ثانيا : عدم ضرب العمق الاسرائيلي (على الرغم من القصف الجوي الاسرائيلي لاهداف مدنية في سوريا ومصر) ، ثالثا : عدم امكانية افادة المصريين من مبادىء التقرب غير المباشر ·

وينهي المقدم الايوبي مناقشة استراتيجية الجانب العربي بقوله ، ان العرب دخلوا الحرب لاهداف سياسية محدودة ، وانها بالتالي كانت حربا محدودة بالنسبة لهم ، استخدمت خلالها استراتيجية هجومية مباشرة ضمن حدود محددة محليا ودوليا ·

اما في الجانب الاسرائيلي ، فلقد فوجئت اسرائيل بالحرب لان قيادتها لم تأخذ عاملين هامين بعين الاعتبار : الاول : ان قوات التحرير الحديثة يمكن ان تتحمل خسائر اولية الى درجة كبيرة ، ومع ذلك تتمكن من اعادة بناء نفسها مع القوة الاشتراكية من ورائها ، والثاني : أن الحرب في القرن العشرين لم تعد صراعا بين قوتين مسلحتين ، بل اصبحت صراعا بين شعوب تحركها تيارات ايديولوجية قوية ومعتقدات متجذرة .

وبالاضافة الى ذلك لم يفهم الاسرائيليون التغييرات التي طرأت في المنطقة العربية . وفي حين اعتمدت الاستراتيجية الاسرائيلية على نظام الاستخبارات لجمع المعلومات عن الجيوش العربية ، فلقد كانت اهم العوامل وراء مجيء الحرب كمفاجأة بالنسبة للاسرائيليين عدم قدرة الاستخبارات الاسرائيلية على تقييم المعلومات بشكل صحيح واعطاء انذار مبكر.

اما الثغرة الثانية في الاستراتيجية الاسرائيلية فكانت انهيار نظرية الحدود الآمنة التي كانت محاولة للحفاظ على الاراضي المحتلة اكثر منها مبدأ عسكري . والتي طورت على اساسها مبادىء عملياتية تقضي ببناء تحصينات (خط بارليف وخط آلون) والقيام بضربة مضادة مدرعة .

كذلك اعتمد الاسرائيليون في حرب ١٩٧٣ على «هامش الامن بالمكان» بعد احتلالهم لمزيد من الارض العربية زادت من العمق الاستراتيجي للكيان الصهيوني . وفي حين افادهم ذلك العامل في ابعاد مناطقهم الحيوية عن مخاطر الحرب ، فلقد سبب لهم خللا في تطبيق مبدأ « القتال على الخطوط الداخلية » ، او حسم المعركة مع احد الخصوم ومن ثم الانتقال للحسم مع الخصم الاخر . ومن جهة ثانية ، لم تتمكن اسرائيل من شن « الهجوم الاجهاضي المسبق» عشية حرب ١٩٧٣ نتيجة لعدم توفر الظروف السياسية والعسكرية اللازمة لتلك الحرب .

ويستنتج المقدم الايوبي ان الجانب العربي حقق نجاحا غير كامل فيما يتعلق باستراتيجيته ، في حين كان هناك فشل استراتيجي اسرائيلي غير كامل . ويشير الى ان الطابع العام لاستراتيجيات الحرب الرابعة كان الصدام المباشر . ولم تظهر الاستراتيجية الغير المباشرة الا في الخنق الاستراتيجي المصري عند باب المندب ، وحركة شارون لاغلاق الطوق حول الجيش الثالث ومدينة السويس . وانتهت الحرب وكل طرف متمسك بجوهر اغراضه السياسية التي دخل الحرب من اجلها .

الوحدة العربية :

يعالج هاني فارس واسعد عبد الرحمن موضوع الوحدة العربية . فيقولان ان التركة السياسية خلال ربع القرن الماضي قدمت عدة سبل للوحدة .

اما السبيل الاول ، فلقد كان « التعاقدي » ، الذي عبرت عنه تجربة الجامعة العربية ، وبعد عرض وتقييم سريعين للتجربة ، يؤكد فارس وعبد الرحمن ان الجامعة العربية تبقى كاكثر المحاولات التي استهدفت توحيد الوطن العربي استمرارية .

ولقد تمثل السبيل الثاني « التقدمي » بتجربة الجمهورية العربية المتحدة . ويقول الكاتبان ان الانظمة العربية الديناميكية قد اشتقت ذلك السبيل كوجه من سياستها

الهجومية في مواجهة الانظمة المحافظة · واتخذت الوحدة في تلك المرحلة مظهرا ايديولوجيا، كما حملت معان تقدمية اجتماعية واقتصادية · كما اتسمت تلك الفترة بتصاعد الدور الجماهيري ، الامر الذي اجبر القادة السياسيين العرب من كل الاتجاهات ان يصبحوا اكثر استجابة للمثال الجماهيري المتمثل بالوحدة ·

اما السبيل الثالث « الثوري » ، فلقد جاء نتيجة لحرب ١٩٦٧ · عززت تلك الحرب – على حد تعبير الكاتبين – المقولة القائلة ان الاشتراكية شرط ضروري لنجاح الوحدة · كما ان تلك الحرب ادت الى « تغريب » الحركة القومية نهائيا عن الولايات المتحدة، وقادت الى « مركسة » القومي ، والى قومية الماركسي · ويضيف الكاتبان ان «ارثوذكسية» اليسار العربي بشكليه القديم والجديد ساهمت في دفع الوحدة الى موقع ثانوي وان الصراع الطبقي ودكتاتورية البروليتاريا حازا على مزيد من التركيز على حساب التضامن القومي (ماذا عن صعود المقاومة ؟)

ولقد نجم عن حرب اكتوبر السبيل الرابع « الوظيفي » وسيطرت هذه النظرة الجديدة على الادب السياسي في فترة ما بعد الحرب ، ويستعرض الكاتبان تطور النظرة الجديدة، فيبدان بالتطورات التي حصلت في الفترة ما بين ١٩٦٧ و ١٩٧٣ مرحلة «الصراع والتبلور» · ولقد تعرضت معظم الدول العربية الى تغييرات اقتصادية واجتماعية وسياسية بعد حرب ١٩٦٧ · وكانت تلك التغييرات بلورة لاتجاهات سابقة ، بالاضافة الى تطورات جديدة تماما· وشهدت المنطقة كذلك تغييرات في القيادات السياسية · كما « شكل اتحاد الجمهوريات العربية » الذي انهار بعد فترة وجيزة · من جهة ثانية تنامى تاثير المقاومة الفلسطينية ، وازداد الالتفاف الجماهيري حولها ، وظهر يسار جديد في المنطقة · وتصاعدت في تلك الفترة عدة صراعات اقليمية ، وبشكل خاص بين المقاومة والانظمة · وكذلك بين مختلف الانظمة ، وبدت القوى المعادية للقومية العربية وكانها مسيطرة ، كما بدا المد القومي وكانه اخضع ·

وتصاعد الصراع الدولي في المنطقة ابان تلك الفترة ، واستمر التعاون العربي السوفياتي حتى وفاة عبد الناصر في ٢٨ ايلول ١٩٧٠ · وجاءت المرحلة الثانية ، فمع رحيل عبد الناصر لم يبق هناك شخصية عربية موحدة ، كما تزايدت عوامل عدم الارتياح والتوتر· فمن جهة كان هناك عدم ارتياح جماهيري لعدم قدرة الانظمة على انهاء الاحتلال الاسرائيلي، ومن جهة اخرى ادى عجز قادة مصر وسوريا والاردن عن تحرير الارض الى انحدار موقعهم السياسي ، وتعرض عدد من القادة العرب الاخرين الى هجمات تدفعهم الى محو اثار عدوان ١٩٦٧ ·

من ناحية اخرى ، جاءت فرصة فيصل ليتبوأ القيادة العربية ، ثم اتت حرب تشرين لتشكل نقطة تحول تاريخية انشأت حقائق عسكرية وسياسية جديدة · فلقد بدا واضحا ان لفيصل دورا خاصا في حرب تشرين ، وبدا لفترة ان التقسيم التقليدي بين التقدمي والمحافظ فقد معناه ، وان الهدف القومي اصبح سائدا ·

ويقول المؤلفان ان حرب تشرين شهدت اضعف مشاركة جماهيرية عربية · وفي حين مثلت تلك الحرب وحدة الانظمة ، فلقد مثلت حرب ٦٧ وحدة الدموع ، ومثلت حرب ٥٦ وحدة التطلعات ، ومثلت حرب ٤٨ وحدة الايمان ، ويؤكدان في النهاية ان « العالم العربي على

مفترق طرق » ، وان ثلاثة تيارات تتسابق للسيطرة على هذه البقعة : الرغبة في المحافظة، والرغبة في التغيير الليبرالي ، والرغبة في التثوير ٠

« الجيل العربي الجديد » :

يقدم حليم بركات والين هاغوبيان مقابلة مع عدد من الطلاب الجامعيين تناولت معظم المسائل التي طرحت على اثر حرب تشرين ٠ ويقول بركات في تقديمه للمقابلة ان طلاب الجامعات في لبنان ، والآتين من مختلف الاقطار العربية شكلوا حركة طليعية يمكن ان ينظر اليها كقيادة قوى التغيير في المنطقة ضد قوى المحافظة على الوضع القائم ٠ ويضيف ان الحركات الطلابية ابقت القضايا العربية على قيد الحياة ، ومررتها من جيل الى جيل ٠ ويشير الى ان المسألة الفلسطينية دفعت الطلاب الى المزيد من التفاعل مع الاحزاب والحركات الايديولوجية ، كما ان الطلاب اصبحوا اكثر بعدا عن الغرب وعن مؤسساتهم وثقافتهم التقليدية ، وازداد وعيهم لطبيعة المخططات الامبريالية ٠ ويقول بركات ان هناك انتقالمتزايد من التفسيرات القومية البحتة الى التحليل الاجتماعي الطبقي ، كما يؤكد ان الطلبة الفلسطينيين شكلوا نواة الحركة الطلابية منذ ١٩٦٧ ٠

وتعلق هاغوبيان على المقابلة بقولها ان المسألة التي تهم الجميع هي حق وقدرة كل امة على تقرير مصيرها بالدرجة الممكنة في عالم الدول القومية ٠ ويتطلب ذلك عنصران ،اولهما تنمية اقتصادية حقيقية ، وثانيهما وجود شكل دستوري قادر على الاستمرار ، يستخدم هذه القاعدة الاقتصادية لصالح المواطنين ، ويضمن قدرة الدولة على التفاوض على حقوقها في المجتمع الدولي ٠

وتقدم هاغوبيان عرضا للتطور التاريخي الذي تمكنت من خلاله دول مختلفة من تحقيق هذين الشرطين ٠ وتؤكد في نهاية تحليلها ان حرب تشرين تشكل نقطة تحول في عملية اعادة ترتيب الوضع السياسي والاقتصادي في الشرق الاوسط لصالح العرب ، كما تقول ان الاميركيين استهدفوا من عملية اعادة الترتيب فك ارتباط دول المواجهة بالقضية ٠ الا ان تناقضات المنطقة تحتم فشل الخطة الاميركية ٠

الآثار السياسية على المجتمع الاسرائيلي :

يعالج خليل نخله موضوع آثار حرب تشرين السياسية على المجتمع الاسرائيلي ، فيشير الى انه على الرغم من ان الحرب لم تنتج اي تغيير اجتماعي جذري ، الا انها ادت الى الكثير من التعبيرات الاجتماعية عن فقدان الثقة بقيادة اسرائيل وقدراتها العسكرية ٠ ولقد كانت الحرب اشبه بهزة سياسية شهدت انحدار شعبية القيادات السياسية لفترة ما قبل الحرب وازدياد الخلافات السياسية الاسرائيلية ٠

ويستعرض نخلة التطورات السياسية التي وقعت بعد الحرب ، ومن ضمنها الانتخابات التي اظهرت نتائجها انه بخلاف ظهور عدد كبير من الوجوه الجديدة في الكنيست الثامن، ووجود تفاعلات داخل التحالف الحاكم ادت الىتشكيلحركاتسياسيةجديدة،فانحرباكتوبر تبدو وكأنها لم تقدم اي تغيير راديكالي في قوى اسرائيل السياسية الداخلية ٠

ولقد كان للحرب التأثير الكبير على العرب في الارض المحتلة ، اذ اعطتهم الدفع لاظهار هويتهم القومية والثقافية . ولقد قاد هذا الدفع الصهاينة الى التفكير بهجمات جديدة في شتى المجالات للقضاء على هذه التفاعلات في صفوف العرب . ويشير نخله الى بروز الجبهة الوطنية الفلسطينية والى المقاومة السلبية والايجابية في مختلف المناطق ، والتظاهرات التي رفعت شعارات دعم منظمة التحرير الفلسطينية . كما انه يشير الى تصاعد استخدام مختلف وسائل القمع والمضايقة والترحيل بعد الحرب .

ولقد بدأ الناس على اثر الحرب بالحديث عن فشل الصهيونية . كما لم تقف ازمة الثقة عند قيادة البلاد بل تعدتها الى ايديولوجيتها الصهيونية . وكانت الحرب عاملا في الانخفاض الكبير في الهجرة ، وازدياد الهجرة المضادة .

ويستنتج نخله ان حرب تشرين هزت – على الاقل لفترة – انماط الحياة الاسرائيلية المقبولة على مستويي الايديولوجية والممارسة ، واظهرت فيضا من الاسئلة الهامة بين اولئك الذين يكيفون الرأي العام في اسرائيل .

وفي حين ساهمت الحرب في عودة ظهور الهوية القومية بين العرب ، فانها لم تدخل تغييرا جديا في سياسة اسرائيل تجاه العرب داخلها . وعلى اثر الحرب ، اصبح على اسرائيل مواجهة الهوية القومية العربية الفلسطينية بشكل مباشر .

حرب تشرين والصحافة الاسرائيلية :

بدأ الياس شوفاني بحثه حول حرب تشرين والصحافة الاسرائيلية بالاشارة الى كتاب « المحدال » (التقصير) الذي حاول ان يغطي الثغرات الاسرائيلية ابان حرب تشرين ضمن التأكيد على ان اسباب ما حدث خارجية وليست موضوعية ، وانه ليس هناك من حاجة الى اعادة النظر بصحة الفرضيات الاساسية التي يقوم عليها المجتمع الاستيطاني الاسرائيلي . ويتساءل شوفاني فيما لو كان للصحافة الاسرائيلية « محدالها » ؟

ويستعرض شوفاني ما دار في سلسلة ندوات لمجلس الصحافة الاسرائيلية في الفترة ما بين ٤ و ١٨ كانون الثاني ١٩٧٤ . ويقول ان معظم المشاركين لم يكونوا مرتاحين لدور الصحافة الاسرائيلية ابان الحرب والفترة التي تلتها ، الا ان الصحافة ايضا حاولت ان تصور تقصيراتها وكأنها ناجمة عن عوامل خارجية . ولقد وقع اكثر اللوم على منفذي الرقابة العسكرية والناطق العسكري .

ويشير شوفاني الى ان الصحافة الاسرائيلية تخضع للرقابة منذ انشاء الدولة . وتستخدم الرقابة في كثير من الاحيان كاداة سياسية . ويستشهد شوفاني باحد مؤلفي «المحدال» الذي يقول ان وسائل الاعلام الاسرائيلية يسمح لها بان تتحدث الى الرأي العام الاسرائيلي عن النجاحات فقط ، الا ان اسرائيل بلد صغير ، وكل عائلة فيها لديها فرد في الجيش ، وهكذا فان الانباء تتسرب وبسهولة .

اما الناطقون العسكريون ، فلقد حملوا قسطا اكبر من المسؤولية . والاعلام العسكري محرم على الاسرائيلي ويأتي هذا كتركة من مرحلة الارهاب السري السابقة . ويتحدث

شوفاني عن «نقابة المراسلين» ، مشيرا الى ان الجيش الاسرائيلي يقرر من يكون مراسلا
عسكريا لكل صحيفة ، واي مراسل يتجاوز الحد المسموح به يطرد من النقابة لاسباب
امنية ، ويقع الاعلام العسكري في اسرائيل تحت ضبط وسيطرة قسم الاستخبارات في الجيش.
وهكذا فان الناطق العسكري يكون سابقا من ضباط الاستخبارات الامر الذي يدفعه الى اخفاء
المعلومات اكثر من الافضاء بها .

ولقد اجمعت الصحافة الاسرائيلية على ان اسرائيل ربحت الحرب ، الا ان السؤال بقي
حول حجم الانتصار وكلفته . ويشير شوفاني الى ان المفاجأة الحقيقية كانت حجم الاندفاع
واصرار طرف معاد كان يعتبر عاجزا عن القيام بهجوم بتلك الضخامة وفوق كل هذا ، كانت
التجربة الصدمة باكتشاف ان جيش اسرائيل ليس بالقوة التي يدعيها ، بالاضافة الى
اكتشاف حدود قوة اسرائيل .

ويتحدث شوفاني عن « اهم تطور على الجبهة الداخلية » المتمثل بفقدان ثقة الاسرائيليين
بقيادتهم السياسية ، ثم امتدت ثغرة المصداقية لتشمل القيادة العسكرية ومن ثم المؤسسة
العسكرية ككل .

ولقد ساد اسرائيل ابان الحرب شعور بالعزلة ، وان لديها حليفا واحدا هو الولايات
المتحدة ، وصديقا مخلصا وحيدا هو اليهود في العالم . وكثرت التهجمات على الاتحاد
السوفياتي وعلى القيادات الافريقية .

ويستنتج شوفاني أن الحرب اعادت الاسرائيليين الى مواجهة ضعفهم الذاتي : مجموعة
صغيرة تحاول فرض ارادتها على المنطقة المحيطة بها .

الصحافة الغربية وحرب تشرين :

تعالج جانيس تيري موضوع الصحافة الغربية وحرب تشرين من خلال تفحص ثلاث
صحف اميركية وصحيفتين اوروبيتين ابان تشرين وخلال فترة الاشهر الاربعة التي سبقت
الحرب والتي تلتها .

ولقد اختارت تيري « النيويورك تايمس » و « الواشنطن بوست » و « الديترويت فري
برس » و« التايمس » و « الموند » ، وحاولت ان تتأكد على نحو « كمي » فيما اذا عدلت
وسائل الاعلام الغربية تغطيتها لما يدور في الشرق الاوسط .

وكانت الصحافة الاوروبية اكثر توازنا في تغطيتها الشاملة ، كما شهدت انخفاضا
في الموضوعات المساندة لاسرائيل ، ويبرز تناقض في الموقفين الاوروبي والاميركي من
مسألة النفط .

ووصلت تغطية انباء المنطقة الى القمة خلال الحرب الا ان الفترة التي تلت الحرب
شهدت تغطية اوسع من الفترة التي سبقتها . وكان الموضوع الاكثر اهمية موضوع حظر
النفط . وتقدم تيري في نهاية موضوعها سلسلة جداول حول مختلف اشكال المقارنة بين
الصحف وتغطيتها ومواقفها .

ما تريده واشنطن :

يعالج اقبال احمد موضوع « ما تريده واشنطن » ، بادئا بالقــول انــه نادرا مــا اعتبرت حكومة ما التضليل والخداع ادوات رئيسية للسياسة ، الا ان حكومة نيكسون تنتمي الى هذا الاستثناء ٠

وينتقل احمد الى مناقشة اتفاقية كانون الثاني لفصل القوات التي اعتبرهــا متناسبة مع متطلبات كيسنجر لاتفاقية مستقرة ، اذ انها تبدو كانها حل وسط بين الجانبين ،الا انها اعطت اسرائيل ارباحا اساسية بينما اعطت مصر فوائد ذات اهمية ثانوية ٠

ويناقش احمد التبريرات التي اعطيت للاتفاقية ، فيقول بالنسبة لوضع الجيش الثالث انه في حين كان الاسرائيليون في موقــع القوة تكتيكيا ، فان الوضع كان لصالح مصــر استراتيجيا ٠ كذلك كان خط وقف اطلاق النار بالغ الكلفة لاسرائيل ٠

وينتقل بعد ذلك الى تعداد الخيارات التي كانت امام اسرائيل والمتمثلة ببدء حــرب جديدة ، او التفاوض حول فصل القوات على اساس انسحاب من الاراضي المحتلة ، او الانسحاب من غربي السويس الى خط اكثر مناسبة دفاعيا (الممرات) ٠ ولقد ادى فصل القوات في كانون الثاني الى ازالة الاعباء الاستراتيجية والاقتصادية التي لخــط وقــف اطلاق النار ، وبالتالي الى منح اسرائيل فرصة عدم الاختيار بين الحرب او السلام عبر التفاوض ٠

ويقول احمد ان العرب في الحرب الخامسة ، سيجدون اسرائيل اكثــر عدوانيــة وتعبئة وتجهيزا من تشرين ٧٣ ٠ ويضيف ان حرب تشرين كانت اخر حرب مــن نوعهــا كحرب ذات اهداف محدودة ٠

وينتقل احمد الى استعراض السياسة الاميركية في السبعينات ، فيشير الى ان فيتنام ادت الى اعتماد استراتيجية جديدة٠ ولقد اعطت واشنطن اهمية قصوى لمنع ازدياد النفوذ السوفياتي في المنطقة العربية ضمن سياسة الوفاق او سياسة التعاون العدائي ، وايضــا لضبط طبيعة العلاقات الاوروبية بها ٠ ويؤكد الكاتب انه في المنطقة العربية يضع الاميركيون علاقاتهم بالسوفيات في النصف العدائي من سياسة الوفاق ٠ ويستهدف الاميركيون بشكل اساسي من وراء الوفاق مع السوفيات عزل الحركات الثورية عن دعم القوى الاشتراكية، حيث تستمر واشنطن في اعتبار تلك الحركات التهديد الاساسي للمصالح الاميركية ٠

وترى ان الاستقرار العالمي يعتمد على وجود « شرعية مقبولة بشكل عام » ، كما ان الثوريين لا يهمهم الحوافز المادية ، وانهم يهددون « ميزان القوى النفسي » ، ويصعــدون من تفاقم مشكلة الشرعية ٠ واذا كان الاستقرار هدف السياسة ، والثورة اهم خطر على الاستقرار ، فيجب احتواء ومواجهة وتدمير الثورة ، وذلك عبر خلق شبكات عسكريــة اقليمية في العالم الثالث تساندها القوة البحرية والجوية الاميركية ، وخلق احتياطــي استراتيجي لنواة قوات الدفاع في البلاد « الحساسة » (ايران ، باكستــان ، الهنــد الصينية) ٠

ولقد طور كيسنجر تلك السياسة عبر العمل على تطوير بلدان كالبرازيل وايـــران واسرائيل واليونان والبرتغال واندونيسيا وافريقيا الجنوبية كحراس للمصالح الاميركية . واعتبر كيسنجر انالدول الاوروبية ،او الحلفاء القدماء ، مشكلةاكبرمن الاعداء،محاولاابقاء اوروبا قوة اطلسية وليس عالمية • وفي السبعينات انتقل مركز الصراع العالمي مـــن الاطلسي والهادي الى المتوسط والهندي • وفي جنوب المتوسط ، ظهر ثلاثة من اشبـــاح كيسنجر : السوفيات ، وقوى التحرر الوطني ، وفقدان ضبط اوروبا واليابان •

ولقد استهدف مخطط كيسنجر الاستراتيجي احتواء السوفيات وخلق ادوات قمـــع اجتماعي في العالم الثالث ، والالتفاف على حلفائه الاوروبيين ، وخلق تحالف متماسك ، وان كان غير رسمي في المتوسط والهندي •

وحتى منتصف١٩٧٤،برزت الثغرات في المخططالكيسنجري فيالبرتغالواثيوبياواليونان• وكانت الثغرة الواضحة في علاقات اميركا بحلفائها العرب • وعلى الرغم من حرب تشرين، فلقد بقي كيسنجر مقتنعا باهمية اسرائيل كحارس للجناح الغربي ، الا انه ازداد قناعـــة بضرورة دخول السعودية ومصر كشركاء للشاه في حماية الجناح الشرقي •

وينهي احمد دراسته بالتاكيد على ان ذلك المخطط بنيان كيسنجري نموذجي :منطقي وانما خاطىء • ويشير في النهاية الى احتمال تدخل اميركي مباشر في المستقبل •

اوروبا الغربية : من المعاداة الى الحياد •

يستعرض فاروق سنكري تطور العلاقات الاوروبية العربية منذحرب ١٩٥٦ حتى حرب ١٩٦٧ حيث بدأت فرنسا بتعديل موقفها من قضايا المنطقة •

وعلى اثر حرب ١٩٧٣ ، اقترب رد الفعل الاوروبي من مفهوم سياســـة اوروبيـــة مشتركة ، فلقد اخذت فرنسا وبريطانيا المبادرة في توفير دعم للعرب •

ويشير سنكري الى الخلاف الاوروبي الاميركي حول دور حلف شمال الاطلسي ،حيث يعتبره الاوروبيون اداة للحماية ضد هجوم سوفياتي • ومن ثم يستعرض المواقف العربيـة عبر تصريحات ، واجتماعات قمة ، واقتراحات تعاون طويل المدى مع المنطقة العربية •

ولقد شاركت بريطانيا فرنسا في الرغبة في التنصل من الالتزامات الخارجيـة ، الا انهـا لم تكن تعتبر ان بالامكان نمو قوة ثالثة • وكانت ـ كمعظم دول اوروبا الغربية ـ ليست مستعدة لعزل نفسها تماما عن الولايات المتحدة •

ويتطرق سنكري الى العامل الاقتصادي ، حيث لاحظ الازدياد في التجارة والتعامـل المصرفي بين اوروبا والعرب • الا ان النفط كان السلعة الاكثر تاثيرا علـــى تصـــرف وسياسة اوروبا •

ولقد كان هناك عاملان هامان في التأثير على التصرف الاوروبي ، وهما التغييـــر في النظام الدولي ووضع التجارة والطاقة • ويتوقع سنكري مزيداً من التعاون العربـــي

الاوروبي في المستقبل ·

السياسية السوفياتية والشرق الاوسط :

يعالج باري روبن موضوع السياسة السوفياتية والشرق الاوسط ، ملاحظا في البداية ان « الايديولوجية ثانوية » في عملية البحث عن الاصدقاء في العالم المعاصر ، وان التحالفات بشكل عام ليست ثابتة ولا ترتكز على جذور تاريخية بالقدر الذي تبدو عليه·

ولا يرتكز التحالف العربي السوفياتي على حاجات اقتصادية بل على مصالح سياسية في الجانب السوفياتي ، واهداف سياسية عسكرية بالنسبة للجانب العربي ·

ويستعرض روبن تطور العلاقات العربية السوفياتية حتى ١٩٦٧ ، مشيرا الى ان الموقف السوفياتي في العام ١٩٤٧ كان يعتبر ان الاولوية هي انشاء دولة ديمقراطية واحدة، اما الخيار الثاني فهو تقسيم فلسطين · وعلى اثر موت ستالين ، والمحاولات الاميركية البريطانية لفرض تحالفات معادية للسوفيات في المنطقة تزايد الاهتمام السوفياتي بها·

ويقول روبن ان السوفيات ساهموا في الحرب على الرغم من عدم حماستهم لها وذلك بهدف خلق ازمات دولية لتقوية موقفهم عالميا ، وان عبد الناصر عقد الوضع لينتصر على المشككين · سياسة الهجومية · ولم ينجح الاقتراح السوفياتي بعد الحرب ،والقاضي بادانة اسرائيل وتحقيق انسحاب مباشر ، ودفع تعويض · بل نجح القرار ٢٤٢ ·

وجاءت المرحلة ما بين ١٩٦٨ و ١٩٧١ ، او مرحلة البحث عن حل ، حيث ظهر وكان هناك ثلاثة اختيارات : الحرب ، او اللاحرب واللاسلم ، او الحل السياسي على اساس « عادل » · ولم يبق للعرب سوى الخيار الاول · وظهر رضى السوفيات عن استراتيجية عسكرية تؤدي الى تنازلات اميركية اسرائيلية خلال حرب الاستنزاف ·

ويشير روبن الى ان علاقة السادات بالسوفيات لم تكن كعلاقتهم بعبد الناصر ·ولقد تقرب السادات في العامين ١٩٧٢ و ١٩٧٣ من الاميركيين بطرق مختلفة : ويؤكد روبن ان انتقادات السادات للحذر السوفياتي وللطريق المسدود الذي تقود اليه السياسةالسوفياتية دقيق ·

وفي الوقت الذي قرر فيه السادات خوض الحرب ، كان السوفيات يعدلون موقفهم تجاه القبول بالخيار العسكري · وعند اندلاع الحرب ، سارع السوفيات الى اعلان دعمهم للعرب ، ذلك الدعم الذي تجلى بشحنات ضخمة من الاسلحة ، وبالنشاط السياسي باتجاه توفير دعم عالمي · ولقد حاول السوفيات المحافظة على تحالف مع مصر وسوريا والجزائر ومعظم منظمة التحرير الفلسطينية ، بالاضافة الى علاقات جيدة مع العراق وليبيا ·

ويشير روبن الى انه ليس هناك ما يبرر الاعتقاد بأن السوفيات يمكن ان يوقفوا التقدم الاميركي في المنطقة ، ملاحظا المعارضة التقليدية للسوفيات · ومع ذلك من الخطأ تقليل اثر الجاذب السوفياتي ، حتى مع معارضي التسوية كالعراق والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين · وتبدو علاقات السوفيات بمنظمة التحرير في الفترة التي تلت

الحرب اكثر اهمية منها في اي وقت مضى ·

اما الاحتمالات امام السوفيات فلقد حددها كيسنجر ، وهي اما الابقاء على التوتر، او التعاون مع الولايات المتحدة من اجل ضمان استقرار المنطقة · ويرى روبن ، ان الاحتمال الثاني هو الارجح ·

ويستنتج روبن ان قوة الولايات المتحدة الجديدة في المنطقة تدفع السوفيات الى زيادة دعمهم للتغيير الاجتماعي العربي ، وللنضال العربي لاعادة الاراضي المحتلة ، وللحركة الفلسطينية · ويتوقع استمرار السياسة السوفياتية تجاه المنطقة دون تغييرات جدية في ملامحها العامة ·

آسيا والعرب :

يعالج م· س· اغواني موضوع «اسيا والعرب» ، بادئا بالقول ان موقف وسياسات الدول الاسيوية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي والفلسطيني الصهيوني قد تاثرت بمجموعتي عوامل : اعتبارات عملية ، ومبادىء سياسية ·

ولقد اعطت حرب ١٩٦٧ بعدا متزايد الاهمية للمسألة الفلسطينية ، وتاثر الموقف الاسيوي بالتطورات التي طرات ما بعد تلك الحرب من طرد للمواطنين العرب وتهجير جماعي · ويختار اغواني ثلاث دول اسيوية لعرض العلاقات العربية الاسيوية وتحليلها ·

الصين والشرق الاوسط :

يؤكد اغواني ان رد الفعل الصيني على حرب حزيران يجب ان يدرس من خلال ايديولوجية البلد ومصالحه ، مشيرا الى نظرية ماوتسي تونغ في الثورة ، والى ان الصينيين اعتبروا فلسطين واليمن من المناطق حيث توجد « اوضاع ثورية ممتازة » في العالم ·

وبالمقابل فان علاقات بكين ومصالحها دفعت باتجاه انتهاج سياسة مرنة وعملية ، تجلت عبر التجارة والتعاون الاقتصادي مع عدد من بلدان المنطقة ·

من جهة ثانية كانت المنطقة احد ميادين الصراع الصيني ـ السوفياتي ، حيث اتهم الصينيون السوفيات مرارا بالخيانة نظرا لمواقفهم تجاه المنطقة ·

ولقد كانت الصين اول دولة خارج المنطقة العربية تعطي الدعم الرسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية · ويشير اغواني الى ان ماوتسي تونغ اعتبر ان الامبريالية تخاف من الصين والعرب ، كما شبه فورموزا ، باسرائيل كقاعدتين امبرياليتين في اسيا ، ولقد منحت الصين منظمة التحرير صفة دبلوماسية ، بالاضافة الى تقديم الاسلحة والتدريب·

السياسة الباكستانية والهندية :

يقدم اغواني عرضا تاريخيا لموقف الباكستان من الوحدة الاسلامية وحلف بغداد وغيره من الاحلاف العسكرية ، والتناقضات التي برزت في ذلك الموقف • ففي حين يفرض الاسلام موقفا باكستانيا من مسائل كالقدس والفدائيين الفلسطينيين ، فلقد اقدمت الباكستان على دعم الاردن ضد الفدائيين في ايلول ١٩٧٠ •

اما الهند فلقد حدد موقفها اعتبارات معنوية وعملية ، كما تاثرت سياستها بكل من غاندي ونهرو • وكانت الهند قد صوتت ضد قرار التقسيم وضد قبول اسرائيل عضوا في الامم المتحدة • وطورت علاقاتها مع الدول العربية ، كما ساهمت في التحرك مع العالم الثالث ، وبشكل خاص على اثر حرب ١٩٦٧ • ولقد تعرضت تلك العلاقات الى ضغوطات نجمت عن استثناء الهند من القمة الاسلامية في الرباط •

أعادت الهند تاكيد سياستها بعد حرب ١٩٧٣ ، وذلك على الرغم من ضغوطات المعارضة الداخلية التي اشارت الى ان العرب دعموا الباكستان ابان ازمة بنغلادش في العام ١٩٧١ •

ويستنتج اغواني ان مواقف كل من الهند والباكستان والصين في محصلتها العامة تبقى اجماعا ايجابيا تجاه القضية العربية ، يعكس مواقف معظم دول اسيا •

النفط العربي والاقتصاد العالمي :

يقول رجائي الملاخ في بداية دراسته عن النفط العربي والاقتصاد العالمي ان حرب اكتوبر قد نتج عنها اول فرض فعال لحظر النفط قام به المنتجون العرب • ادى هذا الحظر الى ضغط سياسي على الدول المستهلكة ، بالاضافة الى انه ساهم في زيادة وتعديل اسعار النفط الخام ، الامر الذي انتج فائض رأسمال ضخم قدر بـ٦٠ بليون دولار عند نهاية ١٩٧٤ •

ويقول الملاخ ان اثر الحظر العربي على الاقتصاد الاميركي كان كبيرا ، وان اعتماد الولايات المتحدة على المنطقة العربية كمصدر للطاقة سيتزايد في المدى المنظور • ويستعرض الملاخ مصادر الطاقة البديلة ليستنتج انها اما غير متواجدة واما غير اقتصادية واما عاجزة عن سد احتياجات العالم المتزايدة للطاقة •

ويشير الملاخ الى ان منتجي النفط يستحقون الاسعار التي يحصلون عليها اذا ما قورنت الاسعار العالمية باسعار النفط •

وينتقل الملاخ لبحث القدرة الاستيعابية « للفائض » العربي ، حيث يظهر ان التكامل الاقتصادي العربي اكثر تناسبا مع احتياجات المنطقة وثرواتها • ومن ثم ينتقل للاختيارات المتوفرة ان على صعيد تنمية الزراعة او الصناعة •

سلاح النفط :

يعالج جوستورك موضوع سلاح النفط ، حيث يشير في البداية الى ان العلاقة الوثيقة بين النفط والسياسة من جهة ، وبين الحرب والسياسة من جهة اخرى حتمت ارتباط الحرب بالنفط في منطقة الشرق الاوسط ٠

ويستعرض ستورك اثار استخدام سلاح النفط ، في احداث تغييرات نوعية في بنية الصناعة النفطية العالمية ، تعديل خريطة القوى السياسية بالنسبة للشرق الاوسط ، تعزيز العلاقة التنافسية في المجالين السياسي والاقتصادي بين الولايات المتحدة واوروبا واليابان ٠

وينتقل ستورك الى استعراض التطورات السابقة لحرب تشرين في الجانب العربي، والمتعلقة باستخدام النفط في المعركة ، حيث برزت عدة تناقضات في مواقف الاطراف العربية المختلفة ، واقدمت دول كالسعودية على رفع شعار استخدام النفط كسلاح ايجابي ، نظرا لعلاقاتها بالغرب ٠

ومع اندلاع الحرب ، تصاعدت الدعوات لاستخدام النفط كسلاح ، وظهر تمايز في مواقف الدول العربية ابان الحرب وفي الفترة التي تلتها ٠

ويشير ستورك الى ان الولايات المتحدة كانت اقل تاثرا من الدول الراسمالية الاخرى نتيجة لحظر النفط ٠ ولقد نجم عن الحظر ازدياد اهمية كبار شركات النفط داخل الاقتصاد الاميركي ٠ ويلاحظ ستورك ان علاقة السعودية بالولايات المتحدة ازدادت قوة على اثر حرب تشرين وما رافقها من حظر للنفط ٠

ويستنتج ان الضغوطات الشعبية نفسها التي دفعت السادات لخوض الحرب دفعت فيصل لفرض حظر على النفط ٠ وان نجاح تلك الخطوة او فشلها يرتبط بتقييم مدى نجاح حرب اكتوبر او فشلها في تحقيق اهدافها المعلنة وغير المعلنة ٠ وتنتهي الدراسة بالاشارة الى ان سلاح النفط محطة من محطات الصراع المستمر لاعادة توزيع جذري لثروات الارض٠

الاهمية الحضارية لحرب تشرين :

يعالج انور عبد الملك موضوع الاهمية الحضارية « لحرب التحرر الوطني العربية » ٠ حيث يؤكد في مطلع دراسته ان تلك الحرب لا يمكن فهمها الا ضمن الافق الحضاري ٠

ويحدد عبد الملك ثلاث دوائر تشكل اطارا لتحليل مقارن للعمليات الاجتماعية الاساسية: ١ ـ الحضارات ، ٢ ـ المناطق الثقافية ، ٣ ـ الامم ٠ ويمكن تفسير الدائرتين الاولى والثانية باختلاف عالمي الانسان : الشرق والغرب ٠ ولقد تمتعت المنطقة العربية بامتياز التوسط ما بين الشرق والغرب ، بسبب من موقعها الجيو ـ سياسي حول البحر المتوسط ٠

ويتطرق عبدالملك الى ميزان القوى العالمي ، حيث يشير الى ان نهضة الغرب جاءت من خلال تركيز متزايد للعنف ، اولا ضد الطبقات الحاكمة ، وبعد ذلك ، وبشكل اكثر حدة ضد امم وشعوب العالم اللاغربي من الصليبيين وحتى حرب فيتنام ٠

وفي حين كان القرن التاسع عشر عـصرا ذهبيا للامبريالية والراسمالية ، فلقد كان ايضا فترة هامة في انتفاضة الشرق • وشهـد الربـع الاول من القرن العشرين اول موجـــة استـقلال شكلي ، بالاضافة الى أول ثورة اشتراكية في العـالم • وتنامت الاشتراكيـــة بسرعـة بعـد ذلك • وشهـد ميزان القوى العـالي تغـييرات متسارعـة كذلك •

وبدت مراكز القوى في العـالم وكانهـا الولايات المتحـدة ، والاشتراكية الغـربيـــة ، واسيا الثورية ، الى جانب قوى صاعـدة كاليابان واوروبـا الغربية الموحـدة •

يشير عبد الملك الى عـاملين هامين بـرزا فـي ١٩٧٣ • فمن جهة برز تزايد وعــي الطبيعـة اللاعـقلانية لانماط التطـور الصناعـي الراسمالي التي قولبـت الغـرب منـذ اواخـر القرن السادس عـشر • ومن جهة ثانية تصاعـد شعـور بعـدم ارتياح عـام ، وبغياب الثقة والوضوح في كل من الولايات المتحـدة واوروبـا الغربية • ولقد ساهـم هذان العاملان في تضخيم اثار قرار تاريخي اتخذه العـرب لاخـــذ المبـادرة السياسيــــة المركزية بانفسهم • وكانت النتيجة ان الهجوم العسكري تجاوز اثره الاقليمـي وحـــرك العديد من النتائج •

ولم تكن حرب اكتوبر ـ على حد تعبير عبد الملك ـ الحـرب العربيـة الاســرائيلية الرابعة وانما نقطة التحول بين الانحطاط والنهضة في المنطقة العربية • اذ انهـــا كانـت نقض النقض وهزيمة الهزيمة •

ويطالب عبدالملك بتطوير استراتيجية حضارية تهدف الى تعبئة كل الطاقات باتجاه اعـادة احياء المجموعـة المتناسقة العربية • فيؤكد عـلى اولوية السياسة ، وعـلى وجوب تطويـر فلسفة عصرية قادرة عـلى الهـام الاتجاهات السياسية والمدارس العسكرية ضمن الجبهة القوميـــة •

وبعد ان يتساءل فيما لو كانت قيادات العالم العربي الحالية مستعــــدة لمواجهـــة تحديات التاريخ المعاصر ، يشير عبدالملك الى ان العـرب اظهروا قدرة عـلى اخـذ المبادرة وفرض القرار السياسي • كما يشيـر الى ان هناك الكثير من المهـارة والخيال والذكـــاء والطاقات الكامنة بين الشعـب ، خاصـة فـي ازمان حركات تحرر وطني سريعة وراديكالية •

الاساطير المحطمة :

يعالج ادوارد سعيد موضوع « الاساطير المحطمة » في اخر فصل من فصـــول كتـــاب « بوتقة الشرق الاوسط » • ويتطرق في موضوعـه الى « الاساطير » التي تحطمت انبالنسبة لنظرة الغرب ومستشرقيه للعرب وخصائلهم وقدراتهم ، او بالنسبة لنظرة العرب انفسهـم الى اسرائيل وما تمثـل من تفوق في المنطقة العربية •

ولقد كانت حرب تشرين الحدث الذي اثبت «اسطورية » تلك المفاهيـم وبعدها عن الواقع • كما انها الحـدث الذي سيفرض مراجعـة عـامة ومفاهيم جديدة اكثـر دقة وموضوعـيـة تتناسب مع الحقائق التي كشفتها تلـك الحـرب •

شومسكي :
الحرب والسلام في الشرق الأوسط

فيصل دراج

تشكل الممارسة بمركباتها المختلفة الاساس الموضوعي للوصول الى الحقيقة، فالاطروحة الذهنية لا تبدأ كمطلق ويقين منذ البداية ، فهي اما ان تبدأ كوهم ذاتي او كحقيقة جزئية او كمشروع عام يعمل للاقتراب من الحقيقة، لتجيء بعد ذلك الممارسة فتعيد صياغة الاطروحة او تظهر صحتها وربما تلقي بها احيانا بعيدا اي تظهر مجافاتها للواقع وللشرط التاريخي ·

لكن الانسان لا يبدأ من الصفر ، ولا يجعل من ذاته المصدر الوحيد واليتيم لمساره ، فحقل التاريخ حافل بالمادة العلمية وبتجارب الشعوب التي تشكل قاعدة صلبة لاعطاء مؤشرات تدفع الى الطريق الصحيح ·

ان اية تجربة ثورية مهما بلغت اصالتها وتكثفت خصوصيتها لا تستطيع السير والمسار بالاعتماد فقط على مفهومها الخاص للعالم والتاريخ ، كما انها لا تستطيع تحطيم قانون العام اعتمادا على مفعول قانون الخاص · واية محاولة لكسر وتجاوز التجربة الثورية الكونية محض وهم يتبدد تباعا تحت شمس الحركة التاريخية وخلال عملية الصراع المتجددة · فالاصالة لا تنفي الكونية بل هي اساسها الموضوعي ·

لا تعني الكُونية الانفتاح نحو السديم ونحو عالم يعتمد على جوهر الانسان بل تعني دراسة وتمثل ونقد واغناء التجربة الكونية الثورية ببعديها النظري والعملي ، والالتفات الى الافكار والمحاولات الهادفة لدفع التاريخ الى الامام ·

لقد استطاع الشعب الفلسطيني بنضاله ان يضع مشكلته على مسرح العالم، وان يؤثر ويتأثر بالاحداث ، ان يجعل من قضيته محورا للحديث والمناظرة والتحليل ، لكن ذلك لا يجعل من القضية الفلسطينية محورا للعالم ومركزا له ، فنحن نشكل احد بيوت حركة التحرر الوطني في العالم ، وهذا يعني ضرورة ترك نوافذنا مفتوحة على العالم لنراه ونفهمه وننقده ونستفيد

منــه ٠

ولكن ماذا نعـني عـندما نتحـدث عـن «النوافذ المفتوحـة » عـلى العـالـم الخارجي ؟٠ ليس العـالم الخارجي متسقا ومتجانسا ، انه محـكوم بمنطـق الصراع ،الثورة والثورة المضادة ٠لهذا فان « النوافذ المفتوحة » المطلقـة السراح لا وجود لها ٠ والنوافذ السائبة تؤدي الى العدم او السديم ، اننا نتجه الـى نوافذ الثـورة والموضوعـية والواقعية ٠

ان الظروف التي ولدت فيهـا الثـورة الفلسطينية جعـلتها لا تلتفت الى «نوافذ العالم » الديمقراطية بالقدر الكافي ، وعندما نلتفت الى افكار « الاخريـن » ونقبل بهـا ، فان ذلك لا ينبـع دائما عـن قناعـة منطقية بها بـل يجـيء عـلى الاغلب كضرورة لوضع مأزوم ، اي ان الممارسة اليومية التجريبية هي التـي تدفعـنا الى قبـول منطق الاخـرين والبحـث عـن تحليل جديد يتجاوز ما سبقه٠ ان ذلك يعني التحليل المنسق لوضع ما ، لم يكن عندنا دائما نقطة انطلاق ، وكثيرا ما شكلت نقطة النهاية بداية الانطلاق من جديد ، فالنظرة والنظرية عندنا احيانا تابعتان للممارسة بدل من ان يكونا ادوات ضبط لها ٠

سنحاول هنا تقديم اطروحات ناحوم شومسكي الواردة في كتابه « الحـرب والسلام في الشرق الاوسط » ٠ Belfond - Paris - 1974 والذي هو جملة مقالات كتبها بين ١٩٦٩ ـ ١٩٧٣ حول الصراع العربي ـ الاسرائيلي بشكـل عـام والصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي بشكل خاص ٠ اننا لا نتفق هنـا الا مع بعض أطروحاتـه ونرفض البعض الاخـر ، ورغم هـذا فـان شومسـكي برهن عـلى رؤية سياسية في منتهـى الصحـو والوضوح ، وقدرة عـلى قراءة المستقبل في الحاضر ٠

شومسكي واليسار الامريكي :

ناحوم شومسكي عالم لغوي ذائع الصيت في المجالات الاكاديمية في الشرق والغرب ، بل يمكن القول انه احد القلائل الذيـن ارسوا اسس علم اللغـة الحديث ، يهودي ، ينتمي الى ما يسمى باليسار الامريكي الجديد ، لـه مواقف مشرفة وموضوعية من قضايا التمييز العنصري في امريكا ، نـدد بـدور المخابرات المركزية في قمع « العالم الثالث » ونهبه ، وخاصة بدورها الوحشي في اندونيسيا في كتابـه « حـمام الدم » ، شجب دور المثقفين الذين يوظفـون طاقاتهم العـلمية في خـدمة الاحتكارات والامبريالية « المثقفون الجدد » ، وقـد اصدر هذا العام دراسة مشتركة مع جان بيير فيجيه عن ازمة الامبرياليـة ٠

وصل شومسكي الى تقييم الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي من خـلال نفس المسار الذي سلكه اليسار الامريكي الجديد ، اي انه لم يبدأ مـن الصـراع نفسه ، بـل بدأ برؤية وشجـب دور امريكا البشع في العـالم ، وبالتالـي فلقد رأى الصراع اثناء اقتفائـه لمفاصل الاخطبوط الامريكي فـي العـالم ،فالوجه الامريكي القبيح هو البداية والنهاية ٠

يتكون اليسار الامريكي الجديد من ثلاثة اتجاهات : السود ، المثقفون البيض والبوهيميون ، وتنتمي هـذه الاتجاهات غالبا الى الطبقة الوسطى التـي لا ترفض النظام الامريكي كلية بـل ترفض فيه بعـض الوجوه والقيم وتحلم بمجتمع انساني اخلاقي يحافظ على حرية الفرد ويكرس انسانيته ٠ فبؤرة الاحتجاج وبدؤه هو الفرد المغترب وليس النظـام كبنية ٠ بـدأ هـذا اليسـار يحبو في بداية الستينيات وقد شكل الطلاب والمثقفون عـموده الاساسي ، ثـم نسب اليـه العـاملون في حركة الحقوق المدنية ، وتجلى نضاله خـلال مظاهرات متفرقـة او موسمية لشجب احد مظاهر الحياة دون ان يكون لديها فلسفـة واضحـة او برنامج عمل سياسي ، فمحرك الحركة هو الدفاع عن حرية الفـرد وانسانية الانسان وحقه في الحياة واتخـاذ القرار ، لذلك كانت وما تزال حركة رفـض لا تنظيم سياسي محدد الافق والهوية ٠ وقد حـدد طبيعـة هـذا اليسار ، وحلل منطلقاته توم هيدن T. Hayden في كتابه « من الاحتجاج الى الرديكاليـة»، ورأى انه جيل جديد ينطلق من الليبرالية يرفض الماركسية والدغمائية والجانب الوحشي من الرأسمالية ، ويتمحـور في فكره وعـمله حـول : الانسان عـقـل وحب وحرية ، وعلى الانسان ان يشارك في اتخاذ القرار الجماعي ويعمـل مع الجماعة دون ان يفقد فرديته واستقلاله الذاتي ، ولا يمكن ان يتحقق ذلك الا فـي نظام ديمقراطي يكون نتيجـة للحـوار والعـمل الجماعـي التكافـيء لا نتيجة للعـنف ، فكل ما يبدأ بالعـنف يئد الديمقراطية مسبقا ٠

لعبت جامعة بيركلي دورا كبيرا في تجذير الحركة الطلابية ، ثـم جـاءت حرب فيتنام والمظاهرات المطالبة بالسلام لتدفـع باليسار الجديد الـى الامـام ولتعطيه اطارا نظريا اكثر وضوحا عـلى الرغم مـن عدم تجانسـه ٠ فجاء كلارك كير C. Kerr وانتقد انسحاق الفرد امام الالة في كتابه « الصناعية والانسان الصناعي » ، اي انه طرح غربة الفرد عن المجتمع وانفصام شخصيته وفقدانه لقراره الذاتي ، وتعرض هيدن الى علاقة الحياة الاميركية اليومية بالحرب الفيتنامية ، فنقد عسكرة الحياة الاقتصادية ، وتعـقد التكنولوجيا كحقل ينمـو وينهض ويرتقي لخدمة الحرب ٠ يضاف الى ذلك رايت ميلز وماركوز ٠ وعـلى الرغم من ظهور الاطار النظري لليسار الامريكي الجديد فانه بقي عاجزا عـن

خلق حركة جماهيرية وبقي محاصرا في دائرة الفرد والحب والجنس والشر والخير · ولقد قاده وضعه هذا الى اتهام البروليتاريا واعتبارها مطيه وديعة للرأسمال مما جعله ينظر لدور المثقفين كعامل وحيد للثورة في القرن العشرين ·

فاليسار الامريكي الجديد ولد معزولا ، بدأ من المثقف ذو الضمير الاخلاقي وراوح عنده ، يبحث عن « الحب والجمال في العالم » دون ان يعي لا الشروط الموضوعية التي خلقت « الشر » ولا الوسائل المشخصة لقتل هذا « الشر » ·

ضمن هذا الاطار الاخلاقي الانساني ولد شومسكي المناهض «للشر» وتعرف الى الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي ·

ان تأمل وجه امريكا القبيح هو الذي دفع شومسكي واليسار الامريكي الجديد للتعرف على الشرق الاوسط لقد كان الشرق الاوسط حاضرا في الحياة الاعلامية والثقافية ، لكنه حاضر كحقل للبترول ، كجمل في الصحراء كبدائية مفرطة ، كرومانسية صنعها الخيال الكولونيالي ، حاضر كاسرائيل « بلد الحلم والبرتقال» ،اما القضية الفلسطينية فقد كانت غائبة تماما ،ففلسطين لم تكن الا كلمة جغرافية او تاريخية وتعني في نهاية المطاف « اسرائيل ـ ارض الميعاد » وعندما قذفت البندقية الفلسطينية القضية الى العالم واصبح لها جسما وظلا استحال الفلسطيني في امريكا الى مرادف للشر ، بل ان التكلم عن الفلسطينيين ـ وعلى حد قول شومسكي نفسه ـ كاف وحده لاثارة الامريكي وافساد سهرته ·

فما هي اطروحات شومسكي عن « الحرب والسلام في الشرق الاوسط »· وما هي الافاق التي سيبلغها الصراع في الشروط المعطاة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ·وما هو الحل الموائم والقادر على لجم الحرب بشكل موضوعي للوصول الى سلام لا يحمل في احشائه بذور حرب قادمة ؟

ـ ١ ـ

يشكل البترول الرحم الذي انبثق منه الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي بشكل خاص والعربي ـ الاسرائيلي بشكل عام · لا شك ان هذا الصراع المتمحور حول البترول لم يبدأ بظهور المقاومة الفلسطينية ، فقد كان ابدا صراعا سجالا مشروطا بمد حركة التحرر العربية وجزرها ، وما جعل المقاومة في بؤرة ومحرق هذا الصراع هو وزن المقاومة ابان ظهورها والدور التحريضي لها في الساحة العربية ، فمنذ بدء القرن كان البترول وما يزال منبع الصراع وسببه

واساسه . ويمكن تلخيص ابعاد الصراع بالامبريالية والبترول وحركة التحرر المدافعة عن حقوقها وحقها في الوجود . ولقد كانت « يد البترول السياسية » منذ بدء القرن تقريبا في ساحة الصراع العربية ، تارة تنمو وتارة تتراجع لانها لا تهدف الى حماية البئر البترولي فقط بل حراثة وتدجين جميع المساحات المتاخمة له . فالصراع حول « الابار » يشمل الوطن العربي قاطبة ،وكل ما يدور في العالم العربي من صراع بين قوى التحرر والامبريالية يتضمن البترول واستطالاته السياسية .

بغية ايضاح ذلك يرجع شومسكي الى التاريخ ، فقد صرح بلفور عشية تصريحه الشهير ــ المشؤوم « الجوهري هو ان يبقى البترول في متناول ايدينا». وبعد ذلك بخمسة وعشرين عاما صرح سكرتير الدولة الامريكي كوردل هل Cordell Hull « ينبغي ان نفهم ان بترول العربية السعودية يشكل اكثر رافعات العالم عظمة »، ولذلك عملت الولايات المتحدة الامريكية على ازاحة بريطانيا من المشرق الاوسط وحلت محلها لتضع يدها على المنابع البترولية التي تشكل اهمية لا شك فيها للمجتمعات الصناعية . ومنذئذ والامبريالية الامريكية تعمل بيديها واسنانها لتأييد هيمنتها على المواقع البترولية وجعلها مرفأ مطواعا للشركات البترولية الامريكية .

لقد كان هذا المنطق هو بوصلة السياسة الامريكية في الشرق الاوسط بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، لكن رفع العرب شعار البترول في وجه امريكا حمل هذه الاخيرة على اجراء « تعديلات طفيفة » في سياستها بحيث تقود الجميع الى قبضتها ــ اسرائيل والبلاد العربية ــ دون ان تضير احد الطرفين. ان امريكا لا تسعى من وراء البترول العربي الى الربح فقط ، بل تسعى من خلاله ايضا الى المسك برقاب وتأثر النموالاقتصاديوالحركة السياسية فياوربا الغربية واليابان ، خاصة ان امريكا قادرة على الوصول الى اكتفاء بترولي ذاتي على عكس حلفائها . وبذلك يصبح البترول مصدر طاقة وربح هائلين وعصا غليظة لقيادة حلفاء امريكا .

تعني المقدمات السابقة بالضرورة ان للبترول العربي والصراع المتحلق حوله اهمية محلية واقليمية وعالمية . حيث يكمن في الدائرة الاولى البترول وادارته السياسية المحلية ، في حين تشكل الدائرة الثانية حزاما سياسيا يجب ان يكون واقيا ، اما الدائرة الثالثة فتتحدد بالاثر الاقتصادي والسياسي للبترول على المستوى العالمي . يمكن ان نقول اثر ذلك ان اتباع العرب لسياسية بترولية مستقلة قد يؤدي الى صراع جسيم في قلب النظام الرأسمالي نفسه . فأمريكا دعت وتدعو دائما الى «جبهة مشتركة» ، جبهة سياسية موحدة للدول

المستهلكة للبترول يمكنها السيطرة عليها ، بينما يحاول حلفاؤها الوصول الى علاقات ثنائية مع العالم العربي المنتج للبترول ، اي يحاولون الخروج عن الدائرة الامريكية وكسر ما يسمى بـ« الجبهة المشتركة » التي تدعو اليها امريكا كي تحقق من ورائها ربحا ماليا وسياسيا · لهذا وجدنا ، خلال حرب اوكتوبر ، اليابان وفرنسا وبريطانيا والمانيا الغربية تلهث وراء علاقات ثنائية مع الدول العربية المنتجة للنفط على الرغم من ان مكان الاحتكارات الامريكية كان ما زال صلبا ومتينا وبعيدا عن الاهتزاز ، مما حمل مدير الطاقة الامريكي م · سيمون على التصريح بان امريكا لن تسمح بمساس احتكاراتها النفطية ومليارات الدولارات المستثمرة في هذا المجال ·

فالبترول اذن ليس مصدر طاقة واستثمارات فقط بل اداة هيمنة سياسية ، ولا يمكن الفصل بين الوزن السياسي الفعلي للولايات المتحدة ووزنها النفطي علما بأن الشركات النفطية الامريكية تتحكم بحوالي ٧٠ ٪ من الصناعة النفطية العالمية · ومن هنا ينبع ويقفز الى العين المكان الهام الذي تتصدره العربية السعودية وايران في الاستراتيجية الامريكية ·

ينجم عن ذلك ان امريكا غير مستعدة ابدا للتخلي عن امتيازاتها النفطية ، وهي مستعدة دائما للذود عن حياض امتيازاتها بكل اشكال الصراع الممكنة من الكلمة الدبلوماسية الى المدفع ، وقد عمدت الولايات المتحدة خلال حرب اكتوبر الى البحث عن كل السبل الممكنة لردع العرب ، وجاءت نتيجة الدراسات التي قام بها كلاوس هس ، كلاوس كنور واوسكار مورجنشترون من جامعة برنستون والتي نظمها مكتب الابحاث البحرية Bureau de la Recherche...Naval Par Mathamatica .

« ان البلدان الاساسية المصدرة للنفط يمكن ان تخضع للقوة » · كما قال البعض « ان دبلوماسية المدافع لم يندثر زمانها بعد »· وذهب والتر لاكور ابعد من ذلك عندما طالب بـ « تدويل النفط » ليصبح حكرا للبشرية جمعاء لا لشركات نفط معدودة وقال « يمكن ان يصبحتدويل المصادر البترولية في الشرق الاوسط اختبارا اساسيا لسياسة الانفراج » ، وقاده خياله الى « تشجيع مصر للتحكم في حقول البترول الليبية »·

يمكن ان نلخص الاطروحة الاولى اذن بأن الصراع الاساسي في حقل الشرق الاوسط ما يزال يدور حول النفط بجوانبه الاقتصادية والسياسية ، وبوصفه طاقة ، وهو المفتاح الاساسي الذي يقودنا الى فهم طبيعة الصراع في الشرق الاوسط ·

تلعب اسرائيل دورا متميزا في حقل الصراع في المنطقة وفي اطار الاستراتيجية الامريكية البترولية ،لكن هـذا الدور لا يتأتى من طبيعـة دولة اسرائيل ولا مـن قاعدتها التاريخية بـل من شكل العـلاقة القائمة بين دولة اسرائيل وجيرانهـا العرب · اي انها لم تولد في كنف الامبريالية بل دفعت اليه بايـد عربيـة ترفض وجـود اسرائيل · فكيف حصل ذلك ؟

يطرح شومسكي امامنا عدة اطروحات ، اطروحات ـ مسلمات :

ا ـ ان الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي قومي في جوهره ، صراع بيـن قوميتين ، بين حركتي تحرر صادقتين وجديرتين بالحياة ، فالفلسطينيون واليهود يتناحرون على ارض ذات حدود غامضة يعتبرها كل من الطرفين وطنا له ·

ب ـ الصهيونية حركة تحرر قومي شأن غـيرها من حركات التحرر القومي · وهي في جوهرها نتاج للـ « حضارة » الاوربية · اما القومية الفلسطينيـة المتميزة عـن القومية العربية بشكل عـام · فهي نتاج لنجاح المشروع الصهيوني، اي ان القومية الفلسطينية قد نمت وتشكلت خـلال نضال الشعـب الفلسطينـي ضد المهاجرين اليهود الى فلسطين ، او بشكل ادق فان نموها يوازي نضـال الشعـب الفلسطيني ويزامله ويواكبه ·

يقول شومسكي منذ البدء وبدون ابهـام بالعـدالة المطلقة للقضية الفلسطينية، لكن عـدالتها لا تنفي ابدا عـدالة « القضية الاسرائيلية »، ثم يعـود بعـد ذلك للتحـدث عـن جوهر الصهيونية كايدولوجيا اشتراكية انسانية تعـمل عـلى تحقيق الذات اليهودية دون ان تضطهد الكيان العربي ، لذلك فان الصهيونيـة لم تطرح في مسارها الاول مشروع اقامة دولة يهودية محضة بل دعـت الـى دولة اشتراكية ثنائية القومية ، وليس مارتن بوبر وجودا مجنس الا احـد الرموز القليلة التي عـملت عـلى الحفاظ عـلى نقاء الصهيونية وتجسيدهـا عـمليا دون اضطهاد الاخرين ·

يوصل هذا المنطق إلى اطروحة اساسية عـند شومسكي : هناك صهيونيـة انسانية ـ اشتراكية ، وهناك صهيونية رجعـية اظلامية قامـت باضطهـاد الفلسطينيين وتشريدهم ، اي انها صهيونية تحريفية خانت المباديء الاولـى وادت الى تدهور وانحطاط المثـل الصهيونية الاصلية ودفعتها الى حقل الامبريالية حتى اصبحت اداتها الاكثر فاعـلية في الشرق الاوسط ·

ان اسرائيل بشكلها الراهن نظام عسكري مسلح حتى الاسنان يتلاحم ويتكافل مع الامبريالية والامريكية منها بشكل خاص ويعمل باتجاه الدفاع عن المصالح الامبريالية ويدفع بالشعب اليهودي والعربي الى الدمار · فاسرائيل منذ وجودها عمدت الى سياسة « التفوق العسكري » ساعدها في ذلك « الجالية اليهودية الامريكية » التي تتسم بعنصرية مترعة وتطرف بلا حدود وتاثير كبير في الادارة الامريكية ، وكي تحقق اسرائيل استراتيجيتها بشكل مستمر كان عليها بالضرورة الارتباط المطلق بالسياسة الامريكية ·

ليست اسرائيل الراهنة الا التجسيد التحريفي للمثل الصهيونية ، ويمكن تلخيص الاسباب التي دفعت الى « تحريف » الصهيونية بما يلي :

ا ـ نمو التيار الانعزالي في الحركة الصهيونية وتخليه عن سياسة عدم الهيمنة وصولا الى مطالبته وتجسيده للدولة اليهودية النقية · ان هذا التيار المتطرف القائم على نفي الاخر الجدير بالحياة هو سبب الازمة الراهنة · لذلك ينبغي النضال لدحر هذا التيار واعادة الصهيونية العاملة لمجتمع جديد في فلسطين القديمة يقوم على الاشتراكية وثنائية القومية ·

ب ـ التطرف العربي في الثلاثينيات والاربعينيات الذي رفض بدوره الوجود اليهودي ، فما كسر المعادلة وسمح « للاطراف الانعزالية » في الطرفين بعرقلة المعادلة · فلجأت الى العنف بديلا عن الحوار والتعاون ·

ج : الظروف التاريخية التي مرت بها الحركة الصهيونية والتي شكلت تربة صالحة لدفع وتشجيع العناصر المتطرفة ، واهم هذه الظروف هي ظهور النازية و « حرب » ١٩٣٦ في فلسطين والحرب العالمية الثانية ·

ان جملة الاسباب المذكورة جعلت من اسرائيل منذ البدء اداة للامبريالية وحارسا لمصالحها في الشرق الاوسط وسببا مستمرا لتوتير المنطقة وتأزيمها بما يخدم المصالح الامريكية والامبريالية · ولا يمكن ان ترى اسرائيل بشكلها الراهن الا من خلال المنظور الامبريالي ·

(٣)

يوجد الان واقع مشخص لا يمكن نكرانه · هناك دولة اسرائيل وهناك الشعب الفلسطيني الواعي والمنظم والمقاتل والذي يجسد نفسه في حركة المقاومة الفلسطينية التي تناضل من اجل استعادة ارضها ، من اجل حق عادل ،

لكن للاسف ، لا يمكن تحقيق العدالة دائما ، يقود هـذا بالضـرورة الـى المساومة والتنازلات • فالعدالة مفهوم يغمط حقه احيانا •

اتسم الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي في راي شومسكي منذ الثلاثينيـات وحتى اليوم بسمتين :

ا ـ التدمير الذاتي المتبادل ، فكل طرف في سعـيه ونضاله لتدميـر الاخـر يدمر نفسه ايضا •

ب ـ استراتيجية الافلاس : ان عملية التدمير المتبادل مستمـرة ، دفـع الفلسطينيون الكثير كما دفـع اليهـود كذلك ، لكن المشكلة ما تزال قائمـة فالفلسطيني مستعـد للقتـال والاسرائيلي للرد • ولكن ماذا بعد ذلـك ؟ فالفلسطينيون لا يستطيعون تدمير اسرائيل وهـذه الاخيرة عاجـزة عن دحر الفلسطينـيين وتحطيم وعيهم القومي •ان اسرائيل تستطيع ان تربح مرة ومرتين، لكن ربحـها المستمر هـو موطن نحرها ولن تربح فعـلا الا عـندما تقبـل بواقـع الشعـب الفلسطيني وطموحـاته القومية • يضاف الى ذلك ان حرص اسرائيل عـلى الربح لا يجعـلها اداة امريكية فقط بـل سيقود بالضرورة الى تحطمهـا الداخلـي ـ الذاتـي • فالصـراع الفلسطينـي ـ الاسرائيلي انتحـاري ، ولا تنبـع الصفة الانتحاريـة لهـذا الصـراع مـن الطـرف الفلسطيني فقط بل من التعنت الاسرائيلي ورفضه تقديم اي برنامج سلام يتضمن المصالح الفلسطينية • ان الفلسطينيين لا يستطيعون تحقيق شعاراتهم فـي الظروف الراهنة ولا حتى الديمقراطية منها ، فتربة الشرق الاوسط السياسيـة لا تسمح بذلك ، لذلك ينبغي الرجوع والعودة الى الواقعية في شكلها الاكثر بساطة والعـمل بهـدوء بانتظار ظروف قادمة وموازين قوى جديدة •

ـ٤ـ

لا يشكل الفلسطينيون عقبة وصداعـا لاسرائيل فقط بـل لجميـع الانظمـة العربية بلا استثناء ، كما يبدون كجسم سياسي متعب وحامل للمشاكل بالنسبة للقوى الكبرى ايضا ، انهم يشكلون جسما غريبا في المنطقة بسبب دورهم فـي دفع حركة اليسار الى الامام وبسبب دورهم التحريضي بين الشعـوب العربية ، لذلك فان كـل الجهـود العسكرية والسياسية التي تنصب في ساحـة الشرق الاوسط تهدف بشكل اساسي لحذف الفلسطينيين من معادلة السلام والتسويـة، بل ان الكثير من البرامج والخـطط قد وضعـت مستهدفة استئصال الوجـود الفلسطيني بشكل اساسي او خلق الشروط السياسية التي تدفع باتجاه تصفية الوجود

الفلسطيني : فمشروع روجرز قد وضع في الاساس ليدفع الدول العربية بتحطيم حركة المقاومة الفلسطينية ، وعندما تم ذلك في الاردن في ايلول ١٩٧٠ طوى النسيان مشروع روجرز وانتهى الحديث عنه لانه قام بدوره وانتهى ، وينبغي ان يعرف الفلسطينيون ان الاردن ليس النظام الوحيد القابل لتصفيتهم بل ان اقرب اقربائهم مستعدون للقيام بنفس العمل (قال شومسكي هذا في عام ١٩٧٢) ٠

ان ماساة الفلسطينيين تكمن في رفض جميع القوى السياسية لهم ، المحلية والاقليمية ، والعالمية ٠ لذلك فهم امام اختيارين فاما الاندراج في اللعبة او النضال من جديد وعلى اسس جديدة ٠ فالحل الحقيقي للمشكلة الفلسطينية في مأزق والمقاومة نفسها في مأزق، واوروباوالقوى الكبرى غير، مستعدة ان تناقش بشكل جدي مطالب الفلسطينيين ، والوجود الفلسطيني الراهن عقبة يامل جميع الاطراف بازالتها ، ازالة يمكن ان تتم بصمت او بصخب ، ازالة مباشرة وبدفعة واحدة او بشكل متدرج لبق ٠

ان السلام الحقيقي والموضوعي في الشرق الاوسط يرتبط بشكل جوهري بقدرة المقاومة الفلسطينية على الصمود وقدرتها على خلق افاق جديدة في الشرق الاوسط ٠ ولن اي سلام يتم على حساب الفلسطينيين لا يمكن ان يكون الا نفيا للسلام ٠ فسلام الفلسطينيين يرتبط اذن بتثوير المنطقة وبالنضال من اجل ميزان قوى جديد يقبل ويناضل من اجل الطموحات القومية الفلسطينية ٠

ان ارتباط الوجود الفلسطيني المسلح بامكانية تثوير المنطقة يدفع بالمقاومة الفلسطينية الى الجدار ، الى سلسلة متصلة من القمع ٠ فاسرائيل لا تريد الفلسطينيين ، كما ان الدول العربية بدورها لا تريدهم ، فعلى الفلسطينيين اذن ان يحاربوا اسرائيل والبلاد العربية ٠ ٠ لكن امكانياتهم الذاتية لا تسمح بذلك ٠ فكيف تنحو اذن الامور ؟

الدول العربية تبحث عن حل لمناطقها المحتلة ، لكن اسرائيل تضع في منتصف الدائرة غياب الفلسطينيين كشرط للحل ، وهو شرط تقبله الدول العربية بلا عناء ٠ ان سياسة اسرائيل منذ حرب ١٩٦٧ لم تكن تهدف فقط الى ابقاء الاراضي العربية تحت الاحتلال بل دفع الدول العربية الى التنكر للوجود الفلسطيني والغائه ٠ فاسرائيل لا تلغي الفلسطينيين من قاموس السياسة فقط بل تصر على الدول العربية ان تفعل الشيء ذاته ، فـ « غولدا مايير » تقول ان الفلسطينيون « لا وجود لهم » ، اما ابا ايبان فقد صرح منذ عام ١٩٦٩ بانه « ليس للفلسطينيين اي دور في تسوية السلام » ٠

ويتفق هذا المنطق المغيب للوجود الفلسطيني مع السياسة الامريكية ، وبالتالي فان اللعبة السياسية تدور بين اسرائيل وامريكا والبلاد والعربية ، اي تدور على ارضية سياسية تتحكم بها الامبريالية الامريكية · في ظل هذه الشروط فقط فان عدد الفلسطينيين سيكون بالضرورة زهيدا، فاما ان يحذفوا كليا من الحل، او يحصلوا على ادارة سياسية تابعة للنظام الاردني ، او يصلوا الى دويلة خاضعة لليد الاسرائيلية الثقيلة ·

يمكن ان نلخص ما سبق بالاطروحة التالية :

في ظل الشروط القائمة في الشرق الاوسط يبدو الجسم الفلسطيني هجينا والحل القادم لمشكلتهم سيكون هجينا ايضا ·

ـ٥ـ

تهدف امريكا من الغاء الوجود الفلسطيني المسلح الى اعادة ترتيب المنطقة ، فهي لا تكره الفلسطينيين لفلسطينيتهم بل لدورهم المحرض والقادر على توتير المنطقة · فاستئصال المقاومة يعني استئصال احد الاسباب المؤثرة بغية الوصول الى بحيرة امريكية هادئة · فالولايات المتحدة تريد اعادة حكم الشرق الاوسط بشكل كامل وهادىء وهذا يتطلب ما يلي :

١ ـ استئصال القوى المناهضة لها ·

٢ ـ الوصول الى حل امريكي للصراع العربي ـ الاسرائيلي ·

٣ ـ خلق نقاط رقابة على المنطقة ،او حكومات ـ ثوابت قادرة على « ضبط الهدوء في المنطقة» · والثالوث القادر على لعب هذا الدور هو ايران ـ السعودية ـ اسرائيل · وبذلك تعمل جميع دول المنطقة تحت اشراف امريكي ولخدمة المصالح الامريكية ·

ان هذه « المناطق المتجانسة »الخاضعة للرقابة الامريكية لم تكن ممكنة بدون حرب حزيران ١٩٦٧ وبدون الاستثمار السياسي الامريكي لهذه الحرب · وتعتقد امريكا ان سياستها القائمة على الدعم اللامشروط لاسرائيل قد حققت نجاحا كاسحا ، فاسرائيل هي المشرط الذي استعملته اليد الامريكية في جراحتها لجسم الشرق الاوسط ·

يصل شومسكي بعـد ذلك الى الحـل الـذي يعتقد أنه الوحيد والموضوعـي لانهاء الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي · وهو لذلك يتكلم عن الحل المجـرد ـ الحـل المبدئي ـ وعـن السبل المكنة للوصول اليه ·

يستلهم شومسكي في حله صهيونيته الضائعة او افكاره الانسانيـة ـ الليبرالية :

ـ ربما يكون الحل في فيدرالية ذات منطقتين الاولى يهودية والثانية عربية، ولكل من هاتين المنطقتين ادارة قومية تتمتع بقدر كبير من الاستقلال الذاتـي ، بحيث تعمل هاتين الادارتين بشكل مستمر عـلى تقريب الشعبين وخلق روابـط جديدة سياسية وايديولوجية بينهما للوصول في النهاية وعـلى المدى الطويل الى اندماج كامل ·

اي يعود شومسكي من جديد الـى صيغة الدولـة الثنائية القومية لكن هذه الدولة لن تكون حصيلة نضال قصير الامد ، امكانية مباشرة ، بل حصيلـة جهد طويل يقوده تحالف طبقي غائب الان ويجب العمل من أجله · لكن هـذا يستلـزم وجـود دولة فلسطينية (منطقة فلسطينية) يمكن قيامها في الضفـة الغربية وغزة او كما يقول شومسكي المناطـق التي احتلتها اسرائيل في حرب ٥ حزيـران ·

يدعـو شومسكي اذن الى دولة فلسطينية من ناحية (تخفف جزئيا الاجحـاف الذي لحق بالشعب الفلسطيني) والى النضال لخلق « يسار جديـد » يقـود النضال للوصول الى تغيير راديكالي في بنيان المنطقة السياسي ·

★ ★

هذه هي اطروحات شومسكي الاساسية · وعلى الرغم من الدقة والحـذر في منطقه ، والواقعية والموضوعية ، فان مقاله السياسي يحمل الكثيـر مـن النقاط الغائمة والمتناقضة ·

ـ يتكلم شومسكي عـن الصهيونية كحركة تحـرر قومي ويجعـل مـن اليهودية قومية وبذلك يقفـز فوق معـايير القومية والحقيقة التاريخية ويـردد اصواتا صهيونية كلاسيكية · فالصهيونية ليست حركة تحـرر قومـي بل

ايدولوجيا كولونيالية مرتبطة بطبقة تواءمت مصالحها مع مصالح الامبريالية او شكلت احد رافعات هذه الامبريالية نفسها . فالتحرر القومي يعني دفاع شعب ذي عمق تاريخي عن ارضه التي احتلها اخر ، فأين هي ارض الصهيونية ، الا اذا اراد شومسكي ان ينسى الارض الصلبة ويحل محلها أرض الاساطير الدينية ، واين هو العمق التاريخي المشخص لغة وثقافة «الشعب اليهودي » ، واين هو نمط الانتاج الموحد الذي يجمع اليهود ويجعل منهم بنيانا اجتماعيا ذا مفاصل اجتماعية وايديولوجية وسياسية موحدة ؟ . ان شومسكي يضيع مقاله العلمي ويسقط في اللاهوت. فاذا اخذنا الشق الاخر من المشكلة : تحرر قومي ممن وكيف ؟ يقول الصهيونيون في رواياتهم وافلامهم انهم ناضلوا ضد الكولونيالية البريطانية . لكن التاريخ يقول شيئا اخر . فنسبة السكان اليهود في اول القرن لم تكن تتجاوز ٥٪ ثم جاء وعد بلفور ودفعها الى الامام ، ثم سهل لها القمع النازي والكولونيالية البريطانية الوصول الىفلسطين لتصبحنسبة اليهود من السكانفي نهاية الحرب العالمية الثانية ٣٥٪ . فهل جاء اليهودي البولوني من وارسو ليمارس تحرره القومي في فلسطين ؟ وهل جاء ليدافع عن ارضه ؟ . مما لا شك فيه انه من الصعب والمستحيل اعتبار هذا التراكم البشري اللامتجانس شعبا ذا شخصية قومية ويدافع عن ارض اغتصبها من غيره . ان المهاجرين اليهود الى فلسطين ليسوا الا نسخة اخرى مضللة او صاحية من المستوطنين الكولونياليين الذين قذفتهم الرأسمالية والامبريالية الى « العالم الثالث » . ان شومسكي هنا يقفز عن التاريخ او ينساه او يقرأه بشكل صهيوني ، قراءة متناقضة بين الصهيوني واليساري تكون الغلبة فيها للصهيوني . فاذا رجعنا الى التاريخ من جديد لوجدنا صفحا اخر لمنطق شومسكي . فالكولونيالية البريطانية كانت العتبة ـ الحليف للكولونيالية الصهيونية ، مستعمر يتكامل مع اخر . اضف الى ذلك ان الصهيونية لم تحارب « المستعمرين البريطانيين » بل حاربت وكأي كولونيالية اخرى سكان البلادالاصليين ، وقامت « كتائب الليل » التي شكلها الصهاينة بـ« بدور فعال » في النضال ضد الفلسطينيين خلال ثورة ١٩٣٦ .

ويمكن أن نقول ان الكولونيالية البريطانية والكولونيالية بشكل عام شكلت الرحم الذي قذف بالكولونيالية الصهيونية الى الوجود ثم حماه ورعاه حتى اصبح قادرا على « رعاية نفسه » . ان الشخصية القومية تكونت لدى شعوب العالم المناهضة للكولونيالية خلال نضالها من اجل التحرر والاستقلال، لكنها كانت شعوبا قائمة ، موجودة ، وليست جمعا من «المهاجرين » .

يمكن هنا ان نضيف احتمالا اخر ، هو ان شومسكي يعتقد ان«اليهودية» قومية وهذا ايضا يعيد حجة صهيونية كلاسيكية ، فاليهودية دين لا اكثر اي حزمة معتقدات مثالية تحدد جزئيا مفهوم الانسان للعالم تحديدا يتفاوت من بلد لاخر تبعا لتطور نمط الانتاج والبنى الاجتماعية · لكن شومسكي يؤمن بالعلم لا بالدين !· هنا نلمس مازقا اخر لمقولة اليساري ـ الصهيوني · اي ان وحدة اليساري ـ الصهيوني متناقضة في جوهرها وتتضمن تحطيم احد عنصريها وانحناءه للاخر ، ومحصلة القوى هنا (نمو الصهيونية وانتصار اسرائيل) تجعل العنصر اليساري يتراجع باستمرار ، والميثولوجيا تخضع الواقع لمنطقها وتكسر منطق الواقع ·

منطق شومسكي عن القوميتين الصحيحتين ـ القومية اليهودية والقومية الفلسطينية ـ يطرح علينا سؤالا جديدا ؟

كيف يمكن ان تتواجد قوميتان صادقتان على ارض بعينها ؟ وكيف يمكن ان يطالب فريقان بوطن واحد وارض واحدة ويكون كل منهما صادقا ؟· مازق اخر لشومسكي لا يحله بالعوده الى التاريخ والارقام والمنطق (وهو عالم لغة !) بل بمنطق العواطف والاخلاق والنزعة الانسانية المؤرقة ، الا اذا افترضنا ان منطق التاريخ والحركة التاريخية اخطا ، مرة فياسرائيل ومرة في روديسيا !!

مما لا شك فيه ان شومسكي ينطلق من الان ، من الواقع الراهن ، من حرب حزيران وواقع الشعب الفلسطيني ، ويقوده حسه الاخلاقي الى البحث عن الحل فيصل الى واقعية يمكن مناقشتها لو اقتصرت على الواقع الراهن وموازين القوى فيه ، لكن شومسكي ياخذ واقعيته الراهنة ويكسر عنقها ، اي يطبق معايير الحاضر على الماضي ، لذلك فهو واقعي عندما يتحدث عن الحاضر ، ايديولوجي ميتولوجي عندما يتحدث عن الماضي الذي يود ان يعالجه بـ « واقعية » ايضا ·

يطرح علينا هنا شومسكي سؤالا اخر · هل هناك قومية اسرائيلية ؟ · ليس مجال هذا المقال الرد على هذا السؤال ، لكن يمكن ان نلخص وجهة نظرنا بالشكل الاتي :

ـ من الصعب جدا التحدث عن قومية اسرائيلية منجزة كما يدعي الصهاينة الذين عندما تعوزهم المعايير الموضوعية المحددة للقومية يتحدثون عن « المجتمع الايديولوجي » ، اي ان الاسرائيليين علىاختلاف لونهم

وثقافتهم ولغتهم يتملكون مفهوما واحدا للعالم : الدفاع عن اسرائيل ومحاربة العرب • وتحدد القومية هنا ـ صهيونيا ـ بواسطة مقولتي الحب والكراهية والدفاع عن الانا • وهو منطق هجين تبريري مضلل •

ـ بعد مرور اكثر من ربع قرن على وجود المجتمع الصهيوني لا يمكن التحدث عنهم ك « يهود » او « صهاينة » او « اسرائيليين » فقط ، فمثل هذه المحاكمة تعني فقدان المحاكمة ، وهذا لا يمثل جوابا على سؤال بل هروبا منه ، فاسرائيل الان ـ وهي مجتمع كولونيالي صهيوني توسعي عرقي ـ تمثل اكثر من تراكم بشر . او تراكم «يهود» • لا يعني هذا اطلاقا انهم يحملون ملامح قومية متميزة • لكن الامر مع ذلك يحتاج الى دراسة واجابة تتجاوز الاجابة ـ الكلمات •

يتحدث بعض المنظرين اليساريين ـ اندريه جسلبرشت ـ عن اسرائيل كقومية في طور التكوين • وهي اجابة لا تزال البرهنة عليها غائبة او ناقصة •

وهذه الفرضية الاخيرة على الرغم من اعتمادها على مفهوم الطبقات والتمايز الطبقي والصراع الطبقي(الموجود بالضرورة في مجتمعمتميز الملامح)، تنسى ديناميكية الهجرة من اسرائيل واليها ، كما لا تلتفت الى التفاوت الثقافي بين زمر الاسرائيليين المختلفة ، اضف الى ذلك انه ينبغي التمييز في هذا المجال بين يهود ما قبل ١٩٤٨ ويهود ما بعد ١٩٤٨ •

ان كل ذلك ـ اي جملة الاعتراضات السابقة ـ يعني وجوب دراسة المجتمع الاسرائيلي في هذا المجال دراسة جدية لتحديد نمط تواجده ، لانه ليس تجمعا دينيا او ديموغرافيا فقط •

ـ يعتبر شومسكي الصهيونية الاولى حركة اشتراكية ـ انسانية ، وهذا تهويم صهيوني او انكار للحقيقية ، فاذا كان يقصد بصهيونية موسى هس فهي صهيونية لا يمكن ان تقف على قدميها لانها مزيج هجين من فلسفة التنوير والاشتراكية والرومانسية ، اما اذا قصد بذلك الصهيونية الكلاسيكية (هرتزل ـ نارداو ـ بنسكر) فهذا اعطاء صك غفران للصهيونية وتجميل لها • اذ ان الصهيونية بشكلها الكلاسيكي ليست الا انعكاسا للايديولوجيا الكولونيالية•

ـ يعتبر شومسكي ان اسرائيل اصبحت عدوانية لانها انحرفت عن صراط الصهيونية المستقيم ، علما بان الصهيونية بشكلها الايديولوجي وادارتها السياسية لا يمكن الا ان تقود الى مجتمع عسكري ، عنصري ، مرتبط

بالامبريالية ٠

ـ يتكلم شومسكي عن المصالح التقليدية للامبريالية في الشرق الاوسط ، بل يبدأ بوعد بلفور ، اي انه يضع على الطاولة علاقة المشروع الصهيوني بالسياسة الامبريالية ، لكنه لا يلبث ان يفصل بينهما معتبرا ان اسرائيل تجسيد لحركة تحرر قومي ، فصل يتضمن بالضرورة جهلا لتاريخ فلسطين وتراثها وثقافتها وتاريخها ومنجزاتها الحضارية ، حيث ان المعرفة الموضوعية لتكوين الشخصية التاريخية للشعب الفلسطيني تؤدي الى نفي ورفض المنطق الصهيوني ـ الكولونيالي ـ الميثولوجي ٠

ـ يكثر شومسكي من الحديث عن التعاون السوفيتي ـ الامريكي الموجه ضد الفلسطينيين ، وبذلك يتناقض مع نفسه عندما يقول ان امريكا تريد ادارة مستقرة للمنطقة بعد تصفية كل اثار التواجد السوفيتي : وهذا ينتج بالطبع من تبنيه لمقولة القوى الكبرى التي تستهدف اساسا النيل من الاتحاد السوفيتي ٠

ان هذا النقد لا يقلل على الاطلاق من قدر شومسكي وقيمته كمثقف ليبرالي يكرس جزءا كبيرا من امكانياته للتنديد بالامبريالية الامريكية والسياسية الاسرائيلية ٠ فهو في تحليله ينطلق من الامر الواقع ، من الان ، من الامكانية الموضوعية ، لا من المثل واليوتوبيا ٠ فالعدالة كما يقول مفهوم مجرد لا يمكن تحقيقه دائما ٠ والعدل والسلام والحق مفاهيم مجردة تكتسب مضمونها خلال موازين قوى محددة ، فاحقاق الحق احيانا هو نكران له ، وتحقيق السلام تهيئة موضوعية للحرب ٠

يطرح شومسكي القضية الفلسطينية والصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي بكل الوضوح الممكن ، بل يمكن القول انه يطرحه ببصيرة مثيرة للدهشة ، فكتابه هذا هو جملة مقالات تعود الى ما قبل١٩٧٣ ، مع ذلك فهو يقرر جملة مواقف جديرة بالاهتمام والاحترام ٠ فاذا وضعنا جانبا تقييمه للصهيونية واسرائيل ونظرنا الى مقاله عن الفلسطينيين لوجدنا ما يلي :

ـ المقاومة الفلسطينية حركة تحرر قومي جديرة بالحياة وبوطن ٠

ـ المقاومة الفلسطينية قوة دينامية في تثوير المنطقة ٠

- السلام الموضوعي هو سلام المقاومة الفلسطينية ٠

- لا القومية ولا الدين يشفعان للمقاومة وجودهـا ، فهـي عنصـر ثـوري - هجين - فـي دائرة رجعـية ، لذلك يطاردها كل الرجعـيين مـن امريكان وعرب واسرائيليـن ٠

- ان طموح امريكا هو منطقة متجانسة بين العـرب واسرائيل ٠

- ان حل المشكلة الفلسطينية السليم يتطلب تعـاونا بين كل القوى الديمقراطية فـي المنطقة ٠

ان افضل ما قدمـه شومسكي في تقديري ، هـو قدرته على قراءة تطـور الاحداث ، قدرته على قراءة المستقبل في الحاضر انطلاقا من فهـم عميـق للشروط الموضوعـية في الحاضر ، ويظهـر تطـور الاحـداث الراهن مصداقية جزء كبير من تحليل شومسكي ، حيث تحـاول اليد الامريكية والاسرائيليـة والرجعـية خنق الانسان الفلسطيني وخنق حقوقه ٠

لامرثية الولد الفلسطيني

أحمد دحبور

الى كامل دحبور : شقيقا ·· وشهيدا

ينتهي الان شهر العسل
يسترد الهدية اصحابها ،
والفنادق ابوابها تتغالق ،
تعرى يد ،
ثم ينهمر الدائنون ـ
على طرف القلب ، من جهة العشب ، صبارة ،
والمعزون في جهة الدمع ،
هل هي كفارة ؟
ام يطيب البكاء على الوضع ؟
تعرى يد وتصفق ،
لكن واحدة لا تصفق ،
يا من يعير يدا لليد ؟
يهجم الشمع احمر ،
والدمع يفرزه الشمع اصفر ،
ان التدابير محكمة ،
والفواتير جاهزة للمعزين ـ
لكنهم اغفلوا نقطة :
انني لم امت·
نقطة:
لم امت

فالجنازة باطلة ،

والوراثة باطلة ،

ثم باطلة كل هذي المراثي التي ترتجل

لم امت ـ

غير اني ضبطت الجنازة منذ الزفاف الى موعدي :

ينتهي الان شهر العسل

وانا ابتدي

لو قلت : ان يد الفلسطيني مشركة لكفرني الجليل ،

يمر سهل الغيم فوق السهل ،

والفقراء يكتشفون خيالا وحصادين في السهل الملبد ،

يطلبون يدا فتأتي الريح ،

كيف تبعثر الخيال في الافق المؤبد ؟

كيف غابت في سواد السهل كوكبة الحصاد ؟

ويحلمون : لعل غيما شكلته الريح جيشا من ملائك ـ

او فدائييـــن ـ

يهطل او يخوض لنا المعارك ،

يحلمون : لعل غيما في الغد

ورسمت بالقلم الرصاص خريطة فوجدت عاصمتي عليها ،

كنت اكبر تحت سهل الغيم ،

اخرج من سراب اليوم ،

وانعطف الهبوب الى الحكومة فاحتكمت الى يديها ،

ـ غلطة ، ويدان ضارعتان للسقف المقوض انت ،

لبلاب ، وعباد لغير الشمس انت ،

وانت ـ

بايعني الجياع الخارجون على الحكومة فاحتكمت الى يديها ،
هكذا ضمرت يدي
ورفعت رأسي ،
كان قرص الشمس اوسع من مدى عيني ،
دخت ،
رايت خيالي وحصادي في المطر المياوم ،
لم تكن ارضي لدي فكيف ارويها ؟
ولي مطر تسطره الدعاوة ،
حين تطرده البداوة من فيافيها الى بحر الهزائم ،
ـ هل ركبت سفينة من قبل ؟
ـ كنت اراقب الملاح مشغولا بصيد القرش ،
وهي تعوم باسم الله مجريها ومرسيها ـ
على طرق موزعة على غرق ـ
يصدر اطيب الشهداء بالكفيار ،
فليضمن فحولته سليل الجود والابار :
نفط في الزحام ،
وفي الطعام ،
وفي سرير الليل نفط ،
في المزاج ،
وفي الروائح والمدائح والاهاجي ،
في المعارك والهبات ،
ويرسل المطر الفلسطيني قطرته فتمنع في الجمارك ،
ـ رتبوا الدعوات للمطر الفلسطيني والكلمات :
فليسعده جود النفط ،

وليبعده عن امن العواصم ،
للولائم دورتان : العرس والموت الجميل
واخي بلا عرس
واخي دم لا يستحيل
طبقا من اليأس
ليكن وليمتهم اذن ، لا بأس ،
ان ارومة السم السقطري استوت ـ
في عشب تل الزعتر المرقوق لحم اخي عليه ،
سيقصفون ويأكلون ،
.. وكان يهري حيث يسري ،
قيل : في عينيه فاضحة السواد ،
واشرقت عيناه فانكشفت حقول النفط ،
بين مشيئة العلم المخطط والجراد ،
وهكذا اطلقت نارك باسم كانون المخيم ،
قيل : يوم تشققت شفتاك من عطش تركت الماء للاطفال ،
قيل : تورمت قدماك من برد الليالي ،
قيل : حين جرحت لم تسقط ،
وحين ..
وكنت اسمع ما يقال وانتخي
لكنني ، بيني وبينك ، لم اوفر دمعتين ،
كويت قلبي يا اخي
للحزن حصته من البيت الفلسطيني ،
فليذهب ، الى البوق ، المزايد ،
غير ان الحزن وردة من يكابد عتمة ويعاند العتمات ،

في التل افتقدت يدي ،
وفي التل اكتشفت يدي ،
وها هي ترسل الكلمات من رأسي الى الطلقات ، بالخط الجميل :
لو قلت ان يد الفلسطيني مشركة لكفرني الجليل
هذا زمان الشد فاشتدي
ما بين قابلة وجلاد
وترقبي لحدي
ما بين معتد ومرتد
فاذا بدا ·· فعليك ميلادي
وعليك تسمية الرهان ،
سيوقعونك مرتين ، وتنهضين الى بدايات الزمان ،
سيلبسونك في مناسبة الجلوس ، او الوسام ، او الختان ،
ويعصرونك في الزريبة ،
فليكن ·
فرس المرات العصيبة وحده يرث الطريق ،
وها انا اتسقط الاخبار ،
بين مناقع الدم اشهد الابار وهي تطوع الجبل العتيق
واشهد العلم المخطط يصنع الاعلام ،
اشهد كيف يختلفون باسم دمي ،
فاكفل صلحهم بدمي ليتفقوا علي ،
ــ خطيئة ، ويدان دون يدين انت ،
وانت لبلاب ، وعباد لغير الشمس ،
لكني احاول ،
اتقي ياسي وترفعني المعاول ،

ايها الفقراء لو نلتف حول خلية عربية ،
وعلي تسمية الرهان
هرب الزمان من المكان
لا شكل غير النفط ، والعلم المخطط ، للهوية
لا ارض تصلح للامان
لا ارض تصلح للامان
قبل الرصاصة والخليه
سأقول :نحن ودائع الزمن العصيب ،
تثور قنبلة من الاشواق في دمنا ،
وتنهمر الشظايا اسئلة :
لا ارض تصلح للامان فهل ستكفي القنبلة ؟
ونقول : هل يكفي الامان ؟
ونقول : فليمت الجبان
لن نرفع القمصان بيضا ،
نحن تلبسنا الخلية ،
عذبتنا البندقية وامتلكناها ،
ونعرف ان للفرس الفلسطيني حصته من العاهات ،
نعرف كيف نطرحها بسيخ الكي ،
فوق الموقد العربي ،
نعرف قبل هذا ان للفرس الفلسطيني همته ،
وان عليه ان يتفرس الساحات ،
لا قمصاننا بيض فنرفعها ،
ولا اعناقنا جفلت فنقطعها ،
ولكنا نقوم الى بدايات الزمان .
وقبلنا دمنا يعوم على الصهيل :
لو قلت : ان يد الفلسطيني مشركة لكفرني الجليل ·

الكنيسة
(قصة)

الياس خوري

المشهد الاول

التاسعة ليلا ٠مطر خفيف واصوات طلقات تقترب كلما اقتربنا ٠ ونحن نركض حذرين ، البندقية بيد والحلم بيد اخرى ٠ نقفز وسط شارع طويل اسمه شارع فرنسا ، لنصل في نهايته الى موقعنا الجديد : الكنيسة ٠ صوت امر الفصيل حازم وناشف، ادخلوا بحذر٠ لا تطلقوا النار الا عند الحاجة القصوى وعلى عدو مرئي ٠معلومات استطلاعنا انهم اخلوا الكنيسة واقاموا تحصيناتهم في شارع الحويك ٠ ونحن نركض وسط شارع فرنسا ٠ الكنيسة نراها امامنا، لكننا لا نرى شيئا ٠ ظلام كثيف لا يبدده الا لمعات الدوشكا في الاعلى قرب السماء ، حيث يخرس برج المر فندق الهوليداي ان ويحول وادي ابو جميل الى منطقة لا تصلها نيران الانعزاليين من الاعلى ٠ عليهم اذا ارادوا القتال ان يحاربوا في الشارع ، فالبناية العالية الامينة لم تعد تستطيع التحرك٠ نحن اسياد الطرقات يقول سمير ٠ وانا اركض ، والمطر الخفيف ينزلق بين يدي واخمص البندقية ٠ ارى الكنيسة ولا اراها ٠ الاحلام وسط الشارع ، والقذائف تطير وترتطم بالابنية الصغيرة الواطئة ٠ وعاطف يرحب بنا ٠ والرفاق المقاتلون من مختلف المنظمات والاحزاب ينتشرون وسط الابنية وبين الحجارة ، واصوات الاشتباك ترتفع ٠

امر الفصيل في المقدمة ٠ يقودنا الى الشرق ٠ والكنيسة في الشرق ٠

بين اسلاك الكهرباء المرمية وبرك الماء وبنايات الرمل، نتقدم من الخلف ٠نخترق كلية الفنون ، حيث نرى نارا يشعلها الفدائيون امام فراشهم الموضوع على خشبة كانت مسرحا ٠ نتقدم من الخلف نركض وسط شارع عريض ينفجر الرصاص في هوائه وعلى جانب ارصفته ٠ ـ انتشروا ، ننتشر ٠ تقفز المجموعة الاولى من النافذة ٠ خمس دقائق من الصمت حيث تنقطع الانفاس ويتشنج الاصبع على الزناد ٠ المجموعة الثانية تقفز ٠ ظلام ٠ ننتشر ٠ ثم يتقدم

الجميع · يوزع امر الفصيل المجموعات · نغلق المداخل · ننظر من النافذة : ظلام ، طلقات ولا احد ·

توزع نوبات الحراسة ، وتؤمن الكمائن ·

بطرس يمشي ، يبحث عن الكنيسة ·

ـ نحن في الكنيسة يا بطرس ·

ـ لكنني لا ارى شيئا ·

يأخذ بطرس شمعة رفيعة ، يضيئها في زاوية الكنيسة · ضوء شاحب يرتجف · سالم يقف ، بشعره القصير وقامته الطويلة ، وكأنه بائع السجاد الذي رأيته في طفولتي يحمل الشوارع على كتفيه · سالم يحمل قاذف الا ب ٧ على كتفه ، ويضحك تلك الضحكة الطرية التي ترن وسط الجدران · ما هذا! هذه ليست كنيسة ·

المسيح على الارض · تمثال المسيح ينحني ، خده الايمن على الارض ويده اليسرى مفتوحة الى الاعلى تبحث عن يده اليمنى المكسورة · وصورة العذراء شبه محطمة ، والماء في كل مكان · المطر يدخل من النوافذ ، والمسيح يمد يده اليسرى قرب النافذة يلتقط المطر ، فينساب من بين اصابعه ولا يبقى في اليد سوى رطوبة تذكر بالمطر · ما هذا يصرخ سالم · هذه كنيسة محطمة ·

ـ اسكتوا !

سمير على الغرينوف يعزف تقاسيمه ، والقذائف من كل الانواع تنهال علينا · انها المعركة الاولى في الكنيسة · نندفع كالسهام ، جلبة واصوات ثم يهدأ كل شيء · تتسلل مجموعاتنا ، تضرب في العمق · سمير على الغرينوف ، وجابر يطلق كمن يعانق المطر · اكتملت الذبيحة · تعرفنا على الكنيسة حجرا حجرا وزاوية زاوية وجسدا محطما اثر جسد محطم ، ونحن نقفز ، نتقدم وننتصر · لقد اسكتناهم · الكنيسة موقع اسناد يقول امر الفصيل · غدا نتقدم الى مواقع جديدة كي نسيطر على مثلث باب ادريس · خسائرنا لا شيء ، سوى اصابة احمد بجرح طفيف · استريحوا الان وكونوا حذرين ·

بطرس في الزاوية ، يضيء شمعته النحيلة ، يدندن الحانا منخفضة . اتقدم واجلس الى جانبه . ضوء شاحب يرتجف علـى ايقاع الريح ، والاشكال تتمدد عـلى مساحـة مستطيلة فارغـة الا من بعض المقاعـد المحطمـة ، والاوانـي المرمية والتماثيل المنحنية . ينهض بطرس ويبدأ في البحـث . يمسك بيــد المسيح ، ينهضه . نتعـاون . يقف المسيح بيد واحدة ممدودة . يمشي فأسيـر الى جانبه . يلتقط ثوب كاهن بني اللون ، مرمي في زاوية معتمة . انظــروا يصرخ . ننظر . والاشياء ترتجف عـلى الحيطان والمساحات تمتد.

امام الهيكل يقف وفي يده اليمنى قاذف الـ ب٧ وقد تحول الى عصـا الكاهن . يدندن بصوت منخفض لحنا لاتينيا ، ثم تدريجيا ، يرتفع الصوت . كل العيون تلتفت الى حيث يقف كاهن بثوبه البني وعصاه ، وبلحيته التي ترتسم دوائـر لا تنتهي . ثم يرتفع الصوت . اللحن يدخـل الحيطان والكلمات كالحصى تحت اقدامنا . العيون تكبر والكاهن يستطيل عـلى الحائط ، ثم يتقدم تدريجيـا ، يترنح . وبين النغـم والنغـم بضع قذائف وطلقات حمراء وخضراء .

ـ ما هذا يا بطرس ؟.

هذا هو العيد . الوان في الفضاء واصوات وايقاع. بدأ القداس . والجميع يشارك كل على طريقتـه . جابر يطلق النار ، وسمير يحاول ان يتكلم فتسكتـه عصا الكاهن ، وامر الفصيل ينام .

ـ ما هـذا يا بطرس ؟

تقفز الطفولة .كنيسة دير الحرف ،قبل ان تلبس جدرانها الالوان الرومانيـة والايقونات البيزنطية ، كانت عـارية مثل الفدائيين . وكان الاب مرقص يرتفـع بيديه المصلوبتين وصوته الخفيض الى مدخـل الهيكل ، حيث يقف فتى يرتجف بالفرح والدهشة .

الابتهالات اللاتينية والترتيل البيزنطي والكاهن يدخـل العـيون . النافذة، تضيء بالوان الطلقات . وبطرس يتابع .

ـ الا تسمعـون يقـول سالـم ؟

ـ ماذا ؟

ـ اسمع وقـع اقـدام فوق .انتبهـوا .

بطرس يتابع ، وثلاثة يقتربون منه .خدام الهيكل ،بمعاطفهم يقفون مشدوهين، يستمتعـون باللعبة ويتعجبون .

- الا تسمعون ؟

اصوات الاقدام ترتفع ·يصمت بطرس · ثم فجأة يخلع لباسه الكهنوتي ، يمسك سلاحه جيدا ·ننتشر · يقفز امر الفصيل · يتقدم · يصعد السلالم وخلفه ثلاثة رفاق · الحذر · معركة داخل الكنيسة ؟ لا بد وانها ستكون معركة غير عادية ·

الاربعة يعودون · لا شيء ·كاهنا الكنيسة لا يزالان هنا ، ويشير الى فوق · اعتقدا اول الامر اننا كتائبيون ،ثم عندما علما هويتنا خافا كثيرا· طمأنتهما · وطابت اليهما عدم اشعال النار ، والبقاء في الكنيسة حتى الصباح على الاقل ·

اصوات قذائف قريبة ، والطلقات تقترب · المسيح يسقط مرة ثانية على الارض · ينهضه بطرس ، لكنه يعاود السقوط ·

- مستحيل ، لقد انكسرت قاعدة التمثال ·

- لكنه سيقف ·

- حتى اذا وقف فسيقسط غدا ·المعركة غدا يا بطرس ·

المشهد الثاني :

- ما هو الفرق بين الحرب والحرب الاهلية ؟

في المسافة الصغيرة التي تفصل بين الطلقة والطلقة ، كان سالم يجد وقتا لطرح الاسئلة · يطرح السؤال ولا ينتظر الجواب ·دائما كان يقول ، ليس الجواب مهما · فالجواب يأتي مكان اي جواب اخر · المهم هو ان نطرح الاسئلة · وبين السؤال والسؤال كانت العضلات تتلون والوجوه ترتفع عن الرمل والركام ، تبحث عن الطرقات الضيقة الموصلة الى البحر ·

الهدف هو البحر يقول امر الفصيل · عندما نسيطر على مثلث باب ادريس نفتح امامنا طريق البحر · ربيع البحار القديم الذي اصبح مقاتلا ، يعرف طعم البحر وطريق البحر · لذلك ينحني كالسهم ·

- انا اتقن الاجوبة ·

لكن سالم لا يزال يسأل : ما هو الفرق بين الحرب والحرب الاهلية؟

الطرقات الضيقة تتلوى وتميل ، وعلى جانبيها يرتطم الحجر بالحجر . اصوات القذائف ترتطم بالاجساد . الى اليمين حرائق ، والى اليسار بناية منخفضة تسقط كعجوز بعد ان كسرت القذائف مفاصلها . بين الرؤية والبحر بنايات وحيطان وحديد . وبين القذيفة والصرخة تتساقط الحجارة وتعود لتلامس نفسها .

الشارع الضيق ، يطول الى ما لا نهاية . بين بدايته والمواقع ، اصوات الاقدام وصيحات مجموعات المقاتلين وضحكاتهم . الشارع الضيق يضيق . الركام مكان حواجز الرمال والرمل بين الطرقات والبنايات . بين اليد التي تطلق والقدم التي تقفز ، هناك جسد ينحني ، يقف ، يزجف . وحين يصل لا يمسك بغير البحر .

ـ ماذا تريد الحرب ؟

ـ الحرب لا تريد شيئا . لكنها تقول ان الاسفلت يتدرج من الشارع الى الشارع المقابل . وان في الشارع المقابل مجموعة مسامير تصلح ان تكون مقبرة .

ـ الاسمنت المسلح يقاوم . لكن حجارة الرمل السميكة اكثر قدرة على اعطاء الشعور بالامان . الطرقات تتشابك . لكن النيران تستطيع ان تفتح ثغرات في الشبكة ، ويحتل السمك البحر .

كانت الرابعة صباحا عندما بدأنا . اصوات الاشتباك ترتفع وتقترب بعد هدوء دام حوالي ساعتين . نبيل يمسك بادواته جيدا . وتبدأ الحيطان تخترق . العبوة الناسفة على الحائط ، ثم تأتي الايدي والمطارق لتوسع الثغرة . ننتقل من ثغرة الى ثغرة ، وحولنا الغبار والركام والاصوات . الجسد يميل بين الثغرات ونتقدم . اصوات الاشتباك ترتفع وتغطي اصواتنا واصوات اختراقنا للحيطان . المسافات الجديدة هي الحائط . معاطفنا الزرقاء بدأت تميل الى البياض ، وايدينا تمتليء بالغبار الرطب الذي ينبعث من الحائط . وبين الحائط والحائط نختصر شارعا ونتقدم .

هذه هي بيروت الحقيقية يقول طلال ، والغبار يلفه من شعره حتى قدميه . يضحك برنة كبرياء . لقد تعلمنا الحرب واخترعنا قوانين جديدة .

لم نخترع شيئا يقول ربيع . نخترع عندما نصل الى البحر .

اما نبيل ، فكان بجسده المنحني على العبوات الناسفة يفتح ثغرة جديدة .

الجميع يغلقون اذانهـم ، وامر الفصيل يتنقل بين دهاليز الحرب والكنيسة ، ليطمئن الى عـمل مجموعـات الاسناد · بين الغبار كانت الاصوات ترتفع ، والاجساد تتسلق ·

ـ متـى نصـل ؟

يبتسم طلال وهو يخبرني عـن قصة مونتي كريستو · لقد كتبوا عـنه رواية لانه فتح ثغرة واحدة في حائط السجن · ونحن كم من الروايات سيكتب عـنـا، لاننا فتحـنا عشرين ثغـرة فـي عشرين حائط ·

ليسقط الادب يصرخ نبيل · انتبهوا · هذه هي الثغرة الاخيرة · وبعدهـا نصل ونفاجئهم · تقاسيم الوجوه تتلون بالسمرة الخمرية رغـم الغبـار · المجموعـات تتهيأ · الجميع ينظرون الى اسلحتهم ، يودعونها الاسرار الاخيرة، ويعلنون الثقة بها من جديد ·

بين الغبار الاخير وغبار القذائف ، كانت اللحظات قصيرة والطلقـات تزنر الفضاء · نركض ، نصل الى اول موقـع ، نتقدم · موج الغبار والاصوات يلفنا ونحـن نمسك البناية ونتركها ، نمسك رصيف الشارع ونكسره · كانت مجموعـة من اللحـظات ، اختلط فيها اللـه اكبر بخشخشة الثياب عـلـى الاجساد · وبعد فترة توقف كل شيء · نحن في مثلث باب ادريس · استشهد خالد واصيب ثلاثة رفاق · لم يكن الحـزن ، لكنه كان شيئـا اخـر ·

عـندما اجتمعـنا في اليوم التالي من اجـل تقييم المعركة · كان جابر يقول: معـركة ممتازة · لا اذكر كثيرا ، لكنني اطلقت حتى جفت البندقية · كنـا كالبرق · اما طلال فلا يزال مشدوهـا · مثل الفيلم ، مثل السينما · في المـرة المقبلة سوف اصور فيلما ·

كنا ننتشر عـلى البنايات والارصفة ·الاقدام مبللة بالماء والجسد ينـزلق· والمطر الخفيف ياتي ويذهب · اتينا باكياس الرمل من الكمين المقابل الذي غادره الكتائبيون · بنينا متاريسنا وجلسنا ناكل · كنا جائعـين ، لكننا ناكل بـغيـر شهية ·

بعـد الظهر حصلت المفاجأة ·المواقع هادئة ولا نسمع سوى طلقات بعـيـدة· البنادق ترتاح ونحـن الى جانبها نرتاح بحـذر ·ننظر الى البعـيد ، الى حيث مواقع الاعـداء ، نخبر ذكريات بعضها صحيح وبعضها غـير صحيح عـن

المعـركة ، حين رأينا اعـدادا هائلة من الناس تتقدم · اطفال ، نساء ، ثيـاب ملونة وسراويل ، قمصان بيضاء · اطفال ، برؤوس حليقة ورؤوس غـيـر حليقة · حول الكمائـن كانوا ، يبحـثون بين الركام والمحلات عن الاشياء · بشر من جميع الاجناس : اكراد ، عـرب ··· كانوا هنا بنسائهم واطفالهم·

مستحيل اصرخ · نحن ضد السرقات · نحـن هنا لحماية الشعب وليس للسرقة ·

المستحيل هو ان نمنعهم يجيبني طلال · ويصرخ بهم بأن يذهبوا ، ثم يطلق رصاصات قليلة في الفضاء ·

لكنهم لا يذهبون · ما هذا ؟ الوان واشكال منحنية ·هذه ليست سرقة · هذا فولكلور · هذا عـيد · هذه هي الثورة · كل الثورات هكذا · جميلةومرعبة و··

في غمرة دهشتنا وصراخ الجميع في محاولة منعـهم ، كانوا يتكاثـرون · يهربون من صيحاتنا وطلقاتنا ويعـودون · ثم بدأ اللـون الكاكي يختلـط بالالوان الاخـرى · ــ ما هذا يا رفاق ؟ مجموعـات اتت · عـرفت ان النقطة سقطت · فأتت لتقاتل وتصادر وتعيش ·

ــ ماذا يريدون ؟

ــ هذا هو البحر · ما هو الفرق بين الناس والبحر ؟ ما هو الفرق بين البحر والاسماك ؟·

لم يكن البحر هـو المفاجأة الوحيدة ·فالحرب حين تتسع تصبح مليئـة بالمفاجات ·وبعـد سقوط المسلخ والكرنتينا في ايدي الفاشيين ، تحـولـت الحرب الى مفاجأة · اعـداد هائلة من المقاتلين والميليشيا ، باسلحتهم واحذيتهم وثيابهم يملأون شوارع وادي ابو جميل ، في محاولات لا تنتهي مـن اجـل الوصول الى البحر ؛ ولم يكن التنسيق ممكنا على المستوى العملي · قـوات مشتركة وغير مشتركة ، من مختلف المناطق ، تأتي وتقاتل · امـر الفصيـل ينتقل من موقـع الى اخـر في محاولة للتنسيق · لكن هذا ليس سهلا ·ونحن نقاتل من موقـع الى اخـر ، من حـائط الى حائط والغبار يملا الفضاء ·

يأتي بطرس من الكنيسة مسرعـا · يلهث وهو يخبرنا · المقاعـد الخشبية صودر بعضها · جاء كثيرون وملاوا حيطان الكنيسة بالشعارات · والراهبـان

منزعجان جـدا · (بالمناسبة نسيت ان اذكر ، ان الراهبين بقيا في الكنيسـة واقاما صداقة متينة مع طلال) ·

ـ ماذا نفعل ؟
ـ لا شيء · نحافظ عـلى الكنيسة ، وعـلى الراهبين ·

وكانت الطلقات والانفجارات في كل مكان · المقاتلون يطلقون النار ،يأخذون بعض الامتعـة · يتنافسون مع الاطفال على الاشياء الصـغيرة · وكانـت بيننا مجموعـة جديدة ، تقاتل بضراوة وسط الشارع · تبحث عـن الحـرب بين الصيحـات والبرد ·

وحين رأيتهم يتراكضون وسط الشارع وهم يصرخـون لم افهم · تبعتهم · كان الغضب ينتشر بين اصابعهم واسنانهم · لم افهم · وصلوا الـى مخزن لبيع الالات الموسيقية ، خلعـوا الابواب · امسكوا الابواق والطبول والصنوج، وبدأت مسيرتهم الموسيقية ، وسط شارع فرنسا بين الايقاع والصراخ واطـلاق النار · شهيد جديد · وكانت الطرقات تفسح لهم مكانا ، والحرب تفتح لدموعهم ابوابهـا ·

وصلت الى الكنيسة · تابعتهم من النافذة ·كان بطرس يجلس في زاويـة منعـزلة وهـو يدندن لحنه اللاتيني · جلست الى جانبه ، وسمعـت في الاعلى اصوات اقدام الراهبين تتقدم صوب النافذة وتنظر ·
بدأ صوتي يرتفع · وبطرس الى جانبي ، يصحح لي ايقاع اللحن الجنائزي·

المشهـد الثالث

الراهبان الكبوشيان لا يزالان هنا · الاب مرسيل عـمره حوالي ثمانين عاما وزميله الذي لـم استطع ان احفظ اسمه او ان اقدر عمره ، لان الكهولـة تتسرب من بين اصابعـه كالماء · بقيا في غرفتهما فوق الكنيسة ، لا يحتكان بالرفاق· وكنت اعرف ان علاقتهما بنا مليئة بالشك والرهبة · نحن نشك في دوافعهمـا للبقاء ، وهما يخـافان منـا ومن نوايانا · لذلك فوجئت عـندما طلب منـي امر الفصيل ان اذهب واشتري لهما بعـض المـواد الغذائية : حليب ، جبنة، معلبات ، لحم ، قهـوة ··· ذهبت ، اشتريت الاغراض ، وفي طريق عودتـي جلبت عـن طريق احد الاصدقاء قنينة من النبيذ الفرنسي · قلتنحتفل بها مـع الكاهنين · فرحـا بالهدية ، لكنهمـا اعترضا عـلى الجبنة ·

ـ نريد اجبانا فرنسية ٠

ـ هذا مستحيل يا ابونا ٠ جميع المحلات مغلقة او منهوبة ٠

لكنني ذهبت ، واشتريت لهما جبنا فرنسيا رديئا ، كانت امي تجبرني على اكله ، ولم استطع ان افهم ان له طعما ، وهو متوفر في الاسواق ٠

صعدنا الى غرفتهما بالجبنة انا وبطرس وطلال ٠ كانا يأكلان ٠

ـ لماذا لا تتذوقان النبيذ ؟

ـ انا بانتظارك اجابني الاب مرسيل ٠ سوف نحتفل بهذا النبيذ سويا ٠

نزلنا الدرج ٠ كان الاب مرسيل مشدوها ، يرتجف بالحزن والاسف ٠

ـ ما هذا ؟ ما هذا ؟ هذه حرب متوحشة ٠

ـ كل الحروب هكذا يا ابونا ٠ بسيطة ٠

ـ لا لا ٠ليست كل الحروب هكذا ٠ انا شاركت في الحرب ٠كنت ضابطا في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الاولى ٠ ولمتكنالحرب هكذا ٠ كنا نحترم اماكن العبادة ولا نؤذي المدنيين ٠

ـ لكنها حرب اهلية ٠ المدنيون هم الذين يحاربون ٠

مشينا سويا ٠ كان الاب مرسيل ينحني بصمت ورهبة على التماثيل المرمية في الارض ٠ يمسك الركام بين يديه ويتمتم بكلمات لم استطع ان اميز مضمونها ، هل هي صلوات او شتائم او مزيج منهما ٠ انظروا يقول الاب مرسيل ٠ الكنيسة سفينة ٠ انظروا الى الهندسة : هندسة الكنيسة تشبه السفينة ٠ الكنيسة هي سفينة تطفو فوق العالم ٠ هي في العالم وليست منه ٠ انا لست حزينا ٠ هذه حرب همجية ، وعلى سفينتنا هبت الرياح فتحطمت ٠لكننا سنعيد البناء٠

ـ انا اخاف ان تغرق السفينة يا ابونا ٠ قال بطرس بخبث ٠

ـ لا ٠ لا ٠ السفينة لا تغرق في العالم ٠ هي فيه وليست منه ٠ تتحطم ، هذا ممكن ٠ لكنها لا تغرق ٠

التفت الى الاب مرسيل ، فرايت وجهه يتمدد على مساحة شعره الابيض ٠ وبين يديه كانت السفينة المحطمة والاحزان ٠ هذا رجل مليء بالذكريات ٠ اخر

لحظاته الراهنة تحولت الى ذكريات · مسكين الاب مرسيل ·

ـ لكن يا ابونا ، هذا المفهوم الديني حول الكنيسة ، هل هو مشترك بينكم وبين المسيحيين الشرقيين ؟

ـ طبعا يا ابني · هذا مفهوم قديم · تكرس قبل الخلافات وقبل الحروب الدينية ·

الكنيسة سفينة والعالم بحر هائج · هذا مفهوم لا يختلف عليه اثنان ·

ـ اذا ما هو الفرق ؟ يسأل طلال ·

ـ هذه قضية معقدة جدا · لكن مبدئيا ، استطيع ان اقول ان الفرق يتعلق بالنظرة الاساسية الى علاقة الدين بالحياة · نحن عمليون وعقلانيون · الدين ينظم علاقة الحياة بالله ، وهو دين عقلاني ، مراتبي ، ينظم الاشياء · اما الشرقيون فهم صوفيون · لم يفهموا في الماضي علاقة الدين بالدولة · وتحولوا اليوم الى غطاء للشيوعية والالحاد ·

تابع الاب مرسيل جولته · كان مقوسا بالحزن · وجهه يختلط بفضاء الكنيسة الخالي من كل شيء ، ما عدا الحطام وبقايا الهيكل · يمشي والاصوات ترتفع من ارتطام حذائه بالارض ، والقش وبقايا القذائف تتطاير من حول ثوبه البني · وكانت الشمس النحيلة تتلون بزجاج الكنيسة ، تعكس الوانها على الثوب البني فيتموج ·

لنصعد الان قال الاب مرسيل · ولنشرب نخب صداقتي للفدائيين ·

فتح الاب مرسيل قنينة النبيذ كجندي محترف · صب الكؤوس وشرب نخب صداقتنا الجديدة · كان فرحا بالنبيذ كالطفل ، لكنه يشرب كالجندي ·

ـ لماذا فعلتم هكذا بالكنيسة · هذه ليست كنيسة عادية · هذه كاتدرائية · هل تعلم ما هي الكاتدرائية ؟

هززت كتفي الى الاعلى ·

ـ الكاتدرائية هي الكنيسة المركزية · الكنيسة الكبيرة · كنيسة الجميع · ومع ذلك اتيتم ودمرتموها ·

ـ انت ترى يا ابونا · نحن لسنا وحدنا هنا · هناك الكثير من المقاتلين · عدا

اننا حين دخلنا الكنيسة كانت شبه مدمرة · وانت تعرف اننا كنا مجبرين على احتلالها : فهي موقع استراتيجي ، كما انها كانت تستعمل من قبل العدو للرماية علينا ·

جلسنا حول مائدة صغيرة ، عليها الجبنة والنبيذ وشربنا · كان الكاهن الاخر يجلس الى جانبنا ، يشرب ويأكل ، ولا يلتفت · اعتقد انه كان ينظر الينا من خلال ثنايا عينيه شبه المغمضتين نظرة كراهية وحقد ·

بدأ الاب مرسيل يخبرنا : اتيت الى لبنان ، قال ، بعد الحرب العالمية الاولى · كنت ملازما في الجيش الفرنسي · ثم تعرفت على هذا البلد واحببته · احببت فيه امران . التجارة والانفتاح على الغرب · هذا بلد مذهل وشعبه مذهل · اردت ان ابقى فبقيت · اما كيف تحولت الى راهب فتلك قصة طريفة · كنت ككل الجنود الفرنسيين ارى اننا نحمل رسالة حضارية الى شعوب الشرق المستعبدة · اتينا وكلنا احلام · نحن قادمون الى البلاد الساحرة · الى بلد لامارتين ، من اجل انقاذها من العبودية · ثم بعد المعارك التي فرض على الجيش الفرنسي خوضها في هذه البلاد ، اكتشفت ان الطريق الوحيد الى قلوب اهلها ليس السيف بل الثقافة · اذا درسوا في مدارسنا سوف يتعلمون لغتنا ، وبعد ذلك يوثقون علاقاتهم الاقتصادية بنا ، ويتعلمون الحضارة · اردت في باديء الامر ان اعمل مدرسا في احدى المدارس الكاثوليكية · ثم قادني التدريس الى الله · فانا اتيت الى الدين عن طريق الحضارة ، وليس كما يجري عادة ، تنتقل الحضارة الى بلادكم عن طريق الدين ·

طلال ينفث دخان سيجارته في الهواء ، وينظر الى الكاهن بعينيه الواسعتين نظرة شك ·لكن يا ابونا انتم لم تدخلوا الحضارة الى بلادنا · انتم مجرد مستعمرين ، تأتون بالوصايا العشر · تعطونا الوصايا وتأخذون الارض ·

ـ هذا ليس صحيحا · هكذا يتكلم الشيوعيون عادة · لا يا ابني نحن لم نأخذ شيئا · خسرنا افضل شبابنا من اجل رسالتنا الحضارية · ثم خرجنا عن طيب خاطر ·

ـ لا اعتقد انكم خرجتم عن طيب خاطر ·خرجتم مرغمين ·

ابونا مرسيل يتبرم بالنقاش الايديولوجي ·هو لا يحب الايديولوجيا · الايديولوجيا هي وسيلة هذا العصر المادي لاستجلاب الشباب · تقود حتما الى

عبادة الانسان للمادة · فيصبح متعصبا وغير مستعد للحوار ·

ـ طيب ، كنت يا ابونا ملازما في الجيش الفرنسي عندما دخل بلادنا · فلا بد انك شاركت في معركة ميسلون ·

ـ ميسلون ، لا لم اشارك فيها · انما شاركت في معارك كثيرة غيرها · شاركت في معارك جبل الدروز وغوطة دمشق · واذكر اننا كنا مثال الفروسية والانضباط ، ولم نؤذ احدا ·

ـ لكن يا ابونا ، اخبار المذابح والاجتياح في معارك الغوطة والجبل لا تخفى على احد · انا قرأت كتاب الجنرال اندريا عن هذه المعارك · وهو يكتب بلذة عن الاحتلال وتهجير الدروز ، وقتل العصابات في الغوطة ·

ـ الجنرال اندريا ؟ صديقي · مسكين الجنرال اندريا ، كان حازما ورومنطيقيا وكل طموحه ان يصبح مارشال الجيش الفرنسي ، لكنه مات بالسكتة القلبية · مسكين اندريا · اسمع جيدا · (اصبح صوت الكاهن حازما) الحرب هي الحرب· لا تستطيع ان تحارب الاعداء · ولا تستطيع ردع المخربين والجواسيس واعداء الحضارة دون ان تعدم بعضهم · مصير الحضارة بأسرها · مصير تاريخ فرنسا كان معلقا على نتائج معارك الجبل والغوطة · لم يكن التساهل ممكنا · كان لا بد من الحزم والسرعة ·

ـ ما هو الفرق بين الكاهن والبوليس يا ابونا اندريا ؟

كان يلبس ثوب ضابط فرنسي ، البندقية في يده اليمنى وكاس النبيذ في اليد الثانية · يروي نكاتا بذيئة عن القتلى العرب الذين تركوا بثيابهم السوداء في عراء الارض ، ولا من يدفنهم · نحن اقوياء يقول الضابط · وحوله جنود سنغاليون وشركس ، يتكلمون الفرنسية بلكنة غريبة ويتحدثون عن البطولة والحضارة والنساء ·

ـ ما هو الفرق بين الكاهن والبوليس يا ابونا ؟

الكنيسة سفينة ، لكن الدفة تحطمت ·الكنيسة لا تغرق · وفي الاعلى يعيش كاهنان كهلان · الذكريات والاحزان ·

ـ لماذا يهزم الذين يحبون الحضارة الغربية ؟

اما نحن فكنا نبحث عـن البحر ٠

لقد اصبحت الكنيسة موقع اسناد ٠طلقات الغرينوف تلعلع في الفضـــاء، ورشاش جابر يسكت ثم يتكلم ٠ والانقاض حولنا ٠ ومعـنا الاب مرسيـــل وزميله وذكريات عـن فرنسا ٠

ـ كيف تقيم القداس يا ابونا !٠

ـ القداس الصامت اجابني ٠نحن نبحث عـن الصمت ، وسط هذا الـــدوي الهائل ٠ نريد ان يعـود الصمت سيدا ٠ فالصمت وحده هو باب التامل ٠

سمير لا يتوقف عن الكلام ورواية النكات ، وبطرس يدندن لحنه ، وطلال يفكـر بفيلمه الجديد ٠ والبنادق لا تسكت ٠

المشهـد الرابـــع :

بين الكنيسة المحطمة وساحـة باب ادريس حيث المواقع الامامية ، كانــت اللحظات تتداخـل ٠تحولت الكنيسة الى موقـع ثانوي ، لكننا بقينا فيهـــا، واصبحت مكان نومنا المفضل ٠ساحة كبيرة ، جدران سميكة ٠برد وذكريات ٠ وفي النهارات الطويلة ، نجلس بين جدرانها ، او حول النوافذ ، نطرح الاسئلة ونجيب على الاسئلة ٠

لكن لماذا لم تقتلوني ؟ يقول الاب مرسيل ٠
ـ لا يا ابونا ٠ لماذا نقتلك ٠ نحن نتفق معك او نختلف ٠ لكننا لا نقتلك ٠
ـ لكن الحرب مليئة بالقتل ٠

ـ لا يا ابونا ٠الحرب شيء ، وقتلك شيء اخـر ٠

الموت هنا ، هو مسافة ٠ مجرد لحظة حب او لحظة حقد ٠ الموت لحظة ندخل اليها ، ننتظرها ٠ كان طلال يحدثني دائما عـن الموت ٠ ما هو المـــوت ؟ لا لا تشعـر بشيء ٠ هكذا فجاة لا تشعـر بشيء ٠ تفتح الباب ثم تدخـل ثـــم لا شيء ٠ انظر الى العـيون فاراها تتسع ٠ ما عـلاقة الموت بالعـيـــون الفسيحة ؟٠

كانت المعـارك مدرسة ٠ لكن المـوت شيء اخر ٠ حملته على كتفـــي ، كان

يرتجف كالعصفور · الموت عصفور يقول بطرس · لكننا نحارب من اجل ان ننتصر لا من اجل ان نموت يهتف جابر ·نموت من اجل الملصق اجبتهم · الصورة الملونة وتحتها كتابة ملونة وخلفها عيون الصبايا الدامعة ·

ـ لا يا ابونا · لن نقتلك يا ابونا ·

والاسير ، ماذا نفعل بالاسير ، يسأل احمد ·

ـ نقتله فورا ·هذه حرب لا تحتمل اسرى · هم يقتلونك بلا مبرر · يقتلونك لان اسمك هكذا وليس اسما اخر · يسحلون قتلانا ويقتلون الجرحى · هذه حرب لا تحتمل اسرى · الاسير يقتل فورا ·

العصفور يرتجف على كتفي · وجهي يتبلل بالدم الحار ، وجسده يمتد من يدي الى نهاية العالم · العصفور يئن أنينه الاخير وحوله البحر والمطر ·كنت اركض بين القذائف والانفجارات· ثم وضعته الى جانبي · جلست وتكلمت معه · كان دافئا كالكستناء وطريا كشعر امي · طفل يداعب وجهه الريح ولا يبكي · حملته ثانية · وحين وصلت الى المستشفى قال لي الطبيب انه مات · لم افهم شيئا · عدت الى رفاقي ، وتابعنا اطلاق النار والتقدم وضحكنا واخبرنا النكات ·

ـ لا ، لن نقتل الاسير · نأخذه ونضعه داخل عباءة الاب مرسيل البنية · يقفز بطرس الى عباءته ، يلبسها ، يرفع يده ويأمرنا بالصمت يدندن لحنه اللاتيني · لكننا لا نهتم · نتركه وحيدا مع طقوسه واحلامه ·

امشي في باحة كاتدرائية القديس لويس · هذه كنيسة قديمة ، قديمة جدا· ربما بنيت في عهد الارساليات · ربما بناها اول تاجر حرير قدم من ليون الى بيروت وفاء لنذوره في سبيل نجاح تجارته · الحقيقة انني نسيت ان اسال الكاهن عن تاريخ الكنيسة ، وكيف بنيت ، ومتى كان في بلادنا طائفة اسمها اللاتين · المهم هو الارغن · كان الارغن على الارض مكسرا ، يئن دون ان يصدر صوته الموسيقي الجميل · وحوله بقايا البلاط المحطم والماء القادم مع المطر · الجدران السميكة بيضاء ، لكنها مثقوبة وعليها كتابات بكل الالوان ، الاسود ، الاحمر ، الاخضر · وبين تمثال مقدس وايقونة قديمة تقرأ عبارات : الله اكبر ، فتح مرت من هنا · وحولنا اصوات ايقاع وصدى · لم اكن افهم ما هو الصدى · كنا ونحن صغارا نذهب الى الوادي المطل على نهر بيروت ونصرخ ، فيعود صوتنا مترددا · اما هنا

فالصدى له ايقاع اخر . تتحول القذيفة الى معركة . يمتزج الصدى باصوات الزجاج وخشخشة المبخرة وايقاع اقدام الراهبين .

ـ لقد تحطمت السفينة يا ابونا .

تحولت الكنيسة الى ما يشبه البيت المهجور . البطانيات على الارض ، والرصاصات الفارغة ، وايقاع اقدامنا . في الوسط حيث الدفة والمائدة ، كانت اكياس الرمل تنقل الى البنايات المجاورة ، وكان الصدى هو سيد الكنيسة .

ـ الحرب تدمر كل شيء .لكن ماذا سنفعل بالنصر ؟

ـ سنأخذه الى نهر الاردن . تخيلوا النصر . النصر يعني ان الفقراء والالوان يصبحون اسيادا ، والاسياد القدماء يبقون اسيادا ولكن من دون خدم . الارغن ، سيعزف اللحن الشرقي ، والعلم يتحول الى بصماتنا . نأخذ النصر الى نهر الاردن ، يأتي رأس يوحنا على صينية الذهب ويتكلم معه، ثم ينزلان سويا الى نهر الاردن . يوحنا يعمد النصر ، والنصر يحمل رأس يوحنا بين يديه .

ـ صحيح ، اذا انتصرنا هنا في لبنان ماذا سيجري ؟

ـ تأتي اسرائيل ، وبعد ان نهزمها تأتي اميركا .

ـ وبعد ان نهزم اميركا ، من يأتي ؟

ـ عندما نهزم اميركا يذهب الجميع . نكون قد كتبنا قصة اطول الحروب واجملها .

ـ ولكن ماذا ؟

طلال لا يوافق . ليس المهم ان ننتصر . المهم شيء اخر . المهم هو ان نعيش الحياة كما هي ، نأخذها كما هي ، نقاتل ، ونموت على قمة الجبل .

الكنيسة تهتز مع القذائف . جسد المسيح لايزال منحنيا على الارض . والمبخرة الطويلة تنتظر اليد التي تمسكها ، لكن اليد لا تأتي . كل شيء تحطم . الاواني النحاسية ، والملاعق الفضية الصغيرة ، واثواب الحرير مرمية على الارض . واخيرا اكتشف جهاد الكنز . شموع لا تحصى . شموع رفيعة

مصقولة موضوعة في ادراج خاصة · اخذها جهاد ورماها · ركضنا ، التقطناها عن الارض · هذه ثروة · في المساء إضأنا الثروة بأسرها · مئة شمعة صغيرة اوقفناها على الارض فالتمعت في الليل · بين ايقاع المطر وايقاع المبخرة · كانت تضيء مثل وهج لم نعرفه من قبل ، وحولها بدت اجسادنا نحيلة وحركاتنا غير قادرة على التحول الى ظلال · مئة شمعة ترتجف وسط كنيسة مهدمة · نحن في سفينة حقيقية · كانت السفينة تتلألأ وسط البحر ، وفي داخلها بحارة غرباء يبحثون عن ثيابهم الجديدة ·نحن وسط البحر ، المطر الخفيف يصل الى قرميد الكنيسة ثم ينحدر على جانبيه، وحولنا الموج والكهنة ورصاص القراصنة ·

يأتي الاب مرسيل راكضا · وعندما يرى الشموع يبتسم · اعتقدت ان الكنيسة تحترق · لا بأس ، لا بأس ، افعلوا ما تشاؤون ·

– شكرا يا ابونا ·

قبيلة حول نار القبيلة ·الاضواء ترقص لكننا لا نرقص حول النار · ننفث دخان سجائرنا في الفضاء الواسع ونبحث عن البحر ·

– ما رأيك يا ابونا · لماذا لا تغرق السفينة في البحر ؟

الاب مرسيل لا يجاوب · يذهب الى ذكرياته · يخبرنا قصص القديسين ثم يعود ليسأل من جديد : لماذا لم تقتلوني ؟

– ولماذا نقتلك يا ابونا · نحن معا ، نعيش قرب البحر في سفينة محطمة ، وعندما نصل الى البحر ، سوف تغرق السفينة وتنتهي قصتنا ·

الهدف هو البحر يقول امر الفيصل · ونحن ننتظر البحر · سوف نصل اليه ، نرمي شباكنا ، نخلع ثيابنا ونشم رائحة الاسماك جلس جهاد قرب النار وبدأ يغني · اصواتنا ترتفع · ووسط هذه الجوقة يرتفع صوت احمد ، متوترا ، يئن وهو يرسم المستقبل على الحائط المهدم امامه·

المشهد الخامس :

البحر في عيوننا · بين احزمة النار وملوحة المياه سقط جابر · سقط كالسهم على قمة الجبل ، فاختلط الثلج بالبحر ، والمطر بالملوحة القادمة من فوهة البندقية · كانت معركة البحر اقسى المعارك ، وفيها ، كانت الطرقات تمتد وتتعرج الى ما لا نهاية · لم نفاجئهم لكننا لم نفاجأ سوى حين

وصلنا الى الشاطيء . كان مطر القذائف يختلط بمطرالسماء والرياح تحمل البندقية كما نحملها نحن ، والاشتباك ينحدر من شرفة الى شرفة ومن دشمة الى اخرى . كان البحر بعيدا ، لذلك فوجئت به . الظلام ، والاصوات ، وحركة القدمين ، وليونة الجسد ، والخوف على الرفاق ، كلها امور خبرناها في السابق . لكننا اليوم نختبر المفاجأة . كنا نركض ، والظلام الكثيف لم يعد يسمح بالرؤية . نرى النار والحركة ، نطلق عليهما ونتقدم، وعلى المساحة كان الاخرون يطلقون ويتقدمون .

قفزت رائحة الملح والاسماك الى انفي .لقد وصلنا صرخت .امسكت ثيابي ، لم اكن مصدقا . ساعات الالم تختفي . لكنني لا ارى البحر ، ولا اسمع سوى صوت امواجه ، واشم رائحته . رائحة البحر تنتشر على مسام الجسد ، تتغلغل في المفاصل التي شربت عفونة المستنقعات واحتضنت الرمل والغبار ، وهي تبحث عن القوس الذي يمتد من صنين الى الشاطيء. يدخل البحر في العيون . تلفح رائحة الملح المغطاة بأشياء الاسماك العيون وتدخل اليها . ونحن نتقدم والبحر بين ايدينا .

خلع طلال ثيابه وارتمى عاريا بين الامواج .

ـ لكننا لا نزال وسط المعركة !

ـ هذه هي المعركة .

كان يسبح كمن ينام مع امرأة . يطفو ويغوص .يمسك بالماء ويرميه الى الاعلى . يحتضن البرد والمطر الخفيف والملح . وعندما خرج من الماء كان يرتجف كالعصفور .

ـ سوف تمرض وتخرج من المعركة .

لكن طلال لم يمرض ولم يخرج من المعركة . حمل المعركة على كتفيه ، من سفينة محطمة الى سفينة محطمة ، وحين اوصل الامانة الى البحر مات على قمة الجبل .

سقط جابر ، قال سمير . كان الى جانبي ، وعندما اصيب في رأسه انحنى فقط .حملته وركضت به الى الخلف .اخذه رفاق اخرون . والان جاءوا واخبروني انه استشهد .

ـ الموت عصفور يقول جابر .يحلق فوق البحر بحثا عن الاسماك ، ثم يسقط فتأكله الاسماك .

– الموت علامة ، فراشات واحصنة · الموت نحن ، يسكت بطرس · ينزف البحر في عينيه ملحا ولا يبكي ·

كان مسجى ، غطوا رأسه بكوفيته الحمراء · عيناه نصف مغمضتين ،وثيابه ملطخة بالدم والوحل · جابر ، الجميل كالرمح ، يسقط بين قمة الكنيسة وقمة الجبل · كان هناك ، مغطى ،وحوله العلم الفلسطيني والاصوات · كان يعلم انه سيموت ، لذلك كانت ضحكته ترتفع مع الطلقات · يمسك البندقية جيدا ، يطلق ويضحك مثل الاطفال حين يمسكون بالعابهم ·

– سوف نلفه بالعلم الفلسطيني ·

– هذا ليس العلم الفلسطيني ·فلسطين ليست وطنا حتى يكون لها علم· فلسطين حالة · كل عربي هو فلسطيني · كل فقير يحمل بندقية هو فلسطيني· فلسطين حالتنا جميعا ·

كانت فلسطين خارطة ، لكنها اصبحت البحر · غدا سأصور فلما عن البحر يقول طلال · سوف اجعل البحر لباسا ، وجابر يحمله هدية الى امه

كان مسجى ، حوله الاصوات ، في رأسه طلقة واحدة ، وضحكاته ترن في القاعة · ونحن نحمل نعشا فارغا ، نضعه في النعش ونمشي · محمولا على الاكف المرتفعة والاصوات التي تهدر والبنادق التي لا تنحني · النعش الخشبي المستطيل ، في داخله فتىينام مستسلما للايدي التي تحمله·

انظر يشير بطرس · النعش يشبه السفينة · سفينة مستطيلة من الخشب تطفو فوق البحر · كانت السفينة تتهادى على الايدي المرتفعة · في المقدمة ، على السارية ، علم طويل · وفي الخلف ، كان الناس والمقاتلون والرفاق الذين جاءوا يحملون السفينة الى البحر · وجابر في الداخل ،يمارس دور القبطان للمرة الاخيرة ، يقودنا بين الشوارع الفارغة في رحلته البحرية الجديدة ·

وقف الكاهن · وضعنا السفينة امام الهيكل ، وكان النحيب الخافت ،ينبعث من المقاعد الخشبية ، مثل صوت البحر قبل هبوب العاصفة ·
هذه كنيسة حقيقية همس سالم ·

وقف الكاهن ، بيده المبخرة ، يردد لحنه البيزنطي ·وكان النهار مشمسا ، والاضواء تنعكس ملونة على ثيابه السوداء الطويلة ولحيته التي تضيء · وجابر داخل سفينته لا يجد الكلمات ·

يرتفع صوت المرتل الوحيد في كنيسة رأس بيروت الى جانب ثوب الكاهن· ونحن نقف امام الايقونات الواسعة العيون ، نستمع الى الصلاة ، نراقب حركات الكاهن وهو يتكلم بصوت مرتفع عن معنى الاستشهاد ·

الكنيسة سفينة ، وجابر داخل سفينته ، ونحن داخل السفينة الواسعة· في الخارج ، كانت اصوات الطلقات ترتفع ، والحركة تتقدم ·

حملناه مرة ثانية ومشينا · كانت خطواتنا على الاسفلت ، تشبه مجاديف البحارة القدماء وهم يقودون سفينتهم الى الشاطيء · الاصوات تنخفض ، والشمس تشرق ، والايدي المرتفعة تمسك بالخشب المستطيل ، والسفينة تتهادى ·

امام الحفرة الواسعة وقفنا ·اخذنا السفينة ووضعناها داخل الرمل والتراب ·

ــ لقد غرقت السفينة ·

ــ لا لم تغرق ·

تدخل السفينة التراب ، ترتاح ، بين طلقاتنا والهتاف المرتفع ، وصوت الكاهن وهو يردد الكلمات الاخيرة : من التراب والى التراب تعود ·

نظرت الى سالم ، كان يخفي حزنه خلف وجهه المستطيل وابتسامته الشاحبة ·سالني عن الحرب ، كيف ستنتهي الحرب ؟

لن تنتهي هذه الحرب اجاب سمير ، لقد بدأ الموت وبدأت الحرب ·

كان الصمت والبحر والسفينة ، لكن سفينة الاب مرسيل لا تغرق ، تتحطم فقط ·وجابر في سفينته التي تتهادى كأميرة ·ثم تسقط ، لحظة ، لحظة ،حتى يصل التراب الى مستوى الارض من جديد ، ولا يبقى سوى كتابات واصوات وطلقات·

ــ ما هو الفرق بين الكاهن والبوليس يا ابونا اندريا ؟

ــ لماذا لم تقتلوني ، يسأل الاب مرسيل ؟

ــ ما هو الفرق بين الحرب والحرب الاهلية ؟ يقول سالم ·

الموت عصفور يقول جابر · وطلال يحلم ببحر طويل كشعر حبيبته ·يحمل الكاميرا والبندقية ويقفز بين الموج ·

الصمت - الشعر
الثورة وضرورة انحلال الدائرة في "الأرض"

سميح سماره

لقد تجاوزت ضرورة الحديث عن الجدل بين الفن والثورة (اي بين حالتي المستقبل)حالة الالحاح الترقيالتي كانت تشملها قبل سنوات · ان دائرةالصراع في بلادنا ، حيث اشتبكت بها وتداخلت عناصر الارتهان الى الواقع ، وعناصر ضرورات التدمير الحي له ، قد تجاوزت تلك الحالة من المراوحة المميتة التي عمرت ما يزيد عن الربع قرن ·

ان ما ينتشر الآن ، وبزخم تام وكامل ، في دائرة الوطن العربي كله ، هو هذا الاغلاق التاريخي لابواب القوى المراوحة ، التي كتبت على راياتها كلمات الثورة دون ان تقتحمها · ان هذا بحد ذاته يزخم دائرة الوطن كله بوهج التهيؤ للنار والثورة · لقد انتهى التطور التاريخي حد انفجار « التابوت الممدد حتى شواطيء الاطلسي » ★

وهكذا يكون الحديث ، بدءا من الآن ، عن الجدل بين الفن الثورة ، طبيعة مختلفة ، جديدة ، ومنسجمة مع هول الانفجار الشامل ، ان لم تتقدمه ، معضرورة التأكيد على ان تتقدمه ·

ان الثورة فعل صمت يسكن عروق الارض ، وعروق البشر ، وعروق المستقبل ، انها سكونية اللحظة الكونية حين تمتزج بضرورات التحقق ، وحتمية الحضور في الواقع · فيجلدهاتقبعملايينالمظالم والقهر والجوعالى الخبز.وهو ذات الجلد الذي يحمل الامتداد الى الماء والثورة ·

ولا تجوز الثورة مع الاحادية وبؤس التحقق وزيفه ، لا تجوز الا مع جوع البشر الى الحرية ، الا مع الشبق ، الا مع لحظة التداخل الخارقة ، ومع الحنو ·

أن الجنس · ان انفجار الجسدين وتناثرهما ، هو فعل تحطيم مباشر ،

★ محمد الماغوط ، قصيدة « بعد تفكير طويل »

يشمله الصمت والشعر واللذة ، لاختناقات الاحتشام والتورم والظلم وتبديد « قوة العمل » ، انه بذاته حالة الفن ، حالة التلاقي مع الثورة ، والانخراط في حلم الناس.

الكبت والثورة ، تشبه كثيرا قرف بؤس المفجوعين مع العاهرة . كما الكبت والفن . كما الكبت والجنس . وفي ذات اللحظة ، ليست الثورة والفن واحدا ، ليست كلا ، ليست اغلاقا لخصوصية التحقق في الواقع .

ولا شك ان الشعر (الفن) ليس ترجمة للواقع (تبطل ضرورته حينذاك) ، انه اختراق شواغل الواقع ، والتواجد الخاص في شموليته ، والتحقق فيه وخارجه اي في حالة الحضور المباشر ، وحالة التجاوز الى الامتداد والتمادي . ان عملية الامتزاج المحتدم القريبة جدا من لغة الكسر الجنسي الفادح بين الذكر والانثى هي الشعر .

وليس الشعر « شكلا للواقع » . ان الثورة ذاتها تقف في الطريق الممتد بين الواقع والحلم ، اي بين الحضور الراهن والشوق الانساني . الثورة من حيث هي تحقيق لفقرة من الشوق . ولا شك ان الشعر هو الثورة في اطلاقها ، انه الضد المطلق لكل عسف .

ولا تجوز المصالحة ابدا بين الشعر وبين الثورة ، حيث تتشكل العلاقة بينهما انطلاقا من حالة التوتر بين الحضور والحلم . وبؤس الشعر الكلي التبعية للحضور هو البؤس المكثف للواقع ، هو الشعر المضاد للثورة ، للجماهير ، للحلم.

جدل هي العلاقة بين الفن وبين الثورة . « وحدة في التناقضات ، وحدة تناحرية » ★



في بلادنا ، كانت الثلاثون عاما التي مضت خالية من الشعر . كان الشعر مقموعا بالمسلمات ، عاجزا عن اجتياز الحواجز الملفقة ، عن تكسير اقانيم القوى المضادة ، والقوى المراوحة . كان الشعر خارج جموح الثورة ، وبعيدا عن انشطارات الجنس . كان الشعر مسكينا ومملا وضيقا وحزينا كارملة منكسرة .

كانت هذه هي القاعدة . اما حالات الاستثناء المشتتة هنا وهناك ، فكانت تقف ـ في واقع الامر ـ العتبة ، على حد الدائرة .

★ هربرت مركوز ـ الثورة والثورة المضادة ـ ص ١٢٣

لماذا لم ينفلت الشعر الى الدائرة ؟ فلنحدد ما يلي :

١ ـ درجـة الصراع :

منذ الاستيطان الامبريالي في فلسطين ، بدأت حركة الصراع في بلادنا تتفاعل كي تتمكن من بلورة حكم البرجوازية وكان موقع هذه البرجوازية في منتصف العصا بين معاداة الامبريالية بحكم التناقض الموضوعي معها من جهة، والتناقض الذاتي كذلك ، وبين الاستحالة الموضوعية لاستقلال هذه البرجوازية بحكم تبعية نشوئها • كان هذا الموقع هوالذي يقبض على زمام التغييرفيبلادنا•

من هنا فان هذه الدرجة من التناقض سوف تفرز درجة مماثلة لها من الصراع • والذي كان ملموسا ان حركة التعبير الفني الناتجة عن هذه الدرجة من التناقض والصراع مع القوى المضادة ، كانت مماثلة كذلك •

لقد التزم شعر بلادنا ، طوال هذه الفترة ، بمهام درجة التطور هذه • ومن هنا كانت واسعة المسافة بينه وبين الثورة ، اي بينه وبين التضاد الكامل للقهر ، للامبريالية •

كان شعر عداء البرجوازية للامبريالية • وبموت هذا العداء راهنا ، نشهد الآن موت هـذا الشعر •

٢ ـ القطريـة :

رغم توفر بعض حالات الاشادة الصاخبة ، او حالات النقد الصاخبة ايضا لواقع حركة الصراع في مستواها القومي ، وفي دائرة الوطن ككل ، الا ان جذر كل حالات التعبير في بلادنا كانت متينة الصلة بالأساس القطري الراهن •

لم يتمكن الشعر في بلادنا من حدس العلاقة بين التجزئة والعنف الامبريالي، وظل ـ بالتالي ـ نتيجة لواقع ، او تعبيرا عن واقع مفروض بواسطة العنف الامبريالي • من هنا كان ضيقه وانحساره ، وكانت استحالة ارتباطه بالثورة •

ان التعبير الفني بمجموعه ، والشعر على رأسه ، لم يستطع لمس ضرورة العلاقة بين الثورة وبين الجماهير العربية كلها • لقد اضاع طريقه الوحيد الى الثورة ، والى الشعر • اما قصائد « رفع العتب » عن بور سعيد او الجزائر او فلسطين ، فهذه تشبه كثيرا قصائد « التضامن الاممي » الميتة والمفتقدة الى الاساس الموضوعي للتلاحم الاممي • ورغم الانضمام المعلن الى جبهة الجماهير

في هذا الشعر ، الا انه كان انضماما بلا جدوى ، عجزعناكتشاف قوانينالثورة، وقوانيـن الجـدل معهـا ٠

ومع ان هذه ليست مسؤولية الشعر وحده ، الا انها مسؤوليته من حيـث هو شعر ٠

٣ ـ افتقاد اداة الثورة :

لا يشكل غياب الحزب الثوري ـ قيادة الثورة واداتها ـ عاملا مخففـا لمسؤولية الشعر في عجزه عن تلمس الطريق الى الثورة ، والا نكون بذلك قـد غيبنا علاقة الجدل بين الشعر والثورة ٠

ولا شك ان حضور قيادة الجماهير في الثورة يفتح الباب واسعـا وعريضا امام اكتشاف الدلالات واكتشاف الواقع ، ومواقع القوى ٠ لكن ذلك لا يعني انـه ليس امام الشعر غير الانتظار ٠ ان امتلاكه لادواته الخاصة الحادة والصارمـة في علاقتها مع المستقبل هو وحده كفيل بتحقيق ذهابه راسا الى الثورة ، دونمـا حاجة الى حالة التخثر الكريهة التي انغمس بها الشعر ٠

● الشعر بين الخارج والداخـل :

حين يشار الى ضرورة ان تكون ارادة الشاعر « كلها مجبولة من الصمت وان عليه ان يخرس في داخله جميع اصوات الاراء المسبقة ، وان ينسـى ، ينسى ، ان يصمت ، ان يكون محض صدى » ★ يكون ذلك اشارة الى حالـة الشعر ذاتها ٠ الى حالـة الاختراق المتبادل بين طرفي المعادلة المنتجة للشعر ٠

انها مسألـة تخص الشاعر وحده ، ونحن نشكل الان حالـة اعتداء علـى خصوصيته ٠ فـي الجوف يكبـر الصمـت ، ويتضخم ، وينسكب الخـارج بصلافته ، ورويدا رويدا تنمو في الداخل احتمالات عديدة ، تجري جميعهـا في مسار متحد نحو المستقبل ، هذا المستقبل الذي هو ليس الا انفجـارات الصراع الطبقي الحاضرة ، حيث تتكثف في دائرة ، تكون هـي الثـورة ، وتكون هـي الشعر ٠ فالشعر اذن هو حالـة التبلور والكون ، هو الديالكتيك الجنسي الخالق للذة الفادحة ٠

وهكذا يكون ٠ بان من يلثغ بالخارج ، بالصراع الطبقي ، بالموقف السياسي ـ الاجتماعي ، لثغا شديد الشبه بالبصاق يكون كمن يضاجع نفسه ويهتـرىء

★ من كلمات ليزان اوردها هربرت مركوز في « الثـورة والثورة المضادة » ٠

عليها · ليس الشعر نفاقا للخارج ، وليس نقدا للخارج ، وليس انسكابا عليه · انه كون كلي القدرة ، يكون هو الثورة ، ويكون هو ذاته ·

ومؤكدا ان الجماهير ليست بانتظاره · ان الجماهير كون آخر كلي القدرة · وفـــي حالـــة التمازج يكون فعل الثورة ـ الجماهير ، ويكون فعـــل الشعر ـ الشاعـــر ·

هكذا اذن ، فان كثيرا من الحديث عن العلاقة بين شكل الشعر ومضمونه يشبه مضغ المـــاء ·

بائسة هي محاولة البحث عن التناقضات بين حدي اي معادلة · فالى متى سيبقى صغار البرجوازيين اولئك ، الذين يتمتعون بقسط لا يحد مـــن ضيـــق الافق ، ومن المراوحة في المكان ، في محاولاتهم المقرفة لتمييع الوضـــــوح ، وشغـــل وقت الناس بالكذب والسفسطه ؟ !

ان كل حركة ابداع انساني لا بد ان يجيء تشكيلها مـــن انفجار التناقضات والتعبير عنها ، ولا يكون التعبير ابدا الا مـــن حضور كلي فـــي الداخـــل · داخل التناقضات ، وداخل انفجارها ، وداخل التعبير عنها · فلا وجود لشكـل يجيء الى الداخل كالزيارة · يكون ذلك فقط حين تتآمر القوى الطبقية المضـادة على الثورة لتفتيتها ، ويكون « شكل » الشعر حينذاك ، ويكون البرجوازيـون الصغار ودعاراتهماحدى ادواتها ·

وفي بلادنا ، حيث يحتل البرجوازيون الصغار مقدمة حركة التطور،يقضون ايامهم الاخيرة ، لكي تشرع البوابات كلها بعـد ذلك امام تحالف الكادحين ، فان هناك ضرورة ملحـة لاجراء مراجعـة شاملة لمجمل المفاهيم والموضوعـــات والنعوت ، لان ثلاثين عاما من التسفيل قد مرت عليها ·

في بلادنا تجلس الامة الان عـلى حوضها ، مشرعـة فخذيها للريح والولادة، مشرعـة جوف رحمها ·

اذن فان حركة نقد شاملة وصارمة ، وموجهة اساسا ضد التعهير الشائع هي المهمة الراهنة ·

● فلسطنة الشعـر والموت :

اذا كانت حالة القهـر الطبقي ـ القومي للجماهير الفلسطينية تشكل في ذاتهـا

حالة القهر المكثف في شموليته ، فهي في واقعها تشكل ايضا صورة مكثفة عن حالة القهر الشامل للجماهير العربية في كل وطن • ولا شك في صلاحية تعميمها ، حيث ان صور الاقتلاع وتدمير البنى ونسف اسس حياة الجماهير هي الحالة العامة ، والمسار الثابت للقوى العدوة •

وقد كانت الحالة المكثفة قد انتجت صياغات من « الشعر » كانت انعكاسا لها ••

كانت حالة من النواح المستطرد المفتقد تماما الى كينونته ، لا يجد له طريقا الا لدى تلاميذ المدارس التي هي في ذاتها احدى ادوات التدمير في يد القوى العدوة •

ماذا حقق هذا «الشعر» ؟ لقد ساهم فعلا ، وان دون وعي احيانا ،في تكريس الاستكانة للظلم ، في فرج ما جرى في فلسطين بقدرية خارقة لا ترد، في تثبيت ابدية المخيم الفلسطيني •وكدنا نغرق في ثبوتية اللجوء •

كان حزنا اسود كريها مفجعا ممتلئا بالحسد ويفرغ الحقد كل يوم • كان تأليها للهزيمة •

وكان هذا الشعر كاذبا :

لا يقف الشعر عند الحزن ، لانه يتورم حينذاك وتنتشر الدمامل على جسده • يخترق الشعر الجماهير ، ويخترق الثورة •

والقهر ليس حالة نادره ، انه الصورة العامة • وليس الفلسطينيون حالة نادرة : اذن ما هو معنى اعتبار قهرنا في فلسطين حالة نادرة وغريبة ، لم تحدث من قبل ولن يحدث مثلها ؟ ما معنى غناء اطلالنا ؟ ما معنى محاولات لحس فقرنا ؟ انه الفقر ، وانه العسف الطبقي ، وانه جوع الجماهير وتدميرها وتحطيم كيانها ، وهو الحالة العامة •

انه الكذب الفادح • وحتى الشعراء ـ الخدم والمداحون اشبعوا فلسطين نواحا •

ونكاد ان نقول ان هذه الفلسطنة قد شكلت ولونت دائرة الشعر العربي المعاصر في معظمه • كان لها المجال الرحب بسيطرة القوى المضادة ، واصبحت هي الحالة العامة في الشعر ، هي الشعر • لقد تم تعميمها على ساحة الوطن كله ، فساهمت بفعالية في تدمير وعي الجماهيروتبديد اختلاجات الثورة فيها •

وحين انشطر المخيم ، وانفجر ثورة · وحين اصبح السلاح في يد الجماهير كالزهور ، لم يجد الشعر في معظمه طريقة للفكاك من هذا « التراث » ، فاستبدل الخيمة بالبندقية واستبدل وصف الجوع بوصف عجائبية الفدائي ·

كان مقذعا هذا « الشعر » ومقززا ·

لقد جاءت الحداثة الى الشعر العربي من خارجه ، لانه كان خارج الواقع · وكانت الحداثة تشتتا في الحداثة القادمة من اماكن اخرى ، خلقتها صراعات من طبيعتها · لقد تكفلت اسماء كثيرة بالتقليد والتشويه وتزوير الضرورات التي افرزت قوانين الشعر والثورة في الغرب· تكفلت بذلك وماتت · كانت هي المهمة·

اما حين انتجت حالة المواجهة اليومية للجماهير في الارض المحتلة ، حالة من الشعر مماثلة ، وجاء شعر يتلمس الطريق الى نفسه ، والى الواقع والجماهير والثورة ، قام التسفيل النقدي البرجوازي الصغير ليلعب دوره ، ولم يقصر في ذلك·

اذن ، فان مثل هذه الفلسطنة ، وبهذا المفهوم ، تشكل مرضا حقيقيا يجب اجتثاثه من جسد الشعر ، فلسطين ليست حالة نادرة ، فالقهر يشمل الجماهير العربية كلها·

كان هذا هو العام · وكانت الاستثناءات نادرة ·

● **الدائرة بين الانحلال والنمو :**

اذن فان الشعر (الفن) يكون بقدر تعبيره عن الشمول التاريخي للواقع المعطى· وفي واقعنا الراهن حيث تصل البرجوازية العربية القطرية الى حالة الاقفال النهائي في وجهها ، فلا تجد في طريقها غير القبر ، اين يكون الشعر ؟

ان المسألة لا تشير الى سباق بين الشعر وبين حركة التطور ذاتها من اجل صياغة قوانين الشمول التاريخي للواقع المعطى · لكن القانون الاساسي الذي يشمل الشعر ويؤسسه هو هذا **الانفجار في الشمول** ·

ان مسار الثورة العربية الذي اخذ يتضح الان يتجه رأسا نحو تحطيم تلك الدوائر الصغيرة القطرية الضيقة التي فرضها العنف الامبريالي ، بحيث تكون الثورة فعل تحقق شاسع ينتشر على جسد كل الوطن ، في توهج اممي خارق ·

ان هذا التحقق التاريخي للشمول الخلاق هو الشعر ذاته ، هو الخلق الانساني العظيم ، هو الفداحة ذاتها في حلم الشعب ، هو الانتصار والتبعثر في الاستشهاد·

اين يكون الشعر ؟

بائس هو التخثر في الراهن · ورجعي · وليس شعرا ·

ولا يكون الشعر الا مع الفداحة · الا مع الانذهال في الحلم · الا مع ضوءن الحلم

وسوف تكون جهنم في ارضنا · وسوف يكون الخير كله

فأين يكون الشعـــــر ؟

« الارض » ـ المزاج : ★

يصير « التداعي » مزاجا ونقطة ارتكاز ومشيا غنيا وانذهالا في القلب الكوني للقصيدة ·

يصير « التداعي » طريقا ، وصعبا ، الى الشعر ·

في « الارض » تصير العلاقة بين الشعر ، بين الشاعر ، وبين الثـورة والارض واللغة والتشكل والجنس والناس والحلم ولذة التفتت في المستقبل ، تصير العلاقة كسرا للغرف المغلقة ، ضما للتشرذم ، مشاركة في الشروع البشري للثورة ·

يهبط الناس كل يوم من نتوءات القهر الفادح ، يهزجون بالنشيد ، ويقتلـــــون البعوض المتكاثر في جنح الليل · وتهبط « الارض » معهم ، غارقة ، في حلمهـــم ، وتلمع سكاكينهم ·

والفرق بين التداعي وبين التداعي هو الفرق بين الجنس وبين التشيؤ · فليس الموقف هو من التداعي كطريق الى الشعر ، لكن الموقف هو في موقع التداعي من الثورة ، ومن الحلم ·

ويقف تداعي«الارض » على قاعدة الثورة والجماهير والانخراط الجهنمي بينهما ·

الثورة هي المزاج الجماهيري المطلق ، والشعر الذي لا يراه ، لا يكون·وليست مهمة الشعر اكتشاف قوانينه او بلورة مساربه · مهمته هي الانخراط فيه · الغرق في انفجاره الحتمي ، اليومي ، المطلق ·

★ « قصيدة الارض » ـ محموددرويش ، شؤون فلسطينية ، ٥٧

الثورة فعل انذهال ·

الجماهير فعل انذهال ·

الشعـر فعل انذهال ·

في «التداعي» يقبض الشاعر على نفسه، وعلى الشعر ، وعلى الثورة والجماهير من لم ير الفقراء وهم يمارسون التداعي كل لحظة لا يرى الشعر ·

« للموج ان يحبس الموج · ان يتموج ·· ان يتزوج ·· او يتضرج بالقطن »·

كيف يصير التداعي شعرا ؟ هذا سؤال لا يجاب عليه · لان الشعر اكتنـاه للقادم ، لغزارة المطر ، واختراقات البحر · لان الشعر انعتاق · لان الشعرصهيل امرأة اخترقها الجنس فاستحالت هجوما على الوحش · لان القبض على الذكورية في زمن التعهر مسألة خارج الوصف ، خارج التقرير ·

« رأيت فتاة على شاطيء البحر قبل ثلاثين عاما وقلـت : انا المـوج · فابتعـدت في التداعـي · رأيت شهيدين يستمعـان الى البحر · عـكا تجـيء مع الموج · عـكا تروح مع الموج · وابتعـدا في التداعـي · ومالت خديجـة نحـو الندى ـ فاحترقت ·»

في التداعي تخرج « الارض » من الضرورات الراهنة الى الخارج · تكـون مع الحرية ، ولا تكون قسرا مع الضرورة · الحلم لا يقصر عن البحـر · و « الارض » لا تقصر عن الحلم ، تتطاول كي تصل عنق الدالية وتعود مع الريح المحمل بانفاس الناس ، بوجع الفقراء ·

لكنها « الارض » تسيطر عـلى الفداحة فيها · فليس التداعي خـارج القوانين ايضا ، والا لكان ثرثرة وحـارب الفقراء ·

يصير التداعـي ، حين يكون الشعر في لجـة البحر ·

وكانت « الارض » في لجة البحر ·

« **الارض** » : **الشعـر · الجنس · والتشكل** ·

« في شهر اذار ينتفض الجنس في شجر الساحـل العربي »· هنا تماما تقـع

المسألة • الثورة • الجنس • الشجر • ومحيطية الثورة • ان التناقض بين القابضين « على طرف المستحيل » وبين « شجر الساحل العربي » هي المسألة • وكما ان الانتفاض لا يكون في الرفة الملقة ، فالثورة لا تكون في القطر المحكم الاغلاق • تتجانس الثورة في المحيط العربي ، فينفجر الجنس، وتستقطب الثورة نقاواتها ، ويعبق الانذهال ، فيكون التداعي . ويكون الشعر•

عبث كل ما يقع خارج هذه الدائرة ـ المحيط • عبث وقبض الريح •

« تستيقظ الخيل » فهذا « خروج المسيح من الجرح والجرح اخضر »
« وهذا صعود الفتى العربي الى الحلم والقدس » هنا تماما تقع المسألة •

بخشية وانفجار يلمس درويش المسألة • وكان قد تساءل : ماذا نفعل بهذه الطاقات على مستوى الارض العربية ؟ وكان قد اجاب : وهل نرد على انفسنا بغير التفجير •

وهو يبدأ الان • يبدأ محملا بتراكم هائل من الخطأ والمغالطة • ويجرؤ هذا التراكم على ان يجر نفسه حتى الى « الارض »، التي تتداخل احيانا بتراث التراكم ، لكنها تخرج منه • « سنطردهم عن اناء الزهور وحبل الغسيل • سنطردهم عن حجارة هذا الطريق الطويل سنطردهم عن اذان الجوامع • نطردهم عن بخور الكنائس• نطردهم عن غبار الشوارع• نطردهم عن سطوح المدارس • نطردهم عن دوالي الخليل وصبار سخنين »•

انه تواجد في الدائرة الاولى • في الدائرة المغلقة • هذه اجواؤها ، رائحتها •

ان الانتفاضة قناة صغيرة تتصل بقنوات العنف والثورة في المحيط • ليست الانتفاضة بحرا • يجب ان نراها في اتصالها بالبحر ، بغير ذلك تخسر الانتفاضة ، ويخسر الشعر ، وتخسر الثورة •

وحين تبدأ الارض تنتشر فينا «مواعيد واحتفالا بسيطا • ونكتشف البحر تحت النوافذ ، والقمر الليلكي على السرو » يكون التحول قد بدأ •

وفي « الارض » ينتشر التحول ، ويستطرد في المقاطع ، رغم ارتداده الخفي احيانا •

وكان الشاعر قد دخل الى الحلم وحده « فضعت وضاع بي الحلم »

وتضاءلت الثورة ٠

« قلت : تكاثر ! تر النهر يمشي اليك »٠

وهنا تماما تقع المسالة ٠ يكتشف الشاعـر القانون ، فيكتشف الثورة ،ويكتشف الشعـر ٠

يمتزج الشاعـر بالمحيط ، يمتزج الشاعر بالبحر ٠ وتستيقظ الخيل فيه ٠

ولا بد ان « يمشي التراب دمـا طازجا في الظهيرة » لان بلادي تحيا « مـن الصفـر حتى الجليل » ولان الجنس ينتفض « في شجر الساحل العربي » ٠

فعـلا وواقعا ، اي سيف سيعبر بين الشهيق وبين الزفير ولا يتكسر !

انه اكتشاف القوانين ٠

« هذا عناقي الزراعـي في ذروة الحب »٠

« هـذا نمـو التداعـي » ٠

« هذا انطلاقي الى العمر » ٠

« سوف تنفجر الارض حين احقق هذا الصراع المكبل بالري والخجل القروي»

« فيا وطن الانبياء ٠٠ تكامل !

ويا وطن الزارعين ٠٠ تكامل !

ويا وطن الشهداء ٠٠ تكامل ٠

ويا وطن العائدين ٠٠ تكامل » ٠

ويكون اكتشاف القوانين ٠ ويكون الشعر ٠

من النقطة ، للتكامـل ، للبحر ، للثـورة ٠من الجنس للجنس ٠ حرام هـو القفز في الدائرة المغلقة ٠ وضروري هو اجتثاب التراكم ، كـي لا ينسحـب احيانا ويغـطي بعـض المقاطع في « الارض »٠

في التداعي تتفتق اللغة ، ويتفتق الشكل ، لانك لا تغتسل بمـــاء الثـــورة مرتين • لان الشعر والثورة والجنس انفجار ابدي التطـاول ، وغير محــــدود التمادي

في « الارض » تنبجس اللغة في ذروة المستحيل بجيش الشعـــر • وعلـــى عتبة المستحيل تقع « الارض »•

« فيا وطن الانبياء •• تكامل !» وياشعــر الارض تكامل •

« هذا نمو التداعي » •



حرب الفدائيين في قطاع غزة

(٢٨ شباط ١٩٥٥ ـ ٢٩ ت٢ ١٩٥٦)

حسين أبو النمل

عام ١٩٥٥ في التاريخ العربي عموما وتاريخ القضية الفلسطينية خصوصا عام بالغ الدقة والاهمية • فهو العام الذي بلغت به مشاريع الاحلاف الاستعمارية ومشاريع توطين اللاجئين •• ومن ثم مقترحات الصلح مع اسرائيل الذروة • في ذلك العام ، انتقلت قيادة الثورة المصرية ، وبعد ان اقصي اللواء نجيب ، من مرحلة المناورة الى مرحلة المعارضة النشطة والفعالة لمشاريع الاحلاف ، ولعبت الحكومة المصرية الدور الرئيسي في محاولة حمل مجلس جامعة الدول العربية على طرد عراق نوري السعيد الذي كان قد دخل في حلف بغداد•

•• كالعادة •• تحركت الاداة الضاربة الاسرائيلية « لتاديب » مصر ، فشنت اسرائيل ليل ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ غارة بربرية على قطاع غزة •• لهدف سياسي واضح ، تركيع ثورة مصر ودفعها للقبول بمشاريع الاحلاف كي تحمي نفسها •• حسب ما كان قد اشار به عليها نوري السعيد •• ولتركيع جماهير القطاع •• ودفعها للقبول بالتوطين والصلح ••

•• وكالعادة •• انتصرت ارادة التحدي والصمود ، وانفجر قطاع غزة •• كل قطاع غزة ، منددا بالعدوان ، مطالبا بالسلاح •• ولم يكن صعبا على جماهير القطاع ادراك الوجه الاخر للعدوان ، الا وهو ، الصلح والاسكان •• ولذا كان شعار الثورة المدنية التي عاشها القطاع ، « لا صلح ولا اسكان يا عملاء الاميركان » •

وسقط ، التوطين ، والصلح ، والاحلاف •• وفتحت بداية مرحلة جديدة هي موضوع بحثنا والذي يشكل الفصل الخامس من الدراسة المطولة عن قطاع غزة بين ١٩٤٧ ـ ١٩٦٧• ويغطي هذا الفصل الفترة بين الغارة الاسرائيلية في ٢٨ شباط سنة ١٩٥٥ و ٢٩ تشرين ثاني سنة ١٩٥٦ تاريخ العدوان الثلاثي على مصر وقطاع غزة •



١٩٥٥ ـ ١٩٥٦

الغارة الاسرائيلية على قطاع غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، ومن ثم انتفاضة اول مارس ١٩٥٥ التي قامت بها جماهير قطاع غزة ، كانت حدثا بالغ الاهمية في تاريخ قطاع غزة ، وتاريخ الثورة المصرية وتاريخ المنطقة عموما • فقد كانت النقطة الفاصلة بين مرحلتين سياسيتين عاشتهما الثورة • وانتهت مرحلة التردد وحزمت الثورة امرها ، بعد ان اوضحت الغارة ، ومن ثم الانتفاضة ، استحالة اعتبار قضية فلسطين من القضايا المؤجلة ، وان خطر اسرائيل ، امر غير وارد في تلك المرحلة وان المواجهة معها شأنا يقبل التأجيل •

لقد قيل الكثير في وصف تأثيرات غارة غزة ، ولعل ابلغ ما قيل واكثره تعبيرا كلام كينيث لوف عن«ان غارة غزة كانت بذور غيمة عاصفة مطرية٠٠وانها كانت الفعل,وماتلاها كان ردة الفعل » (١) ٠ وقد نقل عن الرئيس عبد الناصر قوله : « انها كانت نقطة تحـول وان العدوان كان جرس انذار (٢)» ٠ خصوصا وان مؤثرات غارة غزة لم تقتصر على قطـاع غزة،بل تعدته الى مصر،باعتبار ان غالبية الضحايا من الجنود المصريين مما زادمن اثار الغارة على الرأي العام المصري (٣)» كما ان ردة الفعل قد شملت الجنود المرابطين في قطاع غزة والذين كان « عبد الناصر في زيارتهم قبل الغارة بفترة قصيرة ، واكد لهم شخصيـا انه ليس هنا خطر وقوع معركة هناك (٤)»٠ الامر الذي اعتبره عبـد الناصـر اهانـة شخصية له اضافة الى احساسه بالمسؤولية الرسمية تجاه جنوده وحاجتهم للسلاح « ولـم يعد بامكان ناصر اخبار زائريه ٠٠ انه ليس على استعداد لتكرار خطأ اسرائيل في صرف ٦٠٪ من الميزانية على التسليح (٥)» ٠وحصلت نقطة الاستدارة بعد غارة غزة،وقال عبـد الناصر كلمته الشهيرة « سوف نعتمد على قوتنا الذاتية لا على مجلس الامن وقراراته ٠٠ واعطيت التعليمات لقادة القوات المسلحة بالرد على العدوان بالعدوان (٦) » ٠

لقد تمثلت السياسة الجديدة بتحولات في سياسة مصر على الصعيدين العربـي والدولـي وعلى صعيد مواجهة اسرائيل ٠ فقد صعدت حكومة الثورة من حربها على الاحلاف ٠وفي مواجهة المحور الهاشمي ، والذي كان احد اطرافه (العراق) قد وقع معاهدة للدفـاع المشترك مع تركيا،في مواجهة هذا الحلف عملت حكومة الثورة على تشكيل محور من مصر وسورية والسعودية ٠ وبرغم هشاشة الاساس الذي يمكن ان يقوم عليه مثل هذا الحلف ، باعتبار ان العربية السعودية هي احد اطرافه ، فان هذا لا يلغي معنى محاولة مصـر هذه لمواجهة الحلف الهاشمي عمليا ٠

على الصعيد الدولي تجسدت سياسة حكومة الثورة بصفقة الاسلحة التشيكية التي اعلن عنها عبد الناصر في خطبة له القاها يوم ٢٧ ايلول ١٩٥٥ حيث كانت « اهـم خطبـه على الاطلاق »٠٠و٠٠ احدثت اهم فرقعة في تاريخ المنطقة » (٧) وتشير بعض المصادر الى ان « قرار عبد الناصر ٠٠ بترميم قواته قد اخذ خلال الليلة المضطربة التي قضاها بدون نوم ، انها ليلة الغارة » ٠٠ وان طلب عبد الناصر لسلاح شرقي كان منذ يوم ١٨ مايو ١٩٥٥عندما فاتح السفير السوفياتي بمصر بهذا الموضوع (٨)٠ وبقدر ما كانت تلك الصفقة عسكرية، كانت ذات ابعاد سياسية ٠ فلاول مرة تقوم حكومة مصرية بخرق حاجز « عقـدة العداء للشيوعية » ٠ وتقيم علاقات مباشرة مع دولة شيوعية ٠ وبهذا كانت مصر تنهي مرحلـة ارسال الوفود الباحثة بلا جدوى عن سلاح في الدول الغربية ٠ وقد بررت صفقـة الاسلحة تلك ، « لان مصر ادركت نيات اسرائيل العدوانية ولئلا تتكرر مأساة فلسطين»(٩)٠ وبهذا دخلت مصر في مجال دولي جديد وفتحت امامها افاقا عديدة واخرجت نهائيا من مدارالدول الغربية التي كانت تسعى لضمها الى الاحلاف الاستعمارية ٠

توقيع صفقة الاسلحة التشيكية وحضور مصر مؤتمر باندونج لدول عدم الانحيـاز كان حدثا بالغ الاهمية لانه اخرج مصر نهائيا الى مدار سياسي جديـد ، وبهـذا كانت الحكومة المصرية منسجمة مع المواقف السياسية التي اتخذتها سابقا تجاه موضوع الاحلاف٠
مقابل الانقلاب في سياسة مصر الدولية والعربية ، لم يطرأ تبدل جوهري فـي سياستهـا المحلية سواءعلى صعيد مصر او على صعيدقطاع غزة ٠ فبرغم الاقرار،وبالتالي الاستجابة

للاهداف السياسية لانتفاضة جماهير قطاع غزة ، قامت الحكومة المصرية بممارسات قمعية تجاه من اعتبرتهم مسؤولين عن الانتفاضة · فبعد مضي يوم واحد على توقف المظاهرات الاحتجاجية في قطاع غزة ، قامت قوات الامن باعتقال من اعتبرتهم محـــركي المظاهرات ، وقد شملت الاعتقالات اشخاصا من كافة انحاء القطاع ، وكـــان بالامكان اعتبار هـــذه الاعتقالات تدبيرا احترازيا تحسبا لقيام مظاهرات جديدة ، ولكن نمط معاملة السجنـــاء كانت تعني أن الاعتقالات هي اجراءات تأديبية ، فقد قدم المعتقلون لسجانيهم باعتبارهـــم جواسيس وموروست بالتالي تجاههم ابشع صنوف التعذيب (١٠) ·

وباعتبار ان المعتقلين الغزيين كانوا اما من الاخوان المسلميـــن او الشيوعيين او اصدقائهم ، فقد انعكس عليهم موقف الثورة من الشيوعيين والاخوان المسلمين المصرييـــن والذين زج بهم في السجون وخصوصا الاخوان المسلمين بعد قيام الجبهة الوطنية التـــي اشترك كلا الحزبين بها ، والتي كانت تتعاطف مع موقف محمد نجيب ، انتهاء بمحاولـــة الاخوان اغتيال عبد الناصر · واستمرت الاوضاع السيئة لمعتقلي غزة الى حين توقيع صفقة الاسلحة التشيكيةوحضور عبد الناصر لمؤتمر باندونج حيثانفرجت العلاقة بين الشيوعيين والسلطـــة (١١) ·

الاجراءات البوليسية في قطاع غـــزة :

على هامش انتفاضة مارس ، سنت الادارة المصرية في قطاع غزة سلسلة من القوانين والاجراءات القمعية التي يمكن اعتبارها مكملة لحملة الاعتقالات الواسعة التي جرت ·ففي يوم ١٤ مارس ١٩٥٥ اي بعد مرور اقل من ٣ أيام على استجابة الادارة المصريـــة لطلبـــات انتفاضة مارس ، اصدر الحاكم الاداري العام القرار التالي :

« بمناسبة الاضطرابات التي حدثت يوم اول مارس سنة ١٩٥٥ بغزة ودير البلـــح اثـــر السادسة صباحا من الايام التالية »

المادة الاولى : ممنوع التجول منعا باتا لاي شخص بالمناطق الواقعة تحت ادارة حاكم غزة وحاكم اداري دير البلح فيما بين الساعة الثامنة من مساء أول مارس سنـــة ١٩٥٥ والساعة التاسعة من صباح ٢ مارس ١٩٥٥ وفيما بين الساعة السابعة مساء والساعـــة السادسة صباحا من الايام التالية » (١٢) ·

علما بان هذا القرار لم يكن قرارا مؤقتا القصد منه مواجهة ايام الاضطرابات فقط ، بل استمر بعد ذلك بكثير كما هو واضح من نص القرار الصادر في ١٥ مايو ١٩٥٥،والذي يقول : « يباح التجول داخل المدن والقرى ومعسكرات اللاجئين فقط في المنطقة الواقعـــة تحت رقابة القوات المصرية بفلسطين وذلك خلال ايام شهر رمضان المعظم وايام عيدالفطر المبـــارك (١٣) ·

والواضح من نص القرار ان حق التجول مشروط على صعيدي الزمان والمكان ، فمدة سريان مفعول القرار هي فترة شهر رمضان فقط وايام عيد الفطر · واما على صعيد المكان فالقرار يشترط بان يكون التجول (داخل) المدن والقرى والمخيمات ·

حل نقابة معلمي مدارس اللاجئين :

من المعروف ان هذه النقابة واجهة علنية لحزبي الاخوان المسلمين والشيوعيين اللذين كانا يمارسان نشاطهما السياسي والتعبوي من خلالها • وقد ادت النقابة من خلال هيئتها الادارية دورا هاما في محاربة مشاريع التوطنين وفي انتفاضة مارس ، ولذا فقد شملتها الاجراءات القمعية واصدر الحاكم الاداري العام بشأنها القرار التالي :

مادة ١ : توقف اجراءات تسجيل نقابة معلمي مدارس اللاجئين •

مادة ٢ : تحل النقابة المذكورة فورا •

مادة ٣ : يتولى حاكم اداري غزة اتخاذ اجراءات الحل والتحفظ على اموال هذه النقابة وموجوداتها وتصفية اعمالها وحصر صافي الاموال للتصرف في شأنها بقرار منا ، ويخول في سبيل القيام بمهمته جميع السلطات اللازمة لذلك (١٤) •

ولم يكن ممكنا التحايل على هذا القرار لانه كان معطوفا على قرار صادر في ١٥ نوفمبر ١٩٥٤ بمناسبة الغاء تصاريح عمل النوادي التي كانت تابعة للاحزاب الممنوعة ، حيث اعطى القرار المذكور الحاكم الاداري حق الغاء اي ناد « اذا كان قد انشيء بقصد احياء ناد اخر سبق اغلاقه او بقصد اتخاذه ستارا لذلك » (١٥) •

كما صدر قرار ثالث في التاريخ نفسه وعن الجهة نفسها يلغي حق الاضراب والتظاهر وقد وسعت احدى فقرات قرار سابق بحيث اصبحت كما يلي :

« التحريض على الاضراب او الاعتصام باي شكل او وسيلة او الحض على تقديم الشكايات الجماعية او الوقوف موقفا عدائيا من الهيئات المعترف بها في هذه المنطقة ، او العمل باي شكل او وسيلة على بث الدعوة للتظاهر او الاخلال بالامن او احداث شغب او استعمال العنف » •

المادة الثانية : يضاف للمادة (٢٠) فقرة جديدة بعد الفقرة الرابعة نصها كالاتي :

« يجوز للحاكم الاداري العام اغلاق النادي بقرار منه عند مخالفة احكام الفقرات الاولى والثانية والرابعة من المادة (٢٠) على ان يعين في هذه الحالة الجهة التي ستؤول اليها اموال النادي بعد تصفيتها (١٦) » •

الموقف الجماهيري :

برغم الاجراءات القمعية التي واجهت بها الادارة المصرية انتفاضة مارس ، بدأ بالاعتقال ، مرورا بحل الجمعيات والنوادي ، انتهاء بالغاء حق التظاهر والاضراب ، اضافة الى حظر التجول ، برغم كل هذه الاجراءات فقد كان الموقف الجماهيري ملتفا حول اهداف

الانتفاضة ، ولم تستطع الحكومة المصرية ان تتراجع عن الالتزامات التي قطعتها على نفسها، وعلى عكس المرات السابقة حيث كانت الجماهير تتخذ موقفا سلبيا ولامباليا تجاه الاعتقالات التي كانت تقوم بها الادارة المصرية تجاه قوى المعارضة ، حظي موضوع المعتقلين هذه المرة باهتمام وعطف كبيرين تمثل في المحاولات التي جرت لاطلاق سراح المعتقلين · ولم تتحرج جهات عدة ، ومنها ما هو موظف رسمي لدى الحكومة المصرية ، ومنها ما هو من القيادات التقليدية ، من المطالبة بالافراج عن المعتقلين · وكانت تحرص على زيارتهم والاعتناء بشؤونهم ، غير مبالية بالاجراءات التي يمكن ان تتخذها الادارة المصرية ضدهم · ويذكرنا هذا الوضع بالموقف أبان الاعتقالات في الخمسينات حيث لم تشهد غزة اي تحرك للمطالبة بالافراج عن المعتقلين · وقد كان مقدرا لحركة المطالبة بالافراج عن السجناء السياسيين ان تصل الى حدود مواجهة جديدة بين اهالي القطاع وبين الادارة المصرية لولا طغيان ظروف سياسية جديدة ساهمت بتبديل الاساس السياسي للموقف المصري الامر الذي عكس نفسه على موقف جماهير غزة تجاه الادارة المصرية ، والمعني بذلك سياسة مصر الدولية من ناحية واطلاقها لحرب الفدائيين من ناحية ثانية ·

التوتر يعود على الحدود ، والامم المتحدة تتحرك :

اثر غارة فبراير ارتفعت حرارة الحوادث على حدود غزة ونشطت الامم المتحدة لتخفيف التوتر ·وقد سبق للامم المتحدة ان ادانت الهجوم الاسرائيلي على غزة في١٨فبراير ١٩٥٥ ، بالقرار رقم ١٠٦ الصادر عن مجلس الامن بتاريخ ٢٩ اذار ١٩٥٥ · يقول القرار الذي اتخذ باجماع الاصوات ما يلي :

« أن مجلس الامن وقد أستمع الى تقرير كبير مراقبي هيئة رقابة الهدنة التابعة للامم المتحدة في فلسطين والى تصريحات ادلى بها ممثلا مصر واسرائيل ، وقد لاحظ ان لجنة الهدنة المشتركة المصرية ـ الاسرائيلية اعتبرت في ٦ اذار (مارس) ١٩٥٥ ان «هجومامدبرا ومخططا له أمرت به السلطات الاسرائيلية » وقامت به قوات الجيش النظامية الاسرائيلية ضد قوات الجيش النظامية المصرية في قطاع غزة يوم ٢٨ شباط (فبراير) ١٩٥٥ :

١ ـ يدين هذا الهجوم كانتهاك لنصوص وقف اطلاق النار الصادر عن قرار مجلس الامن رقم ٥٤ (١٩٤٨) وكعمل يتناقض مع التزامات الاطراف بموجب اتفاقية الهدنة العامة بين مصر واسرائيل (٣١٤) وبموجب ميثاق الامم المتحدة ·

٢ ـ يدعو اسرائيل مجددا ان تتخذ جميع الاجراءات الضرورية لمنع هذه الاعمال·

٣ ـ يعرب عن ايمانه بان المحافظة على اتفاقية الهدنة العامة يهددها قيام اي من الاطراف بانتهاك تلك الاتفاقية عمدا ، وانه من غير المستطاع تحقيق تقدم نحو عودة السلام الدائم في فلسطين الا اذا اذعنت الاطراف بصورة قطعية لالتزاماتها بموجب اتفاقية الهدنة العامة ونصوص قراره بوقف اطلاق النار رقم ٥٤ (١٩٤٨) » (١٧) ·

وفي اليوم التالي ، اي بتاريخ ٣٠ آذار ١٩٥٥ أصدر مجلس الامن قرارا جديدا تحت رقم ١٠٧ يقول القرار : « ان مجلس الامن ، اذ يحيط علما بتلك الاجزاء من تقرير كبير

مراقبي هيئة رقابة الهدنة التابعة للامم المتحدة في فلسطين ، التي تعالج الاوضاع العامة على خط الهدنة الفاصل بين مصر واسرائيل ·

١ ـ يطلب الى كبير المراقبين ان يواصل مشاوراته مع حكومتي مصر واسرائيل بقصد اتخاذ اجراءات عملية لذلك الغرض ·

٢ ـ يلاحظ أن كبير المراقبين قد تقدم فعلا ببعض الاقتراحات الملموسة في هذا الصدد·

٣ ـ يدعو حكومتي مصر واسرائيل الى التعاون مع كبير المراقبين بشأن اقتراحاته، مع الاخذ بعين الاعتبار انه ، حسب رأي كبير المراقبين ، يمكن تقليص التسلل الى عمليات ازعاج متقطعة ،اذا ما تم الوصول الى اتفاق بين الطرفين على أساس الخطوط التي اقترحها·

٤ ـ يطلب الى كبير المراقبين ان يبقى المجلس على علم بتقدم محادثاته » (١٨) ·

قرار مجلس الامن هذا كان فاتحة نشاط محموم قام به كبير مراقبي هيئة رقابة الهدنة بين مصر واسرائيل بهدف التوصل الى اتفاق مشترك بينهما لـ « حل مشاكل الحدود والامن في قطاع غزة » ·

واما الاقتراحات التي كان قد تقدم بها كبير مراقبي الهدنة واشار اليها قرار مجلس الامن رقم ١٠٧ لعام ١٩٥٥ فهي :

١ ـ دوريات حدود مشتركة على طول المناطق الحساسة للحدود المشتركة ·

٢ ـ اتفاقية بشأن قيادة محلية ·

٣ ـ حقل الغام على طول اقسام معينة من الحدود المشتركة ·

٤ ـ دوريات ، ونقاط محددة تقاد من خلال وحدات اسرائيلية ومصرية نظامية»(١٩)·

وقد اوضح الجنرال بيرنز اهداف مقترحاته الاربعة بقوله : « ان هدف الاقتراح الاول كان واضحا · اذا كان المصريون والاسرائيليون يقومون بالحراسة بشكل مشترك على طول خط الهدنة،فان هذه الدوريات لن تكون عرضة لاطلاق الرصاص عليها من أي من الجانبين، ولن تكون تحت تأثير فكرة الوقوع في الكمائن ··واما بشأن الاقتراح الثاني ، فيشير الجنرال بيرنز الى التجربة على الحدود الاردنية ـ الاسرائيلية و « كيف ان الفكرة وراء الاتفاقية كانت لحل مشاكل اجتياز الحدود العادية ، وتبادل السجناء الذين لم يرتكبوا اي جريمة سوى تجاوز حدود بشكل خطأ · والى اخره من الحوادث التي يمكن ان تحل من خلال لقاءات القادة المحليين » · ويعود لتفسير مقترحه هذا فيقول : « لقد بدت لي هذه الفكرة كحل عملي لمعالجة المشاكل الصغيرة بدون الاجراءات الشكلية والقانونية المفترض ان تقوم بها هيئة الهدنة المشتركة ·· وهدف الاقتراح الثالث للتأكد من أن كلا الطرفين يريد وقف التسلل » · واما عن هدف الاقتراح الرابع فيقول الجنرال بيرنز : « كان الاقتراح الاخير بأن تحرس كافة النقاط المشتركة والمخافر على كلا الجانبين من قبل قوات نظامية لان معرفة الاحتياطيين والحراس الاهليين بطبيعة الاشياء أقل من معرفة القوات النظامية ··· ولانه

غالبا ما تكون القوات غير النظامية اكثر عداء تجاه الجانب الاخر ، وربما بسبب تأثيرات حوادث جرت في الفترات الماضية ، الامر الذي يجعلهم تحت رغبة دائمة في اطلاق الرصاص على العدو الذي يثير كراهيتهم · خاصة اذا ما اتيحت لهم فرصة طيبة ليفعلوا هذا بدون أن يكتشفوا من قبل ضابط اعلى » (٢٠) ·

ويشير كبير مراقبي الامم المتحدة الى انه ناقش هذه المقترحات مع كـلا الجانبين ·· ولكنه لم يحرز الا نجاحا ضئيلا ·· ويشير الى انه « بالاضافة الى الحوادث على حـــدود قطاع غزة ، فقد اثرت سلبا على نجاح مقترحاته حادثة السفينة الاسرائيلية بيت جاليـــم التي احتجزها المصريون في قناة السويس وحادثة اكتشاف خلية تجسس وتخريب فيمصر عناصرها من اليهود ، حيث اعدم معظمهم » · (٢١) ·

أتت حوادث الحدود وفي رأسها حادثة ٢٨ فبراير لتدفع بالمقترحات التي تقدم بهـــا الجنرال بيرنز دفعات واسعة الى الامام ،وفي المقابل نشطتاسرائيل لتوظيف قرارت الامم المتحدة ومقترحاتها في خدمة مخططاتها السياسية ، مستغلة الى ابعد مدى جو التوترالذي خلفته بعدوانها على غزة كوسيلة ضغط للوصول الى اتفاق مع مصر ، ويقـول الجنرال بيريز في وصف الحالة على طول حدود غزة – اسرائيل في الفترة التي تلت عدوان ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٥٥،«عندما عدت من نيويورك بعد اجتماع مجلس الامن الخاص بمناقشة حادث غزة السابق ، وجدت ان الوضع على حدود غزة في منتهى السوء وقد كتبت لمجلس الامن تقريرا عنه · فمنذ حوادث ٢٨ فبراير كان هناك كل يوم تقريبا تبادل اطلاق النار عبر خـط الهدنة من قبل المصريين والاسرائيليين على السواء اضافة الى حوادث اجتياز للحدود من قبل زمر من الرجال المسلحين ·

ان هذه الحوادث معرضة للتزايد بدرجة خطيرة ·· واذا لم تمنع مصـــــر عمليـــات أطلاق النار والعبور بحزم واسرائيل لم توقف عبور دورياتها المسلحة فان الوضع سيصبح اكثر سوءا ·· ويبدو لي ان المصريين في القيادة غير راغبين في المتاعب ، ولكن الصعوبـة هي في العسكريين المصريين من ذوي الرتب الدنيا ، وكذلك الفلسطينيين الذين يشغلـــون الان مواقع على خط الهدنة ، هؤلاء لا يحترمون تلك الرغبات واعتقد انهم لن يترددوا باطلاق النار على اي اسرائيلي يعتقدون انهم قادرون على صيده » · (٢٢) ·

اسرائيل تستغل الوضع لاحضار المصريين الى طاولة المفاوضات :

في ظل هذا الوضع المتفجر الذي صوره تقرير كبير مراقبي هيئة الامم المتحدة ، تقدمت اسرائيل بجملة اقتراحات ذات هدف مزدوج ، حل مشكلة الامن على حدود قطاع غـــزة وبالمقابل محاولة انجاز بعض الاهداف السياسية الهامة · ففي منتصف ابريل وتحت وطأة أحداث ٢٨ فبراير التأديبية وتحت وطأة معرفة القادة الاسرائيليين بأن « الجيش المصـري حقيقة لم يكن بجاهز للصراع مع اسرائيل في معركة مكشوفة ، قدموا مقترحـــات لعقـــد مؤتمر على (مستويات عليا) بينهم وبين المصريين لمناقشة موضوع الامن في منطقة قطاع غزة · وسيكون السيد والتر اتيان من وزارة الخارجية الاسرائيلية هو ممثـــل اسرائيل ، اذا ما قام المصريون بتعيين شخص مقابل من المستوى نفسه » (٢٣) · وتتحدث المصـادر الاسرائيلية عن الجانب العملي للاقتراحات الاسرائيلية فتقول : « ودارت مناقشات لاسابيـع طويلة مع القاهرة عن طريق رئيس مراقبي الامم المتحدة بشأن طلب اسرائيل عقد اجتماع

على مستوى عال لتخفيف حدة التوتر واقرار الهدوء على الحدود ، وقد اقترحت اسرائيل وضع منطقة للامن على شكل شريط يزرع بالالغام عرضه ١٠٠ متر وتوضع الاسلاك على كلا جانبيه ، كما اقترحت اجتماعا للقادة واقامة اتصال تلفوني مباشر ، وقد أيدت الدول الغربية هذا الاقتراح مطالبة بعقد اجتماع على مستوى عال • وقامت بالضغط على مصر لكي توافق على هذه الخطة ، ولكنها ــ اي مصر ــ ظلت تتهرب عن طريق المناورات والمساومات المختلفة لمنع تسوية فعلية » (٢٤) وقد « تحدث سفير الولايات المتحدة الاميركية بالقاهرة الى الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية المصرية ، ولم يبد الارتياح على الدكتور فوزي ولكنه ابقى الباب مفتوحا » (٢٥) • وقد قدر الجنرال بيرنز موقف المصريين بانه«نابع من شكوك المصريين بان الاسرائيليين يريدونهم (على نفس الطاولة) وبعد ذلك يحولون المحادثات الى نقاش حول السلام الشامل » • وقد اكد الجنرال بيرنز شكوك المصريين هذه بقوله : « لقد كان عند الاسرائيليين فكرة ثابتة ، الا وهي انه اذا ما استطاعوا احضار المصريين أو اي عرب الى الجلوس معهم فانهم يستطيعون ان يقودوهم باتجاه صناعة السلام (٢٦) » وقد رفض المصريون المقترحات الاسرائيلية ، وبالذات ما يتعلق بموضوع اجتماع على مستوى عال • وكان أن فشلت المقترحات التي قدمت ، ففي الوقت الذي كان كبير مراقبي الهدنة ، يسعى فيه لجمع الطرفين ، كانت وجهة النظر الاسرائيلية والمصرية تلتقي عند نقطة عدم الاكتراث لمثل هذه المقترحات ، « فالاسرائيليون لا يريدون الاجتماع بالمصريين الا اذا كانوا ممثلين على مستوى عال لان هذا الامر قد يقودهم باتجاه مناقشة موضوع السلام • والا فالاسرائيليون يفضلون الاستمرار بلعبة التهديد بالقوة •• وأما المصريون فقد ارادوا تجنب اظهار انفسهم في اعين غيرهم من الدول العربية بمظهر المتنازل امام اسرائيل » (٢٧) •

وفي نهاية مايو وقع على الحدود « حادث خطير بدأ باطلاق النار من قبل المصريين على سيارة جيب اسرائيلية •• وقد رد الاسرائيليون على النار ، وبدأ باطلاق النار على امتداد مساحة طويلة ، وقد قتل بهذه الحوادث جندي مصري وجرح أربعة ، وأما على الجانب الاسرائيلي فقد قتل جندي واحد ومدني واحد ، وجرح ثمانية منهم اربعة جنود واربعة مدنيين •• كما قصفت كيبوتسات عين هاشيلوشا ــ كيسوفيم وبزيم • وقد وقعت هذه الحوادث في وقت كانت فيه قوات مراقبي الهدنة في وضع يمكنهم من معرفة البادىء باطلاق النار • وقد كانوا متاكدين بان المصريين هم البادئون » (٢٨) •

دور مصر من وجهة نظر اسرائيل ، جندي لحراسة حدودها :

في هذا الوقت كان وزير الخارجية الاسرائيلية يدلي بحديث صحفي لمجلة نيوزويك الاميركية يقول به : « ان مصر قد فقدت حقها في ادارة قطاع غزة لانها فشلت في تطبيق نصوص اتفاقية الهدنة (٢٩) » •

ويشير كبير مراقبي الامم المتحدة الى ان « السيد والتر ايتان من وزارة الخارجية الاسرائيلية اقترح عليه ابان اجتماعه به خلال هذه الفترة ، السفر الى مصر وشرح اثر خطورة الوضع الحاضر لرئيس وزراء مصر• وخلال نفس المقابلة قدم له ايتان تهديدا مجددا بان اسرائيل سوف تستعمل القوات المسلحة فيما لو لم تتوقف اعمال الحدود في قطاع غزة (٣٠) » •

وقد سافر الجنرال بيرنز الى القاهرة وقدم صورة عن الوضع للرئيس عبد الناصر وقدم له « اقتراحات لضبط الوضع بشكل افضل ، ومنها ، ابعاد العناصر التي لايعتمدعليها من بين القوات النظامية اوتجمعات المدنيين ،تعيين خطوط الهدنة ببراميل حيث يمكن رؤيتها من مسافات بعيدة ، تعيين مزيد من الضباط في المخافر الحدودية ، مزيد من التعاون مع قوات الهدنة »(٣١) وحسب ما اوردالجنرالبيرنزفقدكان رأي الرئيس عبد الناصر « تراجع المخافر والدوريات المسلحة لكلا الطرفين كيلومترا عن خط الهدنة ،ولكنه لا يستطيعان يصدر اوامر صريحة بهدف فرض اتجاهات تراجعية وسلبية على القوات في قطاع غزة ، لان مثل هذه الاوامر الموجهة الى رجال خارجين من غارة غزة سوف تحطم معنوياتهم » (٣٢) ٠

الاقتراح المدهش الذي قدمه الجانب المصري ، حسب وصف جان لاكوتير ، لم يكن اقتراحا بريئا ، بل كان يخفي « خدعة حربية ، اذ يكون من جراء موافقة تل ابيب – على الاقتراح – اخلاء الاسرائيليين لعدد من مستعمرات الحدود ٠٠ (و) يكون باستطاعة الفدائيين عدم الالتزام بهذا الاتفاق » (٣٣) ٠

ويصف الجنرال بيرنز المرحلة التي تلت لقاءه بالرئيس عبد الناصر بقوله : « في الحقيقة ان الامور قد بدأت تتجه للاحسن من ذلك الوقت والى ثلاث شهور قادمة ٠٠ان بعض الاوامر الحازمة قد صدرت الى القادة المحليين ، ولم تحدث اي حوادث خطيرة ٠ وبدأنا بترتيب مناقشة الاجراءات التي أقترحتها لتخفيف درجة التأزم » ٠ (٣٤) ٠

وبالفعل فقد ساد حدود قطاع غزة هدوء نسبي وتشددت الحكومة المصرية في مراقبة حوادث عبور الحدود واتخذت جملة اجراءات في رأسها قرار حظر التجول الذي اصدره الحاكم الاداري العام لقطاع غزة يقول القرار :

المادة الاولى : ممنوع التجول منعا باتا لاي شخص من المنطقة الواقعة تحت رقابة القوات المصرية بفلسطين فيما بين الساعة الثانية عشر مساء والساعة الرابعة صباحا مع مراعاة احكام المادة الثانية من هذا الامر ٠

المادة الثانية : ممنوع منعا باتا تواجد اي شخص ما بين مواقع القوات المسلحة شرق خط السكة الحديدوبين خط الهدنة من الساعةالسادسة مساء حتى الساعة السادسة صباحا ما عدا الطريق الرئيسي الموصل بين قريتي جباليا وبيت حانون الواقع شرق خط السكة الحديدية فيكون منع التواجد عليه من الساعة الخامسة مساء حتى الخامسة صباحا ٠

المادة الثالثة : يستثنى من احكام هذا الامر قوات الامن والجيش وكل من تصرح له السلطات المختصة بذاك (٣٥) ٠

وكما سبق لكبير مراقبي الامم المتحدة ان اشار ، فقد نشطت المحاولات بهدف الوصول الى اتفاق بين الطرفين ٠ وعاد الحديث عن مقترحات اسرائيل السابقة ووجهة النظر المصرية المعروفة ، « فقد اصر الاسرائيليون على موضوع التلفون المباشر بين القادة المحليين لمصر واسرائيل ٠ وكان موقف المصريين الرفض ٠ كما أن الاسرائيليين كانوا معنيين بان تتضمن الاتفاقية نصا يسمح باجتماع القادة المحليين للطرفين مباشرة بدون اي حضور من منظمة الامم المتحدة (٣٦) » ٠

وهنا يستطرد كبير مراقبي الهدنة قائلا : « ان السعي بقوة لتنظيم مفاوضات مباشرة حتى في الامور الاقل اهمية بدت وكأنها أصبحت سياسة ثابتة لاسرائيل تتابعها بقدر كبير من المثابرة ·· كما اصر الاسرائيليون على موضوع التلفون المباشر بين القادة المحليين ·· وكان موقف المصريين الرفض (٣٧) » ·

وبهذه الطريقةكان المصريون يقطعون الطريق على محاولات الاسرائيليين جر موضوع الامن في حدود قطاع غزة كي يصبح مدخلاً لمناقشة امور ذات طابع سياسي ·

لقد تداخلت قضايا الحدود بقضايا اوسع من ذلك بكثير · فاسرائيل لم تكن معنية بموضوع الامن فقط ، ففي ذلك الحين كانت انتخابات الكنيست قد جرت · ورئيس الحكومة الجديد كان قد وعد ناخبيه « ان مصر تقلق حرية الملاحة في البحر الاحمر ويجب ان توقف هذا الاجراء الذي يتضمن حربا معلنة من جانب واحد ، ان المفاوضات يجب ان تتبع اولا مع المصريين ·· واذا فشلت فان القوة سوف تستعمل » (٣٨) ·

اوضح تصريح بن غوريون بجلاء ان القضية في ذهن الاسرائيليين هي ابعد منقضية الامن على حدود غزة · كما ان المصريين من ناحيتهم كانوا يحاولون كسب الوقت ، يتسلحون ، ويوثقون علاقاتهم الدولية · واستمرت جهود قوات الطوارىء بهدف بعث الحياة في مقترحاته التي كان قد تقدم بها سابقا · وبدلا من ان تحرز جهوده اي نجاح بدات كلمة فدائيين تدخل القاموس السياسي في قطاع غزة ، ويقول عن هذه المسألة « بدأنا ترتيبات لندفع بالمحادثات باتجاه الامام ، ولكن قبل ان تدخل الى حيز التنفيذ سمعنا لاول مرة تعبير (فدائيين) العائدة للفلسطينيين الذين كانوا يرسلون الى اسرائيل لمهاجمة المدنيين وتخريب المنشآت » (٣٩) ·

وبهذا انتهت مرحلة المخاض ·· وسياسة كسب الوقت التي بدأت منذ غارة ٢٨ شباط (فبراير) ١٩٥٥ وبدأ الرد بحرب الفدائيين ·

●

حرب الفدائيين :

من المحطات البارزة في تاريخ قطاع غزة تجربة العمل الفدائي التي امتدت بين الربع الاخير من عام ١٩٥٥ الى حرب السويس في ١٩٥٦ · وقد اتت تلك التجربة لتشكل اندفاعة جديدة في مستوى الصراع مع العدو الصهيوني ، كنتيجة طبيعية لتطورات الامور على جبهة غزة ، والتي كانت مسرحا للممارسة العملية للصراع العربي ـ الصهيوني · برغم ان المشكلة كانت اكبر من ذلك بكثير · فعلى البقعة الجغرافية المسماة غزة ، مورست سياسة عض الاصابع المتبادل بين العرب واسرائيل · كي يصرخ احد الطرفين اولا وبالتالي يستجيب لمطالب الفريق الاخر · ومما لا شك فيه ان اسرائيل قد توسعت في ممارسة هذه السياسة تحت وطأة رغبتها المحمومة بدفع العرب للاستجابة الى طلباتها السياسية التي طالما غطيت بطلبات امنية تعززها العمليات العسكرية على الحدود ، الهادفة لابقاء الجبهة السياسية ساخنة · وقد كانت مراهنات اسرائيل تقوم دائما على ان العرب ضعفاء عسكريا وفي النهاية لا بد وان يرضخوا · ومعتزايدالاعتداءات العسكرية وبالتالي الصفعات السياسية، كان الخيار امام العرب يتحدد اكثر فاكثر ، بعد ان اسقط نهائيا الخيار الثالث ، الا وهو

(تأجيل) الموضوع . كان الضغط الدائم لاسرائيل يضع العرب امام خيار المجابهة العسكرية او الاستسلام لشروط اسرائيل السياسية والتي كانت تبدأ بالمفاوضات المباشرة انتهاء بالمرور في قناة السويس ومضايق تيران لفتح خليج العقبة امام الملاحة الاسرائيلية . ويعبر عن هذه السياسةخير تعبير تصريح موشي شاريت في ٢ ـ ٣ ـ ١٩٥٥ عن«ان العرب امام خيارين ، اما مخاطر الوضع القائم ، واما التقدم نحو السلام » (٤٠) .

وفي هذا الوضع اخذت غزة حجما بحجم القضية برمتها ، وكانت ساحة الصدام باعتبارها تشكل الحدود المشتركة بين مصر واسرائيل وعلى ارضها كانت تمارس سياسة عض الاصابع .. اسرائيل طيلة الفترة بين ١٩٤٩ ـ ١٩٥٥ كانت تعتدي بهدف انتزاع مكاسب سياسية ، والعرب بدورهم يردون العدوان لاجهاض اهداف العدو ولاثبات ان سياسة التلويح بالقوة ليست حكرا على طرف وحده ، وبهذا كانت غزة تحمل وزر القضية برمتها .

حرب الفدائيين : المقدمات :

حرب الفدائيين التي بلغت ذروتها خلال الفترة بين شهر ايلول سنة ١٩٥٥ وعدوان ١٩٥٦ ، بدأت قبل ذلك بكثير ، وان كانت كلمة (فدائيين) قد دخلت القاموس السياسي لقطاع غزة خلال تلك الفترة فقط . فعبور الحدود باتجاه الارض المحتلة لم ينقطع منذ هزيمة ١٩٤٨ ، وتجربة ٥٥/٥٦ لم تكن سوى الذروة فقط . ولم يكن ممكنا لهذه التجربة ان تبلغ المستوى الذي بلغته لولا مقدماتها الطويلة . فهنالك المؤثرات العامة لحرب ١٩٤٨ ولتجربة الفدائيين المصريين في قناة السويس خلال العام ١٩٥١/١٩٥٢ وما ترتب على هاتين التجربتين من رواج لمفاهيم سياسية تدعو لشن حرب عصابات كوسيلة لمجابهة العدو الاسرائيلي . ونموذجها وجهة النظر القائلة بأن كل تأخير في مكافحة اليهود يكون في مصلحتهم ويتيح لهم الفرص لمواصلة الاعداد ، ويدفعهم للتوسع على حساب العرب . واذن فلا بد من وسيلة يكون من شأنها عرقلة الاستعداد اليهودي وتعطيل حركة الانشاء القائمة في اسرائيل .. ولن يتأتى ذلك الا بوسيلتين تسيران جنبا الى جنب . وهما الحصار الاقتصادي وحرب العصابات (٤١) ، علما بان هذه ليست وجهة نظر فردية بقدر ما هي وجهة نظر حزبية تمثل حزبا له امتداداته الجماهيرية .

كما ان عمليات العبور الفردية باتجاه الارض المحتلة من قطاع غزةلم تنقطع منذ النكبة . ويصف صبحي ياسين هذه البدايات بقوله :

« وبعد النكبة باشهر بدأ الغزو الفردي للارض المحتلة ، مجاهد جائع يحمل قطعة سلاح ، ويدخل الى قريته يستعيد بقرة من ابقاره او شاة من اغنامه . مجاهد اخر يقتل يهوديا ، ويستولي على سلاحه ، ومجاهد ثالث يسترجع امواله المدفونة تحت التراب في حوش بيته السليب . مجموعة من المجاهدين تستولي على قطيع ماشية للعدو وتسوقه الى الاراضي العربية لتشبع اللاجئين لحما طريا . مجموعة من المجاهدين تهاجم مخفرا للعدو وتستولي على نقود اليهود واسلحتهم ... الخ . وبذلك اخذت تتكشف اسطورة اسرائيل الوهمية ، وصار الناس في جلسات سرية خاصة يتحدثون عن بطولات المجاهدين الذين يجتازون الحدود ، ويسلبون ويقتلون ويعودون

بالغنائم (٤٢)٠

. وبرغم عدم وضوح الافق السياسي لعمليات الغزو الفردي هذه ، الا انها كانت متداخلة الى ابعد الحدود مع المشكلة الاقتصادية والاجتماعية التي كان يعانيها القطاع ٠ خصوصا وان الخلفية السياسية للوضعية الاقتصادية لم تكن صعبة الادراك على اي مواطن بسيط ٠ « وارضهم هناك على مرمى البصر فاللاجئون يستطيعون النظر باتجاه الشرق ويرون الحقول الفسيحة والتي كانت يوما ما ارضا عربية ، وبرغم اتساعها تحرث من قبل عدد قليل من اليهود ، وهنالك حزام من الكيبوتسات تحرس المرتفعات والمنطقة المحيطة ٠٠ وليس بالامر الغريب انهم ـ اي اللاجئون ـ ينظرون بحقد لاولئك الذين طردوهم » (٤٣) ٠ والامر الذي كان يجعل من عمليات التسلل امرا سهلا، هو المعرفة الدقيقة بطبيعة الارض ، اضافة الى ضعف الحراسة باعتبار ان دولة العدو لم تكن قد نظمت امورها بالشكل الكافي بعد ، ولذا فقد شهدت الحدود خلال هذه الفترة حوادث تسلل يومية ، ولم يفلح في منعها تشدد السلطات المصرية بمنع التسلل ، برغم انها كانت تلقي تهمة التجسس على كل من يعبر الحدود ، وقد اشار لهذه المسألة بيان صادر عن الهيئة العربية العليا بعد الحملة التي شنتها مجلة المصور القاهرية على الوضع في قطاع غزة ٠ فقد ورد في البيان ما يلي : « ان بعض الصحف والمجلات قد التبست عليها حقيقة امر بعض الاشخاص الذين يتسللون من قطاع غزة ، فاعتبرتهم من الجواسيس ، مع ان هؤلاء ليسوا جواسيس لكنهم مغامرون ممن يضيق بهم سبل العيش في القطاع المذكور فيحاولون التسلل لكسب القوت وسعيا وراء الرزق » (٤٤) ٠ وكثيرا ما كان لاجئو غزة يعبرون الاراضي المحتلة باتجاه الضفة الغربية والعودة للقطاع عن نفس الطريق ٠ وكثيرا ما دفع المتسللون للارض المحتلة حياتهم للقمة المعيش التي كانوا يحاولون الحصول عليها ٠ ولم تشهد الحدود عمليات عسكرية الا ما كان يحدث عرضا على هامش محاولة المتسللين تحقيق غرضهم من التسلل ٠

ان عدم وضوح الافق السياسي لعمليات العبور هذه ، لا يلغي الدلالات السياسية لعملية العبور بحد ذاتها ، فالارض المحتلة كانت وحدها هي الهدف الذي يتوجه اليها المتسللون ، وليس اي مكان اخر ، اذ تحدث عمليات نهب داخل القطاع بل كانت موجهة كلها الى المناطق المحتلة ٠

وبعد قيام الثورة المصرية بدأت عمليات التسلل للارض المحتلة تأخذ طابعا اكثر تنظيما واختلف نوعا ما الغرض من التسلل ٠ وبدأ بتوظيف عمليات التسلل لغرض الاستطلاع وجمع المعلومات عن العدو الاسرائيلي ، وفي هذا الصدد نشير الى ما اورده مصدر اسرائيلي عن « توغل جماعة مسلحة تابعة لمؤسسة حكومية الى القرب من مستعمرة ريشون لتسيون بسبعين كيلومترا او اكثر من قطاع غزة واخرجت وثائق رسمية هامة (٤٥) » كما يشير في مكان اخر « الى اصطدام عصابة عند عودتها الى قاعدتها في قطاع غزة بدورية اسرائيلية فقتلت احد افراد العصابة وقد وجدت في جيبه تقارير عن حركة مرور عربات النقل الاسرائيلية في طريق الجنوب » (٤٦) ٠

كما اشار قائد قوات الطوارئ الدولية ايضا الى ان « الادارة المصرية في قطاع غزة قد نظمت بعض الوحدات التي اسمتها الجيش الفلسطيني وبعضها مقاد من قبل

ضباط مصريين .. والاخرون دربوا بهدف القيام باعمال الجاسوسية داخل اسرائيل. فهم يعرفون البلد او بعض مناطق منها . لانها كانت ارضهم . ولذا فقد كان بامكانهم التسلل .. واحضار المعلومات .. ولدى قيادة قوات مراقبي الهدنة معلومات دقيقة مؤكدة عن نوع المعلومات التي تقدم الى المصريين بواسطة هؤلاء . الذين كانوا يكلفوا بالذهاب الى المناطق المحتلة وملاحظة حركة السير على طرق معينة . ويسجلون حركة المركبات التي تمر عليها وقد اسر من قبل الاسرائيليين كثير من الجواسيس المبتدئين مع قوائمهم (٤٧) » وقد اكد الرئيس عبدالناصر حديث بيرنز بقوله : « الفدائيون تنظيم قديم منذ حرب ١٩٤٨ ولكنهم لم يكونوا فدائيين حينذاك ، كانوا فلسطينيين نظموا للحصول على المعلومات ، وليس للقتال ، وكانوا باعداد قليلة (٤٨) ».

هذه العمليات كانت تجري في الوقت الذي استمرت فيه عمليات التسلل العادية وأن كان بدرجة اقل ، بسبب ملاحقة السلطات المصرية للمتسللين ، وكذلك نتيجة لتحسن وسائل المراقبة لدى العدو ، اضافة الى تبدل نسبي في الوضع الاقتصادي جعل من المجازفة بالنفس ثمنا باهظا للحصول على لقمة العيش .

هذه هي مقدمات حرب الفدائيين مضافا اليها الظروف السياسية التي استجدت والتي سبق لنا الاشارة اليها وبالذات بعد غارة غزة والشهور التي تلتها حيث كانت بداية لحوادث حدود متقطعة تمثلت بغارات متبادلة كان يقوم بها الجنود النظاميون لكلا الطرفين ، والتي مهدت الجو اكثر فاكثر لانطلاق حرب الفدائيين والتبني الرسمي لعملهم . وقد اشار الرئيس عبدالناصر الى قرار السلطات المصرية باعلان حرب الفدائيين والاعداد لها بقوله : « بعد غارة غزة كان لدينا لقاء وقررنا زيادة عدد الفدائيين .. وطبقا للظروف التي تمت فيها الغارة .. استقر رأينا على ان احسن وسيلة لمجابهة اسرائيل هي ان يكون لدينا فدائيون منظمون على اساس الوحدات الصغيرة» (٤٩) ولم يشر الرئيس عبد الناصر الى تاريخ القرار او عدد الفدائيين ، ولكن موشي ديان « معتمدا على تقارير المخابرات الاسرائيلية اشار الى ان القرار قد اتخذ في ابريل ١٩٥٥ اي بعد مرور شهر على غارة غزة .. و .. ان الفدائيين لم يبدأوا العمل الفعلي حتى ٢٥ اغسطس ١٩٥٥ » . (٥٠)

تبني السلطات المصرية رسميا لنشاط الفدائيين كان تبنيا لشيء موجود وقائم . فقد افرزت التجربة مجموعة من العناصر المعروفة المدربة ، والشجاعة والتي تعرف الارض المحتلة وما طرأ عليها من تبدلات بعد الاحتلال واماكن المستعمرات ومواقع الحراسة .. الامر الذي جعل التجربة تبدأ من مراحل متقدمة نسبيا ، وتقترن بنتائج واسعة وفورية .

لقد اوكلت السلطات المصرية امر تنظيم الفدائيين في قطاع غزة الى المقدم مصطفى حافظ احد ضباط المخابرات المصرية الذي كان يعمل منذ فترة في قطاع غزة ، وثمة اجماع على ان هذا الضابط قد قام بمهمته ، في حدود صلاحياته ، والسياسة المرسومة له ، خير قيام . فقد قام بتجميع العناصر الصالحة للمهمة المطلوبة واخرج من المعتقلات كافة العناصر التي كانت متهمة بالتسلل للاراضي المحتلة ، وبحكم مسؤوليته الرسمية ، وفر حلولا لمشاكلها الخاصة ، وفرغها كليا لمهمتها الجديدة . ولا يوجد رقم دقيق لعدد الرجال الذين كانوا يعملون تحت امرة مصطفى حافظ ، ولكن ثمة رقم

تقريبي متداول الا وهو حوالي الف فدائي ، ويقدر موشي دايان عددهم بـ ٧٠٠ فدائي (٥١) ٠

وقد قامت السلطات المصرية خلال هذه الفترة بالاستجابة العملية للمطلب الجماهيري الدائم في قطاع غزة ، واعلنت عن فتح باب التطوع في الكتائب الفلسطينية ، ومن ملاحظة الشروط التي طلب توفرها في المتطوعين يلاحظ ان الهدف من وراء تشكيل هذه الكتائب كان رفد العمل الفدائي بالاشخاص القادرين ٠ ومن هذه الشروط :

١ ـ يفضل من لهم دراية بالاراضي والمسالك الفلسطينية ٠ ٢ ـ يفضل من لهم خدمة عسكرية سابقة ٠ ٣ ـ الملمون بالقراءة والكتابة او باحدى الصناعات او الملمون باحدى اللغات وخاصة العبرية (٥٢) ٠

وبهذا القرار كانت الادارة المصرية تلبي رغبة جماهيرية في قطاع غزة تدعو لانشاء جيش تحرير فلسطيني ، وقد سبق أن قدمت مذكرة للسلطات المصرية بهذا الشأن ٠ هذا وقد وضعت الادارة المصرية هذا القرار موضع التطبيق العملي ، وكان للمتطوعين دورهم في حرب ١٩٥٦ ، وفي مراحل لاحقة وبعد قيام منظمة التحرير الفلسطينية كانوا عماد جيش التحرير الفلسطيني في قطاع غزة ٠

وبالاضافة لهذا فقد صدرت عدة قرارات وقوانين عن الحاكم الاداري العام لقطاع غزة وتحسبا لردة فعل العدو ، صدر (قانون الدفاع الجوي السلبي والمدني) والذي نستطيع اعتباره الوجه (الدفاعي) للقانون السابق وقد حددت اهداف القانون المذكور بـ :

أ ـ وقاية المدنيين والمرافق العامة والمنشات ذات المنفعة العامة والمنشات الصناعية العمومية ، ويقوم باعداد المشروعات الخاصة باعمال الدفاع المدني وتدبير المهمات والادوات اللازمة لهذه الاعمال ودراسة احدث وسائلها ونشر تعاليمها بين الجمهور وبحث التعويضات عن حوادث الغارات واعمال التخريب ٠

ب) مناقشة المسائل التالية ووضعها موضع التنفيذ :

١ ـ المراقبة والانذار ٠ ٢ ـ وسائل الوقاية ٠ ٣ ـ الهجرة واخلاء المدن ٠
٤ ـ تنظيم وسائل اطفاء الحريق وازالة القنابل ٠ ٥ ـ الاسعاف والخدمات الطبية ٠
٦ ـ الانقاذ وازالة الانقاض ٠ ٧ ـ تأمين المرافق العامة وصيانتها ٠ ٨ ـ تعليم المدنيين وسائل الدفاع المدني وتمرينهم عليها (٥٣) ٠

وفي وقت لاحق صدر قانون الحرس الاهلي الفلسطيني ونص القرار :

« تؤلف في المنطقة الواقعة تحت رقابة القوات المصرية بفلسطين قوة تعرف بقوة الحرس الاهلي الفلسطيني تكون مهمتها الحراسة ليلا لمعسكرات اللاجئين المواجهة لخطوط الهدنة ضد اي عدوان يهودي والقيام بأية اعمال أخرى تكلف بها من قبل السلطات المختصة (٥٤) » ٠

النشاط العملي للفدائيين

يقسم صبحي ياسين عمل الفدائيين في هذه المرحلة الى الموجات الكبيرة التالية :

الاولى بين ٢٩-٨- و٥-٩-١٩٥٥ والثانية بين ٦-٤ و١٢-٤-١٩٥٦ ٠ والثالثة طوال شهر نوفمبر سنة ١٩٥٦ ٠ ويعدد بعد ذلك عمليات الفدائيين فاذا بها تتجه لضرب « الاهداف التي تؤثر على العدو من النواحي المعنوية والاقتصادية والعسكرية » ٠ وتتسع لضرب سيارات نقل عسكرية وقتل ركابها ، وزرع الغام ارضية ، ومهاجمة مستعمرات وثكنات عسكرية ، وتتوغل احيانا لتضرب سيارة عسكرية على بعد حوالي اربعين ميلا في قلب الارض المحتلة ، وفي بعض الاحيان كانت تقوم اكثر من مجموعة فدائية بأمرة قائد واحد لعملياتها داخل الارض المحتلة ٠ وعملياتها كانت تشمل نسف محطة الاتصال اللاسلكي بين اسرائيل والخارج ومحطات المياه والكهرباء وزرع الطرقات بالالغام ، وقد كانت ساحة عمليات الموجة الاولى ٩٠ ميلا مربعا ٠ واكبر مجموعة فدائية دخلت الارض المحتلة في يوم واحد بلغ عددها ٢٠٠ فدائي ، وكانت تلك الموجة في اعقاب قصف اسرائيل لمستشفى مدينة غزة بالمدفعية الثقيلة في ١٥ ابريل سنة ١٩٥٦ ٠ (٥٥) ٠

عمليات الفدائيين من وجهة نظر اسرائيل

معظم العمليات التي اشار اليها صبحي ياسين اعترفت بها اسرائيل مضافا لذلك حوادث اطلاق النار المتبادلة بين العدو الاسرائيلي وبين القوات النظامية العربية المرتكزة خلف الحدود ٠ ويقول عنها كتاب حروب اسرائيل والذي يحتوي ملفا كاملا للحوادث التي وقعت ، « قام العرب بتشكيل عصابات من السفاحين الانتحاريين اطلقوا عليها اسم الفدائيين وارسلوها الى داخل اسرائيل ، فكان عدد ضحايا حرب العصابات كبيرا ، ولم يقتصر مسرح اعمال هذه العصابات على الاراضي الصحراوية والمقفرة ، فلم تكن عملياتهم قاصرة على النقب وعربة ، ولكنها امتدت الى داخل اسرائيل ، فاغاروا على السكان اعتداء وتجريحا وقتلا ، كما قاموا باعمال السلب والتخريب » (٥٦) ٠ وقد وصفهم بمكان اخر فقال : « كانوا يتسللون داخل المستعمرات الاسرائيلية للقتل والتخريب والتدمير والاستيلاء على كل ما تقع عليه ايديهم » ٠

وقد اكدت تقارير الامم المتحدة الحوادث التي قام بها الفدائيون كما وردت على لسان المصادر العربية والاسرائيلية ، سواء من ناحية عدد العمليات او طبيعتها او العمق الذي وصل اليه الفدائيون ٠ فقد اشار الجنرال بيرنز الى « ان الاسرائيليين قد عددوا ١٨٠ عملية (اعتداء) ضد اسرائيل خلال الثلاثة شهور بين ٥ ديسمبر ومارس» (٥٨) ، وفي مكان اخر يشير الى انه « في حوالي الساعة العاشرة من ليل ٧ ابريل بدأ وصول الرسائل التي تفيد بشأن الحوادث التي وقعت خلال ذلك اليوم ضد المركبات على طريق بئر السبع - تل ابيب ٠ وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل كانت قد وصلت تقارير بسبعة حوادث ، تشمل حوادث القاء قنابل ونسف ٠ وبدا واضحا ان عمليات الفدائيين قد بدات على نطاق واسع» (٥٩) وعن العمق الذي وصل اليه الفدائيون يقول

الجنرال بيرنز عن عملية « ليست بعيدة عن مستعمرة ريشون لتسيون وتبعد مسافة ٤٧ كلم عن الحدود ، وتبعد حوالي ١٥ كلم فقط عن مدينة تل ابيب » كما يشير الى عملية اخرى «وقعت قرب مستعمرة رخبوت التي تبعد ٤٣ كلم عن خط الهدنة» (٦٠) · كما يشير الى نمط العمليات فاذا بها تتسع لـ « تفجير مركبات اسرائيلية ، هجمات ليلية ضد المركبات العسكرية والمدنية الاسرائيلية ، تفجير المنشآت المائية ، وبرج اذاعي ،اضافة لهجمات ضد المدنيين» (٦١) · ويقدم بيرنز تفسيرا من عنده للقسوة التي كانت تتميز بها ضربات الفدائيين · وخصوصا تلك الضربات التي كانت تتم مباشرة بعد ضرب اسرائيل للمدنيين كحادثة قصف مستشفى غزة وقتل وجرح حوالي مائة شخص معظمهم من المرضى · يقول بيرنز « ان بعض الفدائيين عرفوا بوصفهم قاطعي رقاب وفي الغالب ان هذا القول صحيح ، لان معظم الفلسطينيين العرب يحملون حسا دقيقا بعدم العدالة والظلم الذي عانوه على يد الاسرائيليين» (٦٢) · وعن مستوى تدريبهم يعترف بيرنز بتقرير له قائلا « ان عدد وطبيعة حوادث العنف التي جرت في المنطقة الاسرائيلية تشير الى انها من فعل اشخاص منظمين وحسني الاعداد والتدريب.» (٦٣)

يتضح اثر نشاط الفدائيين من حجم ردود الفعل الاسرائيلية سواء من ناحية غاراتها الوحشية التي شنتها ضد قطاع غزة ، او عدد الشكاوى التي قدمتها الى هيئة مراقبة الهدنة ، والحملة الاعلامية التي كانت تشنها ، لدرجة ان اعمال الفدائيين قد « اصبحت المادة الرئيسية لاجهزة الاعلام الاسرائيلية» (٦٤) ·

وبرغم تحفظنا الشديد على الارقام التي تعلنها اسرائيل كعدد لقتلاها ، يمكننا الاستدلال على اثر حوادث الحدود ، وفي رأسها غارات الفدائيين على اسرائيل ، من خلال مقارنة قتلى اسرائيل نتيجة لهذه الحوادث قياسا بقتلاها في حروبها الثلاث والفترات الفاصلة بينها · فقد اورد كتاب حروب اسرائيل الارقام التالية عن خسائر الجيش الاسرائيلي :

١ ــ حرب الاستقلال ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩	٤٫٤٨٧
٢ ــ منذ توقيع معاهدات وقف اطلاق النار في مارس ١٩٤٩ حتى حملة قودش (حرب) ١٩٥٦	١٫١٧٦
٣ ــ حملة قودش (اكتوبر ١٩٥٦)	١٩١
٤ ــ من حملة قودش حتى حرب الايام الستة	٧٩٥
٥ ــ حرب الايام الستة ٥ ــ ١٠ يونيه ١٩٦٧	٧٩٥
٦ ــ من حرب الايام الستة حتى ٣ــ٥ــ١٩٦٩	٣٨٢

خسائر اسرائيل نتيجة لحرب الفدائيين شملت الجانب الاقتصادي ايضا سواء تلك

الناتجة عن التخريب المباشر للمؤسسات والمرافق الاقتصادية ، او الناتجة عن التخريب غير المباشر ، والذي هو نتاج طبيعي لتزايد الاعباء الامنية ، فاسرائيل « كانت تستطيع الخروج الى ميدان الاستقلال الاقتصادي ، لولا العبء الثقيل في نفقات الدفاع» (٦٦) . خصوصا ان اسرائيل كانت تعيش خلال تلك الفترة وضعا اقتصاديا دقيقا للغاية وكانت تحاول المستحيل لتوفير الظروف المناسبة لتنمية اقتصادها لمواجهة اعباء ومتطلبات المهاجرين الجدد .

ان اثر ضربات الفدائيين في العمق لم يقتصر على جسم المؤسسة العسكرية ، بل تعداه الى جسم المجتمع ككل . فقد كان برنامجها لتعمير صحراء النقب مهددا بالشلل ، وقد عبر عنه خطاب بن غوريون في بئر السبع يوم ٩ يوليو ١٩٥٥ حينما قال بضرورة « احضار الماء والشباب من الشمال الى النقب » (٦٧) . وبقدر ما كانت هذه المسألة تعكس موقفا رسميا لبن غوريون ، فانها تعكس موقفا شخصيا لبن غوريسون الذي استوطن مستعمرة سدى بوكر في النقب طيلة اعتزاله الحياة السياسية في الخمسينات. والنقب الذي دعا بن غوريون لاستيطانه كان من اكثر المناطق التي كانت تتعرض اصبحت خطرا على سياسة الاستيطان ايضا . ولذا لم يكن غريبا ان تحتل قضية بجلب الشباب من الشمال الى النقب ، ولهذا لم تعد غارات الفدائيين خطرا امنيا ، بل اصبحت خطرا على سياسة الاستيطان ايضا . ولذا لم يكن غريبا ان تحتل قضية الفدائيين الحجم الذي احتلته ، واضحى المطلب الاسرائيلي بايقافها قاسما مشتركا في كل المقترحات التي تقدمت بها او سعت لتحقيقها ، وكانت توضع جنبا الى جنب مع مطلبها الملح في تلك الفترة كي تمر سفنها بقناة السويس وان تفتح مضايق تيران امام ملاحتها البحرية ، ويتضح جليا اثر غارات الفدائيين في ذهنية الاسرائيليين من ملاحظة « شبح الفدائي الذي كان يلاحق الجنود الاسرائيليين ابان احتلال قطاع غزة في العام ١٩٥٦ ، وهاجس الفدائيين الذي يلاحق الاسرائيليين ، عند مناقشة مستقبل قطاع غزة بعد انسحاب القوات الاسرائيلية منه» .. وسوف نناقش هذه المسألة تفصيليا في وقت لاحق ..

ردود الفعل الاسرائيلية :

خلال الفترة بين نهاية شهر اغسطس ١٩٥٥ وتاريخ العدوان الثلاثي على مصر وقطاع غزة ، وهي الفترة التي نشط بها الفدائيون الفلسطينيون ، توتر الوضع على الحدود كما تنوعت ردود الفعل الاسرائيلية بحيث شملت مجالات عدة . ولا جدال في دور عمليات الفدائيين في تصعيد درجة التوتر وردود الفعل ، ولكن لا يجوز على الاطلاق تحميل عمليات الفدائيين مسؤولية هذا التوتر بشكل كامل . فمواقف اسرائيل لا تحدد في ضوء منطق الفعل ورد الفعل ، بل تقوم على منطق التلويح بالقوة وممارستها اذا لزم الامر لتحقيق اغراضها السياسية ، وقد سبق لنا الاشارة الى المحرك الحقيقي لغارة اسرائيل على مواقع داخل مدينة غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، وعلى مواقع في مدينة خان يونس في ٣١ ايار (مايو) ١٩٥٥ ، حيث اسفرت تلك الغارة عن استشهاد اثنين وعشرين وجرح عشرين اخرين (٦٨) . وقد كان واضحا كل الوضوح ان هاتين

الغارتين هما بالدرجة الاساسية غارتان سياسيتان مرتبطتان بظروف سياسية محددة سبق لنا شرحها ، تلك الظروف التي كانت منفصلة تماما عن مشاكل قطاع غزة ،خصوصا وان حوادث الحدود التي كانت تقع ، هي دون الحجم الذي بلغته غارتا اسرائيل على غزة وخان يونس ٠

وبرغم استظلال اسرائيل بمبررات هنا وهناك لتغطية عدوانها ، لكن هذا الاستظلال لا يلغي الخلفية الحقيقية لعدوان اسرائيل كوسيلة ضغط وابتزاز سياسي لدفع الطرف العربي للاستسلام للشروط السياسية الاسرائيلية ٠

ان ما تقدم هو بهدف توضيح المعنى المجازي لكلمة ردود فعل ، لان الترابط الزمني بين حوادث معينة لا يعني بالضرورة ان العلاقة بينهما هي علاقة السبب بالنتيجة ، باعتبار ان المحرك لموقف اسرائيل هو اكثر اتساعا من حوادث الحدود التي كانت تقع، برغم الطريقة البارعة التي استغلت بها اسرائيل حوادث الحدود هذه واتخاذها ذريعة لممارسة لعبتها المفضلة ، لعبة القوة ٠

نشاطات اسرائيل خلال هذه الفترة اخذت ثلاثة اتجاهات ، عسكرية ، سياسية واعلامية ٠

النشاط العسكري الاسرائيلي :

تصاعدت النشاطات العدوانية العادية لاسرائيل على طول حدود غزة وفي المنطقة المجردة من السلاح خلال هذه الفترة ٠ واضافة لهذا شهد قطاع غزة هجومين اسرائيليين واسعين ، ضد مدينة خان يونس ومدينة غزة ٠ وخلال ليلة ٣١ اغسطس تقدمت وحدة اسرائيلية خفيفة محمولة بسيارات نصف الية الى حوالي ستة كيلومترات داخل منطقة غزة ووصلت الى مركز البوليس في خان يونس وهناك فتحوا نارا كثيفة من البنادق الالية ومدافع المورتر على ابواب وشبابيك الموقع ، وبعد ذلك شقت طريقها الى الطابق الارضي حيث فجرت معظم المبنى بعبوات ناسفة قوية دافنة تحت الانقاض عددا لا بأس به من الحامية ٠ وقد مرت القوة الاسرائيلية المهاجمة عبر قريةبني سهيلا ،ولمنعالمواطنين من الاشتباك معهم ، بدأوا باطلاق النار من الاسلحة الالية ذات اليمين وذات اليسار ولكن لم يقع اكثر من جريح واحد او اثنين ٠ كما ان النقطة الدفاعية المصرية بالقرب من عبسان ، وهي قرية مجاورة ، هوجمت في نفس الوقت من قبل الاسرائيليين وذلك تغطية للهجوم الرئيسي ٠ وقد افادت تقارير المصريين عن سقوط ستة وثلاثين قتيلا ، وثلاثين جريحا من الجنود ورجال البوليس والمدنيين ٠ وقد واجهت قوات مراقبة الهدنة صعوبة في تحديد الرقم الدقيق لعدد الضحايا ٠ وقد اعلنت اسرائيل عبر تقارير صحفية عن الهجوم أن اختيار مركز بوليس خان يونس كهدف للهجوم ، انما كان بسبب ان عمليات الفدائيين كانت تقاد منه ٠ ولكن لم تقدم اية ادلة لتاكيد هذا (٦٩) ٠

وقد اكدت المصادر العربية تفاصيل الحادثة كما اوردها كبير مراقبي الهدنة وحددت بدقة موعد العملية والتي بدأت في الساعة التاسعة وخمس دقائق مساء ،وانتهت في الحادية عشر والنصف مساء وعدد الضحايا حسب المصادر العربية ستة واربعون قتيلا وخمسون جريحا (٧٠) واما المصادر الاسرائيلية فقد اصرت عند اشارتها للعملية على حشر المصريين في كل تفاصيل العملية فالغارة كانت (على معسكر مصري) . وقالت ان الضحايا ستون قتيلا واصيب عشرات بجراح (٧١) .

وقد اعادت اسرائيل مجزرة خان يونس وبشكل ابشع في يوم ١٥ ابريل ١٩٥٦ حيث قامت « باطلاق النار من مدافع مورتر عيار ١٢٠ ملم على مدينة غزة . وقد ركز القصف على وسط المدينة المكتظ بالسكان المدنيين الذين كانوا يمارسون اعمالهم المعتادة . وقد قتل ستة وخمسون وجرح مئة وثلاثة اشخاص بين رجل وامرأة وطفل (٧٢) وقد توفي في وقت لاحق بعض الجرحى فارتفع رقم القتلى الى ستين قتيلا من المدنيين ، منهم ٢٧ سيدة و ٢٩ رجلا و ٤ اطفال (٧٣) واما المصادر الاسرائيلية فاشارت للحادثة بالشكل التالي : « انزل جيش الدفاع الاسرائيلي في ٥ ـ ٤ ـ ٥٦ ضربة قاصمة بنيران المدفعية شملت كل قطاع غزة وخان يونس ودير البلح ، فقتل عشرات من العرب وجرح اخرون(٧٤) وقد حاولت اسرائيل القاء اللوم على القائد المحلي الذي اصدر الامر ، ومن ناحية ثانية حاولت الادعاء ان المدفعية الاسرائيلية قد اطلقت قذائفها على اهداف عسكرية(٧٥) وهنا يكذب الجنرال بيرنز الادعاء الاسرائيلي فيقول : « ولكن لسوء حظ هذا الادعاء فان مراقبي الامم المتحدة كانوا قادرين على استطلاع المنطقة قبل ان تتوقف قذائف المورتر عن التساقط .. وقد تبين ان المنطقة حيث حدث الضرب تقع في وسط المدينة ، وفي الميدان الرئيسي حيث تبعد عن مواقع مدافع المصريين حوالي كيلومترين في مكان ما قرب منطقة المنطار ، وقد ادعت اسرائيل في وقت لاحق بان هدف الغارة كان مقر القيادة، ولكننا لم نجد اي دليل على وجود مركز للقيادة. كما ان المقر المعروف جيدا لقيادة البوليس والذي قدم من قبل اسرائيل باعتباره الهدف المنشود ، كان يبعد حوالي ١٥٠٠ متر عن المكان الذي ضرب . ولكن سرعان ما توقف الجدل حول هذه المسألة فبعد ايام قليلة بدأ بارسال الفدائيين للاخذ بالثأر» (٧٦) . *

بالاضافة الى حوادث الحدود اليومية ، وغارات اسرائيل على مدينتي غزة وخان يونس فقد لجأت الى اسلوب الاغتيال الفردي بواسطة الطرود المتفجرة ، وقد استشهد من جراءها المقدم مصطفى حافظ الذي كان المسؤول الاول عن تنظيم نشاط الفدائيين وقد وقع الحادث يوم ١٣ يوليو ١٩٥٦ حيث انفجرت به «قنبلة كانت قد ارسلت اليه بشكل طرد» (٧٧) وفي اليوم التالي لاستشهاد المقدم مصطفى حافظ اي ١٤ يوليو ١٩٥٦ انفجر

★ ومن المفيد الاشارة بهذا الصدد الى لجوء اسرائيل الى سياسة القصف المدفعي للمدينة كرد انتقامي على غارات الفدائيين ، في وقت كانت تتم عملياتها سابقا بواسطة وحدات منقولة او راجلة كانت تقوم بعمليات النسف والتدمير كما في غارتي غزة وخان يونس في ٢٨ و٣١ـ٨ـ٥٥ على التوالي وبالتاكيد فان وجود الفدائيين والسلاح بيد الناس قد ساهم في اجبار اسرائيل على تبديل اساليبها ، رغم ان الاسلوب كان يحقق لها ميزات عدة بالاضافة الى الميزة العسكرية .

طرد مشابه بالملحق العسكري المصري في عمان المقدم صلاح مصطفى والذي اصيب بعدة جروح خطيرة . وما لبث ان توفي بعد ايام قليلة متأثرا بجراحه (٧٨) .

ولم تورد المصادر العربية معلومات وافية عن هذين الحادثين واشير الى حادثة المقدم مصطفى حافظ بانه « قد استشهد اثناء تأدية الواجب » (٧٦) .

ومن المفيد بهذا الصدد الاشارة الى الطريقة التي وصل اليها الطرد الى الشهيد مصطفى حافظ بشكل عام وهي الرواية التي تطابقت فيها الاراء بين شهود عيان وبين الرواية التي ذكرها كينيث لوف في كتابه سالف الذكر . فقد كان هنالك بعض الفدائيين الذين كانوا (مكلفين) بالعمل مع العدو بطريقة العميل المزدوج وعلاقتهم مباشرة مع المقدم مصطفى حافظ وذلك لاهداف معينة كانت تبتغيها قيادة الفدائيين ، وقد ظنت قيادة الفدائيين ، خطأ ، ان هذا الفدائي غير مكشوف لاسرائيل ، التي كانت تعرف حقيقته .. وحاولت بدورها ان تستغله من حيث لا يدري ، ولذا فقد استمرت بالتعامل معه باعتباره احد عملائها بدون ان تكشف شيئا عما تعرفه عنه ، ولمزيد من الثقة فقد كانت تسهل له عملية الحصول على بعض ما يريده من معلومات وما تعتقد انه مهم بالنسبة لقيادة الفدائيين . وفي احد الايام كلفته بنقل (طرد) الى احد كبار ضباط المباحث في قطاع غزة بوصفه احد عملاءها . وقد كانت اسرائيل تعرف ان الفدائي الذي كلف بمهمة نقل الطرد يقوم بتسليم الطرد الى قيادته اي الى مصطفى حافظ ، لانها تعرف مسبقا حقيقة ولاء ذلك الفدائي . وهذا ما حدث فعلا ، فقد وصل الفدائي الى قطاع غزة حوالي الساعة الثانية صباحا وذهب مباشرة الى مقر القيادة حيث طلب مقابلة المقدم مصطفى حافظ الذي لم يكن حينها موجودا في مقره وقد حضر بالفعل حيث اعلمه الفدائي بالتعليمات التي تلقاها من الاسرائيليين ، وقد قام مصطفى حافظ بفتح الطرد وبحضور الفدائي الذي كان يقف الى جانبه وعدد اخر من المسؤولين . وكانت المفاجأة غير المتوقعة ، حيث انفجر الطرد واصيب المقدم مصطفى حافظ اصابة قاتلة ، واما الفدائي فقد اصيب اصابة افقدته بصره . وباستشهاد مصطفى حافظ فقد الفدائيون في قطاع غزة رجلهم الاول . وكان لهذا الحدث اثره السلبي على مجمل نشاط الفدائيين وسنناقش هذه المسألة لاحقا عند تقييمنا لتجربة الفدائيين .

مجلس الامن .. لا ردود فعل

لم يتخذ مجلس امن اي قرار بادانة اسرائيل لعدوانها على غزة وخان يونس ، رغم ان حيثيات الادانة واضحة ، وابرز دليل ادعاءات اسرائيل بانها كانت تقصف اهدافا عسكرية عندما ضربت قلب مدينة غزة بالمورتر . وحيث اشار قائد قوات الطوارىء الدولية الى ان اقرب موقع يحمل صفة عسكرية يبعد ١٥٠٠ متر عن المكان الذي استهدفته قنابل الاسرائيليين .

بدلا من ادانة اسرائيل تبنى مجلس الامن قرارا مقدما من الولايات المتحدة ، بريطانيا ، فرنسا « يدعو الطرفان المعنيان لاتخاذ كافة الخطوات الضرورية لاعادة النظام والهدوء للمنطقة ... كما دعا الطرفان لفصل قواتهما المسلحة بشكل مؤثر وطالبا من كلا الفريقين ان يلتقي مندوبهما مع كبير مراقبي الهدنة وان يتعاونا معه بشكل كامل» (٨١) .

ويعلل كبير مراقبي الهدنة عدم قيام مجلس الامن بادانة اسرائيل « لان المصريين يلامون بنفس درجة لوم الاسرائيليين ان لم يكن اكثر لانهم هم الذين اوقفوا المحادثات التي كانت قد بدأت طبقا لقرار مجلس الامن الصادر في ٢٨ مارس ١٩٥٥» (٨٢) · واما بالنسبة لقصف اسرائيل لمدينة غزة في ٥ ابريل ١٩٥٦ فلم يصدر عن مجلس الامن اي قرار كان ·

النشاط السياسي الاسرائيلي

شهدت المنطقة ابان حرب الفدائيين نشاطا سياسيا مكثفا من قبل اسرائيل والتي حاولت الاستفادة من التوتر على الحدود لطرح جملة المشاكل السياسية العالقة · مستغلة غارات الفدائيين للتوسع في لعبتها المفضلة الا وهي ممارسة العدوان كوسيلة ضغط سياسي بهدف ابتزاز مكاسب سياسية ولوضع الطرف العربي في موضع العاجز تمهيدا لاستسلامه لطلبات اسرائيل ·

اتى نشاطها السياسي خلال هذه الفترة منسجما مع تحركها السياسي التقليدي فقد كانت تنطلق منقضايا الحدود لمناقشة القضايا السياسية العالقةبرمتها بدلا منحصر النقاش في اطار قضايا الحدود ذات الطابع العسكري « محض » كما كان الطرف العربي يريد ·

واستطرادا لسياسة اسرائيل الثابتة بشأن (المفاوضات المباشرة ، مع العرب ، ووسط درجة التوتر العالية على الحدود ، عرض بن غوريون استعداده للقاء الرئيس عبد الناصر حيث « كان بن غوريون مستعدا للقاء ناصر في اي وقت لمناقشة موضوع السلام او للبحث في العلاقات بين البلدين » · (٨٣)

وحول طبيعة المسائل التي كانت ستطرح ، فان موضوع «وقف كامل لاطلاق النار بما في ذلك نشاط الفدائيين» (٨٤) لم يكن المطلب الوحيد بل هنالك « مشكلة عدم سماح مصر للسفن الاسرائيلية بعبور قناة السويس او استعمال ميناء ايلات» (٨٥)· وهذا حسب رأي اسرائيل مخالفة لقوانين الامم المتحدة · وبهذا كانت تنطلق سياسة اسرائيل مما هو قائم ، في الوقت الذي كانت فيه وجهة نظر المصريين « لن تخفف القيود على ملاحظة اسرائيل طالما ان اسرائيل ترفض بشكل حاسم اي بحث بتطبيق قرارات الجمعية العامة القاضية بعودة اللاجئين الى منازلهم السابقة ··» (٨٦) ·

وعلى هامش تحركات اسرائيل السياسية وشكاواها الدائمة التي كانت تتقدم بها لى الهيئات الدولية المعنية بهدف جذب الانتباه وخلق جو دولي ضاغط ، بدأ حديث في نوفمبر ١٩٥٥ عن احضار قوات مسلحة تعمل تحت راية الامم المتحدة لخلق نوع من المنطقة العازلة في المناطق الحساسة بين المصريين والاسرائيليين ، وبهذا تمنع الاشتباكات الخطيرة والتي قد تقود الى الحرب (٨٧) ·

ويشير بيرنز الى ان سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا قد طرح معه هذا الموضوع في ١٣ مارس ١٩٥٦ وذلك ابان زيارة الاخير الى اسرائيل · كما يشير الى ان داع

همورشولد الامين العام للامم المتحدة قد اعاد طرح الموضوع عليه في فترة قريبة لاحقة، وان دراسة قد اعدت بشأن العناصر العسكرية اللازمة (٨٨) ·

ويبدو من خلال حديث الجنرال بيرنز ان القوات المقترحة ستكون من قوات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، وكانت المراهنة على دور هذه القوات في منع الحوادث على الحدود تقوم « على ان اي جانب سيكون متأكداً من عدم حدوث عمليات غزو لمنطقتـــه بدون الاصطدام بقوات الدول الثلاث » وقد حددت مناطق رفح والعوجا لتواجد القـــوة المقترحة ، لان نجاح اي غزو من اي من الطرفين يجب ان يمر اما من منطقة العوجا او منطقة رفح ·· (٨٩) · واما القدرات التسليحية للفرقة التي ستوجد « فهي قوة جوية كافية جاهزة تحت الطلب في رفح وبقية الاسلحة في منطقة العوجا ، وكتيبة مع اسلحتها فـــي منطقة العوجا » (٩٠) ·

ورفض هذا الاقتراح من قبل المصريين والاسرائيليين على السواء ، لانه سيجمـــد الوضع عـــلى الحدود وسيجعل اسرائيل عاجزة عن ممارسة (لعبة) القوة · اضافة الـــى ان هذا الاقتراح يحول المشكلة القائمة الى مشكلة حدود ، وقضية اشتباكات ، بينما تحرص اسرائيل على اعطاء الطابع السياسي لاي خطوة مقترحة حتى ولو كانت قضية عاديـــة جدا ، اذ كانت تصر على لقاء بين المندوبين المصري والاسرائيلي ، وطالما اقترحت ان يتم ذلك اللقاء بدون حضور مندوب عن قوات الطوارىء ·

« واما المصريون فلم يوافقوا بدورهم على الفكرة وهم الذين كانوا متلهفين للتخلص من الحامية البريطانية في قناة السويس » (٩١) ·

ويبدو واضحـــا من ذلك الاقتراح ان بريطانيا كانت تحاول العودة الى المنطقة مـــــن الباب الخلفي بعـــد ان اخرجت من قناة السويس ولكن هذه المرة باسم الحرص على السلام وللمحافظة عليه ·

النشاط الاعلامي الاسرائيلي

كان نشاط الفدائيين الفلسطينيين محور حملة اعلامية مكثفة قامت بها اسرائيـــل، وعلى عكس حملتها السياسية حيث كان مطلبها ايقاف نشاط الفدائيين واحدامن عـــدة مطالب اساسية كانت لها الاولوية على موضوع الفدائيين · الشق الاول مـــن حملتهـــا الاعلامية كان موجها للخارج حيث حاولت ان تجعل من « كلمة فدائيين مرادفة لكلمـــة غزو ، وقتل ، وقطع الاعناق» (٩٢) وكان «كتابها وصحافتها عند تركيزهم عـــلى اعمال الفدائيين يتجاهلون عمداً ذكر القتلى والجرحى من المدنيين العرب في غزة» (٩٣) وكانت اسرائيل تحاول اظهار نفسها بمظهر الضحية واظهار بربرية اعمال الفدائيين · وقد كان هنالك جهد اعلامي واضح لاظهار الطرف المصري على انه الطرف الاصيل في الصراع، فقد كانت تتجنب ذكر الفلسطينيين · فالمواقع مصرية ، والضباط مصريون ، والفدائيون عرب ، والقتلى والجرحى عرب · فاللوم يقع على المصريين بشكل دائم ، وكانت في اثـــر اعتقالها لاي فدائي جريح تنتزع منه اعترافا بمسؤولية المصريين عن اعمال الفدائيين، كما حدث عند اعتقالها لفدائي قرب مجدل عسقلان ، « ولكن الاسرائيليين الذين ادعوا انهـــم حصلوا على مثل هذه المعلومات من خلال استجوابهم للسجناء ، لم يكونوا ليسمحـــــوا

مطلقا بحضور اي من مندوبي قوات مراقبة الهدنة عمليات الاستجواب » (٩٤) ·

النشاط الاعلامي الاسرائيلي الموجه للعرب كان يهدف لبث الفرقة بين المصريين والفلسطينيين اذ صورت الفلسطينيين وكانهم غير راضين عن سياسة مصر بتنظيم حرب عصابات ضد اسرائيل ، « حيث تحدثت احدى وسائل الاعلام الاسرائيلية عن الشعور بالمرارة بين اللاجئين ضد تزايد عمليات تدريب وارسال الفدائيين من قبل المصريين، والذين يقتلوا او يأسروا من قبل قوات الامن الاسرائيلية في الوقت الذي يقبع فيه المصريون في الخلف وبمنجاة من سقوط ضحايا منهم» (٩٥) · وكان لحملة اسرائيل هذه هدف مصري – فلسطيني مزدوج ، ولم تتورع عن محاولة توظيف حادث استشهاد المقدم مصطفى حافظ في خدمة هذه السياسة الاعلامية · فقد فبركت جريدة الجيروزاليم بوست رواية تدعي ان المقدم مصطفى حافظ كان ضحية عملية ثأر قام بها اللاجئون الذين كانوا متضايقين من لجوءه لسياسة الذراع القوية في تجنيد الفدائيين ، حيث ان كثيرين من **الشبان الصغار الذين جندوا بهذه الطريقة ، كانوا عرضة للاسر او للقتل من قبل الاسرائيليين**» (٩٦) وبهذا كانت اسرائيل تحاول اثارة الرأي العام المصري الذي لا بد وان يتضايق من قيام الفلسطينيين بقتل الرجل الذي يعمل على مساعدتهم ، ومحاولة اثارة النقمة لدى الفلسطينيين بتنشيط المشاعر الذاتية الضيقة لدى اهل الشهداء الذين كانوا يسقطون اثناء قيامهم بواجبهم ، هذا بالاضافة الى تصوير نشاط الفدائيين **وكانه من صنع فرد واحد يقوم بتجنيد الشباب قسرا ، وبهذا تشويه للدافع الاساسي لعمل الفدائيين** ، والذي بدأ بفترة طويلة قبل قيام الادارة المصرية بتبنيه ، وكان انعكاسا لجو النقمة السائد بين صفوفهم على الاوضاع البائسة التي كانوا يعيشونها ، في الوقت الذي تحتل ارضهم اسرائيل وتقوم على استغلالها ، ولا يفصلهم عنها سوى خط الهدنة·

سلاح الاشاعة

سلاح الاشاعة كان من اكثر اسلحة اسرائيل تأثيرا ، اذ احسنت اسرائيل استغلال بعض الاخطاء الذي كانت تحدث للنفاذ منها بهدف تفتيت الجبهة الداخلية ، وزعزعة الثقة بين المواطنين والمسؤولين · وقد تزايدت حملة الاشاعات بعد استشهاد المقدم مصطفى حافظ ، الذي ترك اثرا سلبيا على نشاط الفدائيين · فالقيادة الجديدة كانت اقل كفاءة من القيادة السابقة ، اضافة الى ان مرور مدة طويلة على نشاط الفدائيين ساهم في زيادة اليقظة والتنبه لدى العدو الذي زاد من قدراته الدفاعية لمواجهة الفدائيين ،فقد اصبحت المداخل والمخارج التي يعبرها الفدائيون معروفة للعدو الذي كثف دورياته عليها، كل هذا زاد من حجم الضحايا التي كانت تسقط بين الفدائيين · في ظل هذا الوضع بدأت اسرائيل نشاطها في مجال الاشاعات ، منطلقة من حادث استشهاد مصطفى حافظ الذي قتل من قبل احد الجواسيس · وبعد ذلك كان يعزى اي فشل للجواسيس الموجودين في قيادة الفدائيين ، وبدأت تسري اشاعات عن المعلومات المسبقة لدى العدو ، وعن العدو الذي يعرف بتحرك الدوريات قبل انطلاقها ، وعن فلان من الفدائيين الذي استشهد او اسر ، والذي وجد دورية اسرائيلية تنتظره في منتصف الطريق او قبل وصوله للهدف ، وتنادي عليه باسمه الصحيح من خلال مكبرات الصوت تدعوه للاستسلام !!

وقد حظيتهذه الاشاعات بدرجة كبيرة من النجاح حيث فقد الفدائيون ثقتهم بالقيادة

التي تولت امورهم بعد استشهاد مصطفى حافظ · وتحكمت بهم فكرة تقول « ان اسرائيل تعلم مسبقا بطريق عبورهم للارض المحتلة ، ومن يريد ان يذهب ويعود بسلام ويحقق اهدافه ، عليه أن يسلك طريقا غير الطريق الذي تحدده له القيادة» ومثل هذه الفكرة ضاعفت من الاثر السلبي لسلاح الاشاعة ، فقد كانت الدوريات تسلك طرقا غير الطرق المرسومة لها ، حيث تتواجد معلومات مسبقة !! الامر الذي جعل الفدائيين يلجأون الى وسائل عشوائية كانت تزيد من خسائرهم لتشكل وقودا جديدة لسلاح الاشاعة ، الذي استشرى في القطاع ، واستنفد جهدا كبيرا من نشاط الفدائيين والمسؤولين ، واثر سلبا على مجمل النشاط داخل الاراضي المحتلة ·

تقييم حرب الفدائيين :

حرب العصابات التي تمثلت بغارات الفدائيين على اسرائيل كانت محطة رئيسية في تاريخ الصراع مع العدو الصهيوني عامة وفي تاريخ قطاع غزة خاصة · وبرغم قصر الفترة التي استمرت بها والتي لم تتجاوز العام ، شكلت نقلة واسعة في مستوى الصراع مع العدو الصهيوني وساهمت في زعزعة مجموعة اسس كانت تتحكم في مجرى الصراع حيث كان زمام المبادرة دائما في يد اسرائيل · فقد شكلت الفترة التي نشط فيها العمل الفدائي ، قضية يومية لاسرائيل ، عكست نفسها على مجالات عدة فيها ، اذ تحول الصراع من حوادث حدود لا يحس بها المواطن الاسرائيلي ، الى قضية داخلية محضة يعيش تحت وطأتها المواطن الاسرائيلي ويلاحقه شبح الفدائي في كل لحظة ، الامر الذي جعل مسألة ايقاف نشاط الفدائيين بالنسبة لاسرائيل امرا يرتقي الى مستوى القضايا السياسية الاستراتيجية التي كانت تطالب بها دائما ، كقضايا السلام والمفاوضات المباشرة ··ويدلنا على ذلك درجة الوحشية التي طبعت غاراتها على غـزة ابان نشاط الفدائيين ، بالقياس الى غاراتها في الفترة السابقة لانطلاق حرب الفدائيين · ومع تأكيدنا الجازم على ان هدف غاراتها هو هدف سياسي يتحرك في ضوء قرار سياسي يقوم على التلويح المستمر بالقوة الضاربة الاسرائيلية لابقاء الوضع على الحدود متوترا ولجعل موضوع المفاوضات المباشرة والسلام موضوعا ملحا ومطلبا يوميا ، وبرغم ان هذا هو دافع اسرائيل الاول ، ولكن هذا لا يلغي الطابع الثأري لغاراتها الوحشية التي وصلت لدرجة قصف المدنيين لمدة ساعات متواصلة بمدافع المورتر · اضافة لهذا فقد اتضح اثر نشاط الفدائيين في الذهنية الاسرائيلية ، حيث كان الفدائيون هاجسا يلاحق القادة والجنود الاسرائيليين ابان احتلال قطاع غزة في الفترة اللاحقة ، وقد انعكس ذلك بشكل تصرفات هستيرية ومجنونة بمجرد سماع كلمة فدائي · كما ان مصير قطاع غزة في الفترة اللاحقة كان هاجس الاسرائيليين كيلا يعود القطاع قاعدة للفدائيين كما كان قبل الاحتلال في العام ١٩٥٦ ·

اتى نشاط الفدائيين ليشكل عملية تصعيد جديدة للحالة الجماهيرية في قطاع غزة ، فقد بدد من خلال الممارسة ، الفكرة التي حاولت اسرائيل والقوى المعادية ان تزرعها في عقول اللاجئين ، والتي تقول بان مسألة العودة هي امر مستحيل وان الخيار الوحيد المفتوح امام اللاجئين هو القبول بمشاريع التوطين او الموت جوعا في معسكرات التجميع· وحيث كانت تغذي هذه الفكرة الغطرسة الاسرائيلية ممثلة بضرباتها المستمرة لقطاع غزة لتاكيد قوة اسرائيل واستحالة قهرها ، وان المصريين ليسوا عاجزين عن اقتحام حدودها فحسب ، بل عاجزون حتى عن حماية انفسهم ايضا ، وبالتالي فلا خيار سوى

التسليم · واتت حرب الفدائيين لتبدد هذه الفكرة ولتزرع مكانها الفكرة القائلة بـــان العودة امر ممكن وان قهر اسرائيل ليس بالامر الصعب ، ولهذه المسألة دور اساسي في مقدار التماسك السياسي لجماهير القطاع ·

كما انها ادت الى نتيجـة سياسية هـامة لـم يعـد ممكنا لاي طرف معـني ان يتجاهلها الا وهي النظرة الى اللاجئين الفلسطينيين والى مشكلتهم · فاللاجئون الذين يعيشون حياة الخمـول وينتظرون مساعـدات الامم المتحـدة ، والشعـب الذي تأثر (بحياة اللاجيء) (٩٧) هذه الصورة التي كانت تصورها تقارير الامم المتحـدة وتقارير اللجان المنبثقـــة عـنها ، تحولت عـلى ايدي الفدائيين الى صورة مناقضة كليا · بحيث اكدت ان القضيـة هي قضية سياسية بالدرجة الاولى وليست قضية لاجئين ، وهم ليسوا أناسا خاملين بـل عـلى استعـداد لدفع حياتهم ثمنا لقضيتهم ·

ان غـارات الفدائيين ، واستمـرار نشاطهم برغـم عـدوان اسرائيل عـلى قطاع غزة ، كان نقطة فاصلة في تاريخ الصراع العربي - الاسرائيلي · فللمرة الاولى منذ ١٩٤٨ ، كان القرار بيد العـرب وهـم الذين طالما كانوا في موقع الدفاع ، وباطلاق حرب الفدائييـــن اخذت القيادات العربية وللمـرة الاولى قرارا هجوميا برغـم محدودية افاقه · وكـــان فاتحة قرارات اخـرى في مجـالات عـدة بحيث نقلت مسار الامور واتجاه التفكير السائـد نقلة نوعيـة ، اذ انتقلت السياسة العربية برمتها ، من موقع (التنازل) العربي عن الحق العربي في فلسطين الى موقـع استرداد هـذا الحق ، وهي المسألة التي تحكمت بالتفكيـر العربي طيلة المرحلة اللاحقة والتي ، وان لم تأخـذ مظهرا عسكريا ، ولكنها طبعت جملـة النشاط السياسي العربي لدرجة ان اعتى عتاة العمـلاء للاستعمار لـم يكن ليملك الشجاعة حتى عـلى مناقشة مبدأ المساومة عـلى الـحق العربي في فلسطين ·

ان حرب الفدائيين التي اتت في فترة توتر عـالية بين التيار الجماهيري في قطـــاع غـزة وبين الثـورة المصرية ، والذي تمثل بانتفاضة مارس والتي بلغـت درجة تشبـه (حالة طرد) للادارة المصرية من القطاع ، حيث كانت هـوة عـدم الثقة تتزايد يوميا بعد يوم مع اعتداءات اسرائيل من ناحية ، واستمرار مؤامرات التوطين من ناحـية اخـرى ، واتت حرب الفدائيين لتشكل عـامل لحمة بين (الثورة) والجماهير ، وكانت المرة الاولى التي تلمس بها جماهير قطاع غزة الهوية الفلسطينية الواضحة لثورة ٢٣ يوليو ، بعـد ان كان قد مضى عـلى قيامهـا حوالي الثلاثة اعـوام · ونتيجة لهـذا بدأت مرحلة جديدة من العـلاقة بين الادارة المصرية وبين جماهيـر قطاع غـزة ، وهـو الامر الذي انعكس عـلى موقف هذه الجماهير من مسألة عـودة الادارة المصرية لقطاع غـزة بعـد عـدوان ١٩٥٦ ، حيث كانت محـاولات فصل القطاع عـن مصر تجري عـلى قدم وساق · وحيث كان لموقف الجماهير اثر حاسم في تحديد مستقبل العـلاقة بين مصر والقطاع ، واعـيـد تحديد الاساس الذي (ضم) بناء عليه قطاع غـزة لمصـر في العـام ١٩٤٩ وبـدلا مـن القرار الالحاقي اصبح القرار جماهيريا وطوعـيا ·

ان تبدل نظرة الجماهير للادارة المصرية وتزايد التفافها حـولها انعـكس داخـليا بشكل قدرة كبيرة عـلى الصمود والتحمـل ، ففي الوقت الذي شهدت به غـزة ثورة مدنية فـي اثر مذبحة المحـطة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، فان غـزة لم تشهـد اي تحـرك مشابـــه

اثر غارة خان يونس او غارةغزة الثانية ، وبهذا كانت جماهير غزة تؤكد الحقيقة القائلة باستعداد الجماهير العالي للعطاء عندما يكون للعطاء ما يبرره ٠

ان حرب الفدائيين في ١٩٥٥ ــ ١٩٥٦ والتي اتت في سياق احداث سياسية بالغة الخطورة كانت تعيشها المنطقة ، قد تركت اثارها الايجابية في اطار تكاملها مع غيرها من التطورات ، ولقد رافق تلك التجربة وجه سلبيلا يجوز اهماله ، كان له اثره الكبير على نشاط الفدائيين والمجرى السياسي لذلك النشاط ٠

فبرغم ان حرب الفدائيين هي احد اشكال حرب الشعب ، ولم يكن ممكنا لهاالنجاح الذي حققته لولا العنصر البشري الفلسطيني الذي توفرت لديه درجة عالية من الاستعداد للتضحية ، وهو النتاج الطبيعي للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشها ، هذه المادة البشرية قادتها (ادارة رسمية) وعكست عليها كل سلبيات العمل الرسمي ٠ برغم التسهيلات التي قدمت للفدائيين بوضع امكانيات الادارة في خدمتهم ، وهي المظهر الايجابي لعملية التبني تلك ٠

ان تركيز الجهد على نشاط الفدائيين فحسب وبطريقة عسكرية محضة كان ذا اثر سلبي على صعيد الجبهة الداخلية التي لم تمس تقريبا ولم يبذل جهد يذكر لتطوير اوضاعها بهدف التناسب والمرحلة الجديدة التي وصل اليها الفدائيون ، خصوصا وان الحالة الجماهيرية كانت مستنفرة بشكل كامل ، كما اتضح من خلال موقفها اثر غارة غزة ١٩٥٥ ، هذه الحالة الجماهيرية بعد ان قمعت قيادتها ، تحولت وظيفتها الى دور المتلقي لاخبار الفدائيين ونجاحاتهم والتصفيق لاعمالهم ، وسادت القطاع حالة من الاسترخاء سرعان ما استغلتها اسرائيل جيدا ، ونجحت غاراتها التي شنتها على القطاع ، ولا ندعي أن مزيدا من الجهد في تعبئة الجماهير كان سيمنع اسرائيل من شن غاراتها ، ولكنه على الاقل كان سيحجم النجاحات التي حققتها اسرائيل ، وكان سيسهم في ضبط ردود الفعل الاسرائيلية بدرجة كبيرة ، ويقلل عدد ضحايا الغارات الاسرائيلية ٠ وللدلالة على ذلك يكفينا الوقوف امام الغارة الاسرائيلية على خان يونس والكيفية التي تمت بها الغارة :

(أ) الغارة وقعت على مركز البوليس الواقع في منتصف المدينة ٠(ب) سارت القوات الاسرائيلية داخل الحدود ستة كيلومترات ٠ (ج) كما ان القوات الاسرائيلية لم تتسلل بالخفاء ، بل اشتبكت مع مواقع اخرى قبل وصولها مدينة خان يونس وذلك في موقعي بني سهيلا وعبسان وهما قريتان تقعان في المنطقة الواقعة بين مدينة خان يونس والحدود (د) الغارة لم تكن غارة مفاجئة بل استغرقت كما اشار تقرير الجامعة العربية من الساعة التاسعة وخمس دقائق الى الساعة الحادية عشر والنصف ٠وهي مدة كافية لوصول اية نجدات من اي موقع اخر ٠ (هـ) قامت القوات الاسرائيلية بنسف المبنى وكان بداخله عدد من الجنود حيث قضوا تحت الانقاض كما اشار لذلك تقرير الامم المتحدة وتقرير الجامعة العربية ٠(و) الغارة الاسرائيلية ليست غير متوقعة ، واختيار الهدف ايضا متوقع ، بدليل ان اسرائيل كانت قد شنت قبل ذلك غارة مشابهة على هدف مشابه في مدينة غزة وذلك في ١٩٥٥/٢/٢٨ والذي عرف بمذبحة المحطة ٠٠

ان هذه الوقائع تؤكد ان درجة اليقظة والتنبه للغارات الاسرائيلية كانت معدومة

تقريبا ، ولم تتوفر لقطاع غـزة عناصر الدفاع الضرورية بالطريقة التي وفرت بها عناصـر الهجوم · وبكلمة اخـرى فلم يتم اي انجاز على صعـيد الجبهة الداخلية بمستوى نشاط الفدائيين داخـل جبهة العـدو ·

ان نجاح غـارات اسرائيل وبالطريقة التي كانت تتم بهـا قد اسهم في تعطيل كثير من الاثار الايجابية لنشاط الفدائيين عـلى صعـيد غـزة وعـلى صعـيد العدو ·

لا محدودية العـطاء ومحدودية القرار السياسي :

لقد كان نشاط الفدائيين محكوما بالقرار السياسي للحكومة المصرية وحـدود استعداداتها لدفع الصراع مع العـدو الاسرائيلي ، وكان عـمل الفدائيين عرضة للمساومة او للتوقف في ظل اي استعداد اسرائيلي جدي لتجميد الوضع على الحدود ، وبكلمة اخرى كـان نشاط الفدائيين من وجهة النظر المصرية ورقة تكتيكية في اطار سياسة الفعـل ورد الفعـــل التي طبعـت العـلاقة بين مصر واسرائيل في تلك الفترة والفترة التي سبقتهـا · والواضح من خـلال مراقبة التطورات السياسية التي سبقت حـرب ١٩٥٦ ان الحكومة المصريـــة كانت عـلى استعـداد لوقف كامل لاطلاق النار لولا موقف اسرائيل التي كانت تشتـــرط اعـطاء مثـل ذلك الاتفاق مضمونا سياسيا وان يكون جزءا من حـل شامل لجملـــــة القضايا السياسية العـالقة بينهما· وقد تأكد هذا الامر جليا ابان عـدوان ١٩٥٦ وبعـده، حيث اوقف نشاط الفدائيين كليا وكان جزءا من الترتيبات السياسية التي تمخضت عـــن عـدوان ١٩٥٦ ·

ان تولي ضابط مخابرات هو المقدم مصطفى حافظ قيادة الفدائيين ، برغـم كفاءتـــه العسكرية ، قد سحب الفدائيين موضوعـيا من قلب الكتلة الجماهيرية التي كانوا يعملون بها الى اشبه ما يكون بقطعـة عسكرية تقليدية ، ليس لهـا من مهمة سوىالقتال، واتبعت في مجال تعبئتها وتحريضها وسائـل بدائية ، ولم يعـط لها القدر المطلوب من الاهتمـــام السياسي · اضافة لذلك فقد كانت قيادتها تمارس بطريقة مركزية شديدة للغـاية · محورها الاول والاخير تقريبا مصطفى حافظ ، الامر الذي حول عـلاقة الفدائيين بقائدهم الـــى علاقة اقرب ما تكون الى العـلاقة الابوية او الشخصية ، وهـذا الامر قد تـرك اثـــارا ايجابية عـلى شخصيات المقاتلين ونسج درجة عـالية جدا من الثقة بينهم وبين مسئولهـم والذي كان يلـم حتى بادق تفاصيل حياتهم وهمومهم اليومية · ولكن هذه الايجابية سرعان ما انقلبت الى نقيضها وكان لها اثر مدمر عـلى نشاط الفدائيين بعد استشهاد مصطفى حافظ حيث لم تنجح ولم يكن سهلا عـلى القيادة الجديدة ان تنجح في قيادتهم · الامـــر الـذي ادخـل العـلاقة بين الفدائيين والقيادة الجديدة في مـازق ، وســاد الفدائيين جـــو من عـدم الثقـة واللا انضباط · وتدنـــى بالتالـــــي مستـــــوى عملهـــم الامر الـــذي ادى الى نجاح سلاح الاشاعة التـي لجـــأ اليها العـــدو كمـــا سبـــق لنا الاشارة · ولعل من اكثر الامور دلالة على مركزية القيادة في فترة الشهيد مصطفـــى حافظ ، هو استدعاءه لفتح الطرد الذي كان قد احضرمــــن اسرائيل ، ولعله ليـــس مــــن الغريب ان تكون المخابرات الاسرائيلية قد درست شخصية الشهيد مصطفى حافظ قبل ان ترسل اليه الطرد · اذ انها كانت متأكدة بان الشهيد نفسه سيقوم بفتح الطـــرد لما عرف عنه مــــن مركزية شديدة ·

عرف قطاع غزة في الفترة السابقة لنشاط الفدائيين حياة سياسية نشطة ، وبدايات احزاب سياسية منظمة تمكنت من قيادة التيار الجماهيري في قطاع غزة في واحدةمن اخطر المراحل التي مر بها ، خصوصا معاركة ضد مشاريع التوطين والتي انتهت بالاسقاط النهائي لذلك المشروع ٠

ان الحياة السياسية والتي قمعت بقسوة من قبل الادارة المصرية ، كانت مرشحة للتنامي مرة اخرى وتناميها كان كفيلا بتبديل الكثير من المفاهيم الرائجة في قطاع غزة ، من خلال اسهامها في انضاج الحالة الفكرية والثقافية في القطاع ، وكانت الكتلة الجماهيرية العريضة في قطاع غزة تتحرك في اطار تلك التنظيمات ٠ وقد اتت حرب الفدائيين لتشكل البديل السياسي لدى الجماهيرالغزية والتي لم تعرف من الاحزاب القائمة الا النشاط السياسي ، وبهذا فقد سحبت الكتلة الجماهيرية الى موقع المؤيد والملتف حول نشاط الفدائيين ، وبالتالي حول الادارة المصرية ، وفقدت الاحزاب نتيجة لهذا الوضع المادة البشرية الضرورية لنشاطها ، وتحولت الى حلقات ضيقة من الاعضاء والانصار ٠ وبدأ قطاع غزة يشهد ضمورا في الحياة الحزبية المنظمة ، وقد ظهر اثر هذا الوضع جليا في فترة الاحتلال الاسرائيلي لقطاع غزة عام ١٩٥٦ ، حيث تأثر نشاط الاحزاب خلال هذه الفترة بالوضع المشار اليه ٠ وفي الوقت نفسه تحول الفدائيون ، الذين وجدوا انفسهم في قطاع غزة بلا قيادة ، بعد ان غادرت قيادتهم القطاع بعد وقوع العدوان مباشرة ، من قوة (مجمعة) و(ضاربة) الى مجرد افراد لا تربط بينهم اية صلة ٠

الحواشي

١ كينيث لووف ، السويس ـ الحرب التي اشتعلت مرتين ـ نيويورك ـ ١٩٦٩ ص ٤ ٠

٢ كينيث لووف ، المصدر نفسه ، ص٨٣

٣ كينيث لووف ، المصدر نفسه ، ص٦١٠

٤ كينيث لووف ، المصدر نفسه ، ص ١٥ ٠

٥ كينيث لووف ، المصدر نفسه ، ص ٨٣٠

٦ كينيث لووف ، المصدر نفسه، ص ٨٧٠

٧ فؤاد مطر ، **بصراحة عن عبد الناصر** ـ دار القضايا ـ تاريخ المقدمة ١٩٧٥ ، ص ٨٤ ٠

٨ كينيث لووف ، مصدر سابق ، ص ٢٢٥ ٠

٩ فؤاد مطر ، مصدر سابق ص ٨١ ،

١٠ من مقابلة مع معين بسيسو ٠

١١ المصدر السابق

١٢ الوقائع الفلسطينية ، عدد ٤٥ ، تاريخ ١٥ مارس ١٩٥٥ ٠

١٣ الوقائع الفلسطينية ، عدد ٤٧ ، تاريخ ١٥ مايو ١٩٥٥ ٠

١٤ الوقائع الفلسطينية ، عدد ٤٥ ، تاريخ ١٥ مارس ١٩٥٥ ٠

١٥ الوقائع الفلسطينية ، عدد ١٤ ، تاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٥٤ ٠

١٦ الوقائع الفلسطينية ، عدد ٤٥ ، تاريخ ١٥ مارس ١٩٥٥

١٧ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ **قرارات الامم المتحدة حول فلسطين** ٤٧ ـ ٧٤ سنة ١٩٧٥ ٠ قرار مجلس الامن رقم ١٠٦ و١٨٨ ٠

١٨ المصدر نفسه ٠

١٩ الجنرال بيرنز ـ بين العرب واسرائيل ، هاراب ، لندن ٠ تاريخ المقدمة ١٩٦٢ ٠ ص٧١ ٠

٢٠ المصدر نفسه ، ص ٧١ و٧٢ و٧٣ ٠

٢١ المصدر نفسه : ص ٧٣ ٠

٢٢ المصدر نفسه ، ص ٧٥
٢٣ المصدر نفسه ، ص٧٦
٢٤ ــ انرايم تلمي ــ **حروب اسرائيل** ــ داردانار ــ تل ابيب ١٩٦٩ ــ ترجمة سعيد حرب الجزء الاول ــ مخطوطة محفوظة في مركز الابحاث ٠ ص ١٦
٢٥ بيرنز ، مصدر سابق ، ص ٧٧ ٠
٢٦ المصدر نفسه ، ص ٧٧ ٠
٢٧ المصدر نفسه ، ص ٧٧ ٠
٢٨ المصدر نفسه ، ص ٧٨ ٠
٢٩ المصدر نفسه ص ٩ ٧
٣٠ المصدر نفسه ، ص ٧٩ ٠
٣١ المصدر نفسه ، ص ٧٩ ٠
٣٢ بيرنز ٠ مصدر سابق ٠ ص ٧٩ ــ ٨٠
٣٣ جان لاكويتر ، **عبد الناصر** ، ترجمة واصدار دار النهار ٠ ١٩٧١ ، ص ١٧٩
٣٤ بيرنز ٠ مصدر سابق ٠ ص ٨٠
٣٥ الوقائع الفلسطينية ٠ العدد ٩٠ ، تاريخ ١٥ يوليو ١٩٥٥ ٠
٣٦ بيرنز ٠ مصدر سابق ٠ ص ٨٠ ٠
٣٧ المصدر نفسه ، ص ٨١ ٠
٣٨ المصدر نفسه ، ص ٨٢ ٠ لمزيد من التفاصيل راجع : دافيد بن غوريون ــ لتهاني هلسه ٠ أصدار مركز الابحاث ص ١٢٣ــ١٣٢ ٠
٣٩ بيرنز ٠ مصدر سابق ، ص ٨٤ ٠
٤٠ كينيث لووف ٠ مصدر سابق ، ص ٨٧ ٠
٤١ كامل الشريف ، الاخوان المسلمون في حرب فلسطين ــ مكتبة وهبة القاهرة ٠ ص ١٢ و١٣ ٠
٤٢ صبحي ياسين ٠ حرب العصابات في فلسطين ــ دار الكاتب العربي ــ ١٩٦٧ ــ القاهرة ، ص ١٧٧ ،
٤٣ بيرنز ٠ مصدر سابق ، ص ٧٠ ٠ كينيث لووف ٠ مصدر سابق ٠ ص ٤٣ ٠
٤٤ بيان الهيئة العربية العليا ٠ مصدر سابق ٠ محفوظات مركز الابحاث ٠
٤٥ حروب اسرائيل ٠ مصدر سابق ٠ الجزء الاول ، ص ١٤ ٠
٤٦ المصدر نفسه ، ص ١٤ ٠
٤٧ بيرنز ٠ مصدر سابق ، ص ٨٦ ٠
٤٨ كينيث لووف ٠ مصدر سابق ، ص٨٥ ٠
٤٩ المصدر نفسه ، ص ٨٥ ٠
٥٠ المصدر نفسه ، ص ٨٦ ، نقلا عن مذكرات حملة سيناء لموشي ديان ٠
٥١ موشي ديان ، **مذكرات حملة سيناء** ــ ودنفيلد ونيكولوسون ٠ لندن ١٩٦٦ ، ص٥ ٠
٥٢ الوقائع الفلسطينية ٠ العدد ٥٥، تاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٥٥ ٠
٥٣ الوقائع الفلسطينية ٠ العدد ٥٦ ، تاريخ ١ يناير ١٩٥٦ ٠
٥٤ الوقائع الفلسطينية ، العدد ٥٨ ، تاريخ ١٥ يناير ١٩٥٦ ٠
٥٥ صبحي ياسين ، حرب العصابات٠ مصدر سابق ، ص ١٨٢ ــ ١٩٠ ٠
٥٦ حروب اسرائيل ٠ الجزء الاول ٠ مصدر سابق ، ص٥ ٠
٥٧ المصدر نفسه ، ص ١٢٤٠
٥٨ بيرنز ٠ مصدر سابق ، ص ١٣٩ ٠
٥٩ المصدر نفسه ، ص ١٤١ ٠
٦٠ المصدر نفسه ، ص ٨٨ ٠
٦١ المصدر نفسه ، ص ٨٥ ٠
٦٢ المصدر نفسه ، ص ٨٩ ٠
٦٣ المصدر نفسه ، ص ٨٨ ٠
٦٤ المصدر نفسه ، ص ٨٩ ٠
٦٥ حروب اسرائيل ــ الجزء الثاني ــ مصدر سابق ، ص ٧٨ ٠
٦٦ المصدر نفسه الجزء الاول ٠ ص٣٠ ٠
٦٧ بيرنز ٠ مصدر سابق ، ص ٨٢ ٠
٦٨ جامعة الدول العربية ــ ادارة فلسطين ــ اعتداءات اسرائيل على قطاع غزة وسيناء قبل ٢٩/١٠/٥٦ ٠ طبعة ثانية ١٩٦٥ ص ١١٠ ٠
٦٩ بيرنز ٠ مصدر سابق ، ص ٩١ ٠
٧٠ جامعة الدول العربية ٠ مصدر سابق ، ص ١١٧ــ١١٨ ٠
٧١ حروب اسرائيل ٠ الجزء الاول ٠ مصدر سابق ، ص ١٧ ٠
٧٢ بيرنز ٠ مصدر سابق ٠ ص ١٤٠

٧٣ الجامعة العربية ـ مصدر سابق ، ص ١٦٣ ·
٧٤ حروب اسرائيل ، الجزء الاول مصدر سابق ص ٢٢ ·
٧٥ بيرنز · مصدر سابق ، ص ١٤٠ ـ ١٤١ ·
٧٦ المصدر نفسه ، ص ١٤١
٧٧ المصدر نفسه ، ص ١٦٤ ·
٧٨ المصدر نفسه ·
٧٩ صبحي ياسين · حرب العصابات · مصدر سابق ، ص ١٩٠ ·
٨٠ تطابقت روايات شهود العيان مع الرواية التي اوردها كينيث لووف في كتابه سالف الذكر ص ١٢٤ ·
٨١ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ قرارات الامم المتحدة ٤٧ـ٧٤ مصدرسابق، ص ١٨٩ ·
٨٢ بيرنز · مصدر سابق ، ص ٩١ ·
٨٣ المصدر نفسه ، ص ١٠٤·
٨٤ المصدر نفسه ، ص ١٠٦ ·
٨٥ المصدر نفسه ، ص ١٤٦ ·
٨٦ المصدر نفسه ، ص ١٤٦ ·
٨٧ المصدر نفسه ، ص ١٣٦ ·
٨٨ المصدر نفسه ، ص ١٣٦ ·
٨٩ بيرنز · مصدر سابق ، ص ١٢٦ ـ ١٣٧ ·
٩٠ المصدر نفسه ، ص ١٣٧ ·
٩١ المصدر نفسه ، ص ١٣٧ ·
٩٢ المصدر نفسه ، ص ٨٥
٩٣ المصدر نفسه ، ص ١٤١
٩٤ المصدر نفسه ، ص ٨٧
٩٥ المصدر نفسه ، ص ٨٦ ·
٩٦ المصدر نفسه ، ص ١٦٤ ·
٩٧ تقرير حول مشروع شمال غرب سيناء · اعداد المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومي ـ جمهورية مصر ووكالة اغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين ـ هيئة الامم المتحدة · تاريخ المقدمة ٢٨ يوليو سنة ١٩٥٥ ، ص ١٤٣ ·

موضوعات حول نضال المرأة

منير شفيق

ما هي قضية المرأة في بلادنا ؟

لقد ثارت مناقشات كثيرة في ثورتنا وبلادنا حول موضوع قضية المرأة · ولم تكن هذه المناقشات جديدة · فقد كانت تبرز على السطح كلما ارتفع المد الثوري وكانت البلاد تمر في منعطف تاريخي ترتفع فيه المشاركة الجماهيرية الواسعة في النضال · وهذا امر طبيعي تماما لان المرأة تشكل نصف المجتمع· ومن ثم فان للدور الذي تقوم به تأثيرا كبيرا على الثورة سلبا او ايجابا · ولهذا فان ثورة الاسلام في التاريخ العربي عالجتموضوع دور المراة·فاشركها الاسلام ، بشكل او بآخر في الجهاد وحثها على اعتناق الاسلام والدعوة له · وقد نجح الاسلام في الارتقاء بدورها فنقلها من وضع الى وضع ارقى · او ما عرف في تاريخنا بالانتقال من الجاهلية الى الاسلام ، ولم تكن المراة بعيدة عن المساهمة في عملية هذا الانتقال التاريخي العظيم ·

وكانت هذه المسالة ، وعلى التحديد ، مسالة مشاركة المرأة في الجهاد والنضال تبرز كلما تعرضت بلادنا الى اجتياح الغزاة او واجهت منعطفات تاريخية صحبتها مشاركة جماهيرية واسعة · هذا ما حدث في مرحلة النضال ضد التتار وضد الصليبيين ، وضد الاستعمار القديم ·وما زالت صورالمشاركة الجماهيرية النسائية ، بشكل او باخر ، عالقة في اذهان اجدادنا وابائنا في العصر الحديث · لقد عرفت كل البلاد العربية مشاركة المرأة في النضال في كل الثورات والانتفاضات الشعبية منذ اوائل القرن العشرين حتى الان ·

ان الحقيقة التي يجب ان نعرفها هي ان افكار النساء في بلادنا كانت دائما هي افكار الرجال · ومن ثم كانت جماهير النساء تأخذ المواقف نفسها التي كانت تأخذها جماهير الرجال · فالموقف من الاستعمار وضرورة النضال ضده كانا عامين يشملان جماهير النساء كما يشملان جماهير الرجال · فحين كانت الجماهير تهب للنضال ، كانت النساء يقتنعن بهذا النضال ويساعدن به بطرق شتى وفقا للظروف والاوضاع الخاصة بهن والعامة في البلاد · ويمكن

القول ان الوطنية في بلادنا لم تقتصر يوما علـى الرجال وحدهم • وانما كانت سمة عـامة للنساء في بلادنا • وكذلك كل نضا لخاضه الشعـب وكل تضحيـة قدمها الشعـب ، كانت حصة المرأة فيهـا حصة كبيرة سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة • وذلك بحكم ارتباطها العضوي بالاب والزوجوالابن والاخ،وبحكم كونها جزءا من الشعـب تواجه كل ما يواجهه الشعـب حين يتعرض الوطن لغـزو او احتلال او طغـيان او تقسيم او كوارث • ولهذا ، فان افكارها بالنسبـة للقضايا القومية الكبرى هي افكار الرجال من ابناء الشعـب • ولا يمكن ان يقل ارتباطها بقضية الشعـب والوطن عـن ارتباط الرجال • واذا كان وضعها بالنسبة للحياة العـامة يأخـذ شكل البقاء فـيالبيت لا تختلط بالرجال خارج بيتهـا او المشاركة في العـمل في الحقل ولكن دون مشاركة في الحياة العـامة • الا ان ذلك يجب الا يجعـلنا نتصور انها لم تكن ، وهي في تلك الظروف ، تتابع اخبـار وطنها وتشارك زوجهـا وابنهـا واباها كل ما كان يشغـل بالهم وتأخذ موقفهم• وتسهم بقدر ما تتيحه لها ظروفها • ابتداء من التعاطف العام والتاييد والتشجيع ومرورا بالمساهمة المحدودة داخلالبيت وانتهاء الى خروجها من البيت للمشاركة الانشط عندما يرتفع موج النضال الى مستوى الانتفاضات والثورات •

من هنا يمكن ان نقول ان النســاء في بلادنا لـم يحملـن قضيـة خاصة بهن • وانما كن دائما يحملن قضية الشعـب كله • فقضية الشعـب كله والثورة والوطن هي القضية التي كانت تشغل بالهن وكانت تدفعـهن للنضال • وان كان هنالك من صراع جاء حول قضية المرأة سواء فيما بين الرجـال ، او فيما بين النساء ، او فيما بين النساء والرجال ، فقد كان يتركز دائما فـي موضوع مساهمة النساء في النضال العـام او عـدم ضرورة مساهمتهن • ولـم تكن هنالك قضية خاصة بالمرأة بمعنى حل التناقض بينها وبين الرجال • ولهذا، فان كل طرح لقضية المرأة خـارج عـن موضوع ضرورة مساهمتها في الثـورة وفي النضال من اجـل قضية الشعـب والوطن هو طرح لا يمسك بجوهر التطـور التاريخـي في بلادنا من جهـة ، كما انه لا يمسك بالقضية التي لها الاولوية فـي المرحلة التاريخية الراهنة من جهة اخـرى • ومن ثـم فانه ينقل التناقضـات الثانوية الى مستوى التناقض الرئيسي ، ويرفع الى مستـوى الاولويـة قضايـا ليسـت فـي موضـع الاولوية • فتكون النتيجـة الغرق في صراعات لا طائل من ورائها ولا مكان لهـا • وقد كتب لهـا الفشل سلفا ، لان النجاح لا يكون الا للقضية ذات الاولوية • القضية التي تهم الشعب كله • هذا اذا لم نقل ان معـاملة ما هو ثانوي معاملة الرئيسي ومعاملة ما هو اقل اهمية معاملة الاهم يبدد الجهود ويقسمها ويشتتها ولا يسمح بتركيز القـوى والجهود لحـل القضية المركزية • القضية ذات الاولوية •

ان الاتجاه الذي يطرح قضية المرأة على اعتبار انها قضية التناقض مع الرجل فيصبح موضوع تحقيق المساواة حصول المرأة على حريتها هما الشعاران الرئيسيان في تحريض النساء للنضال ، يشكل خطا سياسيا خاطئا · لانه لا يرى ان القضية القومية ، قضية الثورة والشعب والوطن هي القضية التي تهم جماهير النساء باعتبارهن جزءا عضويا لا يتجزأ من الشعب كله · وما يواجه الشعب يواجههن · وما يحقق الخلاص للوطن يحقق الخلاص لهن · ان هذا الاتجاه يتصور ان لا علاقة للمرأة بالاستعمار وعملائه والكيان الصهيوني في بلادنا ، وان علاقتها مقصورة على علاقتها بالرجل · او يعتبر النضال ضد الاستعمار والعملاء والصهيونية لا يشكل القضية الاولى بالنسبة لجماهير النساء في بلادنا · وانما يعتبر ان النضال ضد هيمنة الرجل والتقاليد هو الذي يشكل القضية الاولى بالنسبة لجماهير النساء او انهما يسيران جنبا الى جنب، وعلى قدم المساواة ، اي ان الاولوية في النضال موزعة بينهما · ولكن لا يلاحظ انه حين يضع الاولوية للقضيتين في ان واحد ، يرفع تناقض النساء مع الرجال الى مستوى التناقض مع الاستعمار والعملاء والصهيونية · فهل هذا صحيح ؟ والى اين يؤدي ؟ انه قطعا غير صحيح · ويؤدي الى تقسيم الشعب · والى عدم توحيد قوى الشعب رجالا ونساء ضد الاستعمار والعملاء والصهيونية ·

هنا ايضا صراع بينخطين سياسيين ولابد من خوض هذا الصراع ·

لماذا قضية الثورة هي قضية جماهير النساء ؟

ان الاهداف التي تناضل الثورة الفلسطينية والثورة العربية في سبيلها هي اهداف كل الجماهير العربية · وتلتف حول راية هذه الاهداف مجموعة الطبقات التي لها مصلحة :

١ ـ في التحرير الكامل من الامبريالية والهيمنة ، من اجل تحقيق الاستقلال التام ·

٢ ـ في تحرير فلسطين من الكيان الصهيوني ·

٣ ـ في توحيد الامة العربية والوطن العربي ·

٤ ـ في تحقيق الثورة الديمقراطية التي تصفي المصالح الامبريالية والاحتكار وتؤممها وتقوم بالاصلاح الزراعي وتبني الاقتصاد الوطني المستقل ، وتحقق الوحدة الاقتصادية على المستوى القومي العربي ·

٥ ـ في تحقيق الثورة الاشتراكية الذي يشكل على المستوى القومي هدف الثورة العربية الابعد ·

ان الاهداف الاربعة الاولى تشكل اهداف المرحلة التاريخية للثورة العربية والتي بدأت تاريخيا منذ اواخر القرن التاسع عشر ولم تنجز حتى الان • وان كان النضال العربي تقدم اشواطا على هذا الطريق • فقضى على الهيمنة العثمانية • وقضى على الاستعمار الاوروبي المباشر (بريطانيا ، فرنسا ،اسبانيا، ايطاليا)• وصفى طبقات الاقطاع وفئات من الاحتكاريين في عدد من البلدان العربية •وسدد ضربات قوية الى الامبريالية الامريكية والكيان الصهيوني •وما زال النضال العربي العام متأجحا ضد الكيان الصهيوني والامبريالية الامريكية• ويسير بخطوات حثيثة من اجل حماية الاستقلال الوطني • كما ان النضال من اجل الوحدة العربية تجرأ على بعض المحاولات المجيدة ، وفي مقدمتها تجربة ـ الجمهورية العربية المتحدة • وعلى الرغم من ان قطع هذه الاشواط تعرض لكثير من النكسات وسار على طريق متعرج الا ان المسار العام ظل باتجاه التقدم • واذا كان من الصحيح الادراك لان حدوث نكسات او السير على طريق متعرج في اثناء التقدم قانون موضوعي لكل نضال ثوري • الا ان من الضروري ان نلاحظ ان هنالك عاملين حاسمين يعود لهما هذا التباطوء في التقدم وحدوث نكسات كان من الممكن تجنبها وهما :

١ ـ سبب موضوعي يرجع الى طبيعة التجزئة في الوطن العربي حيث كانت التجزئة وما زالت تشكل عاملا سلبيا في توحيد النضال الجماهيري العربي وفي توحيد كل طبقة على المستوى العربي • ولا تسمح ببروز قيادات على مستوى الامة العربية (باستثناء قيادة عبد الناصر ولكنها لم تتحول الى قيادة فعلية على مستوى كل الاقطار) • المقصود هنا ان التجزئة كانت وما زالت تولد مستويات قطرية ضيقة وهي مستويات ادنى من المستوى الذي يتطلبه النضال العربي العام •

٢ ـ سبب ذاتي يرجع اساسا الى الطبيعة البرجوازية الوطنية للطبقات التي قادت النضال العربي على المستوى القطري • وكانت على رأس حركة الجماهير الثورية • ويؤدي هذا السبب ايضا الى ملاحظة حرمان حركة النضال العربي من قيادة من طراز جديد تمثل حقيقة جماهير الشعب الكادحة وخاصة العمال والفلاحين الفقراء • ولكن المسؤولية عن هذا الحرمان لا يجوز ان تلقى على عاتق القيادات الوطنية البرجوازية (الكبيرة والمتوسطة والصغيرة) لان من الطبيعي جدا ولا يمكن ان يكون الامر عكس ذلك ، ان تسعى هذه القيادات لتكون هي قائدة النضال وتمنع بروز القيادة التي هي من طراز جديد • ولهذا ان المسؤولية يجب ان تقع اولا واخرا على عاتق الطلائع التي حاولت ان تكون ممثل للعمال والفلاحين الفقراء • ولكنها لم تستطع ان توفر الشروط التي تسمح لها بتقدم الصفوف ولعب الدور القيادي •

ان هذين العـامـلين انعكسا ايضا عـلى وضع جماهير النساء وتقدمهن فـي المشاركة في المجالات الجماهيرية وطبعـا دور النساء بطابعـهما ٠ وهذا مـا نجعـلنا نرى ان الاتجـاه العـام لمشاركة جماهير النساء في النضال الجماهيري كان يتقدم الى امام ٠ الا انه بدوره كان يصاب بنكسات ويسير عـلى طريـق متعـرج ٠ هذا من ناحية اما من الناحية الاخـرى فيمكن القول ان هذا التقـدم كان ابطأ ممـا كان من الممكن ان يدفع به زخـم المشاركة الجماهيرية النسائية٠ وكان هنالك نكسات كان من الممكن تجنبها ٠ وكانت هنالك تعرجات كان من الممكن التعلم منها ، بصورة افضل ، مما يسمح بتقدم اقوى واشد زخما ٠ وهنا يأتي دور العاملين الحاسمين المذكورين اعـلاه في تبطيء هذا التقدم وفي حـدوث بعض النكسات وفي عـدم التعـلم جيدا من التعرجات ٠

ان الاتجاهات الفكرية والخـطوط السياسية التي عـالجت موضوع قضيـة مشاركة جماهير النساء فـي الثورة ، او تلك التي فصلت القضيـة العـامة للشعب كله عـن قضية المرأة واعتبرت ان للمرأة قضية قائمة بذاتها هي حـل التناقض بينها وبين الرجل ٠ او تلك التي عاملت القضيتين عـلى قدم المساواة وقسمت اولوية النضال بينهمابالتساوي ٠ان كل هذه الاتجاهات الفكريـة والخطوط السياسية التي سادت كانت تتراوح بين المحافظة والدفع باتجاه تبطيء تقدم جماهير النساء في النضال العـام ، وبين الاتجاهات «المتحررة او التقدمية» المنسلخة عن خط الجماهير سواء الذي تناولت الموضـوع تحت شعـارات يسارية طفولية ٠ فمحورت الصراع ضد التقاليد او ضد الديـن او ضـد المؤمنين ومن يحملون هذه التقاليد ٠ اي ضد غالبية الشعـب ٠ ولهذا ، فـان الاتجاهات المحافظة ادت الى تبطيء التقدم الجماهيري العفوي الفعلي لجماهيـر النساء عـلى طريق النضال ٠ كما ادت الاتجاهات «المتحررة »او « التقدميـة» الى سلخ الطليعـة (النسائية والرجالية) عـن جماهير الشعـب نساء ورجـالا بالنسبة لهـذا الموضوع ٠ ولم تسهم في التقدم المطلوب بل ولدت صراعات لا طائل من ورائها وضربت اسوأ مثل للجماهير في معـالجة « موضوع المرأة » ٠ بتحويل القضية عمليا الى صراع من اجل الحرية الفردية والانفلات من قيـود الروابط العائلية واتهـام نساء الشعـب ورجاله بالتخلف والتأخر والعـقـل الرجعـي ٠ فالبعـض قلد الاتجاهات المنحـرفة لدى « اليسار » الاوروبـي ٠ والبعض قلد العصرية الاوروبية وغـرق في الفسق والفجور والتهتك او بالمظاهر السطحية لمدنية برجوازية استعمارية زائفة ٠

ان هذه الموضوعات تعيدنا الى موضوع اهداف الثورة العربية باعتبارهـا اهداف كل الجماهير العربية ٠ ومن ثم فهي اهداف جماهير النساء العربية لان

جماهير النساء يشكلن نصف الشعب وهن يواجهن كل ما يواجهه الشعب من اضطهاد استعماري ونهب استعماري ونفوذ امبريالي ووجود للكيان الصهيوني على ارض فلسطين . ويواجهن كل ما يواجهه الشعب من نضالات ضد التجزئة وضد الاحتكار والاقطاع . واذا كان هذا هو الواقع الموضوعي لجماهير النساء في بلادنا وكان هذا هو الذي يجعل قضية الثورة هي قضية هذه الجماهير النسائية.فان الحركة العفوية للمشاركة الجماهيرية النسائية ارتبطت دوما في بلادنا بهذه القضية .وكانت تتصاعد او تنتكس ، تتقدم او تتعرج ، تبعا لما يحدث للثورة في تقدمها وتعرجها ، وفي تصاعدها وانتكاستها . وكان ذلك يتم بالمبادرة الجماهيرية الشبعية العفوية للشعب كله . اما الحركات النسائية او السياسيةالتي كانت تطرحقضية المرأة كتناقضمع الرجال او كتناقض مع الدين او التقاليد . فكانت على هامش النضالات الجماهيرية النسائية القومية والثورية المندمجة بالحركات الجماهيرية القومية والثورية للشعب كله . والمنطلقة لتحقيق الاهداف السياسية نفسها التي يناضل كل الشعب في سبيلها .

ان التحليل الموضوعي الملموسللوضع فيبلادنا واستخلاص الدروس الصحيحة من الحركة العفوية الجماهيرية لجماهير النساء في الانتفاضات والثورات، يسلحنا بالنظرية الصحيحة في فهم علاقة جماهير النساء في بلادنا بالقضايا القومية الكبرى .ومن ثم يجعلنا نخرج بالموضوعة المركزية في بلادنا وهي ان قضية الشعب والثورة والوطن هي الاولى الاساسية لجماهيرالنساءفي بلادنا . وليس التناقض مع هيمنة الرجل او مع التقاليد والدين .

ولهذا ، فان كل نضال بين جماهير النساء يذهب شططا اذا لم يقم على اساس تلك النظرية الصحيحة وهذه الموضوعة المركزية . الامر الذي يضع بدوره الاساس في الصراع بين الخط الصحيح سياسيا وفكريا ونظريا ومنهجيا وبين الخطوط الخاطئة علىاختلاف انواعها . ومن ثم فان انتصار هذا الخط الصحيح هو الذي سيتيح اشراك اوسع الجماهير النسائية في النضال . ويتقدم بنضالاتهن وبوضعهن الى الامام في كل المجالات .

لماذا يجب ان تشارك المراة في النضال

لا بد في الثورة ، وفي حرب الشعب ، وفي كل نضال جماهيري ، من تعبئة كل طاقات الشعب وتوحيدها من اجل التمكن من هزيمة العدو وتحقيق الانتصار . بل من اجل التمكن من انجاز المهمات القومية والثورية الكبرى.

وعندما نقول كل طاقات الشعب ، فهذا يعني طاقات جماهير النساء ايضا لانهن يشكلن نصف الشعب ٠ وقد اثبتت تجربة الثورة الفلسطينية وتجربة الحرب الاهلية في لبنان ، وتجارب عشرات الانتفاضات والثورات في تاريخنا العربي القديم والمعاصر ان جماهير النساء يمتلكن طاقات جبارة في النضال والجهاد ٠ ويمكنهن المساهمة الفعلية في مساندة نضال الرجال من ابناء الشعب واعطائه زخما كبيرا ٠ وفي الواقع ، ان هذه التجارب لم تقتصر على مجال معين من مجالات العطاء وانما على اغلبها ان لم يكن كلها ٠ ان مجرد تكوين قناعة لدى جماهير النساء باهمية القضية التي يناضل من اجلها الشعب وبضرورة التضحية في سبيلها تسهم مساهمة كبرى في اعطاء زخم كبير في النضال ٠ حيث يمكن ان يلعبن دورا مهما في تشجيع الزوج والابن والاخ والاب على خوض النضال وعدم الخوف من التضحية ٠ هذا فضلا عن المساهمات الفعلية في تلبية الكثير من حاجات النضال كالمشاركة في تأمين الاكل للمقاتلين ، وفي ممارسة اعمال انتاجية في المنزل وفي الحقل وفي المشغل او في القيام باعمال الاسعاف والتموين ٠ الى مشاركة في التظاهرات والانتفاضات والكفاح المسلح، او الصراع ضد جنود العدو وشرطته ٠

من هنا ندرك ان الدفع باتجاه اشراك اوسع جماهير النساء في الثورة وفي النضال ، واستنهاضهن لمشاركة كل الشعب من اجل تحقيق قضية الشعب والثورة والوطن مسألة ضرورية ، يجب ان تكون المهمة المركزية المباشرة للنضال النسائي على مستوى الطليعة والثورة ٠ وان وضع اية مهمة اخرى او اية قضية اخرى فوق هذه القضية وهذه المهمة المركزية او في موازاتها يتناقض مع استراتيجية وتكتيك تعبئة كل طاقات الشعب وتوحيدها من اجل التمكن من هزيمة العدو وتحقيق الانتصار ٠ بل من اجل التمكن من انجاز المهمات القومية والثورية الكبرى ٠

واذا كنا قد ناقشنا الاتجاهات التي تضع للمرأة قضية قائمة بذاتها او توازي بينها وبين القضايا التي يناضل الشعب كله في سبيلها ٠ فان من الضروري هنا مناقشة اتجاه فكري اخر يجنح الى الاشفاق على المرأة من تحمل المشاق والتضحية في النضال وكأن من الممكن ان تنجو المرأة بجلدها عندما يكون الشعب يخوض غمار النضال والصراعات الكبرى ٠ علينا هنا ان نلاحظ ان عدم تعريض جماهير النساء لتحمل المشاق والتضحية في النضال امر غير ممكن اطلاقا ما دام الزوج والاب والابن والاخ يناضلون ٠ لان كل تضحية يقدم عليها اولئك تصيب المرأة مباشرة ٠ ان استشهاد الزوج والاب والابن والاخ تعني تحملها التضحية الكبرى ٠ وعندما يتعرض اولئك للمطاردة

او السجن او الاضطهاد فهي في قلب هذه التضحية وفي صميمها • وعندما يتلقى رجال الشعب صنوفا من نكال الغزاة والطغاة ويتعرضون للبطش والبطالة والبؤس ، ويرزحون تحت الاعباء المعيشية الثقيلة فهذا يعني الام والزوجة والاخت والابنة ويضعهن في قلب هذا الظرف • ومن هنا فهي في الخندق نفسه • فالوطن وطنهن كما هو وطن الرجال من ابناء الشعب • فلماذا لا يتحملن اعباء النضال وتضحياته ما دام اعداء الشعب قد فرضوا على الشعب كله تحمل هذه الاعباء والتضحيات • فكما لا نفكر ، وبالهرب بجلودنا من اجل قضية الشعب والثورة والوطن فيجب ان تحمل امهاتنا وزوجاتنا واخواتنا وبناتنا ما يحمله الوطن من اعباء وتضحيات • انهن يحملن ذلك ، على اية حال ، ولو قلنا لهن لا علاقة لكن بما يجري وذلك ما دمنا نخوض النضال • ولهذا ما دام الامر كذلك ، تاتي مشاركتهن الانشط في النضال ولو تعرضن الى تضحيات اكبر ، هي الطريق الذي لا بد من سلوكه لانقاذ الوطن والشعب من براثن العدو • ان هذه النظرة يجب ان ترد ايضا على الاتجاهات التي تطالب الرجال بالتخلي عن طريق النضال والثورة اشفاقا على الام والاب والاخوات والبنات والابناء والزوجات • ان الوطن وطنهن كما هو وطننا وان الشعب شعبهن كما هو شعبنا • ان القضية قضية الجميع • وسيف العدو على رقبة الجميع • فلنتحمل جميعا اعباء النضال والتضحيات •

ان في القضاء على الكيان الصهيوني ، وان في تحرير الوطن العربي واستقلاله وتوحيده ، فان لجماهير النساء في انتصار الثورة التي يقوم بها الشعب ، مصلحة حقيقية كما لجماهير الرجال من ابناء الشعب • ولا يمكن ان تحل المشاكل الخاصة التي تعاني منها جماهير النساء الا بعد ان تحل القضايا القومية الكبرى • كما ان حل هذه المشاكل لا يمكن ان يتم بالنضالات المعزولة وانما عبر استنهاض اوسع جماهير النساء في بلادنا للنضال مع الشعب كله من اجل انتصار قضايانا القومية الكبرى •

المنطلقات الاساسية لمعالجة موضوع المرأة في بلادنا :

اولا : تشارك جماهير النساء في بلادنا جماهير الرجال كل القضايا الرئيسية التي تواجه الشعب ككل • وهذا يعني انها تشارك وضع الرجل فيما يتعلق بكلما يواجه الشعب والوطن من كيان صهيوني ، استعمار ، اضطهاد ، استغلال ، تجزئة ، مظالم الخ • ويترتب على هذه السمة ما ورد في الموضوعات السابقة من ضرورة المشاركة في النضالات العامة التي يخوضها الشعب باعتبار ان

قضايا الشعب الكبرى هي قضاياها المركزية ذات الاولوية ولهذا فان المهمة المركزية للنضال بين جماهير النساء هي استنهاضهن للمشاركة في النضالات التي يخوضها الشعب تحت الاهداف نفسها وتحت الشعارات السياسية نفسها وضمن الخط السياسي والخط الفكري نفسهما · هذه هي السمة الرئيسية ·

ثانيا : ان المرأة في بلادنا محكومة للرجال وتابعة اقتصاديا · وهذا مكون تاريخي · وان هذا التناقض بالنسبة لجماهير النساء يشكل تناقضا ثانويا بالقياس للتناقض بينهن ومعهن جماهير الرجال وبين اعداء الشعب من كيان صهيوني وامبريالية وعملاء ·

ان الصراع في هذا التناقض الثانوي لا يأخذ في هذه المرحلة التاريخية هدفا له يتمحور حول تحقيق المساواة والتحرر من هيمنة الرجل والتبعية الاقتصادية · وانما يأخذ شكل الصراع حول ضرورة اشراك اوسع جماهير النساء في الثورة والنضال القومي وهو امر يهم الشعب ككل ، ويهم جماهير الرجال · ولهذا فان خوض هذا الصراع ضمن خط صحيح في معالجته وضمن اشتقاق صيغ مناسبة من تجربة الحركة العفوية الجماهيرية لاشراك اوسع الجماهير النسائية واستنهاضها · وذلك باتجاه توحيد أوسع جماهير النساء والرجال حول هذا الموضوع الذي سيؤدي الى النجاح في هذا الصراع لتحقيق المهمة المركزية المذكورة اعلاه ·

ثالثا : تشكلت في بلادنا تاريخيا مجموعة من التقاليد والقيم والافكار بالنسبة للمرأة وسلوكها ودورها · وان هذه التقاليد والقيم والافكار يحملها الرجال والنساء على حد سواء · وان بعض تلك التقاليد والقيم والافكار يحمل طابعا شديد السلبية في مواجهة عملية استنهاض جماهير النساء المشاركة في نضال الشعب · وقد جاء هذا البعض من عصور الانحطاط ومن الغزاة والمستعمرين كاحتقار المرأة ومعاملتها بمهانة وهو غريب عن التقاليد والقيم والافكار التي طرحها الاسلام · ولهذا يجب ان نفرق بين ما هو غريب مستورد وسلبي وبين ما هو ايجابي في تقاليدنا وقيمنا وافكارنا · كما أن احترام تقاليد الشعب وقيمه وافكاره مسألة اساسية في النجاح بمهمة استنهاض جماهير النساء للنضال · لان من غير الممكن ان يفرض على الشعب شيء او ان يعامل الشعب بتحد وتعاد · فالشعب هو الذي اذا اقتنع غير ، لانه هو الذي يصنع الثورة وهو الذي يحقق الانتصارات · اما الاتجاهات التي تربط بين مشاركة المرأة في النضال وبين محاربة التقاليد انما تحكم منذ البداية على اجهاض عمل المرأة · فالمطلوب ليس محاربة التقاليد انما المطلوب هو استنهاض جماهير النساء للمشاركة في النضال من اجل القضايا التي يناضل

الشعب في سبيلها ٠

ولهذا فان فهم هذه السمة مسألة ضرورية لفهم كيفية استنهاض جماهير النساء للنضال ٠

رابعا : ان المرأة في بلادنا مسؤولة عن عمل البيت وتربية الاطفال وعليها اعباء كبيرة بما في ذلكجماهير الفلاحات العاملاتفي الحقول وجماهير العاملات ٠ وان هذا الوضع يتطلب ان يراعي جيدا اثناء ايجاد الصيغ لاستنهاض النساء للنضال العام ٠ حيث من غير الممكن الطلب من جماهير النساء ، في ظروف بلادنا ، التخلي عن هذه المسؤولية او استنهاضهن خارجا عن استمرار قيامهن بهذه المسؤولية ٠ وان اي تفكير يحاول ان يقفز عن هذا الواقع الموضوعي بالطلب من جماهير النساء التخلي عن هذه المسؤولية او الاهمال بها او اقتسامها مع الرجل لن يؤدي الى استنهاض جماهير النساء للنضال فضلا عن انه تفكير الفئات البرجوازية التي لا تعرف عن واقع الشعب شيئا ٠

خامسا : ان نسبة الاميات بين جماهير النساء عالية جدا كما ان هناك تخلفا نسبيا فيما يتعلق بمشاركتهن في شؤون النشاط الاجتماعي والسياسي العام ٠ الا ان جماهير النساء في بلادنا لسن بعيدات عن الاهتمام بالمسائل الوطنية والسياسية العامة خاصة في ظروف النهوض النضالي العام ٠ ويشكل هذا الامر مرتكزا للانطلاق منه على طريق العمل السياسي معهن واستنهاضهن للنضال ٠ وهنا يجب ان نلاحظ ضرورة التفريق بين الامية وبين الفهم والمعرفة ٠ ومن ثم يجب الا يتصور احد انهن لا يختزن معارف وتجارب وافكار مهمة اكثر تقدما مما لدى كثير من المتعلمات او المثقفات او ان العمل السياسي والفكري يبدأ معهن من الصفر ٠

سادسا : ان المرأة بحكم تبعيتها الاقتصادية للرجل تنتسب للطبقة التي ينتسب اليها رجلها (ابوها ، زوجها)٠ كما ان النساء اللواتي لهن وضع في عملية الانتاج كالفلاحات والعاملات والموظفات ،فهن ينتسبن الى الفلاحين والعمال والبرجوازية الصغيرة على التوالي ٠ ومن هنا فان طرح موضوع المرأة كشيء خارج عن هذا الوضع واعتبار ان النساء جميعا يشكلن «طبقة » واحدة هو طرح خاطيء تماما ٠ الامر الذي يتطلب عند الحديث عن استنهاض جماهير النساء في بلادنا ان نحدد لمن نتوجه والتوجه هنا يسير متوازيا مع التوجه بالنسبة لجماهير الرجال ، بما في ذلك، موضوع الجبهة المتحدة بين جماهير النساء ٠

ان اعتبار المرأة جزءا من طبقة سواء من خلال ارتباطها بالرجل او من خلال علاقتها المباشرة في عملية الانتاج · يتطلب اعتبار وضعها وافكارها وموقفها السياسي ذات طبيعة طبقية · وليس معاملتها كامور خارج الطبقات·

سابعا : تطور وضع المرأة مرتبط بتطور وضع الشعب والثورة · فعلى الرغم من ان هنالك فروقا بينها وبين من يوازيها من الرجال · وذلك بسبب الدور الاقتصادي والسياسي والفكري الذي يلعبه الرجال على مستوى مختلف الطبقات · الا ان هذه الفروق لا تعني ان وضع المرأة تجمد عند نقطة محددة وتوقف عن التطور بينما اخذ الرجال من مختلف الطبقات يتقدمون ويتطورون · في الواقع ، كان يحصل هنالك تقدم مماثل مع بقاء نسبة الفروق سنمة · ولهذا فان ملاحظة القانون ارتباط تطور وضع المرأة بتطور وضع الشعب ، يفترض الانتباه الى نقطتين الاولى ربط عملية استنهاض جماهير النساء للنضال بالمستوى الذي استنهض فيه جماهير الرجال ، ومن ثم ، لا بد من بقاء فروق نسبية الى امد طويل وهذه مسألة موضوعية ويجب ان تتعالج بدقة · والثانية الدور الراجع لاستنهاض جماهير النساء للنضال على وضع الشعب والثورة ، وما يمكن ان يقدمه من زخم ، ولهذا من العبث طرح مشاريع لتطوير وضع جماهير النساء لا تأخذ بعين الاعتبار مستوى التطور في وضع الشعب والثورة ·

ثامنا : ان كل خطوة يتم التقدم بها على طريق استنهاض جماهير النساء للنضال مع جماهير الشعب في الثورة تتطلب السير خطوة مماثلة في مجال الوعي لدى جماهير الرجال لكي تعزز تلك الخطوة بتأييد عام وتدعم الوحدة العريضة بين اوسع الجماهير رجالا ونساء · ولهذا فان مسألة استنهاض جماهير النساء في بلادنا ليست مسألة نسائية خاصة وانما هي مسألة تهم الشعب كله · الامر الذي يتطلب ان تتبنى جماهير الرجال هذه المسألة وتسهم بنشاط في انجازها · واذا ما تحقق ذلك فهذا سيؤدي الى النجاح في هذه المهمة المركزية · اي ان التعبئة السياسية لاستنهاض جماهيز النساء للنضال من اجل القضايا التي تهم الشعب كله يجب الا تقتصر على عمل المناضلات الطليعيات بين جماهير النساء وانما يجب ان تكون تعبئة سياسية عامة على نطاق الشعب كله يشارك بها الجميع وتطرح امام الجميع · وهنا يمكن ان نلاحظ ان هذه المسألة ممكنة فقط حين تكون قضية الشعب كله هي القضية المركزية في نضال جماهير النساء ·

تاسعا : عندما يطرح البعض ما يسمى بـ« قضية المرأة » في بلادنا علينا ان نفكر بالفلاحات والعاملات ونساء العمال واللاجئات والنساء في الاحياء الشعبية · ويجب ان يكون التوجه الاساسي هو لهذه الجماهير التي تشكل

الاغلبية العظمى من النساء في بلادنا ٠ ان التفكير في وضع هذه الجماهير ومعرفة ظروفها واكتشاف خطها (خط الجماهير) هو الذي يتيح امكانية تجنب الانحراف عندما يطرح البعض المسائل المتعلقة بما يسمى « قضية المرأة » ٠

على ان هذا التوجه لهذه الجماهير النسائية لايعني اهمال العمل السياسي لاجتذاب جماهير الطالبات والنساء المثقفات او نساء الطبقات والفئات البرجوازية الوطنية الى النضال الوطني العام ٠ وذلكما دام الرجال الموازين لهن من الفتيات والطبقات نفسها مدعوين للنضال الوطني العام ٠ اي ان التركيز في التوجه نحو جماهير النساء الكادحات يجب ان يتم ضمن الدعوة للجبهة المتحدة رجالا ونساء ٠ وما دام نضال جماهير النساء مرتبط باهداف النضال الوطني العام ٠

عاشرا : ان بحث «قضية المرأة » وكيفية معالجتها وما يرتبط بها من مسائل تتعلق بالسياسة والشعارات واشكال النضال ، تحمل طبيعة طبقية سياسيا وفكريا ومنهجيا ولهذا فان كل طبقة تنظر الى هذا الموضوع من وجهة نظر محددة ٠ ومن ثم تطرح سياسات وشعارات واشكال نضال وافكارا ومنهجا ينبع من طبيعتها الطبقية ومن افكارها وسياستها العامة ومنهجها العام ومن وضعها الاقتصادي والاجتماعي العام ٠ ولهذا فان كل صراع بين خطين في هذا المجال هو صراع يحمل طبيعة طبقية محددة ٠ ويجب ان ينظر اليه كذلك ٠ ولا يجوز ان نترك الاتجاهات فوق « اليسارية » في هذا المجال تفلت وتجيء طبيعتها البرجوازية وراء الادعاءات والشعارات « اليسارية » و« التقدمية » ٠وذلك من خلال استخدام معيار محدد في هذا الحكم ٠ اظهار جانب المغامرة ، اظهار جانب النظرة الذاتية لا الموضوعية ، اظهار محاولة القفز عن الواقع الملموس والقوانين الموضوعية ، اظهار سياسة تقسيم صفوف الشعب ، اظهار جانب رفع التناقضات الثانوية الى مستوى التناقض الرئيسي ٠

حادي عشر : ان استنهاض جماهير النساء لخوض النضال العام مع الشعب كله هو وحده الذي يتيح الامكانية لتطوير دورهن في النشاط السياسي والفكري والاجتماعي والاقتصادي العام ويسمح لهن بالنضال من اجل حقوقهن الشرعية٠ اما اعطاء الاولوية للمطالب الخاصة ، او النضالات الاقتصادية ، او القانونية والدستورية ، او تحقيق خدمات معينة فان ذلك يشكل خطا « اصلاحيا » لا يستنهض جماهير النساء استنهاضا ثوريا ٠ ولا يسمح بتطوير دورهن في النشاط السياسي والفكري والاجتماعي والاقتصادي العام ٠ انه بالنضال « الاصلاحي »

بين جماهير العمال والفلاحين الفقراء حين تعطي الاولوية للمطالب الخاصة ، والنضالات الاقتصادية او القانونية والدستورية ، او تحقيق خدمات معينة (تأمينات ، ضمانات ، الخ) ٠ ان هذا النوع من النضالات يجب الا يحظى على الاولوية ، وانما يجب ان يخضع للقضايا القومية الكبرى :٠ للقيام بالثورة٠ان الاتجاهات التي تلجأ الى ذلك الطراز من النضالات « الاصلاحية » هي التي لا تجرؤ على مواجهة جوهر القضية ، والتصدي للاعداء الرئيسيين ٠

ثاني عشر : ان الوضع المتخلف الذي تعيشه جماهير النساء شأنه شأن الوضع المتخلف الذي تعيشه جماهير العمال والفلاحين الفقراء ، هو نتاج تاريخ طويل يمتد الى آلاف السنين ٠ ومن ثم فان الخلاص منه يتطلب عملية تاريخية جبارة ستحتاج الى تحقيقها عشرات السنين ولا بد لها من المرور بعدة مراحل ثورية تاريخية اي لا يمكن ان ينتقل المبعدون عن تقرير شؤون السياسة والاقتصاد والفكر والادارة الاف السنين الى امتلاك القدرة على التحكم في مصائرهم ومصائر بلادهم وسياستها واقتصادها وفكرها وادارتها بضربة واحدة او بثورة واحدة ٠ ان تحول جماهير النساء والرجال الكادحين الى مستوى يسمح لهم بتفجير طاقاتهم وتقرير مصير كل شيء يشترط في بلادنا ان نحقق اولا الثورة القومية الوحدوية الديمقراطية ٠ ثم الثورة الاشتراكية ٠ بل بعد انتصار الثورة الاشتراكية ستحتاج هذه العملية لعشرات السنين ولعدة ثورات ثقافية ٠ ولكن في كل ثورة من هذه الثورات تتحقق خطوات مهمة الى الامام ٠

ان الذين يحصرون اسباب تأخر المرأة في بلادنا الى التقاليد والدين والى اللامساواة القانونية ولتبعيتها للرجل اقتصاديا لا يدركون ان العقبة الاساسية في بلادنا التي تقف امام كل تقدم للشعب نساءا ورجالا انما هو النفوذ الامبريالي والكيان الصهيوني والعملاء ٠ هذا هو جوهر المعضلة الان وهو ما يجب التصدي له ٠ وان الامساك بهذا الجوهر والتصميم على التصدي للاعداء الرئيسيين هو الذي يفتح الباب واسعا امام توحيد بلادنا واستقلالها وانجاز الثورتين الديمقراطية ثم الاشتراكية ٠

التوجه لجماهير النساء سياسيا :

يترتب على اعتبار قضية الشعب والثورة والوطن هي قضية جماهير النساء ٠ ضرورة التوجه لهن سياسيا ٠ وهذا بالضبط هو الذي يلبي تحقيق المهمة المركزية وهي استنهاض جماهير النساء للمساهمة في الثورة ، والنضال العام الذي يخوضه الشعب ٠ كما ان التأكيد على ضرورة التوجه السياسي لجماهير النساء كما نتوجه سياسيا لجماهير الرجال وتحت الشعارات نفسها والمقولات نفسها ،

ينبع من تحليل دقيق لخاصية وضع جماهير النساء في بلادنـــا · لقد لاحظنا في المنطلقات الاساسية ان وضع المرأة في بلادنا مرتبط بوضع الرجل ومن ثم فـــان القضايا الكبرى التي تشغل جماهير الرجال تشغل جماهير النساء · فهن شركاء في البيت وفي الوطن ، في الوضع الاقتصادي وفي الوضع السياسي · او كما يقــال هن شركاء في « الغرم والغنم » · فما يحدث لجماهير الرجال وللوضع في بلادنا يصيبهن مباشرة ، ويعنيهن مباشرة · كما لاحظنا في المنطلقات الاساسية ان تطــور وضع جماهير النساء وتطورهن مرتبط بتطور وضع جماهير الرجال وتطورهم · ولاحظنا ايضا ان جماهير النساء في بلادنا لسن جاهلات حتى ولو كانت الاميــة منتشرة في صفوفهن ، وانما يختزن معارف ومفاهيم وتجارب كثيرة · ولســن بعيدات الا بصورة نسبية عما تختزنه جماهير الرجال من معارف ومفاهيم وتجارب · وان العمل لن يبدأ من الصفر سياسيا بينهن · ولهذا كله فان الخط الصحيح فــي التوجه لجماهير النساء هو الخط الذي يعطي العمل السياسي المباشر الاولوية · فالتوجه لا بد من ان يرتبط بمناقشة اهم المسائل السياسية المطروحــة علـــى الشعب كلــه ·

اما الاتجاهات التي تضع في الاولوية تحريض جماهير النساء انطلاقا مـــن وضعهن في البيت ومع ازواجهن · او من دقائق حياتهن الخاصـــة وصعوباتها · فتطرح مشاكل تعليم جماهير النساء قواعد « النظافة والصحة والعنايـــــة بالاولاد » · او تحرض على الاعمال النقابية والمطالبات الجزئية والخدماتية ·وذلك باعتبار هذا التوجه هو الذي يمكن ان « يتدرج » بالنساء لادراك القضايا السياسية والفكرية والنظرية · ان هذه الاتجاهات تتصور ان المسائل السياسية الكبــرى المطروحة على الشعب كله هي فوق مستوى استيعاب جماهيـــر النساء · وان استيعابها يحتاج الى مستوى من « التعليم » و « الثقافة » عال كذلك الذي يتمتع به اصحاب تلك الاتجاهات · انها نزعة الاستذة على الشعب والنظــرة العليائية الى جماهير الشعب · انها نظرة البرجوازية الى الجماهير الكادحة ·

لقد دلت التجارب التاريخية في ثورتنا الفلسطينية وفي الثورات والانتفاضات الشعبية في كل بلادنا العربية على مر العصور ، وخاصة في العصر الحديث ، ان استنهاض جماهير النساء كان يرتبط بالقضايا القومية والطبقية المركزية الكبرى · اي القضايا نفسها التي تحرك جماهير الشعب للقيام بالثورة والانتفاضات · ان هذا الدرس هو ما يجب ان نتعلمه في تحديد اولوية التوجه السياسي لجماهيــر النساء في بلادنا ·

هنا ايضا يخاض الصراع بين الخطين في السياسة والافكار والمنهج · اما من ناحية اخرى · فان هذا الخط في تحديد اهداف النضال المركزية لنضال

جماهير النساء • اي اهداف الشعب كله • وان هذا الخط الذي يجعل مهمته المركزية هي استنهاض اوسع جماهير النساء ، للمشاركة في الثورة وفي النضال العام الذي يخوضه الشعب • وان جعل الاولوية في العمل بين جماهير النساء للتوجه السياسي المباشر الذي يتناول المسائل السياسية الكبرى المطروحة على الشعب كله • ان هذا الخط يحتاج الى طليعة نسائية تشارك الطليعة الرجالية في قيادة هذا الخط بين جماهير النساء • ولكن هذه الطليعة يجب ان تتبنى خطا سياسيا صحيحا وخطا فكريا صحيحا وتأتي ممارستها تكريسا لهذين الخطين لكي يكون بمقدورها ان تسهم في استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة ،وفي النضال العام الذي يخوضه الشعب • ان هذا الخط يتطلب طليعة تختلف عن ذلك النمط من المناضلات البرجوازيات الوطنيات ـ وان كان من الضروري ان تتحد معهن في جبهة عريضة، وتختلف عن ذلك النمط من اليسراويات ـ البرجوازيات ـ اللواتي ينفرن الشعب ويعزلن انفسهن عن جماهير النساء ـ وان كان من الضروري خوض صراع سياسي وفكري معهن لاعادتهم لتبني الخط الصحيح •

ان تكون طليعة سياسية وفكرية نسائية عملية تاريخية يجب ان تصقل بتجربة حركة فتح وبالتجربة العامة للثورة الفلسطينية والحرب الاهلية في لبنان • وبالتعلم من تجارب الجماهير العربية في كل البلاد العربية • ولا يمكنها التقدم الا عبر الممارسة مع جماهير النساء في الثورة وعبر الصراع السياسي والفكري على مختلف المستويات •

ان المناضلات الطليعيات في ثورتنا الفلسطينية وفي حركة جماهيرنا العربية بحاجة لان يلتقطن بعمق الخط السياسي الصحيح والخط الفكري الصحيح على نطاق الشعب كله وعلى نطاق العمل بين جماهير النساء • وعليهن ان يعدن صياغة انفسهن على الاسس نفسها التي يعيد المناضلون الطليعيون صياغة انفسهم وفقا لها • ولا يمكن ان تخاض هذه العملية الثورية الكبرى الا عبر الصراع بين الخطين • ودحض الخطوط الخاطئة •

مجموعة اخطاء وانحرافات يجب دحضها :

اذا كنا قد تعلمنا الكثير من التجربة العفوية الجماهيرية لمشاركة جماهير النساء في الانتفاضات والثورات في بلادنا • فان هنالك تجارب اخرى لحركات نسائية غير جماهيرية يمكن ان نتعلم منها كدروس من المعلم السلبي • وذلك لكي نتجنب تكرارها وندحض خط من يحاول تكرارها • وهنا يمكن تناول مجموعة من هذه الدروس السلبية استقيت من ظواهر عرفتها بلادنا •

اولا : ظاهرة « الطليعة » النسائية « المتحررة » :

برز اتجاه لدى بعض الحركات السياسية طرح « قضية المرأة » في بلادنا باعتبارها قضية تحرير المرأة من هيمنة الرجل ومن التقاليد ودعا لمساواتها مع الرجال ٠ وقد ترجم ذلك بان تقوم « الطلائع » النسائية في تلك الحركات بتطبيق هذه المقولات على انفسهن ٠ فتحولت العملية من موضوع يمس جماهير النساء الى موضوع ضيق يخص فئة « الطليعيات » دون غيرهن ٠ فراحت اولئك « الطليعيات » ، وبتشجيع من زملائهن « الطليعيين » ، « بتحرير » انفسهن كأفراد ٠ وكافحن لكي يحققن هن المساواة في علاقتهن بالرجال ٠ وذهبن بهذا السبيل الى الاقتداء بكل ما يعمله زملاؤهن ، وبصورة خاصة ، العادات السيئة والسلبيات على انواعها ٠ وهكذا تحولت « قضية المرأة » الى قضية شخصية ضيقة تشمل بضع عشرات من الفتيات ٠ اما جماهير النساء فهن « متخلفات » ، « محافظات»، « رجعيات » لانهن يسرن على هذا النهج ٠ ولا يقبلن به ، بل ويستنكرنه اشد الاستنكار ٠ ان الجذور الفكرية والسياسية لهذا الخط تلتقي مع خط النساء البرجوازيات المقلدات للحضارة الاوروبية حين يعلن « تحرير » انفسهن بعد ان يطلعن على الثقافة الغربية الرأسمالية وينخرطن في العمل الاقتصادي ٠ ان الفرق بين هذين الاتجاهين هو ان الاتجاه الاول قد سيس الاتجاه الثاني والبسه لبوسا « ثوريا » و « يساريا » ٠ اما من الناحية الثانية فان هذا الاتجاه من حيث منطلقاته الاساسية في النظر الى « قضية المرأة » لا بد من ان يقود الى ذلك المصير ! « التحرر » كافراد ، والعزلة عن الشعب وجماهير النساء ٠

ان الخط الثوري الصحيح هو الذي يطرح قضايا الشعب كله كقضايا مركزية لنضال المرأة ٠ ويعتبر أن مهمته المركزية هي استنهاض جماهير النساء المشاركة في الثورة، او في النضال العام الذي يخوضه الشعب٠ ولهذا فهو لا يحول المسألة الى قضية خاصة لبضع عشرات من النساء ٠ اي ان « يحررن » انفسهن ويحققن المساواة بايديهن مع زملائهن ٠ ان المسألة دائما هي مسألة الجماهير ٠ وليست مسألة « طليعة » ٠ فان تحرر بضعة افراد لا يعني شيئا ولا قيمة له ٠ ولهذا فان العمل الطليعي الحقيقي هو الذي يجعل قضية الشعب قضيته ٠ فاذا لم تستنهض جماهير النساء للنضال مع الشعب كله فلن يتغير شيء ولن يتحقق شيء ٠ ولهذا فهو يخضع كل سياساته ونضالاته وافكاره وممارساته لخدمة هذه المسألة٠ لا لخدمة نفسه ٠ فعلى سبيل المثال ما قيمة ان يبحث كادح ما عن حلول خاصة للخلاص من وضعه ٠ فهل يكون قد « تحرر » ٠ وما قيمة خلاصه ما دامت عشرات الملايين من الكادحين ترزح تحت وطأة ذلك الوضع ٠ ان المناضل الثوري الحقيقي لا يستطيع ان يفكر على هذه الصورة او يمارس على هذه الطريقة ٠ انه يربط

فضيته بقضية عشرات الملايين ولا يجد الحل الا في استنهاض عشرات الملايين للقيام بالثورة • ومن هنا فان الخط الصحيح بالنسبة للمناضلات الطليعيات لا ان يفكرن «بخلاصهن» الفردي او «بتحررهن» الفردي ، كما يطرح لدى الاتجاه الخاطيء ، وانما ان يربط قضيتهن بقضية عشرات الملايين من جماهير النساء العربيات • ولا يبحثن عن الحل الا باستنهاض جماهير النساء للنضال مع الشعب كله • وهذا يتطلب منهن الا يبحثن عن الهرب بجلدهن عن اخواتهن جماهير النساء ، او ان يرفضن العيش مثل هذه الجماهير ، ويتحملن الصعوبات التي تتحملها • اما بالنسبة لعلاقتهن بازواجهن وآبائهن واخوتهن فهذه يجب ان تحل بصورة عامة ضمن الحدود المعقولة وبالتفاهم وضمن خط الجماهير مع الاصرار على ضرورة المشاركة في خدمة الشعب والثورة والوطن • وان كان لا بد من حل كل قضية خاصة حلا مناسبا لها • ولكن الخط العام هو عدم تحويل «قضية المرأة» الى مسألة فردية ، والتركيز على القضية التي تهم الشعب كله• وعلى استنهاض جماهير النساء للنضال العام • وان الطليعة التي يصبح هذا همها سوف تعرف كيف تتصرف لانها عندئذ ستمتلك معيارا هو هل يخدم هذا التصرف او ذاك مسألة استنهاض جماهير النساء للنضال العام ام لا ؟• ومن ثم يصبح رأي الجماهير مسألة حاسمة تراعى جيدا • هنا ايضا صراع بين الخطين •

ثانيا : اتجاه اثبات الذات :

برز اتجاه لدى بعض الاخوات في الحرب الاهلية في لبنان جنح الى الاثبات بانهن قادرات على فعل ما يفعله الرجال • اي ان يثبتن بأن المرأة قادرة على القتال • وكأن هذه مسألة بحاجة الى اثبات • سواء في الماضي او في الحاضر وفي الحقيقة كان جوهر هذا الاتجاه هو ان تثبت هذه الاخت او تلك انها قادرة على ان تقاتل • واصبح هذا الاتجاه غاية بحد ذاته يحكم كل افكارها وتصرفاتها • اي تحولت المسألة الى مسألة شخصية ايضا • ونسيت ان المهمة المركزية هي النضال لاستنهاض جماهير النساء للمشاركة في الحرب الاهلية • وليس مجرد ان تشارك هي • اما عدا ذلك فهو امر غير مهم • صحيح ان المشاركة في القتال ليست مقصورة على الرجال • وانما لا بد من ان تسهم بها المناضلات الطليعيات ومعهن جماهير النساء • ويكفي ان نتذكر المجاهدات المقاتلات في معركة احد وفي العديد من معارك الاسلام امثال السيدة عائشة ، وام سلمة ، والربيع بنت معوذ ، وام عطية الانصارية ، ونسيبة بنت كعب ، وخولة الكندية وغيرهن المئات ، حتى ندرك بان مشاركة المرأة في القتال تقليد عربي اسلامي منذ امد بعيد • ولكن معارضة هذا الاتجاه لا تنطلق من معارضة روح المشاركة في القتال• وانما ان تكون المشاركة في القتال غاية لاثبات القدرة الشخصية • وترك الاهتمام بكل ما عدا ذلك •

ان الخط الصحيح هنا هو ابقاء المهمة المركزية حاضرة باستمرار ۰ اي استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة والحرب الاهلية ۰ دون ان تحصر مشاركة في ممارسة القتال على خط النار ، دون ان تقتصر المشاركة على بضع طليعيات ۰ كما ان المشاركة في القتال لا بد من ان تخدم عملية هذا الاستنهاض لا ان تكون عملا فرديا معزولا ۰ واذا كانت ستعود ببعض الفائدة ، باضافتها بضعة افراد جدد الى المقاتلين ، فانها بلا فائدة بالنسبة لاستنهاض جماهير النساء اذا جاءت الممارسة بشكل لا يشجع الاخريات ولا يراعي مجموعة تقاليد في اثناء ممارستها ۰ هنا ايضا يجب ان نمسك بالمعيار : هل يخدم هذا التصرف استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة ام لا ؟ ۰

ان التحدي الحقيقي بالنسبة للطليعيات ليس ان يثبتن قدرتهن الفردية وانما ان يثبتن قدرتهن على استنهاض جماهير النساء الى النضال العام كما يفعل الطليعيون من الرجال ۰ المطلوب هو التحرك مع جماهير النساء وليس التحرك بعضلات الطليعة ۰ هنا ايضا صراع بين الخطين ۰

ثالثا : الاتجاه الخاطىء في رفض التقاليد وتحديها :

برزت اتجاهات عند بعض « الطلائع » من الفتيات والنساء دعت الى رفض التقاليد وتحديها ۰ وعمدت الى ان تأتي ممارساتها في هذا الاتجاه بما في ذلك العلاقات مع الرجال ۰ وقد انحرفت بعضها الى حد التهتك والابتذال ۰ ولا شك في ان هنالك بعض « الطليعيين » من الرجال وراء هذا الاتجاه وشجعوا عليه ۰ ونالوا من ورائه « الغنائم » ۰ ولا شك في ان الجذر الطبقي لهذا الاتجاه يشكل الوجه الاخر لعملة البراجوزيين المتفرنجين ۰ ولكن بعد « تسييسه » و « تنظيره » بمقولات « ثورية » و « يسارية » ۰ ان منطلق هذا الاتجاه في « التنظير » يستند الى التناول التجريدي لموضوع الاخلاق والتقاليد والعلاقات بين الرجل والمرأة ۰ وذلك من خلال القيام بعملية عزل تعسفية بين هذه كلها وبين الشعب ۰ انهم لا يبالون بارتباط الشعب بهذه التقاليد والاخلاق والعلاقات ۰ ومن ثم لا يهمهم ان ينعزلوا عن الشعب والثورة ۰ او ان يعلنوا الحرب على الشعب ۰ ولكن المناضلين الطليعيين رجالا ونساء يتناولون موضوعات الاخلاق والتقاليد والعلاقات بين الرجل والمرأة ليس تجريديا ، وانما من خلال ارتباطها بالشعب ۰ فهم يريدون ان يحاربوا مع الشعب الاعداء الحقيقيين للشعب والوطن ، لذلك فهم يحترمون تقاليد الشعب واخلاقه ويتمسكون بالتقاليد الايجابية والاخلاق الحميدة التي تخدم النضال ، ولا يجعلون العلاقات بين الرجل والمرأة تخرج عن حدود العرف والتقاليد السائدة التي يقبلها الشعب ، وبالاساس القوى الحيوية الثورية في الشعب ۰ واذا دخلوا في صراع ضد تقليد معين او ضد اخلاق معينة او (افكار معينة ، فذلك يتم

من خلال اقناع الشعب وبالارتباط بضرورة هذا الصراع من اجل استنهاض الجماهير للقيام بالثورة ، وبضرورته لكسب الحرب ضد العدو · ولكن ذلك لا يتم عبر معادلة منطقية باخذ قرار ذاتي بان هذا التقليد او ذاك يضر بالنضال في حين لا يكون الشعب قد احس بهذه الضرورة · او حين لا يكون عامل التغيير قد اخذ يتحرك في قلب حركة الجماهير · واصبح من الضروري التقاطه والدفع باتجاهه وهذا يعني اننا لا نفرض افكارنا المبنية على تصوراتنا الذاتية او المأخوذة من دراساتنا النظرية على الشعب او نقبل على ممارستها بعيدا عن الشعب · فالثوريون الحقيقيون هم الذين يولدون الثورة الموجودة في احشاء الشعب · وليس ثورة موجود في عقولهم ، لا علاقة لها بالثورة الفعلية على ارض بلادهم · بل يجعلون الثورة الموجودة في احشاء الشعب هي التي في عقولهم ·

ان هذا الخط هو الذي يعلم الثوريين الحقيقيين كيف يحترمون تقاليد الشعب وكيف يفرقون بين ما هو جوهري وبين ما هو ثانوي في النضال ، وبين ما يجب ان يتراجعوا عنه بافكارهم وبين ما يجب ان يتمسكوا به · ان المعيار هنا هو ان نستبعد كل ما لا يشجع اوسع الجماهير رجالا ونساء على الانخراط بالثورة · ونتمسك بكل ما من شأنه ان يساعد على استنهاضهم للقيام بالثورة · وذلك بغض النظر عن رغباتنا الخاصة وافكارنا الذاتية ، وعما يمكن ان نقدم عليه من «تراجعات» في هذا المجال · ان المعيار واضح : هو ان نخدم الشعب · ان نفهمه وان نجعله يفهمنا · ومن ثم لا يجوز للطليعة ان تأتي بتصرفات او تقيم علاقات او تتبنى اخلاقا يرفضها الشعب ولا يفهمها ، بل يرى فيها خطرا عليه · نعم، على الطليعة ان تقرر هي تناضل من اجل من · هل تناضل من اجل نفسها أم تناضل من اجل الشعب · هل يمكن ان تتحقق الثورة بعضلاتها ام بعضلات الشعب · هل تريد ان تعيش في عالم خاص بها ولها ، ام تعيش في عالم الشعب وللشعب · هل المطلوب ان تصنع فردوسها أم تسعى مع الشعب لصنع مستقبله المشرف · ان الاجابة الصحيحة على هذه الاسئلة هي تعلمنا الاجابة الصحيحة عن عدد كبير من المسائل المطروحة ·

هنا صراع بين الخطين في ميادين السياسة والافكار والنظرية والمنهج ·

رابعا : اتجاه التمسك بالشكل وبالجزئيات لا بالجوهر :

ثمة اتجاه ترعرع لدى بعض المناضلات في الحرب الاهلية في لبنان اولع بالجوانب الشكلية والمظهرية في النضال ، وليس بالجوانب الاساسية والجوهرية · وذلك مثل الوقوف وراء الدوشكا في سيارات المقاتلين والسير بالشوارع للاستعراض · ولم تكن مثل هذه التصرفات مشجعة للشعب ليدفع ببناته ونسائه للانخراط في عمل الثورة · كما لم تكن هذه القفزة مشجعة لجماهير النساء ، فضلا عن انها

لا تؤدي الى بناء المناضلة الطليعية الحقيقية • انها الوجه الاخر لعملة ذلك المنظر المشابه قبل الحرب في سيارات « السبور» المكشوفة• ولكن في هذه المرة سيس المنظر واخذ شكلا عسكريا • طبعا ان هذا الاتجاه يحمل بصمات بعض المناضلين،ولا تقع مسؤوليته الكلية على اولئك المناضلات • انه اتجاه فكري وسياسي لم يأخذ بعين الاعتبار خط الجماهير •

اما المظهر الاخر للاتجاه الخاطىء فهو الغرق بالجوانب الجزئية في العمل النضالي دون الاهتمام معه بالجوهر في النضال • لذلك برز اتجاه لدى بعض الاخوات نشط جدا في القيام بالعمل (مستوصفات ، خدمات ، نشاطات تعليمية ومهنية) • ولكنه لا يهتم بالسياسة ، ولا بالنظرية ، ولا يعمل على اعادة صياغة نفسه فكريا ، ولا يهتم بالعمل السياسي العام بين الجماهير • ان الاهتمام بالسياسة والنظرية والنضال الفكري هو الذي يمسك بالجوهر في عملية بناء المناضلة الطليعية الثورية وفي امتلاك القدرة على استنهاض جماهير النساء ، وذلك حين يكون مصحوبا بالممارسة • اما الممارسة الجزئية لوحدها فهي لا تبني المناضلات مهما كن نشطات ومهما كان عملهن مهما • ولا تستنهض جماهير النساء للنضال العام•

لقد اثبتت تجربتنا في فتح وفي الثورة الفلسطينية وفي الحرب الاهلية في لبنان ان الممارسة لوحدها ــ وهذا ينطبق على المناضلين والمناضلات ــ لا تبني المناضل الطليعي ، ولا تؤدي الى النتائج المرجوة ، اذا لم يصحبها عمل سياسي، وتنظير لها ، وتعلم منها • وخوض الصراع الفكري بين الخط الصحيح وبين الخط الخاطىء في معالجة المشاكل المتولدة عن الممارسة وفي مجرى للنضال • ان المناضل والمناضلة يصادفان في اثناء الممارسة عددا لا يحصى من السلبيات والنواقص والمشاكل والصعوبات • فكثيرا ما تاتي النتيجة يأسا ، او انحرافا ، او هروبا ، او تخبطا في ارتكاب الاخطاء ، ومن ثم لا يتطوران ، بل يرجعان للخلف •

ان الخط الصحيح هو الذي يمسك بالجوهر في عملية بناء المناضل والمناضلة ولا يهمله من خلال الولع بالشكلي والمظهري او بالغرق في العمل الجزئي • ولهذا فانه لا بد من ان يخوض الصراع ضد نزعة الاهتمام بالمظهري والشكلي ، وضد نزعة الاهتمام بالممارسة الجزئية فيكرس الجمع الحي بين الممارسة وبين العمل السياسي والنظري والفكري • وهو ما يؤدي الى بناء طليعة ثورية حقيقية جادة تصبح قادرة على استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة •

خامسا : النظرة الغليائية الى جماهير النساء :

برزت اتجاهات خاطئة لدى بعض الطليعيات بعد ان اصبن بعضا من المعارف

السياسية والنظرية وانخرطن في العمل مع الطليعيين ، حيث فقدن اللغةالمشتركة مع النساء العاديات واصبحن يضقن ذرعا من معاشرتهن او التحدث معهن بما في ذلك امهاتهن وقريباتهن وجاراتهن • وربما تطرف هذا الاتجاه الى حد يفقد القدرة على معاشرة الزميلات الطليعيات والعمل معهن مؤثرا العمل مع الرجال • ان هذا الاتجاه يمليء غرورا في تقدير نفسه ومعارفه ، ولهذا فهو بعليائـــه الـــى جماهير النساء ويراهن جاهلات ، لا يفقهن شيئا ، ولا يهتممن الا « بالصغائر » •• واذا عمل بين جماهير النساء ، فينزع الى الاستذة •

السؤال الان : اذا كان التطور السياسي والنظري والفكري والتحول الىكادر واع يقود الى مثل هذه النتائج • فاي تطور سياسي ونظري وفكري هو هـــذا ؟ واي وعي هو هذا ؟ انه يعني ان هذا الطراز منالوعي السياسي والنظري والفكري خاطيء من اساسه ، ولا جدوى منه • ويجب ان يخاض الصراع ضده سياسيا ونظريا وفكريا • وذلك انطلاقا من اعتبار ان خطه السياسي خاطيء ، وخطـــه النظري خاطيء ، وخطه الفكري خاطيء • ان الخط السياسي والنظري والفكري الصحيح هو الذي يسمح بايجاد اللغة المشتركةبين الطليعة وبين جماهيرالنساء، ويطور العمل مع الزميلات المناضلات • ويجعله عملا مثمرا منتجا ومريحـــا • ويضرب النظرة العليائية الى الشعب ، ويقاوم نزعة الاستذة على الجماهير • انه الخط الذي يعلم المناضلين والمناضلات كيف يحبون الشعب ليس كمقولة تجريدية وانما كممارســـة فعليـــــة مـــع الافـــراد • ويعلـــــم التواضع فعلا ويرسخ خـــــط التعلـــــم مـــن الشعـــب حتـــى يصبح بالامكان ان يتعلم الشعب من المناضلين • انه الخط الذي لا يسمح للمناضل ان يشعر انه ينزل الى الشعب ليمارس معه ، وانما يكون لديه القناعة والشعور بانه يطلع لعند الشعب حين يمارس معه ، لانه سيذهب حيث توجد الممارسة الغنية والتجارب الكبيرة والافكار السديدة • وهذا ينطبق علىجماهير النساء كما ينطبق على جماهير الرجال • ولهذا عندما نسال كيف يمكن ان تتحقق المهمة المركزيـــة وهي استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة ، اوفي النضال السياسي العام ؟ فان الجواب موجود عند جماهير الشعب رجالا ونساء ، وليس في اي مكان اخر •

هنا ايضا لا بد من انتصار الخط الصحيح ودحض تلك الاتجاهاتالخاطئة•

سادسا : اتجاه العمل مع الرجال :

برز اتجاه يفضل العمل مع الرجال ومشاركتهم نضالاتهم ومهماتهم ولكنليس من منطلق النظرة العليائية ، وانما من منطلق اخر وهو الهروب من الحساسيات التي تنشأ بين المناضلات ، وهروب من صعوبة شق طريق جديد فـــي العمـــل

مع الجماهير النسائية ، واستسهال الذهاب للعمل حيث توجد تقاليدفي الممارسة ويوجد تحديد اوضح للمهمات · كما ان العمل هنا يحتاج من المناضلات التي تحمل مسؤوليات قيادية او اشغال فكرهن في حل المعضلات وتطبيق مبدأ الاعتماد على النفس ، اذ ان الامور جاهزة والمطلوب ايجاد مكان للمشاركة · ان هذا الاتجاه في الواقع يضعهن في موقع التبعية ويكرسها من حيث توهمن انهن حققن « المساواة » و « تحررن » ·وبكلمة انه اتجاه يجعل من عمل اناضلات عملا ملحقا لعمل المناضلين · وان اقصى ما يمكن ان يعمله هو ان يزيد المناضلين عددا ، ولكنه لا يسهم في استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة ·

ان الخط الصحيح في هذا المجال هو مقاومة الهروب من الحساسيات التي تنشأ بين المناضلات ، وانما بالعكس التجرؤ على خوض الصراع الفكري ضدجذورها الفكرية والعمل على اعادة صياغة النفس بالافكار الثورية الصحيحة وبناء علاقات من طراز جديد بين المناضلات· ان هذا يطرح مهمة محاربة النظرة الانانية الفردية ومقاومة روح الغيرة والمنافسة الشكلية ، كما يطرح اهمية ترسيخ خط سياسي صحيح وخط فكري صحيح ، وتبني منهج الاهتمام بالجوهر وبما هو حقيقيوليس بما هو ظاهري وسطحي ·

ان الخط الصحيح في هذا المجال يتطلب مقاومة الهروب من صعوبة شق طريق جديد في العمل مع جماهير النساء ، واستسهال الذهاب للعمل حيث توجد تقاليد في الممارسة ويوجد تحديد اوضح للمهمات ، وانما بالعكس التجرؤ على شق الطريق الجديد وتحمل المسؤوليات وتذليل الصعاب ، واعمال الفكر في حل المشاكل والاعتماد على النفس · والا فليكف كل حديث عن استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة · وليستبدل بشعار مشاركة عدد ضئيل جدا من الطليعيات في الثورة ·

ان الخط الصحيح هنا لا يكون بهذا النوع من الهروب وانما بمواجهة المهمة المركزية وهي استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة · الامر الذي يتطلب مجالا يلحق عمل الطليعيات بتنفيذ المهمات اليومية للمناضلين ، وانما يشق طريقه الخاص في العمل بين جماهير النساء ، ويقوده · ومن خلال هذا الطريق تطلق الطاقات ويتطور الكادر ويرتفع مستواه · وتعبأ الجهود ، بما في ذلك انشاء فصائل مسلحة ، وتصب جميعا في المجرى العام لنضال الشعبكله · وذلك مادام العمل بين جماهير النساء يقوم على اساس النضال من اجل قضية الشعب الثورة والوطن ذاتها ، وعلى اساس استراتيجية الثورة وتكتيكها ذاتهما ·

ان هذا الصراع بين الخطين يحمل طبيعة فكرية وسياسية ونظرية ·

سابعا : ضد النزعة الخدماتية والاقتصادية في التوجه لجماهير النساء :

نشأت نزعة في العمل بين جماهير النساء تعتمد على تقديم الخدمات، والتحريض الاقتصادي · واعتبر ان المدخل للعمل الثوري بين النساء هو التحدث عن مشاكلهن الخاصة ، ومحاولة تقديم الخدمات ومساعدتهن لحل مشاكلهن الاقتصادية،وهنا قامت عمليات التحريض للعمل في المستوصفات ، واقامة المشاغل لتعليم الفتيات مهنا مختلفة ـ طباعة ، حياكة ، تفصيل ـ ولهذا كان التوجه يأخذ طابع الخدمات والممارسة من خلال الخدمات · وطابع التحريض الاقتصادي ، والمساعدة على حل مشاكل اقتصادية ذات طابع فردي او فئوي ضيق ·

تنبع هذه النزعة من سيطرة افكار خاطئة حول النساءفي بلادنا،فمن جهة تركز على الفتيات من خلال اغرائهن بتعلم مهنة ما تضمن « مستقبلهن » · ومن جهة ثانية تعتبر ان النساء لا يتحملن العمل معهن سياسيا ، وبصورة مباشرة · وانما هن بحاجة الى ان يتدرجن معهن رويدا لبينما يصبح بالامكان طرح القضايا السياسية عليهن · انه الاتجاه الذي ينظر الى الشعب وكأنه مجرد معدة جائعة، وانه من غير الممكن الوصول اليه الا عبر التحريض الاقتصادي وهو اتجاه يجنح الى ان ينمي لدى الافراد التفكير بالبحث عن مصلحتهم الخاصة وسبل تأمين مستقبلهم ·

ان الخط الصحيح هو التوجه الى جماهير النساء من خلال العمل السياسي المباشر الذي يتناول القضايا القومية الكبرى التي تهم الشعب ككل ، اي اعطاء الاولوية في النشاط العملي الجماهيري الى القضايا السياسية · بل يجب ان يكون واضحا ان كل نضال اقتصادي وخدماتي لن يحل مشكلة الشعب والوطن،وانما يكمن الحل في معالجة القضايا السياسية المركزية · ولهذا فان ممارسة بعض الاشكال الخدماتية والاقتصادية في النضال يجب ان تكون مصحوبة بنشر الوعي السياسي وبالادراك انها لا تحل مشكلة وانها مجرد اشكال مساعدة مؤقتة ويجب الا تعطي اهمية مبالغا فيها ، او تصبح الشغل الشاغل للافراد ·لان تنمية نزعة تدبير المستقبل الفردي لدى الافراد يؤدي الى الابتعاد عن القضايا السياسية الكبرى · ان التوجه السياسي لجماهير النساء كما لجماهير الرجال يجب أن يتناول مسالة القيام بالثورة وشن النضال العام · ويخطيء كل من يظن ان الشعب مجرد معدة جائعة وانه لا يتحرك الا من خلال مخاطبته بالاشارة الى معدته · ان مسالة النفوذ الاستعماري والاحتلال الصهيوني ، والوضع السياسي العام، ومسائل كرامة الوطن واستقلاله ، ومسالة الجبهة المتحدة من اجل تحقيق اهداف الشعب والثورة والوطن بما في ذلك الثورة الاقتصادية والاجتماعية ···

هي المسائل التي تحظى بالاولوية لدى الشعب ، ويمكنها ان تستنهضه ٠ امـــا المطالب الاقتصادية الجزئية ٠ والخدمات الجزئية ٠ فهي محدودة الاثر ٠ واذا كان لا بد من استخدامها في بعض الاحيان فيجب الا تحظى على الاولويـــة ويجب ان تخضع لاولوية النضال السياسي وتخدمه ٠ ولنتذكر ان السياسة هي « الاقتصاد المكثف » ، وهي التي تكثف كل مشاكل الشعب ، وهي المفتاح لحل تلك المشاكل ٠ فبدون النضال السياسي وبدون الثورة للامساك بالسلطة السياسية فلن يحـــل شـــيء ٠

ان تجربتنا دللت على ان الشعب ـ رجالا ونساء ـ يهتم بالسياسة ولديـــه اهتمام عظيم بالقضايا القومية الكبرى ٠ ومن ثم فان العمل السياسي المباشـــر معه يشكل المدخل الاساسي ٠ ولعل تجربة حركتنا فتح تعطي دليلا ســاطعا على هـــذه الموضوعـــة ٠

هنا صراع بين الخطين ايضـــا ٠

ثامنا : نزعة رفض العمل المنزلي والتافف من تربية الاطفال :

برزت نزعة رفض العمل المنزلي والتافف من تربية الاولاد لدى عددمن المناضلات الطليعيات المتعلمات ٠ لقد ظهرت افكار خاطئة لدى بعض « الطلائع » النسائيـــة جنحت الى احتقار العمل المنزلي ـ الطبخ ، الغسل ، المسح ، الكنس ، الجلـــي ، رعاية الاولاد ـ ٠ فهي تريد ان تعمل خارج البيت ، وهي تريد ان تعملبالسياسة ٠ ولهذا فان شغل البيت ليس شغلها ، وتربية الاولاد تشكل عبئا ثقيلا لا يجـــوز ان تضيع عمرها فيه ٠ ان المسائل الاولى التي يجب ان نلاحظها هنا هي : هل يمكن ان تفكر جماهير النساء في بلادنا وضمن ظروفنا الراهنةعلى هذه الصورة ، وهل يمكن ان تفكر جماهير الفلاحات والعاملات التي يعملن خارج البيت ايضاعلىهذه الصورة ؟ وهل ينبع هذا التفكير من خط الجماهير في بلادنا ام من الفئات الميسورة التي تحل هذه المشاكل عن طريق استئجار الخدمات ـ يفضل التي تعرف انتطبخ ـ وكذلك بالنسبة للنظر الى تربية الاطفال ، وضرورة التحكم بعددهم ، واحد او اثنين على الاكثر لكي يمكن تامين حياة ودراسة ومستقبل جيد له او لهما ٠ هـــل ينبع هذا التفكير من خط الجماهير ؟ طبعا لا بد من ان نسمع النقد اللاذع لجماهير لشعب بسبب انجاب عدد كبير من الاولاد والبنات ، ودون ان «تفكر» بمستقبلهم ، وبتامين حياة ودراسة ومستقبل جيد لهم ٠ ولهذا يجب ان تعرف عقلية من هـــي تلك العقلية التي تأخذ هذا الموقف من شغل البيت ومن تربية الاولاد والانجاب، ويجب الا تهرب الجذور الطبقية لهذه العقلية حين تسيس وتغطي بثوب «يساري» ٠

ان الشعب واقعي وعملي وذكي ، ولا يحاول الافلات من الحقائق الماديةبقفزات في الهواء • ان الذين يفكرون « بالافلات » هم المثقفون البرجوازيون الخياليون • ان الشعب يدرك ان شغل البيت مسالة ضرورية في ظروفنا ولا بد من القيام به، ولا فائدة من نزعة التذمر والتأفف او من محاولة الهروب ، ويدرك ان تربية الاولاد والاكثار منهم مسالة ضرورية ليستطيع مواجهة الصراع الذي يخوضه • لقد اثبتت تجربة الثورة الفلسطينية والحرب الاهلية في لبنان كم شعبنا ذكي وواقعي حين يكثر من انجاب الاولاد • وكم هم اغبياء اولئك الذين يظنون انهم « متعلمون » •

اذا كان النمط الخاطىء من التفكير هو الذي سيسود بين « الطليعيات»،فكيف يمكن أن تطرح على الشعب مسالة القيام بالثورة • فهل يمكن للشعب ان يحمل هذا النمط من التفكير ، حين يكون هذا هو التفكير المناسب لمن يخوض النضال ؟ ان الطليعة الثورية يجب الا تشذ عن جماهير الشعب في علاقتها بالبيت والاولاد • وفي الواقع ، ان هذه المشكلة لا تطرح عندما تنبع الطليعة من قلب الجماهير الكادحة ، انها تطرح حين تأتي الطليعة من الفئات الميسورة •

قد تثار في هذا المجال حجتان : الاولى مسالة الوقت ، بمعنى ان شغل البيت وتربية الاولاد والانجاب يعوق عمل المناضلة ، ولا يجعلها تعطي الوقت الكافي لممارسة مهماتها • ولكن الا يثار الشيء نفسه بالنسبة لجماهير العمال والفلاحين الذين يكدحون في بلادنا اكثر من عشر ساعات لكل يوم ، فهل يمكن ان يطرح عليهم أن يصبحوا مناضلين بينما يستمرون في القيام بعملهم الذي يعيشون منه؟ ان الشيء الطبيعي أن يعالج الوضع ضمن هذه الحالة لا الهروب منها • اما الحجة الثانية فهي رتابة شغل البيت وما يولده من خمول فكري • هذا صحيح ولكن هل معنى ذلك ان نتجه لرفضه بصورة خيالية لا تأخذ بعين الاعتبارالحقائق المادية الملموسة لظروفنا ؟ وكيف يمكن ان نشرع في معالجة هذه المسألة ولم تحقق بلادنا تحررها الكامل من الامبريالية ، ولم تحرر فلسطين ، ولم توحد وطنهاولم تنجز ثورتها القومية الديمقراطية ؟

هنا ايضا خطان فكريان وسياستان ومنهجان ، ولا بد من ان يتصارعا •

تاسعا : النظرة السطحية للانسان والحياة :

ثمة اتجاه سائد لدى المناضلين حين يفكرون بالزواج هو البحث عن الشكل في الفتاة التي سيختارونها • وثمة اتجاهات سائدة اخرى لدى الفتيات هي البحثعن الشكل ايضا ، وعن الاستقرار ، وتأمين اثاث جميل للبيت • بل ان الثقافة السائدة

فيما بين الفتيات انفسهن حين ينظرن الى بعضهن البعض تقوم على اســــاس ملاحظة الشكل بدرجة عالية من الاهتمام ٠

انها النظرة التي تعطي الاولوية لما هو ظاهري وسطحي وليس لما هو جوهــري وحقيقي في الانسان ٠ وانها ولا شك نظرة تنبع من افكار ومفاهيم الطبقات الميسورة المستغلة تاريخيا ٠ فالعبيد في المجتمع العبودي لا يملكون ان يفكروا بهذه الطريقة٠ انها نظرة الاسياد المرفهين ٠ وكذلك الحال بالنسبة للاقنان والاقطاعيين ولجماهير العمال والفلاحين الفقراء من جهة وللرأسماليين والميسورين من جهة اخرى ٠ ولكن هذه النظرة ، بحكم سيطرة الاسياد ، والاقطاعيين والرأسماليين ، علــى السلطة السياسية والاقتصادية والثقافية اصبحت النظرة السائدة اجتماعيـا ٠ وهذا يفسر لماذا يفكر بعض فئات من ابناء الشعب الكادح على هذه الطريقــة ٠ وهذا يفسر لماذا يحمل المناضلون والمناضلات الامزجة والافكار النابعة من هــذه النظرة ، وذلك على الرغم من انهم يكافحون ضد مفاهيم وافكار ونظرات هــذه الطبقات ٠ فهم في الوقت الذي يرون ان عليهم وضع قضية الثورة في المقدمة ،وضع خدمة الشعب في المقدمة يظلون غير متنبهين ، او غير قادرين ، على جعل قضيـــة الثورة وخدمة الشعب هي المعيار في الحكم على الانسان والحياة ، وذلك بحيث يرون ان ما هو جوهري وحقيقي في الانسان ومن ثم ما هو جميل ورائع حقا ، انما هو ارتباطه بقضية الثورة وخدمة الشعب ومدى ما قطع عمقا وعرضا بافكـــاره وممارسته ومزاجه ونفسيته في السير على هذا الطريق ٠ فلا تعود المظاهـــــــر الخارجية و « البراقة » هي التي تسترعي انتباهه وتستحق اهتمامه وتشد اعجابه، وتجتذب عواطفه ٠ ان هذه المسألة هي مسألة خط فكري بكل ما تحمل الكلمة من معنـــى ٠

اذا كان مقياس ما هو جميل وما هو قبيح يرتبط بالشكل الخارجي بتقاسيـــــم الوجه ، ونعومة البشرة ونقائها ، ورشاقة القد ، وبالثياب والاناقة والنظافــة والاثاث الفخم ، فهل علينا ان نرى فلاحي صعيد مصر او اهوار العراق او غور الاردن الذين يغوصون في الطين وقد تشققت ارجلهم وجعد لفح الشمس وجوههم ودمل المحراب والرفش ايديهم ،فهل علينا ان نراهم قبيحين ونرى الموسرين متألقين فتأنف من اولئك ونلهث وراء هؤلاء ؟ ام علينا ان نرى الجمال في اليد التي تحرث وهي مشققة لا باليد الكسولة وهي ناعمة ؟ وهل تذهب عواطفنا الى هنا ام الى هناك؟
ثم هل نرى الجمال والروعة في الانسان المناضل الذي يكرس حياته للشعـــب ويتمتع بالمزايا الثورية بغض النظر عن شكله ومظهره وما تملك يداه من متـــاع زائف ٠ ام نرى الجمال والروعة في الشكل والمظهر والمتاع البراق ٠ والى ايـــن يجب ان تذهب عواطفنا ؟ هل نترك لامزجتنا التي كونتها الثقافة السائدة ان تمضي

بلا عمال ، ام علينا ان نعيد صياغتها بالثقافة الثورية والافكار الصحيحة ٠

انها مسألة صراع فكري ، ولكنه في هذه المرة يحتاج الى جهد مضاعف ٠

القيام بالتحقيقات بين جماهير النساء :

ان الانتقال بنشاط الطليعة النسائية من الخط الخاطىء الى الخط الصحيح، وذلك من خلال جعل قضية الثورة والشعب والوطن هي القضية الاساسية بالنسبة لنضال المرأة ، ومن خلال جعل المهمة المركزية للطليعيات ليس «تحرير» انفسهن، وانما استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة ومن خلال اعطاء الاولوية للعمل السياسي المباشر لا للاقتصادية والخدمتية ٠

ان عملية الانتقال هذه تتطلب من المناضلين والمناضلات الطليعيات في حركتنا فتح وفي الثورة الفلسطينية وفي القوى الوطنية والثورية العربية ، القيام بسلسلة تحقيقات من اجل فهم شعبنا وجماهير نسائه ، واستخلاص الافكار السديدة عبر هذه التحقيقات من اجل ان يصبح بالامكان القيام بالمهمة المركزية المذكورة ٠

هنا يمكن ان نتذكر دائما الموضوعة التالية : « من الافضل ان تتقدم الف امرأة شبرا نحو الثورة من ان تتقدم عشرة طليعيات الف متر » ، ان ادراك هذه الموضوعة يجعل من الممكن الا تنعزل الطليعة عن جماهير النساء ، من الممكن ان توجه التحقيقات بشكل يسمح باستنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة باشكال متعددة ، بما في ذلك ، في ظروف عدم امكانية خروجهن من البيوت للعمل في المستوصفات او الكمائن ، او حضور الاجتماعات الموسعة ٠ اما الاتجاه الذي لا يتعب نفسه باجراء التحقيقات الضرورية ، ويطرح اشكالا معدة سلفا لنضال جماهير النساء ، فسوف يرتطم بواقع بلادنا ، وينكفىء على نفسه يائسا من استنهاض جماهير النساء ما دمن لا يستطعن الخروج من البيت كما يفعل هو ٠

ان الخط الصحيح الذي يقوم بالتحقيقات الضرورية لالتقاط خط الجماهير رجالا ونساء ، ولكي يتعلم كيف يسلك ، وكيف يفكر ، كيف يمارس ويتصرف ، اي قرارات يرفع ، ما هي اشكال النضال المناسبة ، وكيف يمكن ان تشارك جماهير النساء في الثورة ضمن ظروفهن المحددة في بلادنا ٠

هنا ايضا صراع بين خطين ٠

التصلب كمناضلات حقيقيات :

ان تبني الخط السياسي الصحيح والخط الفكري الصحيح من جهة ، وتبني

الموضوعات المذكورة حول خط العمل بين جماهير النساء . من جهة اخرى سوف يؤدي بالطليعة النسائية في حركتنا فتح وثورتنا الفلسطينية والعربية الى الصلب كمناضلات جادات حقيقيات يتصفن بالمبدئية والعقائدية ، فلا تصبح المشاركة في الثورة بالنسبة لهن عملا سطحيا او شكليا ، ولا تصبح علاقتهن بالنضال مرورا عابرا ،وانما تصبح رحلة عمر باسره ، وتصبح الثورة اهم شيء في حياتهن،ويصبح النضال بين صفوف الجماهير لنيل ما يستحق ان يعيش المرء من اجله ، فلا يغريهن شيء من بهرج الحياة عن النضال ، ولايخيفهن اية تضحية .

ويؤدي ذلك ايضا الى ان يعتمدن على تحمل المشاق ، والتجرؤ على خوض النضال الشاق ، ويصبحن مستعدات لاعادة صياغة انفسهن فيفرضن احترامهن على الجميع ليس بمسلكهن وجديتهن فحسب ، وانما ايضا ، بتطور افكارهن وقدراتهن المبدعة في النضال وفي استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة .
ولكن السير على هذا الطريق سوف يتطلب خوض الصراع ضد الافكار الخاطئة التي تولد ممارسات مائعة ، وغير مسؤولة ، وبعيدة عن الاخلاق الثورية،والتي تولد عادة الاغتياب ، ونفسية الحسد ، والنظرة المظهرية والذاتية والجزئية ، والجنوح الاناني ، ورفض قبول بروز مسؤولات وقائدات بين صفوفهن ، والتي تولد العليائية والاستذة في النظر الى جماهير النساء ومعاملتهن ، وتولد عقلية العزلة ، والشلة ، واليأس من العمل بين النساء ، وتولد الاستعداد لاقامة علاقات مائعة مع الشباب ، وتسمح لهم ان يعاملوهن بلا جدية وبلا احترام حقيقي .

انها اذن عملية صراع طويلة ولكن لا بد من خوضها بمبدئية وشجاعة ، حتى ينتصر الخط الصحيح وينهزم الخط الخاطيء والمنحرف .

انهن حين يفعلن ذلك يصبحن جديرات باسم الطليعة ، وبشعبهن ووطنهن ويصبحن جديرات بان يكن حفيدات نسيبة بنت حرب ، وام سليم الانصارية وخولة الكندية .

تقـرير

الأرض المحتـلة : انتفاضـة مستمرّة

تعيش الارض المحتلة انتفاضة شبه مستمرة منذ مايزيد على سنتين ، اي منذ انتفاضة تشرين الثاني « نوفمبر » ١٩٧٤ حتى الان · ولم تتميز هذه الانتفاضة بقدرتها على الاستمرار هذه الفترة غير القصيرة فقط ، بل تميزت بعدة ميزات اخرى منها ، شمولها عرب الارض المحتلة في العام ١٩٤٨ واكتسابها المزيد من الزخم والفعالية يوما بعد يوم · لقد اسقطت انتفاضة شعبنا في الارض المحتلة مراهنات العديد من القوى العربية والدولية التي كانت تراهن على وضع عرب الداخل في مواجهة منظمة التحرير الفلسطينية ، بتنمية مطامع ذاتية لقيادات محلية معروفة بارتباطاتها مع بعض الانظمة العربية · لقد اسقطت الجماهير بانتفاضتها الكثير من الرموز السياسية التي حاولت ان تستعيد مواقعها المنهارة بعد الضربة التي تلقتها حركة المقاومة الفلسطينية في الاردن في ايلول « سبتمبر» ١٩٧٠ · والان وامام تجدد محاولات هذه الرموز العميلة استعادة مواقعها مجددا بعد النتائج التي اسفرت عنها الحرب الاهلية الوطنية في لبنان ، تقف جماهيرنا في الارض المحتلة بقوة في وجه هذه المحاولات مؤكدة على ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ·

عندما اندلعت الانتفاضة في تشرين الثاني « نوفمبر » ١٩٧٤ ظن البعض ان هذه الانتفاضة لن تتعدى كونها طفرة سياسية ، ونوعا من المشاركة في التظاهرة السياسية التي رافقت الحضور الفلسطيني في الامم المتحدة · ولكن تتالي الاحداث خطأ حسابات هذا البعض ، فاستمرت الانتفاضة ليس كطفرة سياسية او كحركة احتجاج ضدالسلطات الاسرائيلية المحتلة ، بل كتعبير واع عن الارادة الشعبية لجماهيرنا في الارض المحتلة ضد كل السياسات التي تستهدف اغتيال نضالات شعبنا وفرض الحلول القسرية اللاوطنية للمسألة الفلسطينية ·

لقد استمر التحرك الجماهيري في الارض المحتلة بعد انتفاضة تشرين الثاني « نوفمبر »عبر اشكال متعددة : مسيرات، تظاهرات، منشورات ،اعتصامات نسائية في المجالس البلدية والجوامع، اضافة الى الاعمال العسكرية التي اكتسبت زخما وقوة خلال النصف الاول من العام ١٩٧٥ · لقد شكل التحرك الجماهيري هذا مقدمات للانتفاضة الثانية الكبرى بعد حرب تشرين ، والتي بدأت في اواخر العام ١٩٧٥ كحركة احتجاج ضد الاستيطان الصهيوني، ثم بلغت ذروتها خلال شهري اذارونيسان من العام ١٩٧٦ بالتحرك السياسي النشط لعرب المثلث والجليل ضد محاولات العدو الاسرائيلي الاستيلاء على مساحة كبيرة

من اراضي عرب الجليل ٠

امتازت هذه الانتفاضة بعنفها وبتطور ورقي اشكال النضال الجماهيرية ، كما امتازت بتحريكها السياسي لاوسع الجماهير من جميع الطبقات الوطنية في الارض المحتلة ، اضافة الى شمولها معظم الارض الفلسطينية (انظر مقالنا، دروس الانتفاضة ، شؤون فلسطينية ، العدد ٥٧ ») ٠

لقد برهنت هذه الانتفاضة ان قدرة جماهيرنا في الارض المحتلة على التحرك تفوق كل التقديرات ، وان هذه القدرة تكتسب المزيد من الفعالية والزخم يوما بعد يوم ٠ وهذا ما اكدته الاحداث التي تلت هذه الانتفاضة ، وتحديدا احداث الانتفاضة الثالثة بعد حرب تشرين ١٩٧٣ ٠

الانتفاضة الكبرى الثالثة

لقد بلغت الانتفاضة الثانية ذروتها خلال شهري اذار ونيسان الماضيين ، ولم تتوقف بعد ذلك ، بل استمرت باشكال من النضال مختلفة حتى كانت الانتفاضة الثالثة التي بلغت ذروتها خلال شهر كانون الاول « ديسمبر » ١٩٧٦ ، وتتالي الاحداث يجعل من الصعب الفصل ـ زمنيا ـ بين الانتفاضتين الثانية والثالثة ٠ ولذا فان الفصل هنا لا يتعدى تمييز وصول التحرك الجماهيري الى الذروة واكتسابه سمات معينة ٠ فالانتفاضة الثانية كانت تعبيرا عن مقاومة اوسع جماهيرنا للاستيطان الصهيوني اضافة الى اشكال التعبير السياسية الاخرى مثل تاكيد الولاء لمنظمة التحرير الفلسطينية ورفض مشاريع الحلول اللا وطنية للمسالة الفلسطينية ٠

اما الانتفاضة الحالية فقد كانت تجميعا لعوامل عدة انفجرت دفعة واحدة في انتفاضة عمت كل مدن وقرى الضفة الغربية وشاركت فيها اوسع الجماهير ٠ فاضافة الى ان هذه الانتفاضة كانت في احد مظاهرها تعبيرا عن استمرار التحرك الجماهيري العام ضد السلطات المحتلة فانها كانت فيءاهم مظاهرها تعبيرا عنرفض الجماهير لسياسات هذه السلطات على الصعيد الاقتصادي وخاصة ضريبة القيمة الاضافية ، اضافةاليتاكيد استمرار المقاومة الجماهيرية للاستيطان الصهيوني والنيل من شرعية تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية للشعب الفلسطيني ٠

كان العامل الذي دفع بالانتفاضة الى ذروتها اصرار السلطات الاسرائيلية المحتلة على تطبيق قانون ضريبة القيمة الاضافية اعتبارا من ١ـ١٢ـ١٩٧٦ ٠ لقد اقرت السلطات الاسرائيلية المحتلة فرض هذه الضريبة والبالغة ٨٪ اعتبارا من ١ـ٧ـ١٩٧٦ ، الا انها اضطرت الى ارجاء تطبيقها اكثر من مرة بسبب المعارضة الجماهيرية الواسعة لها ٠ فارجاتها اول مرة الى الاول من اب « اغسطس » الماضي ثم الى الاول من ايلول «سبتمبر» الماضي ، وظلت تؤجلها حتى الاول من كانون الاول « ديسمبر » ١٩٧٦ ، وذلك على امل ان يساعد تاجيلها في الحد من التظاهرات التي كانت تعم الارض المحتلة٠ غير ان التظاهرات لم تتوقف ، لان اسباب التظاهر كانت ابعد من موضوع ضريبة القيمة الاضافية ، ولهذا وامام فشل سياسة التاجيل في الحد من التحرك الجماهيري اصرت السلطات الاسرائيلية المحتلة على تطبيقها ورفضت النداء الذي وجهه الياس فريج ، رئيس بلدية بيت لحم والتاجر الكبير ، الى السلطات العسكرية الاسرائيلية بارجاء جمع الضريبة الى شهر نيسان « ابريل » القادم (المحرر ٤ـ١٢ـ١٩٧٦) ٠ وعليه فقد اقرت الغرف التجارية في الضفة الغربية الدعوة الى

اضراب عام مفتوح في كل مدن وقرى الضفة الغربية اعتبارا من ٦ــ١٢ــ١٩٧٦ احتجاجا على فرض ضريبة القيمة الاضافية · وصباح يوم ٦ــ١٢ عم الاضراب معظم مدن وقرى الضفة الغربية فكان شاملا مدن الخليل ونابلس ورام الله وجنين وطولكرم اضافة الى عددمن القرى· وفي نابلس اغلقت المدارس وجرت تظاهرة كبيرة في المدينة · قام خلالها المتظاهرون باحراق اطارات السيارات لاغلاق الطرق، كما قاموا برشق الجنود الاسرائيليين بالحجارة وهتفوا مؤيدين لمنظمة التحرير الفلسطينية ·

وفي ٧ــ١٢ استمر الاضراب لليوم الثاني ، وازدادت التظاهرات حدة وعنفا ولا سيما في مدينة نابلس ، حيث اعلنت السلطات الاسرائيلية حظر التجول في الحي القديم من المدينة · ومما زاد من حدة التظاهرات وعنفها في مدينة نابلس مصادرة الجيش الاسرائيلي لارض تبلغ مساحتها ٣٠٠ دونما تقع في خراج قرية طلوزة · وكانت السلطات الاسرائيلية قد صادرت ايضا قطعة اخرى من الارض فوق هضبة تشرف على بيت جالا خلال الشهر الماضي من اجل بناء حي يهودي هناك وقد احتج اهالي بيت لحم على هذا الاجراء في حينه · وفي ٨ــ١٢ بعث رئيس بلدية بيت جالا بمذكرة الى كورت فالدهايم طالبه فيها بالتدخل لوقف الاجراء الاسرائيلي ·

وفي ٩ــ١٢ ، استمر الاضراب لليوم الرابع على التوالي في معظم المدن والقرى وجرت تظاهرات في عدة مدن ، وكانت اعنف هذه التظاهرات في مدينة نابلس ، حيث اقام المتظاهرون حواجز على الطرق ورجموا السيارات الاسرائيلية بالحجارة · وفي رام الله جرت تظاهرة عنيفة اقام المتظاهرون خلالها الحواجز على الطرق ورشقوا السيارات الاسرائيلية بالحجارة ·

وفي ١١ــ١٢ فرضت السلطات الاسرائيلية حظر التجول على مدينة نابلس باكملها وشنت حملة اعتقالات واسعة · وفي ١٢ــ١٢ ، كان الاضراب شاملا وعم جميع مدن وقرى الضفة الغربية بلا استثناء · وكانت قد جرت امس محاولة من بعض التجار لفتح متاجرهم الا ان المتظاهرين اجبروهم على اقفال متاجرهم بالقوة · « السفير ١٣ــ١٢ »ومع الاضراب الشامل عمت التظاهرات من جديد معظم المدن، وذكرت وكالة الصحافة الفرنسية في القدس « ان عوامل عدة تنذر بتصاعد العنف من جديد ، من بين هذه العوامل ، استيلاء السلطات العسكرية الاسرائيلية على مساحات جديدة من الاراضي في الضفة الغربية والتصويت في الامم المتحدة علىاشتراك منظمة التحرير اللفسطينية في مؤتمر جنيف ورغبة الشبان في تأكيد تأييدهم للمنظمة » (السفير ١٣ــ١٢) ·

واضافت الوكالة « ان شبانا من نابلس انتشروا منذ الصباح في شوارع المدينة القديمة وهم يرددون شعارات مناهضة لاسرائيل · واقاموا المتاريس في الشوارع واحرقوا اطارات السيارات كما تصدوا بالحجارة للسيارات والقوات الاسرائيلية » · وقد جرى تعزيز القوات الاسرائيلية في مدن وقرى الضفة الغربية لمواجهة الوضع المتفجر ·

في ١٣ــ١٢ استمر الاضراب والتظاهر وشملا مدينة القدس، حيث جرت تظاهرةعلى طريق رام الله بالقرب من قلندية ·

وقد اقيم في قيادة الشرطة الاسرائيلية بالقدس مركز عمليات خاص ، لمواجهة التطورات (ر٠٦٠١٠ العدد ١١٠٠) ·

في ١٤ــ١٢ اتسعت الانتفاضة وكانت شاملة كل المدن والقرى · وحيال ذلك شددت السلطات العسكرية الاسرائيلية اجراءاتها وارسلت تعزيزات كبيرة الى

المدن الرئيسية حتى تلك التي لم تصلها التظاهرات بعد ، فيما منعت هذه السلطات مراسلي الصحف وشبكات التلفزيون الاجنبية من دخول مناطق الاضطراب (السفير ١٥ـ١٢) • وذكر راديو اسرائيل ان اعمال شغب كبيرة وقعت صباح اليوم في رام الله حيث اقام المتظاهرون الحواجز وقذفوا السيارات بالحجارة • واضاف الراديو ، «ان اعمال الشغب التي يقوم بها الطلبة تلقى تشجيعا من جانب اعضاء مجلس البلدية وغرفة التجارة » • وفي القدس جرت تظاهرة كبيرة ووصف راديو اسرائيل الوضع في القدس بقوله : « هكذا بدت الصورة صباح اليوم في مدارس القدس القديمة ، مجموعات من الطلبة تجمعت في البوابات وكأنهم جمعوا قبل يوم ، بعضهم يحمل اطارات السيارات الى الشوارع، وتحت غطاء نيران الاطارات تتطاير الحجارة في كل الاتجاهات وخاصة باتجاه السيارات ، واليوم ظهرت ادوات جديدة للاستعمال في اعمال الشغب •• فقد وضعت صناديق القمامة فيعدة اماكن وتم افراغها في الشارع ثم احراقهاليكون هناك خليط من نار الاطارات ونار القمامة » • واضاف الراديو « انه تم اعتقال خمسة طلبة اضافة الى فتاة كانت تحرض الشباب » •

بالاضافة الى صناديق القمامة ، لجأ المتظاهرون الى اسلوب اخر لعرقلة السير على الطرقات • وذلك بالقاء الوقود الممزوج بالزيوت على الطرقات ثم اشعالها وقد ادى هذا الاسلوب الى حوادث تصادم واسعة على الطرق وخاصة على طريق القدس ـ رام الله •

في ١٥ـ ١٢ كان يوم الاضراب الكبير والعام ، حيث شمل الاضراب جميع مدن وقرى الضفة الغربية مما ادى الى توقف المواصلات واصابة المدارس والنشاطات التجارية بشلل تام • واضطرت سلطات الاحتلال الى دفع عدد كبير من قواتها الى رام الله لتفريق التظاهرات فيها والتي بلغت حدا من العنف لم تعرفه منذ بداية الانتفاضة الجديدة • وقد فرض حظر التجول في وسط المدينة وفي مخيم قلندية• واستخدمت القوات الاسرائيلية الرصاص وقنابل الغاز لتفريق المتظاهرين •

وذكرت وكالات الانباء ان النساء والفتيات وقفن على سطوح المنازل ونوافذها لابلاغ المتظاهرين الاتجاه الذي تسير فيه القوات الاسرائيلية التي راحت تشن حملات مطاردة سريعة في مدينة لا شوارع ضيقة فيها تتيح للمتظاهرين امكان الاختفاء والكر والفر السريعين « النهار ١٦ـ١٢ » •

لقد عمت التظاهرات اليوم معظم مدن وقرى الضفة الغربية ، وكان الوضع كما وصفته المصادر الاسرائيلية « غاية في التفجر والغليان » • وقد قامت السلطات الاسرائيلية باعتقال عدد كبير من الشبان والفتيات بتهمة اشتراكهم بالتظاهرات •

١٦ـ١٢ استمر اليوم الاضراب الشامل في الضفة الغربية واستمرت التظاهرات في معظم المدن والقرى • وقد عقدت الغرفة التجارية في غزة والضفة الغربية اجتماعا اليوم لتقرير خطواتها المقبلة ضد ضريبة القيمة الاضافية • وكان الامر البارز في احداث اليوم ، هو الاجراءات التياتخذتها السلطات الاردنية • فقد اصدرت وزارة الزراعة الاردنية تعليمات يسمح بمقتضاها ادخال منتجات الضفة الغربية ولكن لا يسمح بنقلها بعد ذلك الى دول عربيةاخرى وبصفة خاصة الى دول الخليج العربي• وواضح ان هذه الاجراءات الاردنية تستهدف الضغط على الاهالي في الضفة الغربية لايقاف اضرابهم وعدم معارضة السياسات الاردنية •

الانتفاضة ميزات وابعاد

يتضح من سرد يوميات الانتفاضة ، والتي لم تتوقف بعد ، انها كانت شاملة لجميع مدن وقرى الضفة الغربية ، وانها امتازت بعنفها وبابتكار اساليب جديدة وفعالة لمواجهة القوات الاسرائيلية واساليبها القمعية ، كما امتازت ايضا باشتراك المرأة الواسع والنشط فيها ·

ومن حيث ابعاد الانتفاضة ، فعلى الرغم من ان ضريبة القيمة الاضافية شكلت احد اهم عناوين الانتفاضة وحركت الاطار الواسع من التجار لاول مرة ، فان الطابع السياسي للانتفاضة كان طاغيا · فقد اكدت وكالات «الانباء» ان الاضراب الشامل اعطى حركة الاحتجاج ضد الوجود العسكري الاسرائيلي طابعا سياسيا واضحا · واعترفت الصحف الاسرائيلية « ان سبب الاضرابات التي تعم المناطق المحتلة منذ اسبوعين سياسي اكثر منه اقتصادي » · ويتضح هذا الطابع السياسي للانتفاضة من الشعارات التي كان يرفعها المتظاهرون ، فالشعارات كانت تركز على استنكارها لتحركات النظام الاردني وتأييدها لمنظمة التحرير الفلسطينية ·وقد ظهرت هذه الشعارات مكتوبة على الجدران في اكثر من مدينة وقرية وتصدرت معظم المناشير التي وزعت خلال الانتفاضة ، اضافة الى ذلك فقد حرص رؤساء المجالس البلدية الذين ادلوا بتصريحات خلال الانتفاضة على ابراز هذا الموقف · فقد اكد رؤساء المجالس البلدية في تصريحاتهم على رفض اقتراح يتسحاق رابين تشكيل وفد منهم ينضم الى الوفد الاردني في جنيف · واكد فهد قواسمة وكريم خلف وحلمي حنون رؤساء بلديات الخليل ورام الله وطولكرم ، ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ·

لقد كانت الانتفاضة ايضا تعبيرا عن مقاومة الجماهير لتحركات عملاء النظام الاردني في الضفة الغربية الذين نشطوا مؤخرا مروجين لسياسات النظام الاردني وقد نددت صحيفة الشعب بهؤلاء العملاء « وبنشاطاتهم » وقالت ان هؤلاء « ينسون ان منظمة التحرير الفلسطينية قد حصلت على مركز مهم في جميع انحاء العالم وان لها ما يشبه الان السفارات في دول عديدة ومراقبين لدى الامم المتحدة » ·

وهكذا في الوقت الذي تجري فيه محاولات عديدة لاغتيال القرار الوطني الفلسطيني ، فان جماهيرنا داخل الارض المحتلة تقف بقوة تدعم الموقف الوطني الفلسطيني ، مؤكدة على ولائها وتأييدها التام والشامل للسياسات الوطنية لمنظمة التحرير الفلسطينية ·ولقد جاءت الانتفاضات المتتالية لشعبنا هناك لتسقط مراهنات كل القوى التي كانت تبني اوهاما واحلاما على فصل الثورة داخل الارض المحتلة عنها خارجها ، ولتؤكد ان ثورة شعبنا في الداخل والخارج واحدة وتصب في مجرى واحد، هو المجرى الوطني الفلسطيني · وكما قال احد القادمين مؤخرا من الارض المحتلة « ان الداخل يتحرك بشكل يفوق اية تقديرات سابقة ، وما يجري الان داخل الارض المحتلة ، ليس مجرد طفرة سياسية او حركة احتجاج كما قد يتراءى للبعض انه امر اعمق من ذلك بكثير ، انه انتفاضة شارك وتشارك فيها اوسع الجماهير وتكتسب المزيد من الزخم والعمق والفعالية يوما بعد يوم ، وهي انتفاضة قد تقلب الكثير من معادلات التسوية التي يجري اختبار تنفيذها الان » ·

غازي الخليلي

تقـــريــر

حول الرّد عـلى الجيب الانعزالي في الجنوب

اتسم الوضع في جنوبي لبنان خلال القسم الاول من الحرب الاهلية اللبنانية من نيسان الى كانون الاول ١٩٧٥ بهدوء نسبي . فلقد خفف الجيش تواجده في المناطق الحدودية وسحب عددا من الوحدات ليكثف قواته في المدن والنقاط الحساسة ، بعد ان تحول الى قوة رديفة لقوى الامن وتوزع على شكل مجموعات مبعثرة في مختلف ارجاء البلاد . وادى هذا الهدوء في كثير من الحالات الى هجرة معاكسة ، قامت بها العائلات الجنوبية التي نزحت في السنوات الماضية من قراها تحت ضغط الردع الاسرائيلي وسوء الحالة الاقتصادية وتدهور مستوى الخدمات في الجنوب لتشكل حزام البؤس حول العاصمة ، اذ بدأت هذه العائلات بترك الاحياء الشعبية المعرضة للقصف ، واعادة النساء والاطفال والشيوخ وبعض الشباب الى قراهم الاصلية ، رغم بقاء المسلحين في مواقعهم لممارسة دورهم القتالي داخل الحركة الوطنية .

ولم تقم القوى اليمينية بأي محاولة لتسخين الجنوب طوال هذه الفترة . فلقد كانت تعرف ان ميزان القوى مائل ضدها . وان المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية تسيطران على الجنوب ، وتحظيان بدعم جماهيري واسع . وقبلت المقاومة والحركة الوطنية صيغة التعايش ، وغدت القرى المسيحية في الجنوب اشد امنا من العاصمة وضواحيها ، الامر الذي جعل الكثير من المسيحيين القاطنين في بيروت، والمنحدرين اصلا من هذه القرى ، يعودون الى قراهم بانتظار انتهاء الحرب . ولقد استمر هذا الوضع حتى بعد سقوط الجية والدامور ، وما رافقه من ذعر استغله اليمين لتأجيج المسألة الطائفية واستثارة مخاوف المسيحيين .

وظهرت البؤرة الانعزالية الاولى في الجنوب بعد سقوط ثكنات الجيش بيد جيش لبنان العربي في الاشهر الاولى من العام ١٩٧٦ . فلقد انسحب الجنود المسيحيون من هذه الثكنات في اذار مع اسلحتهم وعدد من الملالات ، وتجمعوا في القليعة ، خاصة وان هذه القرية مسلحة اساسا ، وينحدر منها عدد كبير من الجنود . والتف حول الجنود المتجمعين مجموعات من المسلحين القرويين المعبأين طائفيا ، والمنسجمين عاطفيا وفكريا مع السلطة والمجموعات الانعزالية المتحالفة معها .

وبقيت القليعة في وضع الدفاع وشكلت نوعا من «الغيتو» المسلح حتى حزيران ١٩٧٦ ، وبدأ الصدام بين دمشق من جهة والمقاومة وجيش لبنان العربي والحركة الوطنية . وعندما انسحبت اعداد من الفدائيين ومقاتلي الاحزاب الوطنيةوجيش

لبنان العربي من الجنوب لدعم الجبهات الاخرى ، اختل ميزان القوى في الجنوب، وبدأت القليعة عملياتها التعرضية، وظهرت جيوب انعزالية اخرى في القرى المسيحية (علما الشعب ، رميش ، دبل ، عين ابل ... الخ.) • وايدت اسرائيل هذا التحرك الذي يشغل المقاومة والحركة الوطنية من جهة ، ويخلق حزاما امنيا على حدودها من جهة اخرى ، ثم انتقلت من التأييد الخفي الى التأييد العلني وسياسة «السياج المفتوح» (انظر الدور الاسرائيلي في احداث لبنان ، عدد ٦٠ شؤون فلسطينية) مستندة في ذلك على مرتكزات مادية تتمثل بالقرى الانعزالية المسلحة التي امكن دعمها فيما بعد بمقاتلين انعزاليين سحبوا من الجبهات الاخرى ، ودفعوا الى الجنوب عبر اسرائيل التي سلحتهم ورفعت مستواهم التدريبي لتحقيق اغراضها الامنية الخاصة (انظر ثمانية مكاسب اسرائيلية من الحرب الاهلية في لبنان ، عدد ٦٠ شؤون فلسطينية) •

وهكذا استغلت اسرائيل الفراغ الامني النسبي للتسلل العسكري غير المباشر الى الجنوب (الذي تحول بعد ذلك الى تدخل مباشر) ، كما استغلت الاوضاع التموينية والصحية والادارية المتدهورة للتسلل النفسي عن طريق تقديم المحروقات والمواد الغذائية وشراء المحاصيل واستقبال المرضى وتنظيم البريد • واصبح الجنوب منطقة صدام ساخنة بعد ان طرحت جبهة الكفور فكرة «تحرير الاراضي اللبنانية من الجنوب» •

وتصدت المقاومة والحركة الوطنية وجيش لبنان العربي لهذا الوضع ، فقامت على الصعيد العسكري بمحاصرة الجيب الانعزالي ، ولكن ميزان القوى القائم آنذاك ، وانشغالها في معارك الجبل وبيروت وجزين جعلها تكتفي بالدفاع ازاء الهجمات اليمينية المتكررة التي ادت الى سيطرة الانعزاليين على الطرق الواصلة بين القرى المسيحية ، وتهديد القرى الاخرى •

اما على الصعيد الاقتصادي ـ الاجتماعي ـ الطبي ، فقد اخذ التصدي شكل تدابير وقائية لتدعيم صمود قرى الجنوب ، مع الاستناد الى المقولة الوطنية التي تؤكد ان **اسرائيل عدو وطني وقومي، وان التعامل معه ـ مهما كانت الاحوال ـ خيانة عظمى تعرض مرتكبها للمسؤولية الجرمية • وان افتعال الأحداث من قبل اليمين هو الذي ادى الى توتر الموقف ، وعرض حياة سكان القرى المسيحية للخطر ، وليس العكس •**

ففي ٢٦ـ٨ـ٧٦ صادرت قوات الامن الشعبي في مرجعيون كميات من البصل والبطاطا والقراريج والصابون والسمون والزيتون والبرش والسكر وسواها • وقد احرقت هذه المواد في ساحة مرجعيون وفي ١٢ـ٩ـ٧٦ سجل مكتب الامن الشعبي في مرجعيون اسماء بعض التجار الذين يتعاملون مع العدو ، وصادر بعض المواد من مخازنهم اضافة الى مصادرة كميات من النقود الاسرائيلية •

ونتيجة للتوعية التي قامت بها كوادر المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية ، والحوار الذي اجرته مع مواطني الجنوب، وعى هؤلاء المواطنين خفايا سياسة العدو الاسرائيلي وقاموا بمحاربتها ، ففي ١٢ـ٩ـ٧٦ انشأ اهالي كفر كلا والعديسة ودير ميماس تعاونية استهلاكية تؤمنهم بمعظم المواد بأسعار معقولة •

وقد تجلى وعي المواطنين الجنوبيين لخفايا سياسة الخداع التي يمارسها العدو ، عندما رفض اهالي كفرشوبا

«العرض الاسرائيلي لبناء قريتهم وتعبيد طرقاتها ، وانشاء مستوصف فيها ، وتزويدها بالماء والكهرباء» • (السفير ١٧ـ٩ـ٧٦) •

وكثفت المقاومة والحركة الوطنية جهود كوادرها في منطقة الجنوب لمواجهة الحرب النفسية التي شنتها اجهزة الاعلام الصهيونية والانعزالية ، وبذلك فوتت الفرصة على الخصم ، ومنعته من توسيع نطاق حربه النفسية • وعندما روج الانعزاليون الاشاعات بأن قواتهم ستقتحم بنت جبيل ، ساعين من وراء ذلك لخلق البلبلة واليأس في صفوف الجماهير الوطنية وتهجيرها عن قراها ، قامت المقاومة والحركة الوطنية «بتطبيق قرار منع الهجرة من القرى الحدودية » • (السفير ، ٣٠ـ١٠ـ٧٦) •

وحرصت المقاومة والحركة الوطنية على تأمين كل مقومات الصمود لتقطع الطريق على العدو الصهيوني الذي يتسلل الى الجنوب عبر السلع الاستهلاكية وقطرة الماء وجرعة الدواء • فشكلت اللجان التموينية لتؤمن للاهالي المواد الغذائية (طحين ، سكر ، حبوب) • وفي ١٨ـ٧ـ٧٦ وزعت اللجان التموينية ٤٠٠ طن من الطحين لكافة القرى الحدودية • وقام مكتب المحروقات ، الذي شكل لتأمين حاجات المنطقة من هذه المادة وتنظيم توزيعها ، بوضع ١٦ الف ليتر من البنزين في خدمة القرى الحدودية • كما وزع مادة المازوت على جميع المستهلكين في القرى الجنوبية ، وخصص أربعة صهاريج لنقل المياه لخدمة القرى الامامية • وبدىء بتصليح مضخة المياه في رأس العين •

وزود بعض المستشفيات والمستوصفات في قرى الحدود بالادوية وارسل عدد من الاطباء للاقامة هناك • كما خصصت قيادة جيش لبنان العربي لمنطقة الجنوب الحدودية مستوصفا نقالا لخدمة ابنائها وزودته بالعدد اللازم من الاطباء والمرضات والادوية • وفي ٥ـ٨ـ٧٦ شكل عدد من الشخصيات السياسية في قرى قضاء بنت جبيل وممثلون عن الاحزاب والمقاومة الفلسطينية « لجنة صحية» » ، وقامت هذه اللجنة بجمع التبرعات من التجار والمغتربين والميسورين في قرى القضاء • وقد قررت «اللجنة الصحية» تسمية بعثتين منها للتوجه الى دول الخليج العربي والمهاجر للغرض نفسه • واصدرت بيانا تدعو فيه الى «دعمها لانجاح مهمتها وتفويت المؤامرة على العدو وضرب مشاريعه» •

ووصل عدد المستشفيات التي تم الاتفاق على اعادة فتحها وتنشيطها الى ٢٧ مستوصفا ، اضافة الى ٦ مستشفيات موزعة بين مرجعيون وصيدا مرورا بشبعا والنبطية وصور وتبنين وبنت جبيل وغيرها • وفي ١ـ٩ـ٧٦ تلقت هذه المستوصفات اول دفعة من الادوية من الصليب الاحمر الدولي والهلال الاحمر الفلسطيني ، واخذ المواطنون الذين يحتاجون الى خدمات صحية يترددون على هذه المستوصفات الوطنية •

وفي الاجتماع الذي تم بين رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ووفد «التجمع الاسلامي الشيعي» ، قرر الاخ ابو عمار «انشاء عدة مستوصفات في القرى الحدودية باقصى سرعة ممكنة، وتعزيز ودعم المستشفيات والمستوصفات العاملة في الجنوب بكل ما هو مطلوب للعمل» • (المحرر ، ١٠ـ١٠ـ٧٦) •

وفي ١١ـ١١ـ٧٦ وخلال جولة تفقدية قام بها وفد من «التجمع الوطني» لبعض القرى الحدودية في قضاء بنت جبيل وصور ، قدم الوفد كمية من الادوية لكل من مستشفى تبنين ومستوصف جويا

ومؤسسة دار الحضانة في صور ٠

ومن اجل مشكلة تسويق محصول التبغ، الذي يشكل ٩٠٪ تقريبا من الانتاج الزراعي لاهل الجنوب ، شكلت بتاريخ ١ـ٦ـ٧٦ «اللجنة العليا» المؤلفة من جيش لبنان العربي ، والحزب السوري القومي الاجتماعي ، والاتحاد الاشتراكي العربي٠ ووضعت اللجنة «اسسا جديدة وكاملة ومنظمة لعملية استلام التبغ والدفع ٠ ونبهت مزارعي التبغ الى خطر التعامل مع العدو ووضعتهم امام مسؤولياتهم الوطنية والجرمية ، اضافة الى حرمانهم من رخصة الزراعة» (السفير ، ٨ـ٨ـ٧٦) ، كما قامت اللجنة بالمشاورات مع حكومة الجمهورية العربية الليبية التي اخذت على عاتقها شراء محصول التبغ بكامله ٠

ورغم جميع التدابير التي تزيل الى حد ما ، وضمن حدود الامكانات المتاحة ، عددا من الشكاوى الاقتصادية ـ الصحية، ورغم التأكيدات والتطمينات التي قدمتها المقاومة والحركة الوطنية الى القرى المسيحية ، ورغم تجربة التعايش الاخوي التي كانت قائمة قبل افتعال الجيب الانعزالي في الجنوب ، فقد تابع الانعزاليون عملياتهم التعرضية، بتحريض من «جبهة الكفور» وبدعم من اسرائيل ٠ ففي ٤ـ٩ـ٧٦ تحركت ٨ مجنزرات اسرائيلية من مواقعها داخل الارض المحتلة باتجاه بلدتي عين ابل ورميش لتعزيز المتاريس والحواجز المسلحة الانعزالية داخل هاتين البلدين ٠ وبعد ثلاثة ايام ركز العدو مدافع ثقيلة ورشاشات ٥٠٠ وسط بلدة رميش فيما كان يقصف بمدفعيته قرب قضاء صور من الناقورة الى بلدة رامية ، مرورا بمارون الراس قرب قضاء بنت جبيل ، فكفركلا بقضاء مرجعيون ٠ وقامت العناصر الانعزالية في ٧ـ١٠ـ٧٦ بقطع الطريق بين النبطية ومرجعيون بغية فرض الحصار على القرى الوطنية في مرجعيون ٠ وفي ١٠ـ١٠ فتح انعزاليو «القليعة» النار على القوات الوطنية في مرجعيون والخيام وارنون ودير ميماس وكفرتبنيت ٠ وكانت الاشتباكات والقصف المتبادل تتم بشكل شبه يومي ٠

وعندما كان مؤتمر القمة السداسي منعقدا في الرياض (من ١٦ـ١٨ تشرين الأول) قام الانعزاليون بمهاجمة قرية حانين الوطنية ، فاحتلوها في ١٧ـ١٠ وارتكبوا فيها المجازر ، ثم تابعوا ضغطهم على مرجعيون التي احتلوا ثكنتها في ١٨ ـ١٠ واحتلوا المدينة نفسها في ٢٠ـ١٠ وساندتهم خلال كل هذه العمليات مدفعية العدو المتمركزة في مستعمرات الارض المحتلة ٠ ولقد حاولت القوى الانعزالية في قرية العيشية استفزاز القوى الوطنية، وخلق جيب جديد يهدد منطقة الريحان من الخلف ويشكل حلقة اتصال بين القليعة وجزين ، متجاهلة تبدل ميزان القوى بعد انسحاب المقاومة وتوجهها نحو الجنوب، بناء على اتفاق القاهرة وتنفيذا لمقررات مؤتمر القمة المذكور ، وتكثيف القوات الوطنية وقوات جيش لبنان العربي في المنطقة ، عندما سددت «القوات المشتركة» اليها ضربة رادعة واحتلتها في ٢٠ـ١٠ ـ٧٦ ، واحبطت مخططاتها ٠

وعاد الوضع في الجنوب بعد ذلك الى مستوى التوازن العسكري ٠ وخفت حدة الصدامات بعد تطبيق الخطة الامنية في القطر اللبناني وانتشار «قوات الردع العربية» في العاصمة والضواحي عدا منطقة الجنوب ٠ واختفت مقولة «تحرير لبنان من الجنوب» لتحل محلها مقولة «احلال قوات لبنانية محل النطاق العازل الذي شكلته القرى الانعزالية على طول الحدود اللبنانية ـ الاسرائيلية» ٠ واذا كان احد المقاتلين الانعزاليين قد صرح لمندوب اذاعة اسرائيل «اننا سنعمل المستحيل من اجل منع مهاجمة مستوطنات

اصدقائنا الاسرائيليين» (ر١٠١٠ ، ١٢ــ١١ ــ٧٦) ، فان السعي يجري اليوم في ظل الــــردع الاسرائيلي والضغط الاميركـي لحماية المستوطنات بشكل اخر ٠ والمهم هو تحقيق امن اسرائيل ٠

ولا يزال التعامل الاقتصادي ـ الطبي قائما بين القرى الانعزالية والاسرائيليين حتى بعد استتباب السلام في لبنان ، وهو تعامل مع العدو ، ومسألة لايمكن السكوت عنها ، وقد تشكل مدخلا لتوتر الوضـع في الجنوب من جديد ، الامر الذي يمكن ان يؤدي الى انهيار وقف اطلاق النار ٠ واذا كانت المقاومة والحركة الوطنيـــة وجيش لبنان العربي قد استطاعت عسكريا تطويق الجيب الانعزالي وتحديد حركتـه واجباره على العودة الى الدفـاع ، فان امامها في المرحلة التالية مهمة كبـرى تتمثل في متابعة الجهود السابقة لتطويق هذا الجيب سياسيا وعسكريا ، واحبـــاط المخطط الاسرائيلي الرامي الى تحقيق الخرق النفسي ، وذلك عن طريق تكثيف الجهود الاقتصادية والسياسية والصحية ،واعادة الجنوب كما كان ، قلعة في وجه التوسع الاسرائيلي ، سواء كان هذا التوسع ماديا ام نفسيا ٠

عبدالله سكران

تقــريــر

حول قوات الأمن العربيّة في لبنان

ادى الصدام العنيف في حزيران ١٩٧٦ بين القوات السورية ومنظمة الصاعقة من جهة ، والمقاومة وجيش لبنان العربي والحركة الوطنية من جهة اخرى ، على جبهات صيدا والجبل وبيروت والشمال، الى تصعيد كبير جعل القتال يأخذ ابعادا لم تعرفها الحرب الاهلية اللبنانية قبل ذلك ٠

ولقد ادى الصدام العنيف الى تكثيف التحرك العربي الذي بدأ منذ دخول القوات السورية لبنان ، وشاركت فيه بشكل فعال مصر والجزائر وليبيا ودول الخليج العربي ٠ وساعد على هذا التكثيف الجولة التي بدأها الاخ ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية منذ مطلع ايار في العواصم العربية ، وشرح خلالها الموقف في لبنان ، والمخاطر التي يمكن ان تنجم عن التدخل السوري٠ وبلغ التحرك ذروته عندما بعث عرفات في ٦ـ٦ـ٧٦ رسالة مستعجلة الى الملوك والرؤساء العرب ابلغهم فيها بالهجوم السوري طالبا منهم التدخل «لوقف المذبحة الجديدة التي تتعرض لها المقاومة الفلسطينية والشعبان الفلسطيني واللبناني» ٠ كما طلب عرفات في رسالته المبادرة الى عقد مؤتمر قمة عربي لمعالجة الموقف ٠ ومن جهة اخرى وجه فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية مذكرة الى الجامعة العربية مكررا فيها طلب المنظمة عقد اجتماع طارىء لوزراء الخارجية العرب ٠ وعلى الاثر وجه محمود رياض الامين العام للجامعة العربية الدعوة الى عشرين دولة عربية لعقد مؤتمر على مستوى وزراء الخارجية يستهدف «التوصل الى موقف عربي موحد بالنسبة الى الوضع في لبنان» ٠

وفي الساعة ٠٠ر٢١ من يوم ٨ـ٦ـ٧٦ وصلت مطار بيروت طائرتا هليكوبتر عسكريتان تقلان وفدا يضم الرائد عبد السلام جلود رئيس الوزراء الليبي ،وعبد الكريم بن محمود وزير التربية الجزائري والمبعوث الخاص للرئيس بومدين،يرافقهما كل من محمد حيدر نائب رئيس الوزراء السوري للشؤون الاقتصادية ، واللواء ناجي جميل قائد سلاح الجو السوري ، وابو ماهر عضو اللجنة المركزية لحركة «فتح» ، واحمد جبريل الامين العام للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة ٠ وكانت مهمة

هذا الوفد السعي الى وقف اطلاق النـار فورا في لبنان ٠

وفي الوقت نفسه عقد مجلس الجامعة العربية في القاهرة اجتماعا طارئا لبحث الوضع في لبنان ٠ وحضرت الاجتماع كافة الدول العربية كما حضره ياسـر عرفات رئيس اللجنـة التنفيذية لمنظمـة التحرير الذي كان قد وصل القاهرة بعد ظهر ٨ـ٦ ، وقابل كلا من اسماعيل فهمي وزير الخارجية المصـري ومحمود رياض الامين العام للجامعة العربية ٠

وتمثلت احدى عشرة دولة عربية فـي هذا الاجتماع بوزراء خارجيتهـا وهي : مصر،، السعودية، تونس، السودان، العراق، قطر ، عمان ، الكويت ، اليمن الجنوبية ، الامارات العربية ، البحرين ، ومثل المغرب وموريتانيا واليمن الشمالية سفراؤها فـي القاهرة ريثما يصل وزراء الخارجيـة ، في حين مثـل الجزائـر القـائم باعمال سفارتها في القاهرة ، والاردن وزيـر الدولة للشؤون الخارجية ، والصومـال وزيـر العدل ، وليبيـا وكيـل وزارة الخارجية ٠ ولم يكن الوفد السوري قـد وصل بعد ، لذا احتل مقعد سوريا عبد المنعم الاتاسي المندوب السوري الدائـم لدى الجامعة ٠ ومثل لبنان السفيراللبناني في القاهرة السيد محمد صبرا الذي افتتح الاجتماع بعرض للموقف في لبنان ، في حين قدم ياسر عرفات اقتراحا من خمس نقاط هي : ١ ـ وقف اطلاق النار فورا ، ٢ ـ انسـحاب القـوات السـورية ، ٣ ـ تاليف لجنة تحقيق، ٤ـ ايفاد لجنةالى بيروت للاشراف على الهدنة ، ٥ ـ ابدال المبادرة السورية في لبنان بخطوة عربية مشتركة ٠

وبعد جلسة مغلقة استمرت حتـى الخامسة والنصف من صباح ٩ـ٦ خرج مجلس جامعة الدول العربية من اجتماعه الطارئ بقرار يتضمن النقاط السبعالاتية:

١ ـ شكر السيد الامين العام لجامعة الدول العربية على مبادرته بالدعوة الـى عقد هذا الاجتماع غير العادي للبحث في هذه القضية المصيرية ٠

٢ ـ الطلب الى جميع الاطراف وقف القتال فورا وتثبيت هذا الوقف ٠

٣ ـ تشكيل قوات امن عربية رمزيـة تحت اشراف الامين العام لجامعة الدول العربية للحفاظ على الامن والاستقرار ٠ على ان يتم تحريك هذه القوات لمباشـرة عملها واخذ محل القوات السـورية ٠ وتنتهي مهمة قوات الامن العربية بناء على طلب رئيس الجمهورية اللبنانية المنتخب ٠

٤ ـ أيفاد لجنة في الحال تمثل مجلس الجامعة من وزير خارجية البحرين وامين الجامعة العربية ورئيسي وفدي الجزائـر وليبيا في الاجتماع ٠ وتتعاون هذه اللجنة مع الاطراف المعنية في متابعة الموقـف والعمل على تأمين الامن والاستقرار فـي لبنان ٠

٥ ـ دعوة جميع الاطراف اللبنانية الى اجراء المصالحة الوطنية الشاملة باشراف الرئيس اللبناني المنتخب حفاظا على وحدة الشعب اللبناني وعلى سيادته وامنـه واستقراره ٠

٦ ـ التأكيد على الالتزام العربي بدعم الثورة الفلسطينية وحمايتها عن جميـع الاخطار بتوفير جميع اسباب القـوة والفاعلية لها ٠

٧ ـ بقاء المجلس في حال انعقـاد لمتابعة الموقف ٠

وتوجهت اللجنة المذكورة في البنـد الرابع بعد ساعة مـن انتهاء الاجتماع

حاملة القرار الى دمشق ، وهي تضم الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة وزير خارجية البحرين ، ومحمود رياض الامين العام للجامعة ، وابو زيد عمر درده وكيل وزارة الخارجية الليبية ، والسيد عساسي الوزير المفوض في السفارة الجزائرية في القاهرة ·

وعقدت اللجنة في دمشق اجتماعا مع الرئيس حافظ الاسد استمر ثلاث ساعات، وحضره نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية السوري عبد الحليم خدام الذي كان قد سافر الى القاهرة صباحا وعاد على الطائرة ذاتها الى العاصمة السورية، دون ان يقابل اي مسؤول مصري ، بعد ان علم بتاليف اللجنة وبسفرها الى دمشق· ادلى رياض بعد الاجتماع بتصريح قال فيه : ان زيارة الوفد لدمشق كانت طيبة للغاية وان الرئيس حافظ الاسد قد اعرب عن تأييده لكل عمل عربي جماعي لمصلحة الامة العربية ، كما اكد ان سوريا تقف على الدوام الى جانب المقاومة الفلسطينية واستمرار مساندتها ، وان سوريا حريصة على وحدة لبنان وسلامة اراضيه وشعبه ·

وفي المساء غادر الوفد دمشق ومعه الوزير خدام وذكرت «وكالة الصحافة الفرنسية» ، استنادا الى مصادر مطلعة في العاصمة المصرية ، ان خدام ، اجتمع بالسيد ياسر عرفات رئيس اللجنةالتنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في حضور رياض ، الامر الذياعتبر تمهيدا للمصالحة السورية ـ الفلسطينية ·

القوة العربية :

وكان من المنتظر ان تضم القوة العربية التي ستتولى الحفاظ على الامن في لبنان، وحدات من ست دول هي : ليبيا، الجزائر، سوريا ، السودان ، السعودية ، فلسطين (قوات من جيش التحرير الفلسطيني) ·
وقد تابع مجلس الجامعة اجتماعه مساء ٩ـ٦ · وصرح وزير خارجية البحرين ان سوريا وافقت على القرار الذي حمله اليها وفد الجامعة ، وطلبت ادخال تعديل طفيف يقضي باشراك قوات لبنانية في القوة العربية ·

وفي مساء ١٠ـ٦ـ٧٦ وصل١٧ ضابطا ليبيا الى مطار بيروت وبدأوا الاشراف على تنفيذ اتفاق وقف اطلاق النار بين القوات السورية «والقوات المشتركة» ·وقد تمركز الضباط الليبيون في مطار بيروت ، وكلفوا بالاشراف على فك الاشتباك في منطقة المطار والمداخل الجنوبية لبيروت . حيث كانت تدور معارك عنيفة امتدت آثارها الى احياء بيروت الغربية التي تساقطت عليها القذائف والصواريخ ·

وفي الساعة ٤٥ر١٩ من يوم١١ـ٦ـ٧٦ وصل محمود رياض الى دمشق ، وادلى الى وكالة الانباء السورية (سانا) بتصريح قال فيه : «بعد الاتفاق الشامل الذي تم اتخاذه فيالاجتماع الاخير لمجلس الجامعة العربية ، والذي كان من اسسه تشكيل قوة عربية مشتركة في لبنان ، كان من واجبنا ان نبدأ العمل فورا على تشكيل هذه القوة ، ولهذا حضر معي اعضاء اللجنة العسكرية التي شكلت برئاسة اللواء محمد حسن غنيم رئيس اللجنة العسكرية الدائمة للامانة العامة للجامعة العربية» · واكد الرائد جلود ان الضباط الليبيين وصلوا الى بيروت واخذوا مواقع المراقبة بين المتحاربين ، واضاف ان مراكز مراقبة ليبية سورية اقيمت على الطرق الرئيسية الممتدة بين بيروت وكلمن صيدا وعرمون· وترأس رياض الاجتماع الاول الذي عقدته في دمشق اللجنة العسكرية المكلفة بوضع الاستعدادات اللازمة لارسال القوات العربية الى لبنان · ثم توجه عقب هذا

الاجتماع الى وزارة الخارجية وبحث مع الوزير خدام الاجراءات التي يجب اتخاذها للمرحلة الثانية المتعلقة بهذه المهمة. ونفى الامين العام للجامعة العربية «ان تكون الجامعة العربية ناقشت او اتخذت قرارا باشراك قوات عراقية في قوة الامن العربية في لبنان» .

وتلقت الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية مقررات مؤتمر وزراء الخارجية العرب بشيء من الارتياح ، ولكنهما اصرتا على ضرورة انسحاب القوات السورية وحلول قوة عربية محلها فورا . في حين اعلنت «جبهة الكفور» حربا على الجامعة العربية ومقرراتها . ففي يوم ١١ـ٦ـ٧٦ صدر عن «جبهة الكفور» المجتمعة في حضور الرئيسين فرنجية وشمعون وبيار الجميل والاباتي شربل قسيس ، بيان حمل رفضا قاطعا لمقررات الجامعة العربية وتضمن مجموعة مآخذ وتحديدات ابرزها: ـ اعتبار مقررات الجامعة بمثابة «حرب دينية على لبنان» . ـ الرد على القوة بالقوة مع الاستعانة بأي جهة عالمية وتجييش كل العناصر لمقاومة القرارات العسكرية . ـ انسحاب لبنان من جامعة الدول العربية اذا ما حاولت فرض مقرراتها بالقوة واعتبار الجامعة اذ ذاك «جامعة العرب المسلمين».

وقد تبنت «جبهة الكفور» في بيانها مضمون برقيتي فرنجية الى السيد محمود رياض ، واشادت بالموقف السوري وبالرئيس حافظ الاسد ، واعلنت تمسكها بالوثيقة الدستورية . وجاءت تصريحات الرئيس كميل شمعون والشيخ بيار الجميل والاباتي شربل قسيس مكملة ، في الشكل وفي المضمون ، لبيان قمة الكفور . فقد اعتبر شمعون ان ما يفعله السوريون «هو من روح المبادرة نفسها التي قبلنا بها» ، واتهم الجميل الجامعة العربية بـ «التهرب في الوقت الذي مدت سوريا وحدها يدها الينا» . اما قسيس فاعتبر ان الرفض للقوات العربية يشمل «المبدأ والتطبيق والاسماء» .

وفي منتصف ليل ١١ـ٦ـ٧٦ التقى رياض بمجموعة من الصحافيين السوريين في قصر الضيافة وقال : «المطلوب الان هو التفاهم مع اخواننا اللبنانيين الذين يرفضون دخول قوات امن عربية تابعة للجامعة العربية على رغم ان مهمة هذه القوات تقضي بمساعدة رئيسي الجمهورية اللبنانية في اعادة السلام الى لبنان والمحافظة على سلامة اراضيه» . وكان من الواضح ان بوسع الامين العام للجامعة العربية النجاح في مهمة التفاهم مع الرافضين ، على اعتبار ان عمل قوات الامن العربية يتم في اطار السيادة اللبنانية وان من صميم عملها الفصل بين المتحاربين ، وهي قوات حيادية تسعى جاهدة ، باتصالاتها المكثفة بين اطراف النزاع ، الى عرض وجهة نظرها المقنعة، والمبنية على دراسة عملية دقيقة درست فيها كل العوامل المؤثرة . ومراقبة تنفيذ وقف اطلاق النار بدقة بين الاطراف المتنازعة .

واجتمع رياض في ١٣ـ٦ـ٧٦ في دمشق بالرائد جلود والسيد عبد الكريم بن محمود وزير التربية الجزائري والمبعوث الخاص للرئيس هواري بومدين. واستغرق هذا الاجتماع ثلاث ساعات ، وكان في اطار الاتصالات التي اجراها الامين العام للجامعة منذ وصوله الى دمشق مع مختلف الفرقاء لتنفيذ قرارات مجلس الجامعة ، وحضر هذا الاجتماع اللواء محمد احمد الديري قائد القوات السعودية المتمركزة في سوريا .

وفي لبنان تشاور الرئيس المنتخب

الياس سركيس مع الرئيس سليمان فرنجية في الموقف الواجب اتخاذه من قرارات الجامعة العربية ، بحيث يكون موقفا واحدا عند الاجتماع بالامين العام للجامعة ، لان المواقف المتناقضة تسيء الى مصلحة لبنان وتضعف مركزه ٠ وقد اكد سركيس على تفضيله الحل اللبناني على اي حل اخر يثير التعقيدات والمضاعفات ، كذلك حرص على معرفة موقف سوريا من قرارات الجامعة العربية وضرورة التنسيق معها ، اذ ان معارضة لبنان هذه القرارات تفقد فاعليتها وجدواها اذا وافقت عليها دمشق ٠ وهذا ما حمل فرنجية على ان يوفد الى سوريا العقيد انطوان دحداح كمندوب في مهمة اطلاع واستطلاع لتنسيق المواقف بين البلدين ٠ ولقد حمل العقيد الدحداح معه الى دمشق اسئلة محدودة ابرزها : ١ ـ اين صارت المبادرة من ناحية الحسم وما هي خطط السوريين للمستقبل من حيث وجودهم في لبنان ، ٢ ـ ما هو رأيهم من قرارات الجامعة العربية ومدى استعدادهم للالتزام بها ، ٣ ـ ماذا يكون موقف لبنان الذي رفض هذه القرارات ، ٤ ـ ما هو موقف سوريا في حال طلب لبنان تدويل القضية وطرحها على الامم المتحدة ؟

وفي الوقت نفسه سافر قياديون (من الصاعقة والبعث والجيش السوري) من خلدة الى سوريا جوا اثر استدعائهم لعرض الوضع وهم : زهير محسن وعاصم قانصوه ، والعقيدان محمد الخولي وعلي المدني ٠

وعلى اثر المشاورات وسماع رأي مندوب الرئيس فرنجية ابلغت دمشق الرئيس اللبناني بواسطة العقيد دحداح انها لا تمانع في اشتراك قوات عربية مع القوات السورية في حفظ الامن ،لكنها لا توافق على «التدويل» ، ولا تقبل بسحب قواتها من لبنان قبل ان تحقق اهداف دخولها وفي مقدمتها منع التقسيم ، وهي مستعدة لتجميد تحركاتها العسكرية بعد اقرار وقف اطلاق النار ، من اجل اتاحة المجال امام اللبنانيين للتفاهم على حل سياسي ، وامتحان مدى استعدادهم للوصول الى ذلك ٠ ولكنها مصممة في الوقت نفسه على متابعة المبادرة الامنية في حالة فشل قوات الامن العربية في تحقيق اغراضها ٠

وكانت دمشق تعي ان اي تدخل عربي لن يستطيع المرور الا عن طريقها ، وان لا مجال لوصول قوات عربية الى لبنان دون موافقتها ، لان مفاتيح الوصول اليه برا وجوا موجودة في يدها ، اضافة الى ان القوات السورية قادرة على احتواء اية قوة عربية وجعلها مجرد شاهد على عملياتها ٠ كما كانت تعتبر ان تدخلها في لبنان ليس عملا تكتيكيا ، بل استراتيجيا، ولكنها لا تمانع في اي موقف رسمي يتخذه لبنان ويراه في مصلحته ، في حال موافقته من حيث المبدأ على قرارات الجامعة ، او اقتراحه تعديلها بما يتفق وسيادته ويحقق له الضمانات الكافية ٠

في ١٤ـ٦ـ٧٦ عاشت بيروت هدنة معلنة في جبهات القتال بين المقاومة والجيش السوري ، وهدنة غير معلنة في الجبهات التقليدية ٠ واراح هدوء الجبهات بيروت الغربية ، كما خف الحصار التمويني ٠ وتوزعت لجان المراقبة ، التي حاولت تثبيت وقف اطلاق النار ، في مراكزها خصوصا في المنطقة الممتدة من دار المعلمين الى السفارة الكويتية ،نزولا الى الريفييرا ، وتشمل مدرسة القتال والسفارة الاردنية وثكنة هنري شهاب ومباني الامم المتحدة ٠

وتشكلت لجنة عليا (سورية ـ فلسطينية

ـ ليبية) لتنسيق اعمال الرقابة على وقف اطلاق النار وتنفيذ الاتفاق الاولي الذي نص على الفصل بين المتقاتلين في ضاحية بيروت الجنوبية • واتخذت هذه اللجنة الثلاثية من القيادة المركزية في مخيم صبرا مقراً لها • وانبثقت عنها اربع لجان تضم كل منها ستة اعضاء معززين بعناصر من الكفاح المسلح الفلسطيني ، ووزعت على النحو التالي :

الاولى مقرها مبنى وراء مركز الامم المتحدة في بئر حسن وتمتد دائرة عملها من مستديرة بئر حسن الى مستديرة المطار ، فالاحراج ، فالتلال المحيطة بصبرا ، فمطعم السلطان ابراهيم «السان ميشال» • **الثانية** اتخذت من بناية عثمان قبالة جامع الاوزاعي مقرا لها • ودائرة عملها تمتد من الريفييرا الى الاوزاعي ، فالطريق الفرعية الى المطار فطريق خلده• **الثالثة** تشرف على طريق المطار حتى «الكوكودي» ، و«منطقة الاميركان لايف» ، والتلال المشرفة على«مخيم برج البراجنة»• ولا يدخل المطار في دائرتها • **الرابعة** سورية ـ ليبية ، تشرف على السير والتموين عبر منطقة خلده •

وحتى ذلك الوقت كانت قوات الامن العربية لم تصل بعد الى لبنان • وكان وصولها مرتبطا بنجاح اتصالات محمود رياض مع مختلف الفرقاء ، وامكانات اقناع «جبهة الكفور» بتليين موقفها من دخول القوات • وكانت اللجنة العسكرية المرافقة لرياض تعمل لاعداد الدراسات اللازمة لتحرك قوات الامن ريثما ينهي الامين العام للجامعة العربية اتصالاته السياسية •

وعندما انتقل رياض الى بيروت في ١٤ ـ٦ـ٧٦ لبدء اتصالاته ، حمل معه الى العاصمة اللبنانية موافقة دمشق على سحب قواتها بشروط : **اولها** ان تحل القوات العربية محلها فيبيروت وطرابلس وصيدا والجبل ، **وثانيها** ان يحظى دخول القوات بموافقة السلطات الشرعية اللبنانية ، **وثالثها** ، الا يشمل الانسحاب منطقتي عكار والبقاع الا بعد ان يتوصل فرقاء الحرب اللبنانية الى اتفاق نهائي، **ورابعها** اطلاق عناصر منظمة البعث والصاعقة المحتجزين واعادة فتح مكاتب الصاعقة في المدن والمناطق •

وازاء هذه الشروط ، اعتبرت المقاومة و«الحركة الوطنية» ان السلطات السورية تحاول كسب الوقت لاتمام عملياتها العسكرية بعدما تعثر الفصل الاول منها • ولقد ازداد قلق المقاومة والحركة الوطنية عندما تأجل اجتماع اللجنة العسكرية العربية المكلفة تشكيل قوة السلام وتحريكها الى يوم ١٩ـ٦ ، ورأت ان ذلك يعني ان الانسحاب السوري المشروط بدخول هذه القوات غير وارد في هذا الوقت • وبث «صوت فلسطين» في ١٤ ـ٦ـ٧٦ ان الثورة تعتبر «ان الوساطات العربية تكشفت وهي للتخدير والمماطلة»، وابلغ محمود رياض ، الذي كان قد عاد الى دمشق ، ان الثورة تحمله المسؤولية ، كما ابلغ السيد عبد السلام جلود بتحمل المسؤولية ايضا • وقد اجرت قيادة المقاومة اتصالا مع عرفات الموجود في القاهرة ، ووضعته في صورة الموقف والتفاصيل المستجدة • وزاد في تأزيم الوضع الانباء المتواردة عنتأكيد السوريين للرئيس فرنجية بأن «الحسم العسكري» سينجز خلال عشرة ايام وأن لا مجال للانسحاب قبل ذلك •

وبدا من الواضح ان دمشق كانت تحاول آنذاك تجميد الوضع في لبنان الى اكبر حد ممكن ، حتى يستطيع الرئيس حافظ الاسد البدء بزيارته الرسمية الى

باريس في ١٧ـ٦ ، وبيده ورقة تهدئـــة لبنان • وكثف الامين العام للجامعـــة العربية والموفدون السوريون زياراتهـــم الى الكفور لاقناع «جبهة الكفور» بضرورة الموافقة على عمل قوات الامن العربية • وتركزت تحفظات «جبهة الكفور» علـــى جنسية بعض الدول المشتركة في قوةالردع (الجزائر ، العراق ، ليبيا) ، وحجمهـا ، واماكن تمركزها •

ولقد اصرت «جبهة الكفور» على ان لا يتعدى حجم قوات الامن حدود «تطعيـم» القوات السورية بقوات عربية ، وان تبقى القوات السورية الجسم الاساسي لقوات الامن ، وان تستبعد الدول «التي لهـــا محاربون بين المتحاربين» ، وان تستمر المبادرة السورية ، وان تتولى «القـوات الانعزالية» او قوات فرنسية مهمة حفـظ الامن في المناطق التي تسيطر عليها هـذه القوات ، مع رفض دخول اية قوة عربيـة الى هذه المناطق حتى لو كانت سورية •

وعندما توصل محمود رياض والمندوبون السوريون الى اقناع «جبهة الكفور» ان قوة الامن العربية ستفرض تطبيق اتفـاق القاهرة ، وان وجود قوات الامن العربية يعطي المبادرة السورية شرعية عربية ، وان العراق والجزائر لن يشاركا في هذه القوات فضلا عن ان القوة الليبية ستكـون فيها محدودة جدا ، بدأ تبدل ملحوظ فـي المواقف • ففي حين وافقت «جبهة الكفور» على عمل قوات الامن العربية ، واعلنت عن ذلك في ١٥ـ٦ ، فقد ابدت المقاومـة و«الحركة الوطنية» تخوفها من «التعريب» الذي طالبت به من قبل باعتباره «معيقا للتفرد السوري» ، ثم بدأت تتخوف من تحوله الى «غطاء للتفرد السوري» •وتجمد الوضع في لبنان نسبيا عند هذا الحد ، ولكن الهدوء الكامل لم يتحقق •

وتمت زيارة الرئيس الاسد الى باريس (١٧ـ١٩ حزيران) في ظل وضع لبنانـي قلق مؤهل للأنفجار • الامر الذي جعـل الازمة اللبنانية تحتل جزءا كبيرا مـــن مباحثات الرئيسين حافظ الاسد وجيسكار ديستان ، ومباحثات الوفديـن السـوري والفرنسي • وشمل البيان المشترك الـذي صدر في الساعة ٢٠ من يوم ١٩ـ٦ فقرة طويلة تتعلق باهتمام البلدين بلبنان الذي يقيم كل منهما علاقات تقليدية من الاخوة والصداقة معه • وتؤكد تمسكهما بوحـدة لبنــان وسلامته الاقليمية وسيادتـه ، وضرورة وضع حد لاقتتال الاخوة واعادة النظام والامن وايجاد الشروط الضرورية لاستئناف التســوية السياسية للازمــة اللبنانية •

وكان محمود رياض قد سافر الــى الرياض في ١٧ـ٦ لمقابلـــة الملك خالـد واطلاعه على تطورات الموقف في لبنان والاتصالات التي تمت حول قرارات مجلس الجامعة العربية ، وما تم انجازه في هذا الشأن • وفي ١٨ـ٦ عــاد رياض الى دمشق لمتابعة اتصالاته مع المسؤوليـن السوريين • وعقد في ٢٠ـ٦ـ٧٦ مؤتمرا صحافيا في قصر الروضة في دمشق ، اكد فيه ان طليعة قوات الامن العربيـة ستدخل لبنان لتعمل تحت علم الجامعـة العربية لتثبيت الامن ووقف اطلاق النـار وتهيئة الاجواء الكفيلة ببـدء الحـوار السياسي الذي يستهدف الوصول الى حل مناسب للازمة اللبنانية ، وان المهمـة الرئيسية لهذه الطليعة هي اعادة فتـح المطار وتأمين الاتصالات السلكيةواللاسلكية بين بيروت والعالم •

والحقيقة ان الامين العام للجامعـة العربية لم يعلن عن ذلك الا بعد ان تـم التوصل في دمشق ، بفضل الوســاطة العربية ونشاط الرائد جلود ، الى اتفاق يتضمن النقاط السبع التالية :

١ ـ سحب القوات السورية المرابطة من مطار بيروت الدولي بمجرد وصول وحدات قوة الامن العربية ٠

٢ ـ اعادة فتح مطار بيروت للنقل المدني باشراف قوة الامن العربية ٠ ومنع انزال اية عناصر مسلحة او اسلحة او ذخائر ٠

٣ ـ اطلاق سراح عناصر الصاعقة وقيادة منظمة لبنان لحزب البعث،والتنظيم الناصري ـ اتحاد قوى الشعب العامل ، وقائد جيش التحرير الفلسطيني مصباح البديري المحتجزين لدى المقاومة والحركة الوطنية ٠

٤ ـ اعادة فتح مكاتب الصاعقة وجبهة القوى الوطنية والقومية ٠

٥ ـ تعهد مختلف فصائل المقاومة الفلسطينية بوقف القتال في ما بينها ٠

٦ ـ الحد من وجود العناصر المسلحة في بيروت ٠

٧ ـ السماح للسياسيين اللبنانيين بالعودة الى منازلهم واستئناف نشاطاتهم بعيدا عن اي ضغوط ٠

وفي الساعة ١٩٫٠٠ من يوم ٢٠ـ٦ عقدت «القيادة المركزية للثورةالفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية» اجتماعا استمر حتى منتصف الليل ، ناقشت خلاله نتائج الاتصالات التي تمت مع الرائد جلود بعد اجتماعه بالرئيس الاسد ، واتخذت القيادة المذكورة قرارا بالموافقة على ما تم الاتفاق عليه في دمشق ، والبدء بوقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة ١٫٠٠ من فجر ٢١ـ٦ـ١٩٧٦ ٠ واستعدت بيروت لاستقبال طليعة قوات الامن العربية (المكونة من كتيبة ليبية واخرى سورية) ، التي تقرر وصولها الى مطار دمشق في الساعة ١٠٫٠٠ من يوم ٢١ـ٦ لفتح المطار والاشراف على انسحاب القوات السورية من مواقعها في ضواحي بيروت اعتبارا من فجر ٢٢ـ٦ ، على ان يتلو ذلك مباشرة انسحاب القوات السورية من مواقعها في ضواحي صيدا وصوفر ، وان يتم كل ذلك تحت اشراف الرائد جلود وعلى مسؤوليته٠

دخول قوات الامن العربية :

وفي ٢١ـ٦ وصلت الوحدات الليبية والسورية الى مطار بيروت الدولي فاستقبلها الضباط الليبيون والسوريون التابعون للجان المراقبة في الوقت الذي كانت فيه دمشق تنتظر وصول الكتيبة السعودية لدفعها الى لبنان ٠ ورافق وصول طليعة قوة الامن العربية استمرار في القتال على جميع الجبهات ٠ واستمرت حرب مثلث الصمود (تل الزعتر ـ جسر الباشا ـ النبعة) ٠ ولم تظهر اي مبادرة من اي فريق ، او من اي وسيط ، لوقف اطلاق النار والعودة الى الحوار ، وتجمد عمل اللجان العسكرية ، ولم يستطع الرئيس المنتخب الياس سركيس اقناع الاطراف المتنازعة بتهدئة الموقف وافساح المجال امام قوات الامن العربية للقيام بواجبها في الفصل بين المتحاربين ٠ ولم تستطع هذه القوات تحقيق اية مهمة سوى تأمين المطار وفتح طريق صيدا والاشراف على تطبيق المرحلة الاولى من خطة انسحاب القوات السورية ٠

ولقد حاول الرائد جلود ايقاف التدهور الامني ، فعقد عدة اجتماعات مع رئيس الحكومة رشيد كرامي ورؤساء الحكومة السابقين ، واتصل « بجبهة الكفور » عبر الرئيس سركيس ، كما اتصل بدمشق للضغط على« جبهة الكفور » ودفعها الى وقف القتال ٠ ولكن كل هذه المحاولات لم تحقق الهدوء المطلوب ، وبقيت الانظار متطلعة نحو اجتماع رؤساء وزراء مصر وسوريا والسعودية والكويت المنعقد في

الرياض (من ٢٣ الى ٢٤ حزيران). وتعلقت الامال في ان يؤدي هذا الاجتماع الى عقد قمة مصالحة عربية تنعكس اثارها الايجابية على الازمة اللبنانية .

ولقد اسفر اجتماع رؤساء الوزراء الاربعة عن بيان صدر في ٢٤ - ٦ يؤكد دعم مقررات مجلس الجامعة ، ومناشدة الاطراف المتنازعة تسهيل مهمة « قوة الامن العربية » . واستعدادهم لتقديم كل مساعدة لعقد اجتماع المصالحة والحوار بين مختلف الاطراف في اي بلد عربي يتم الاتفاق عليه . لم تلاق المناشدة والدعوة الى المصالحة اي صدى لدى الطرفين المتحاربين . وبقي القتال مستعرا وخاصة على جبهتي جسر الباشا وتل الزعتر . وادى اغلاق المطار بعد قصفه في ٢٧ - ٦ واصابة طائرة « طيران الشرق الاوسط » الى تاخر حضور قائد « قوة الامن العربية » اللواء محمد حسن غنيم . وفي ٢٩ - ٦ اجتمع حسن صبري الخولي ممثل الامين العام للجامعة العربية والعقيد عبد الحميد شديد رئيس اركان قوة الامن العربية مع رئيس الحكومة وقيادات الاطراف المتنازعة . وتوصل المجتمعون الى اتفاق لوقف القتال وافق عليه الجميع . ولكن هذا الاتفاق بقي دون تنفيذ . وفي ٣٠ - ٦ عقد في القاهرة اجتماع طارىء لوزراء الخارجية العرب بناء على طلب من مصر . وصدر عن المجتمعين في ١ - ٧ قرارات تضمنت النقاط التالية :

١ - وقف اطلاق النار ابتداء من الساعة ١٢ - من ١ - ٧ - ٧٦ في لبنان .

٢ - تشكيل لجنة عربية خاصة وارسالها الى لبنان للسهر على تنفيذ قرار وقف اطلاق النار مؤلفة من الامين العام لجامعة الدول العربية رئيسا ، ووزيري خارجية تونس والبحرين عضوين .

٣ - استعجال ارسال قوات السلام العربية الى لبنان .

٤ - رفض اي تقسيم للبنان .

٥ - دعوة الاطراف المتنازعة في لبنان الى طاولة المفاوضات المستديرة في القاهرة .

وفي اليوم نفسه ، كانت اللجنة العربية الخاصة المؤلفة من الامين العام للجامعة السيد محمود رياض والشيخ محمد بن مبارك آل خليفة وزير خارجية البحرين والسيد الحبيب الشطي وزير خارجية تونس ، قد غادرت القاهرة الى دمشق . وفيما كانت الكتيبتان السعودية، والسودانية في « قوة الامن العربية » (١٥٠٠ رجل) تعبران الحدود السورية- اللبنانية الى لبنان ، كان القتال لا يزال محتدما على جميع الجبهات ، بعد فشل مخطط الخولي للسلام ، وخاصة على جبهة تل الزعتر التي اشتد عنفها بعد سقوط مخيم جسر الباشا بيد « القوات الانعزالية » . وفي الساعة ١٨،٠٠ وصلت الكتيبتان الى مطار بيروت وعلى رأسها اللواء غنيم ، ثم انتشرت القوات قرب مكان تمركز القوات السورية .

ولقد حدد اللواء غنيم مهة القوات في ١ - ٧ عندما اعلن بان« الغرض الاساسي هو اعادة الحياة الطبيعية الى لبنان ، وهذا لا يتم الا باحترام وقف اطلاق النار، لان معنى عدم احترام وقف اطلاق النار هو منع القوة العربية من القيام بمهمتها، خصوصا انها قوة رمزية مهمتها المحافظة على الامن والسلام » . وهذا يعني ان قوات الامن العربية لم تكن تستطيع تنفيذ مهماتها الا اذا توقف القتال . وهذا ما يفسر تجمد عمل القوات في الفترة الواقعة بين ١ - ٧ و ٢١ - ٧ نظرا لاستمرار

القتال وعدم التزام الاطراف المتحاربة باتفاقات وقف اطلاق النار ، رغم جميع المحاولات التي قام بها الرائد جلود والدكتور حسن صبري الخولي ، ورغم الدعوة التي اطلقها الملك خالد والرئيسان انور السادات وجعفر النميري في ١٩ ـ ٧ ، بعد اجتماعهم الثلاثي في جدة ٠

وفي هذه الاثناء كانت قوات الامن العربية تنتشرفي منطقة المطار والاوزاعي وقرب السفارة الكويتية ٠والجدير بالذكر ان دخولها من سورية الى لبنان وانتشارها بعد ذلك تما في المناطق التي تسيطر عليها المقاومة والقوات المشتركة وجيش لبنان العربي ٠ وانها لم تدخل عبر اي طريق تسيطر عليه « القوات الانعزالية » ، ولم تنتشر في مناطق عمل هذه القوات ، نظرا لان « جبهة الكفور » رفضت باصرار ان تمر في مناطقها او ان تتمركز فيها اية قوات عربية ٠

ولقد وضع قائد قوات الامن خطة لتمركز وحداته على خطوط التماس الساخنة : المتحف ، الاسواق التجارية، الشياح ـ عين الرمانة ، ٠٠٠ الخ ، ولكنه كان ينتظر هدوء هذه الخطوط حتى لا تتعرض قواته للخطر ، خاصة وانها غير مكلفة بمهمة قتالية ، ولا يطلب منها فرض وقف القتال ٠ وفي ٢١ ـ ٧ بدأ تنفيذ جزء من هذه الخطة بدفع سرية سعودية مع ٩ عربات مدرعة « بنهارد » نحو المتحف، حيث اخذت مواقعها رغم قيام « القوات الانعزالية » باطلاق ٩ قذائف هاون سقطت في منطقة حرج المقاصد ـ البربير ، ورغم تعرضها لنيران القنص من الجانب اليميني واصابة احد الجنود بجروح ٠ وفي الساعة ١١،٠٠ انتهى انتشار الوحدة السعودية من المتحف الى البربير ، اي انها اكتفت بالمرابطة على خط التماس في الطرف الذي تسيطر عليه « القوات المشتركة » ، دون ان يكون لها وجود في الطرف الاخر الذي تسيطر عليه « القوات الانعزالية » التي رفضت السماح لها بدخول منطقتها ٠ وكان لهذا الانتشار في حد ذاته مدلولات هامة تشير الى تعنت « جبهة الكفور » ورفضها للتعريب بالمعنى الصحيح ، ورفضها لاي وجود عربي في مناطق سيطرتها ، رغم استعدادها لقبول قوات فرنسية في هذه المناطق ٠

وفي ٣٠ ـ ٧ وصلت سفينة الدعم اللوجيستيكي « غات » تحمل العلم الليبي ، وانزلت ناقلات جنود مدرعة برمائية من طراز « ب ت ٦٠ » السوفياتية الصنع مع طواقمها الليبية ٠ وكانت حمولة السفينة ٦٦ الية بين ناقلة مدرعة وشاحنة وصلت لتعزيز « قوات الامن العربية » ٠ واتجهت مجموعات (كل منها ضمت بين ٥ و ٧ مدرعات) نحو بيروت، ورافق كل مجموعة شاحنة ٠ وفي ٣ ـ ٨ وصلت من طريق دمشق ـ مرجعيون الى بيروت ١٥ شاحنة عسكرية تنقل قوات جديدة مؤلفة من كل الجنسيات التابعة «لقوات الامن العربية » وانضمت للقوات السابقة ، وبقيت مثلها في وضع الانتظار حتى يتوقف القتال ويفصل بين المتحاربين ٠

ولقد تم التوصل الى اتفاق سلام في ٤ ـ ٨ ، ووقعه ممثلون عن المتحاربين كما وقعه اللواء غنيم ٠ وكان من المفروض ، حسب الاتفاق ان يتوقف القتال في الساعة ٨،٠٠ من يوم ٥ـ٨ وان يشمل ذلك : القنص ، والقصف والتسلل والخطف وازالة المظاهر المسلحة في جميع البلاد ٠ بالاضافة الى عودة الحياة الطبيعية الى البلاد واستكمال توصيل الماء والكهرباء ٠ وفتح المطار والخ ٠٠٠ على ان تقوم « قوات الامن

العربية » بالاشراف على التنفيذ. وتثبيت وقف اطلاق النار بالتنسيق مع الجانبين، من نقاط مراقبة تتمركز في المناطق التي تسيطر عليها « القوات المشتركة » و « القوات الانعزالية » .

ولقد تم بالفعل تعيين نقاط المراقبة في بيروت الغربية والشرقية ،وفي الضواحي (تل الزعتر ، النبعة ، الطيونة) ، وفي بقية المناطق (محور صيدا – جزين ، عاليه ، عينطورة ، طرابلس) . وتقرر ربط هذه النقاط بقيادة « قوات الامن العربية » . ولكن وقف القتال لم يتحقق، وتعطل عمل نقاط المراقبة بشكل شبه كامل ، رغم محاولات قيادة « قوات الامن العربية » تطبيق الاتفاق والحد من حدة القتال عن طريق الاتصال مع الاطراف المتحاربة .

وفي مطلع ايلول ١٩٧٦ كان الوضع مستمرا في التدهور ، وتكررت النداءات في الكويت والسعودية والسودان ودولة الامارات لعقد مؤتمر قمة عربية يجد حلا للازمة اللبنانية ، ولكن القتال شمل جميع الجبهات ، واطلقت القوات الانعزالية النار على « قوات الامن العربية » في منطقة المتحف في يومي ٤ و ٥ ايلول .

وفي يوم ٦ – ٩ ، كان العقيد ميشال ناصيف احد المساعدين العسكريين للرئيس الياس سركيس ، والرائد نزار عمار من ضباط الامن الموحد في حركة المقاومة والعقيد السامرائي رئيس غرفة العمليات في « قوات الامن العربية » يسيرون داخل ميدان السباق لاستطلاع المنطقة ضمن الترتيبات الامنية اللازمة لاجتماع الرئيس سركيس وابو اياد احد قادة فتح ، فاطلقت عليهم النيران من بيروت الشرقية (منطقة مصالح الجيش)، فأصيب الرائد عمار بطلقة في خاصرته.

وعلى اثر هذا الحادث صرح مسؤول في قيادة « قوات الامن العربية » بما يلي : «في الايام الاخيرة اصبحت منطقة المتحف ساخنة على رغم علم مختلف الفرقاء بان هذه المنطقة محايدة وهي تحت اشراف قوات الامن العربية التي كان وجودها في هذا القطاع بموافقة جميع الاطراف ولمصلحتهم ، فلا يجوز والحال هذه ان يوجه الى هذه القوات اي طرف من الاطراف نيرانه . لكن القوات اللبنانية المشتركة قامت ويا للاسف مساء اليوم الرابع من الشهر الجاري باطلاق قذائف مضادة للدبابات ، فأصابت من الامام ملالتين تابعتين لقوات الامن العربية كانتا موجهتين نحو الشرق ، مع العلم ان ملالات هذه القوات لم تفتح النيران ولم تتحرك خارج حدود القطاع المحدد لها . ويوم الاحد الخامس من الشهر الجاري قامت القوات اللبنانية المشتركة ايضا باطلاق ما يعادل خمسين قذيفة هاون نحو قطاع قوات الامن العربية في منطقة المتحف من دون سبب . وصباح اليوم الاثنين السادس من الشهر الجاري ، قامت عناصر من الجيش اللبناني باقتناص احد الافراد في حضور العقيد ميشال ناصيف داخل سور ميدان السباق ، وذلك في اثناء الاستعداد لاحد الاجتماعات المهمة . هذا مع العلم ان الجيش اللبناني يعرف حق المعرفة كغيره ان قوات الامن العربية هي محايدة ولا يحق له او لغيره اطلاق النار عليها . وبناء على ما تقدم، فان قوات الامن العربية ترى نفسها مضطرة الى مطالبة الجانب المسؤول بتعويض الاضرار التي لحقت بها سواء في الافراد او في الاسلحة او المعدات طبقا لاحكام القوانين الدولية . واخيرا فان قوات الامن العربية تعود لتناشد الجميع من دون استثناء وجوب التحلي بالمسؤولية الوطنية الحقة واعتماد ضبط

المنفس والتخلص من العناصر غير المسؤولة والكف عن فتح النيران والتعاون لتهيئة الجو المناسب للرئيس المنتخب الاستاذ الياس سركيس ، تعزيزا للحوار الجاد مع القادة للوصول الى حل للمشكلة اللبنانية • فقد كفى ما تكدس من خراب ودمار في جميع انحاء لبنان » • (النهار ٧ ـ ٩ ـ ٧٦) •

وكان هذا التصريح اول تحديد علني للجهة المسؤولة عن خرق وقف القتال • وكانت قوات الامن العربية قبل ذلك تكتفي بالمناشدة العامة دون تحديد المسؤولية •

وترك حادث المتحف اثرا عميقا في نفس الرئيس سركيس ، لانه يعني ان هناك جهات تريد تحديد حرية حركته وعزله عن الاتصال بالمقاومة والحركة الوطنية ، خاصة وان العقيد ناصيف كان قد تعرض للنيران اكثر من مرة خلال الاتصالات التي قام بها لجعل المتحف مركزا مؤقتا للرئيس يستطيع منه الاتصال بكافة الاطراف ، دون الانتقال من منطقة الى اخرى ••

وكانت « حرب بوابة الامن العام » موضوع اتصالات في ٨ ـ ٩ بين اطراف عديدة على اعلى المستويات • فقد اتصل اللواء غنيم بالرئيس سركيس واثار معه الوضع المتدهورفي منطقة المتحف ـ الامن العام ، وتعرض عناصر « قوات الامن العربية » للنار • كذلك اتصل اللواء غنيم ببيار جميل وبالوزير غسان التويني للغرض نفسه ، كما اتصل بعدد من المسؤولين في المنطقة الغربية • وبنتيجة هذه المساعي عدل اللواء غنيم عن سحب عناصر « قوات الامن العربية » من المنطقة • خاصة بعد ان سدت البوابة بين المنطقتين الشرقية والغربية من انقاض مبنى الامن العام الذي نسف في ليلة ٧ ـ ٨ ايلول •

وفي ٩ ـ ٩ فتحت بوابة الامن العام • وقد لوحظ غياب اليات « قوات الامن العربية » التي ترابط هناكوالتي انسحبت الى محيط مستشفى البربير بعد ان تركت عناصر تابعة لها قرب نصب الجندي المجهول ، ووقفت سيارة جيب امام سور قصر الصنوبر • واستمرت جهود اللواء غنيم بعد ذلك بغية تحييد منطقة المتحف، وترتيب الاوضاع بين المتحف والبربير ، واعادة الاتصال بين المنطقتين الشرقية والغربية • ولكن عدم وقف القتال جديا ـ حتى بعد استلام الرئيس سركيس لصلاحياته في ٢٣ ـ ٩ ـ احبط كل هذه الترتيبات • وفي ١٠ ـ ١٠ اوضح اللواء غنيم انه تلقى من الامين العام للجامعة العربية تعليمات تقضي بوجوب سحب « قوات الامن العربية » اذا ما عجزت عن ممارسة مهماتها في الفصل بين الفئات المتحاربة • وان من الصعب ان تمارس هذه القوات مهمتها في ظل استمرار تصعيد القتال بمثل هذه الضراوة •

ولكن الاعداد لمؤتمر القمة السداسيةفي الرياض ، جمد سحب القوات بانتظار ما سيسفر عنه هذا المؤتمر • وبقيت « قوات الامن العربية » في مواقعها عاجزة عن مراقبة وقف القتال طالما ان الاطراف المتنازعة لا تلتزم بقرارات وقف القتال • وكان من الممكن ان يستمر بقاؤها في هذا الموقف طويلا ، او ان يقوم الامين العام للجامعة العربية بسحبها لتعذر تنفيذ المهمة الملقاة على عاتقها • ولكن مؤتمر القمة السداسية في الرياض (١٦ ـ ١٨ تشرين الاول) ومؤتمر القمة العربي في القاهرة (٢٥ ـ ٢٦ تشرين الاول)ثبتاها في مواقعها ، والقيا على عاتقها مهمة جديدة بعد ان حولاها الى جزء من «قوات الردع العربية » •

عصام الجزار

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة خلال سنة ١٩٧٦

إعداد : مركز التخطيط - قسم الأرض المحتلة

عمليات شهر كانون الثاني ١٩٧٦ (٤٨ عملية)

الرقم	تاريخ العملية	المنطقة وموقع العملية	الاسلحة المستخدمة	الهدف	اعتراف العدو	رقم البلاغ العسكري	ملاحظات
١	١/١	تل ابيب ـ كريات يوفيل	عبوات ناسفة حارقة	كراج سيـــارات		٧٦/١	
٢	١/١	تل ابيب ـ الضاحية الجنوبية	حريـــق	مستودع ورق	★★		تابعـة لصحيفة ها ارتس
٣	١/١	العريش ـ الطريق الرئيسي	لغم ارضي	دوريات عسكرية	★	٧٦/٢	تدمير سيارة عسكرية
٤	١/١	نهاريا ـ طريق نهاريا ـ كابري	قذائف مشركة ضد الاليات	دوريات عسكرية		٧٦/٣	
٥	١/٢	تل ابيب ـ المنطقة الشمالية	اسلحة رشاشة وقنابل	نادي للشرطه		٧٦/٤	اشتباك
٦	١/٢	تل ابيب ـ الضاحية الجنوبية	عبوات ناسفة حارقة	مستودعـات ورق		٧٦/٥	
٧	١/٣	البحر الميت ـ عين الفشخه		تصفية رجال مخبارات		٧٦/٧	تصفية ضابطين للمخابرات
٨	١/٤	تل ابيب ـ المنطقة الجنوبية	عبوات ناسفة حارقة	منجرة ومصنع اثاث		٧٦/٦	
٩	١/٤	تل ابيب ـ المنطقة الوسطى	عبـوات ناسفة حارقة	مصنع للمواد الكيماوية		٧٦/٦	
١٠	١/٥	المجـدل	عبوات ناسفة	نادي ليلي		٧٦/١١	
١١	١/٦	تل ابيب ـ المنطقة الجنوبية	عبوات حارقة موقوتـه	كراج سيارات		٧٦/٨	
١٢	١/٦	تل ابيب ـ كفار شاليم	عبوات حارقة	مصنع للورق	★	٧٦/٩	
١٣	١/٧	تل ابيب ـ حي هتكفاه	عبـوات حارقة	مقهى	★	٧٦/٩	
١٤	١/٩	القدس ـ حي رامات اشكول	عبوات ناسفة	سوبر ماركت	★	٧٦/١٠	اعترف العـدو بسقوط ٨ جرحى
١٥	١/١١	المجدل	قنبلة يدويـة	نادي ليلي	★	٧٦/١١	
١٦	١/١٢	صفد	صواريخ ثقيلة	اهداف مختلفة	★	٧٦/١٢	اعترف العدو ببعض الخسائر
١٧	١/١٢	شمال فلسطين ـ مستوطنة مرجليوت	اسلحة رشاشة وقنابل واسلحـة صاروخية	دورية الى الداخل	★★	——	استشهاد ٤ فدائيين
١٨	١/١٥	ايـلات	عبوات حارقة	مركز شرطة ايلات		٧٦/١٦	
١٩	١/١٦	عـكا ـ جنوب المدينة	عبوات ناسفة	محطة لتوليد الكهرباء		٧٦/١٥	
٢٠	١/١٦	حيفـــا	اسلحة خفيفة	قتل ضابط	★	٧٦/٣٦	
٢١	١/١٧	الناصره	عبوات ناسفة حارقة	مصنع نسيج		٧٦/١٤	
٢٢	١ ١٩	بحر الميت ـ منطقة القصاص	لغم ارضي	سيارات عسكرية		٧٦/٤٠	
٢٣	١/٢٠	وادي عربه	الغام مضاده للاليات	سيارات عسكرية		٧٦/١٣	
٢٤	١/١٤	تل ابيب ـ حـي هتكفاه	عبوات ناسفة حارقه	مستودع لمـواد بناء	★	٧٦/١٧	
٢٥	١/٢٥	القدس ـ بوابة يافا	عبوات ناسفه	البوابة	★	٧٦/١٨	
٢٦	١/٢٨	بئر السبع	أسلحـة رشاشة وقنابل	احدى باصات العدو العسكرية		٧٦/٢٠	
٢٧	١/٢١	ايـلات	عبوات ناسفة حارقة	فندق بيـل		٧٦/٢١	
٢٨	١/٢٨	البحر الميت ـ مستوطنة نوت هكيكار	لغم ارضي	سيـارة عسكرية		٧٦/١٩	

ملاحظـات :

١ ـ تدل الاشارة (★) الى العمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني وصدر عـنها بلاغ عسكري من قيـــادة الثورة الفلسطينية .

٢ ـ تدل الاشارة (★★) الى العمليات العسكرية التي اعترف بها العدوالصهيوني ولم يصدر عـنها بلاغ عسكري .

٣ ـ اما العمليات الغير منونه «بنجوم» فهي تدل الى العمليات التي صدر عنهـا بلاغ عسكري ولم يعترف بها العـــــدو الصهيوني .

٤ ـ المعلومات من جدول المتابعة حتى : ١٥ـ١٢ـ١٩٧٦ .

عمليات شهر شباط ١٩٧٦ (٢٣ عملية)

الرقم	تاريخ العملية	المنطقة وموقع العملية	الاسلحة المستخدمة	الهدف	اعتراف العدو	رقم البلاغ العسكري	ملاحظات
٢٩	٢/٤	القدس ـ شارع خالد بن الوليد	صواريخ	المحكمة العسكرية	★	٧٦/٢٢	اكتشفت
٣٠	٢/٨	حيفا ـ السوق التجاري	عبوات ناسفة حارقه	مباني تجارية	★	٧٦/٢٣	
٣١	٢/٨	القدس ـ حي تبلوت	عبوات حارقه	سيارات حرس دولة اسرائيل	★	٧٦/٢٤	
٣٢	٢/٩	القدس ـ حي القطمون	عبوات ناسفة حارقة	محل تجاري ومكتبة		٧٦/٢٥	
٣٣	٢/٩	جنين ـ الطريق الى العفولة	اسلحه رشاشه وقنابل	كمين لسيارات العـدو	★	٧٦/٢٧	
٣٤	٢/٩	غـزه ـ معسكر الشاطيء	اسلحـه رشاشه وقنابل	مهاجمة دورية	★	٧٦/٢٨	
٣٥	٢/٩	القـــدس	عبوة حارقه	محنوظات دينية	★ ★		
٣٦	٢/١٤	تل ابيب ـ شارع ديزنجون	اسلحة رشاشه	نوادي ليلية ـ بلو اب		٧٦/٢٩	
٣٧	٢/١٤	تـــل ابيـب	اسلحه رشاشه	نادي هادية هادوم		٧٦/٢٩	
٣٨	٢/١٤	اللد ـ الطريق الى تل ابيب	عبوة لاصقه	سيارة عسكرية		٧٦/٣٠	
٣٩	٢/١٤	البحر الميت ـ « القصاص »	لغـــم ارضـــي	سيارات عسكرية		٧٦/٤٠	
٤٠	٢/١٥	تل ابيب ـ بتاح تكفا	عبوات ناسفة حارقه	محطة وقـود	★	٧٦/٣١	اكتشفت وقتلت خبير صهيوني
٤١	٢/١٥	حيفا ـ مستوطنة ميجاف	عبوات ناسفة	كابل الهواتف	★	٧٦/٣٢	
٤٢	٢/١٦	نابلس	عبوات حارقه	وزارة الزراعـة ـ اليات		٧٦/٣٨	حرق عدد من التراكتورات
٤٣	٢/١٨	اسدود	عبوات ناسفه	نـادي تابـع للبحرية	★	٧٦/٣٣	اكتشفت
٤٤	٢/١٩	تل ابيب ـ متكفاه	عبوات ناسفه حارقه	مكتبة		٧٦/٣٤	
٤٥	٢/٢٠	القدس ـ حي رامات اشكول	عبوات ناسفة	سيـــارة		٧٦/٣٥	
٤٦	٢/٢١	القدس ـ القطاع الغربي	عبوة ناسفة		★ ★	ــــ	اكتشفت
٤٧	٢/٢٢	شمال فلسطين ـ مستوطنة زرعـت	اسلحـة وقذائف صاروخية	دورية عسكرية	★ ★	ــــ	اطلاق قذيفة على احدى الاليات
٤٨	٢/٢٣	نابلس ـ بلدة حواره	اسلحـه رشاشه وقنابل	كمين لدوريات		٧٦/٣٦	مهاجمة قافلة وتدمير سيارتين عسكريتين
٤٩	٢/٢٤	حيفا ـ مستوطنة زخروف	الغـام مسيطر عـليها فنيا	قطارات		٧٦/٣٧	تفجير اسفل القطار ونسف جزء من سكة الحديد
٥٠	٢/٢٥	شمال فلسطين ـ مستوطنة شكولا	قذائف بازوكا	دورية عسكرية	★ ★	ــــ	
٥١	٢/٢٧	الخليل ـ الطريق الى بيت لحم	عبوات مشركة	باصـات العـدو	★	٧٦/٣٩	احراق باص وتفخيخه

عمليات شهر اذار ١٩٧٦ (٣٠ عملية)

الرقم	تاريخ العملية	المنطقة وموقع العملية	الاسلحة المستخدمة	الهدف	اعتراف العدو	رقم البلاغ العسكري	ملاحظات
٥٢	٣/٤	القدس ـ شارع شتراوس	عبوات ناسفة	سيارة للشرطة		٧٦/٤١	
٥٣	٣/٤	الخليل ـ طريق بني نعيم	اسلحه رشاشه وقنابل	كمين لدوريات عسكرية		٧٦/٤٢	
٥٤	٣/٤	تل ابيب ـ شارع باركوخبا	عبوات ناسفة	احد باصات العدو		٧٦/٤٣	اكتشفت
٥٥	٣/٥	تل ابيب ـ شارع الهاجناد	عبوات ناسفه حارقه	نادي ليلي		٧٦/٤٥	
٥٦	٣/٥	تل ابيب ـ المنطقة الصناعية	عبوات ناسفة	مستودعات		٧٦/٤٤	
٥٧	٣/٧	الجولان ـ تل السقي	اسلحة رشاشه وقذائف مضاده	دورية عسكرية		٧٦/٤٦	تدمير الية للعدو
٥٨	٣/٩	نتانيا ـ محطة سكة الحديد	عبوات ناسفة	محطة سكة الحديد	★	٧٦/٤٧	
٥٩	٣/١٠	نابلس ـ الساحة الرئيسية	عبوات ناسفة	مجمع لقوات العدو		٧٦/٤٨	
٦٠	٣/١٠	طولكرم ـ الطريق الرئيسي	الغام	دوريات عسكرية		٧٦/٤٩	اصطدامها بالية
٦١	٣/١٠	طولكرم ـ الطريق العام	اسلحه رشاشه وصاروخية	كمين لدوريات العدو		٧٦/٤٩	
٦٢	٣/١٠	تل ابيب ـ شارع ليفي	عبوات ناسفة	مكان عام	★ ★		اعترف العدو بمقتل واحد واصابة اخر
٦٣	٣/١٠	تل ابيب ـ شارع الهاغناه	عبوات ناسفة مشركة	موقف باص	★ ★	٧٦/٥٠	اكتشفت وقتلت خبير متفجرات
٦٤	٣/١٠	بئر السبع ـ مستعمرة رحبوت	عبوات ناسفه	مستعمرة رحبوت	★ ★		اكتشفت
٦٥	٣/١١	تل ابيب ـ الطريق الى القدس	عبوات ناسفه	كابلات الهاتف		٧٦/٥١	
٦٦	٣/١٢	نابلس ـ الشارع الرئيسي	اسلحه رشاشه وقنابل	قافلة عسكرية			معركة مواجهة تدمير مجنزرتين مقتل ٦ وجرح ١٢
٦٧	٣ ١٣	حيفا ـ المدينة	عبوات حارقه	سيارة عسكرية		٧٦/٥٢	
٦٨	٣/١٣	طولكرم ـ المدينة	عبوات حارقة	مكتب العمل		٧٦/٥٣	
٦٩	٣/١٤	جنين ـ قرب قرية رمانة	عبوات ناسفة	سيارة عسكرية		٧٦/٥٥	
٧٠	٣/١٤	تل ابيب ـ المنطقة الصناعية	عبوات ناسفة	مستودعات ومصانع		٧٦/٥٤	
٧١	٣/١٥	طوباس ـ قرب طلوزه	اسلحة رشاشة وقنابل	دورية عسكرية			استشهاد ٤ فدائيين وجرح اثنين
٧٢	٣/١٨	القدس ـ جبل الطور	عبوات ناسفة	احد الباصات السياحية		٧٦/٥٧	
٧٣	٣/١٧	الخليل ـ الشارع الرئيسي	اسلحة رشاشة وقنابل	دورية عسكرية راجلة		٧٦/٥٦	
٧٤	٣/١٨	أسدود	عبوات ناسفه مشركة	سيارة شحن		٧٦/٥٨	
٧٥	٣/٢٠	ناتانيا	عبوات ناسفه حارقه	فندق بارك	★	٧٦/٥٩	
٧٦	٣/٢٠	القدس ـ محطة الباصات المركزية	عبوات ناسفه	صالة المسافرين		٧٦/٦٠	
٧٧	٣/٢١	كفار عصيون ـ قرب قرية بيت امر	اسلحه رشاشه وقنابل وقذائف صاروخيه	دورية عسكرية		٧٦/٦١	اشتباك مع قافلة عسكرية
٧٨	٣/٢٣	الجليل ـ مستوطنة يفتاح	اسلحه رشاشه وقذائف مضاده للاليات	دورية عسكرية		٧٦/٦٢	
٧٩	٣/٢٤		سلاح فردي	تصفية احد الضباط			تصفية ضابط يدعى « موريس »
٨٠	٣/٢٤	عيناتا ـ الطريق الرئيسي	اسلحة رشاشه	شاحنة عسكرية			الهجوم على شاحنة
٨١	٣/٢٨	طولكرم ـ الطريق بين طولكرم ، نتانيا	اسلحة رشاشة	باص جنود		٦٧/٦٣	

عمليات شهر نيسان ١٩٧٦ (٢٤ عملية)

الرقم	تاريخ العملية	المنطقة وموقع العملية	الاسلحة المستخدمة	الهـدف	اعتراف العـدو	رقـم البلاغ العسكري	ملاحظات
٨٢	٤/٢	جنين ـ قرب بلدة (ميثلون)	اسلحة رشاشة وقنابل وقذائف صاروخية	تجمع للاليات		٧٦/٦٥	جرح اثنين من الفدائيين
٨٣	٤/٤	تل ابيب	رشاش	تجمع داخـل محطة باصات		٧٦/٦٤	
٨٤	٤/٧	القدس ـ حي جعفات نيفا	صواريخ ثقيلة	حي جعفات نيفا	★	٧٦/٦٦	اعـلن العدو انه اكتشف صاروخ لم ينفجر
٨٥	٤/٧	تل ابيب ـ محطة الباصات	عبوات ناسفة	احد الباصات	★	٧٦/٦٧	
٨٦	٤/٩	نابلس ـ مبنى الحاكم العسكري	صواريخ ثقيلة	مبنى الحاكم العسكري	★	٧٦/٦٨	اعترف العدو باطلاق صاروخين كاتيوشا
٨٧	٤/١١	غـزه ـ جنوب رفح	لغـم ارضي	سيارات عسكرية		٧٦/٦٩	
٨٨	٤/١٣	تل ابيب ـ شارع فايسمان	عبـوات ناسفـــة	بناية للضباط		٧٦/٧٠	
٨٩	٤/١٥	تل ابيب ـ المنطقة الصناعـية	عبوات حارقـه	مستودعـات		٧٦/٧١	
٩٠	٤/١٥	عسقلان ـ المنطقة الصناعـية	عبوات ناسفه حارقه	مستودعـات		٧٦/٧٢	
٩١	٤/١٥	اسدود ـ المنطقة الصناعية	عبـوات ناسفه حارقه	مصنع للورق		٧٦/٧٣	
٩٢	٤/١٨	تل ابيب ـ بات يام شارع كروشيه كهير	عبـوات حارقه	مستودع لمواد البناء		٧٦/٧٤	
٩٣	٤/١٨	يافا ـ شارمحرزيت	عبوات حارقه	مصنع للادوات المنزليـــة		٧٦/٧٤	
٩٤	٤/١٩	نابلس ـ الطريق الى طولكرم	اسلحة رشاشه وقنابل	دوريات عسكرية		٧٦/٧٦	
٩٥	٤/١٩	تل ابيب	اسلحـة رشاشه	حاجـز للشرطـــة		٧٦/٧٥	
٩٦	٤/٢٠	تل ابيب ـ بات يام	عبوات ناسفه	منزل احـد الضبـــاط		٧٦/٧٧	
٩٧	٤/٢٠	تل ابيب ـ بتاح تكفا	عبوات حارقه	مصنع للنسيج		٧٦/٧٨	
٩٨	٤/٢٢	الجولان ـ رفيد	عبوات ناسفة	احد السيارات		٧٦/٧٩	
٩٩	٤/٢٤	جنين ـ الساحـة الرئيسية	عبوات ناسفه	قوات للمظليين في الساحة	★	٧٦/٨٠	« اكتشفت »
١٠٠	٤/٢٧	تل ابيب ـ حولون	عبوات ناسفه	مضخـات المياه		٧٦/٨١	
١٠١	٤/٢٧	الجليل ـ رعـنان	عبوات ناسفه	خط التوتر العالي		٧٦/٨٢	
١٠٢	٤/٢٨	تل ابيب ـ هرتسليا	اسلحـة فرديه	حاجز للشرطة		٧٦/٨٣	
١٠٣	٤/٢٨	القدس	عبوات ناسفة	صندوق العمال	★	٧٦/٨٤	
١٠٤	٤/٢٨	القدس ـ شارع شتراوس	عبوات ناسفة	مبنى المخابرات	★	٧٦/٨٤	مقتل خبير صهيوني واصابة ٧ اخرون
١٠٥	٤/٣٠	حيفا	عبوات مشركه	عمارة سكن للضباط		٧٦/٨٧	

عمليات شهر ايار ١٩٧٦ (٢٣ عملية)

الرقم	تاريخ العملية	المنطقة وموقع العملية	الاسلحة المستخدمة	الهدف	اعتراف العدو	رقم البلاغ العسكري	ملاحظات
١٠٦	٥/١	الخليل ـ طريق عين جدي	أسلحة رشاشه وقنابل	دوريات		٧٦/٨٦	
١٠٧	٥/١	القدس ـ حي هدافيكا	عبوات ناسفه	الساحة الرئيسية	★	٧٦/٨٥	
١٠٨	٥/١	الخليل ـ مستوطنة وادي دروسيا	صواريخ	منشات		٧٦/٩٠	
١٠٩	٥/٣	القدس ـ شارع بن يهودا	عبوات ناسفه	موقف للدراجات	★	٧٦/٨٨	انفجار دراجتين ناريتين
١١٠	٥/٥	الخليل ـ كريات خمسة	صواريخ	المستوطنة		٧٦/٩١	
١١١	٥/١١	تل ابيب ـ سينما الخاد	عبوات ناسفه	سينما الخاد	★	٧٦/٨٩	اصابة ثلاثة باعتراف العدو
١١٢	٥/١٤	الجولان ـ تل السكير ٠	أسلحة رشاشه وقنابل وقذائف صاروخية	دورية محمولة		٧٦/٩٣	
١١٣	٥/١٥	تل ابيب ـ المدينة	عبوات ناسفه	بناية للمخابرات		٧٦/٩٢	
١١٤	٥ ١٥	القدس ـ المدينة	عبوات ناسفه	مكتب عام		٧٦/٩٥	اكتشفت وقتلت خبير صهيوني
١١٥	٥/١٥	نابلس ـ المدينة	عبوات ناسفه	مركز شرطة		٧٦/٩٦	
١١٦	٥/١٥	نابلس ـ بئر يعقوب	عبوات ناسفه	تجمع لقوات العدو		٧٦/٩٧	
١١٧	٥/١٦	تل ابيب ـ كفار سابا	عبوات ناسفه	محطة للباصات		٧٦/٩٤	
١١٨	٥/١٦	القدس ـ قرب الكنيست	عبوات ناسفه	كراج للسيارات	★	٧٦/٩٨	انفجرات في قفص للبيض
١١٩	٥/١٧	تل ابيب ـ المدينة	عبوات ناسفه	مبنى رئيس البلدية		٧٦/٩٩	
١٢٠	٥/٢٠	تل ابيب ـ شارع سلمه	عبوات ناسفه حارقه	معمل للاحذية		٧٦/١٠١	
١٢١	٥/٢١	تل ابيت ـ تل كابيرا	عبوات ناسفه	معمل نسيج		٧٦/١٠٢	
١٢٢	٥/٢١	تل ابيب	عبوات ناسفه حارقه	مصنع المشة		٧٦/١٠٣	
١٢٣	٥/٢٢	القدس ـ حي تبيلوت	صواريخ	حي تبيلوت منشاة عسكرية		٧٦/١٠٤	صاروخ واحد اصاب هدفه
١٢٤	٥/٢٦	اللد ـ مطار اللد	شحنات متفجرة	قاعة الوصول في المطار	★ ★		انفجرت حقيبة بين يدي شاب وادت الى مقتل شرطية واكتشاف في حقائب اخرى
١٢٥	٥/٢٨	رام الله ـ السوق التجاري	عبوات ناسفه	محل لعميل صهيوني		٧٦/١٠٦	انفجرت في محلات عبد النور جنحو
١٢٦	٥/٢٨	الجولان ـ سعسع ، المعطمون ،	رشاشات وقذائف مضاده	تجميع لاليات العدو		٧٦/١٠٨	
١٢٧	٥/٢٩	رام الله ـ المدينة	عبوات ناسفه	بنك لئومي		٧٦/١٠٥	
١٢٨	٥/٢٩	رام الله ـ المدينة	عبوات ناسفه	مكتب سياحه		٧٦/١٠٧	، اكتشفت ، وانفجرت بين يدي ضابط صهيوني

عمليات شهر حزيران ١٩٧٦ (١٥ عملية)

الرقم	تاريخ العملية	المنطقة وموقع العملية	الاسلحة المستخدمة	الهدف	اعتراف العدو	رقم البلاغ العسكري	ملاحظات
١٢٩	٦/٣	يافا ـ المدينة	عبوات ناسفه	سيارة احدى المؤسسات		٧٦/١٠٩	
١٣٠	٦/٣	تل ابيب ـ رامات غـان	عبوات ناسفه	موقف باصات		٧٦/١١٠	.اكتشفت.
١٣١	٦/٣	تل ابيب ـ المنطقة الصناعـية	عبوات ناسفه	ورشـة		٧٦/١١١	
١٣٢	٦/١١	الخليل ـ قرب قرية ادنا	رشاشات وقنابل وقذائف مضاده للدروع	المستعـمرة		٧٦/١٢٣	هجوم على المستعمرة
١٣٣	٦/١٨	تل ابيب	قنبلة يدوية	مكتب سياحة		٧٦/١١٥	
١٣٤	٦/١٩	القدس ـ فندق الملك داود	عبوات ناسفه	موقف باصات		٧٦/١١٤	
١٣٥	٦/١٩	البلدة القديمة ـ القدس	عبوات ناسفه		★ ★		انفجرت بين يدي شاب عربي القائها على المبنى
١٣٦	٦/٢٠	تل ابيب ـ المدينة	قنابل حارقه مولوتوف	مبنى البلدية		٧٦/١١٦	
١٣٧	٦/٢١	اللد ـ المطار	عبوات ناسفة	صالة المطار		٧٦/١١٧	اكتشفت
١٣٨	٦/٢٤	رام الله ـ ساحة المغتربين	عبوات ناسفه	مركز سياحة	★	٧٦/١١٩	اكتشفت
١٣٩	٦/٢٥	الجليل ـ طريق مجيدو ، اللجون	عبوات ناسفه	احدى الباصات	★	٧٦/ ١١٨	انفجرت واصابت ٢ يعملون في مستعمـرة اللجون باعتراف العـدو
١٤٠	٦/٢٥	القدس ـ المدينة	عبوات ناسفه	نصب الجندي المجهول		٧٦/١٢٢	اكتشفـت
١٤١	٦/٢٥	تل ابيب ـ المدينة الصناعـية	عبوات ناسفه	مصنـع		٧٦/١١٨	
١٤٢	٦/٢٦	حيفا ـ المدينة	عبوات ناسفه	مصنع للمواد الكيماوية		٧٦/١٢٠	
١٤٣	٦/٢٩	اللد ـ المطار	عبوات ناسفه	صالـة الانتظار		٧٦/١٢١	اكتشفـت

عمليات شهر تموز ١٩٧٦ (١٩ عملية)

الرقم	تاريخ العملية	المنطقة وموقع العملية	الاسلحة المستخدمة	الهدف	اعتراف العدو	رقم البلاغ العسكري	ملاحظات
١٤٤	٧/١	تل ابيب ـ بات يام	عبوات ناسفة مشركة	مدرسة للمخابرات		٧٦/١٢٤	
١٤٥	٧/٦	حيفا ـ المدينة	عبوات ناسفة	محطة توليد كهرباء		٧٦/١٢٥	
١٤٦	٧/٦-	تل ابيب ـ المدينة	عبوات ناسفة	محطة توليد كهرباء		٧٦/١٢٥	
١٤٧	٧/٧	تل ابيب ـ رامات جان ـ السكة الحديد	عبوات ناسفة	خط السكة الحديد	★	٧٦/١٢٦	خروج القطار عن الخط
١٤٨	٧/١٠	تل ابيب	عبوات ناسفة حارقة	نادي ليلي		٧٦/١٢٧	
١٤٩	٧/١٤	الخليل ـ مستوطنة كريات اربع	اسلحة رشاشة وقنابل يدوية	دورية عسكرية		٧٦/١٢٨	
١٥٠	٧/١٨	تل ابيب ـ رامات جان	عبوات ناسفة	باص لشركة ايجد	★	٧٦/١٢٩	اعترف العدو بسقوط ٦ جرحى
١٥١	٧/٢٠	عسقلان ـ الجنوب	عبوات ناسفة	ساحة موشاف	★	٧٦/١٣٠	
١٥٢	٧/٢٣	القدس ـ قرية صور باهر	عبوات ناسفة	سيارة لضابط		٧٦/١٣٩	
١٥٣	٧/٢٤	نابلس ـ الطريق الى غور الاردن	عبوات ناسفة	سيارة لضابط		٧٦/١٣١	
١٥٤	٧/٢٥	نابلس ـ قرب مخيم بلاطه	عبوات ناسفة	سيارة لضابط	★ ★		انفجرت قرب مخيم بلاطة وقتل سيرجنت
١٥٥	٧/٢٦	حيفا	عبوات ناسفة	منزل لضابط		٧٦/١٢٢	مقتل ضابط
١٥٦	٧/٢٦	بئر السبع	عبوات ناسفة	مقر الحرس المدني		٧٦/١٢٣	
١٥٧	٧/٢٧	تل ابيب	سلاح فردي	تصفية احد الضباط		٧٦/١٢٤	
١٥٨	٧/٢٨	تل ابيب	عبوات ناسفة	صالة عرض لاحدى الشركات		٧٦/١٣٥	
١٥٩	٧/٢٨	الخليل	عبوات ناسفة	بنك لئومي	★	٧٦/١٣٦	اكتشفت وقتلت حارس
١٦٠	٧/٢٩	اللد ـ مطار اللد	عبوات ناسفة	قسم الطرود في المطار		٧٦/١٢٨	
١٦١	٧/٢٩	القدس ـ حي روميما	عبوات حارقة	محطة الباصات المركزية		٧٦/١٣٧	
١٦٢	٧/٣٠	القدس ـ الحي الصناعي	عبوات ناسفه	مؤسسة صناعية			اعلنت الصاعقة عنها

عمليات شهر اب ١٩٧٦ (٢١ عملية)

الرقم	تاريخ العملية	المنطقة وموقع العملية	الاسلحة المستخدمة	الهدف	اعتراف العدو	رقم البلاغ العسكري	ملاحظات
١٦٣	٨/٢	البحر الميت – شاطيء البحر الميت	اسلحة رشاشة وقنابل مضادة	اشتباك مع دورية	★	٧٦/١٤٠	اشتباك مجموعة فدائيين مع قوات للعدو ، وتم أسر احد الفدائيين واستشهاد اخر
١٦٤	٨/٤	طولكرم – المدينة	عبوات ناسفة	مكتب العمل		٧٦/١٤١	
١٦٥	٨/٧	الخليل – الشارع الرئيسي	عبوات ناسفة	مبنى لقوات العدو		٧٦/١٤٢	
١٦٦	٨/٧	الخليل – الطريق الى كريات اربع	رشاشات وقنابل	احد باصات العدو	★	٧٦/١٤٣	
١٦٧	٨/٧	الخليل	رشاشات وقنابل	الباصات	★	٧٦/١٤٥	اصابة باص وتدمير باص اخر ٠
١٦٨	٨/٨	الخليل	قنابل يدوية	مكتب العمل	★	٧٦/١٤٤	القائها على جنود الحراسة ٠
١٦٩	٨/٩	تل ابيب – شارع جبوريم	رشاشات وقنابل يدوية	مكتب للمخابرات		٧٦/١٤٦	
١٧٠	/١١	رام الله	عبوات ناسفة	بنك لئومي		٧٦/١٤٧	
١٧١	٨/١١	حيفا	عبوات ناسفة	سيارة عضو كنيست	★	٧٦/١٤٨	سيارة موشي شاحر
١٧٢	٨/١٤	جنين – وادي جزلين	عبوات ناسفة	معدات للتنقيب عن البترول	★	٧٦/١٤٩	
١٧٣	٨/١٤	شمال فلسطين – الحدود مع لبنان			★ ★		مقتل ثلاثة من عرب قطاع غزة حاولوا الدخول الى لبنان ٠
١٧٤	٨/١٥	تل ابيب – الحي التجاري	عبوات ناسفة	سوق بدريس		٧٦/١٥٠	
١٧٥	٨/١٧	الخليل	رشاشات وقنابل وقذائف مضادة	شاحنات عسكرية		٧٦/١٥١	تدمير شاحنة محملة بالذخائر
١٧٦	٨/١٧	القدس – حي نخلات اختين	عبوات ناسفة	مبنى			
١٧٧	٨/١٧	جنين – الطريق الى قرية عترة	قنابل حارقة مولوتوف	احد باصات ايجد		٧٦/١٥٢	القائها على الباص
١٧٨	٨/١٨	بئر السبع – المدينة	عبوات حارقة	احد معامل الكرتون		٧٦/١٥٣	
١٧٩	٨/٢٠	القدس – المنطقة الصناعية	عبوات ناسفة	معمل للنجارة	★	٧٦/١٥٤	
١٨٠	٨/٢٤	القدس – قرية العيزرية	عبوات ناسفة	مركز شرطة	★	٧٦/١٥٦	
١٨١	٨/٢٥	تل ابيب – طريق بتاح تكفا	عبوات ناسفة	استراحة		٧٦/١٥٥	
١٨٢	٨/٢٥	نابلس – المدينة	عبوات ناسفة		★ ★		انفجرت بين يدي فدائيين ٠
١٨٣	٨/٢٧	اسدود – المدينة	عبوات ناسفة	سينما		٧٦/١٥٨	

عمليات شهر ايلول ١٩٧٦ (١٤ عملية)

الرقم	تاريخ العملية	المنطقة وموقع العملية	الاسلحة المستخدمة	الهدف	اعتراف العدو	رقم البلاغ العسكري	ملاحظات
١٨٤	٩/١	حيفا ـ كرمئيل	سلاح فردي	تصفية ضابط		٧٦/١٥٩	تصفيته داخل منزله ٠
١٨٥	٩/٢	تل ابيب ـ فندق ميلتون	عبوات ناسفة	الفندق		٧٦/١٦٠	
١٨٦	٩/٩	بئر السبع ـ السوق المركزي	عبوات حارقة	محلات تجارية		٧٦/١٦١	
١٨٧	٩/١٦	يافا	عبوات ناسفة	خزانات الوقود	★	٧٦/١٦٢	
١٨٨	٩/١٦	نابلس ـ المدينة	قنابل يدوية	باص محمل بالجنود		٧٦/١٦٣	
١٨٩	٩/١٦	القدس ـ باب الاسباط ـ البلدة القديمة	عبوات ناسفة	احد الباصات		٧٦/١٦٤	
١٩٠	٩/١٦	القدس ـ باب الساهرة ـ البلدة القديمة	عبوات ناسفة	احد الباصات		٧٦/١٦٥	
١٩١	٩/١٧	تل ابيب ـ رامات جان	عبوات حارقة	مصنع		٧٦/١٦٥	
١٩٢	٩/١٨	تل أبيب	عبوات ناسفة حارقة	مخزن		٧٦/١٦٦	
١٩٣	٩/٢١	حيفا	عبوات ناسفة حارقة	جمعية استهلاكية		٧٦/١٦٧	
١٩٤	٩/٢٢	بئر السبع ـ الحي ـ هـ ـ	عبوات حارقة	منشأة حيوية	★	٧٦/١٦٨	
١٩٥	٩/٢٢	اللد ـ المطار		عنابر طائرات العال	★ ★		ادعى العدو ان الانفجار بسبب تلف جهاز يحتوي على هواء مضغوط اصابة ٠٧.
١٩٦	٩/٢٥	تل ابيب ـ الشاطيء	اسلحة مختلفة	تل ابيب	★ ★		القبض على زورق فيه ٥ فدائيين
١٩٧	٩/٢٧	حيفا ـ مستوطنة طبرجون	عبوات ناسفة	بنك هبو عليم	★	٧٦/١٦٩	

عمليات شهر تشرين الاول ١٩٧٦ (١٠ عمليات)

الرقم	تاريخ العملية	المنطقة وموقع العملية	الاسلحة المستخدمة	الهدف	اعتراف العدو	رقم البلاغ العسكري	ملاحظات
١٩٨	١٠/١	اريحا ـ الطريق الى مستوطنة كاليـد	اسلحة وقنابل وقذائف مضاده	دوريات عسكرية		٧٦/١٧٠	كمين لدوريةوالحصول على اسلحة وأصابة فدائي ·
١٩٩	١٠/٨	بتاح تكفا ـ مستوطنة كريات اربيه	عبوات ناسفة وحارقة	مصنع للغـزل والنسيج		٧٦/١٧١	
٢٠٠	١٠/١١	يافا ـ ابوكير	سلاح اتوماتيكي فردي	مقهى		٧٦/١٧٢	
٢٠١	١٠/١١	يافا ـ مستوطنة اور يهودا	عبوات ناسفة	نادي الشباب		٧٦/١٧٣	
٢٠٢	١٠/١٧	القدس	عبوات لاصقة	سيارة عسكرية		٧٦/١٧٥	
٢٠٣	١٠/١٨	تل ابيب ـ بتاح‌تكفا	عبوات حارقة	مخزن ملابس	★	٧٦/١٧٤	
٢٠٤	١٠/١٨	القدس ـ حي يهودا	عبوات ناسفة	نــادي		٧٦/١٧٤	
٢٠٥	١٠/١٩	نابلس	عبوات ناسفة مشركة	باص		٧٦/١٧٦	
٢٠٦	١٠/١٩	تل ابيب ـ خط السكة الحديد	عبـوات ناسفة	الخـط الحديدي		٧٦/١٧٧	
٢٠٧	١٠/٢١	تل ابيب	عبوات ناسفة حارقة	مصنع للنسيج		٧٦/١٧٨	

عمليات شهر تشرين الثاني (١٤ عملية)

الرقم	تاريخ العملية	المنطقة وموقع العملية	الاسلحة المستخدمة	الهدف	اعتراف العدو	رقم البلاغ العسكري	ملاحظات
٢٠٨	١١/٢	جنوب لبنان رميش ـ عين أبل	اسلحة مضادة للدبابات	الية عسكرية ·			
٢٠٩	١١/٨	الخليل ـ قرب الحرم الابراهيمي	عبـوات ناسفة	مطعم		٧٦/١٨٠	
٢١٠	١١/٨	الخليـل	عبوات ناسفة	مكتب العمل		٧٦/١٨١	
٢١١	١١/٩	جنوب لبنان ـ رميش ـ دبل	اسلحة رشاشة ومضادة للدبابات	الية عسكرية			اصابة الية للعـدو
٢١٢	١١/٩	تل ابيب ـ رامات جان	عبوات ناسفة	مبنى للضباط		٧٦/١٨١	
٢١٣	١١/١١	تل ابيب ـ بتاح تكفا	عبوات ناسفة	سوبر ماركت	★	٧٦/١٨٢	
٢١٤	١١/١١	رام الله	عبـوات ناسفة مشركة	دائرة السياحة		٧٦/١٨٥	اكتشفت وقتلت خبير صهيوني
٢١٥	١١/١٢	تل ابيب ـ كفار سابا	عبوات ناسفة	بــاص	★	٧٦/١٨٣	
٢١٦	١١/١٣	حيفا ـ الطريق الى الكرمل	عبوات ناسفة	شقة للمخابرات	★	٧٦/١٨٤	
٢١٧	١١/١٨	حيفا ـ طريق الناصرة	سلاح فردي	جندي صهيوني	★ ★		
٢١٨	١١/٢١	نهاريـا	صواريخ ثقيلة	البـلـدة	★ ★		
٢١٩	١١/٢١	تل ابيب ـ كفار سابـا	سكيـن	جنـــدي	★ ★		القي القبض عـلى عربي من قلقيلية
٢٢٠	١١/٢٢	يافـا ـ مستوطنة اوريهودا	عبوات ناسفة حارقة	مطعــم	★	٧٦/١٨٦	
٢٢١	١١/٢٥	تل أبيب ـ سوق النجارين	عبوات ناسفة حارقة	مصانع درويش	★	٧٦/١٨٧	حرائق كبيرة في المنطقة ·

عمليات شهر كانون الاول ١٩٧٦

الرقم	تاريخ العملية	المنطقة وموقع العملية	الاسلحة المستخدمة	الهدف	اعتراف العدو	رقم البلاغ العسكري	ملاحظات
٢٢٢	١٢/١	صفد	اسلحة رشاشة	حاجز شرطة	★ ★	—	شابين مسلحين اطلقا النار على الحاجز ولم يكشف العدو عن هويتهم
٢٢٣	١٢/٥	الخليل	عبوات ناسفة	—	★ ★	—	انفجرت في صالون للحلاقة وادت الى مقتل ثلاثة مواطنين عرب .
٢٢٤	١٢/١٥	تل ابيب	عبوات ناسفه حارقه	شركة لتعبئة وتصدير الموالح	★	٧٦/١٨٨	

يوميّات أحداث لبنان ١٩٧٥ - ١٩٧٦

اعداد : محمّد يوسف قدورة

الحدث	التاريخ
بيار الجميل يقدم مذكرة الى رئيس الجمهورية ، تركزت حول وجود المقاومة والوضع في الجنوب .	٢٤ كانون ثاني ١٩٧٥
بيار الجميل يطالب باجراء استفتاء حول وجود المقاومة في لبنان	٢١ شباط ١٩٧٥
اطلاق النار على تظاهرة صيادي الاسماك في صيدا واصابة معروف سعد	٢٦ شباط ١٩٧٥
الكتائب اللبنانية تنظم مظاهرة تأييدا للجيش اللبناني في المنطقة الشرقية والجبل .	٥ آذار ١٩٧٥
استشهاد معروف سعد	٦ آذار ١٩٧٥
مجزرة عين الرمانـــة	١٣ نيسان ١٩٧٥
استقالة حكومة رشيد الصلح	١٥ ايار ١٩٧٥
تشكيل حكومة نور الدين الرفاعي العسكرية	٢٣ ايار ١٩٧٥
بدء المبادرة السورية في لبنان	٢٤ ايار ١٩٧٥
تكليف رشيد كرامي بتشكيل الحكومة	٢٨ايار ١٩٧٥
انفجار الوضع العسكري في زحلة	٢٨ ايار ١٩٧٥
الامام الصدر يبدأ اعتصامه في المسجد حتى يقف اطلاق النار	١٧ حزيران ١٩٧٥
هجوم على بلدة القاع في البقاع	٢ تموز ١٩٧٥
الحركة الوطنية تقدم برنامجا للاصلاح السياسي	١٨ آب ١٩٧٥
انفجار الوضع العسكري في طرابلس	٤ ايلول ١٩٧٥
مجزرة داريا قرب طرابلس	٧ ايلول ١٩٧٥

اقالة العماد اسكندر غانم وتعيين حنا سعيد قائدا للجيش	١٠ ايلول ١٩٧٥
هجوم على بيت ملات في عكار	١١ ايلول ١٩٧٥
حريق سوق سرسق والاوبرا والفندق العربي في وسط بيروت	١٨ ايلول ١٩٧٥
تشكيل هيئة الحوار الوطني	٢٤ ايلول ١٩٧٥
صائب سلام وريمون اده يدعوان فرنجية الى الاستقالة	١ تشرين اول ١٩٧٥
هجوم على قرية تل عباس في عكار	٩ تشرين اول ١٩٧٥
انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية لبحث الازمة اللبنانية	١٥ تشرين اول ١٩٧٥
كرامي يعتصم بالسراي وينشأ الهيئة الامنية	٢٨ تشرين اول ١٩٧٥
باخرة « الاكوامارينا » وفضيحة الجيش لانحيازه الى الفريق الانعزالي	٦ تشرين ثاني ١٩٧٥
برتولي مبعوث البابا يبدأ وساطة فاتيكانية لحل الازمة اللبنانية	٩ تشرين ثاني ١٩٧٥
كوف دي مورفيل يبدأ وساطة فرنسية لحل الازمة اللبنانية	١٩ تشرين ثاني ١٩٧٥
مجزرة حارة الغوارنـــة	١ كانون الاول ١٩٧٥
السبت الدامي ، وزيارة بيار الجميل الى دمشق	٦ كانون الاول ١٩٧٥
فرنجية يوجه رسالة الى اللبنانيين محملا اليسار الدولـي والصهيونية مسؤولية الاحداث في لبنان	١٠ كانون الاول ١٩٧٥
مجـــزرة سبنيـــه	١٦ كانون اول ١٩٧٥
اغتيال محافظ الشمال قاسم العماد في طرابلس	٢٠ كانون اول ١٩٧٥
حصار مخيم تل الزعتر حيث منع الانعزاليون دخـــول المداد التموينية والطبية لـــه	٤ كانون ثاني ١٩٧٦
سقوط مخيم ضبية	١٤ كانون ثاني ١٩٧٦
سقوط الدامور	١٧ كانون ثاني ١٩٧٦
سقوط المسلخ والكرنتينا	١٩ كانون ثاني ١٩٧٦
حرب الثكنات العسكرية وسقوط السعديات	٢٢ كانون ثاني ١٩٧٦
اعتداء الصاعقة على جريدتي المحرر وبيروت	٣١ كانون ثاني ١٩٧٦
اعلان الوثيقة الدستـورية	١٤ شباط ١٩٧٦
انقلاب العميد الركن الاول عزيز الاحدب	١١ اذار ١٩٧٦
صدام بين الصاعقة وجيش لبنان العربي	١٥ اذار ١٩٧٦

بدء معارك الجبل	١٥ اذار ١٩٧٦
انفجار طائرة . كرامي ـ سلام ـ والاسعد في مطار بيروت	١٩ اذار ١٩٧٦
مجـــزرة بطشاي	١٩ اذار ١٩٧٦
جنبلاط يعلن قيام جيش فخر الديـــن	٢٠ اذار ١٩٧٦
سقوط الهوليداي ان ومنطقته في يد القوات المشتركة	٢١ اذار ١٩٧٦
سقوط المتين وعنيطورة	٢٥ اذار ١٩٧٦
هروب الرئيس سليمان فرنجية الى ذوق مكايل	٢٥ اذار ١٩٧٦
قيام التجمع الوطني الزغرتاوي المناهض لسليمان فرنجية	٢٨ اذار ١٩٧٦
دين براون مبعوث الرئيس الاميركي فورد يبدأ مهمته الى لبنان	١ نيسان ١٩٧٦
غورس يكمل مهمة كوف دومورفيل في وساطة فرنسية	٨ نيسان ١٩٧٦
تعديل المادة ٧٣ من الدستور اللبناني	١٠ نيسان ١٩٧٦
الكتائب تحتل بيت شباب	١٣ نيسان ١٩٧٦
الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية تتجه الى الادارة المدنية	٢٢ نيسان ١٩٧٦
انتخاب الياس سركيس رئيســـا للجمهورية اللبنانية	٨ ايار ١٩٧٦
عبد السلام جلود يصل لبنان ليبدأ وساطته	١٧ ايار ١٩٧٦
اول لقاء بين سركيس وجنبلاط بعد انتخابه	١٩ ايار ١٩٧٦
فرنسا تعلن استعدادها للتدخل عسكريا في لبنان	٢٢ ايار ١٩٧٦
محاولة اغتيال ريمون اده على طريق جبيل ـ نهر ابراهيم	٢٥ ايار ١٩٧٦
اغتيال السيدة ليندا جنبلاط في بدارو	٢٧ ايار ١٩٧٦
مهاجمة القبيات وعندقت في الشمال	٢٩ ايار ١٩٧٦
اول لقاء بين الكتائب وجنبلاط منذ ١٣ نيسان ١٩٧٥	٢ حزيران ١٩٧٦
اضراب لبنان احتجاجا على دخول الجيش السوري الى لبنان	٣حزيران ١٩٧٦
الاعلان عن انشاء طلائع الجيش العربي اللبناني ، وجيـش لبنان العربي يعزل الرائد شاهين من قيادة البقاع	٣ حزيران ١٩٧٦
الاعلان عن قيام قيادة مركزية موحدة تضم المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ، وجيش لبنان العربي	٤ حزيران ١٩٧٦
هجوم على الصاعقة والاحزاب الموالية لسوريا في لبنان	٦ حزيران ١٩٧٦
هجوم الجيش السوري على صيدا وصوفر	٧ حزيران ١٩٧٦

اعتقال مصباح البديري قائد جيش التحرير الفلسطيني	٧ حزيران ١٩٧٦
اختطاف السفير الاميركي ميلوى ومرافقيه في بيروت	١٦ حزيران ١٩٧٦
القذافي يدعو الى انسحاب القوات السورية من لبنان	١٧ حزيران ١٩٧٦
اقالة الرائد احمد المعماري من قيادة منطقة الشمال في جيش لبنان العربـــي	١٨ حزيران ١٩٧٦
وصول الدفعة الاولى من قوات الامن العربية وانسحـــــاب السوريين مـــن خلــده	٢١ حزيران ١٩٧٦
تأسيس مكتب الامن الشعبي للحركة الوطنية اللبنانية	٢١ حزيران ١٩٧٦
الهجوم العسكري على مخيمي تل الزعتر وجسر الباشا	٢٣ حزيران ١٩٧٦
بناء مستوصف اسرائيلي قرب الحدود اللبنانية	٢٤ حزيران ١٩٧٦
سقوط مخيـم جسر الباشـا	٣٠ حزيران ١٩٧٦
اجتماع وزراء خارجية الدول العربية لبحث الازمة اللبنانية	٣٠ حزيران ١٩٧٦
وصول القوات السودانية والسعودية الى بيروت	١ تمـوز ١٩٧٦
تحرير شكا وخمس قـــرى مجاورة	٥ تمـــوز ١٩٧٦
سقوط اميـــون والكـورة	٨ تمـــوز ١٩٧٦
القوات السورية تحتل بلدة عرســــال	١٠ تمـــوز ١٩٧٦
الحبيب الشطي يعلن ان اليمين اللبناني يسعى الى التقسيم وطرد الفلسطينيين من لبنان احياء ام اموات ٠	١٠ تمـــوز ١٩٧٦
هجوم القوات السورية على مدينـــة بعلبـــك	١١ تمـــوز ١٩٧٦
اعــلان جبهة الاتحــاد الوطني	١١ تمـــوز ١٩٧٦
اجتماع مجلس وزراء خارجية الدول العربية لبحث الازمة اللبنانية	١١ تمـــوز ١٩٧٦
اعــلان تاسيس التجمع الاسلامـــي	١٢ تمـــوز ١٩٧٦
مصرع وليم حاوي قائد قوات الكتائب في تل الزعتر	١٣ تمـــوز ١٩٧٦
الاسد يلقي خطابا عنيفا في دمشق محملا الفلسطينيين والحركة الوطنية مسؤولية الاحداث في لبنان	٢٠ تمـــوز ١٩٧٦
انهيار مبنى كامل من شدة القصف على ٥٠٠ شخص في مخيم تل الزعتر	٢٣ تموز ١٩٧٦
مشروع سلام رقم (١) بواسطة الجامعة العربية	تمـــوز ١٩٧٦
مشروع سلام رقم (٢) بواسطة الجامعة العربية	٢٣ تمـــوز ١٩٧٦
الاتفاق السوري الفلسطيني	٢٩ تمـــوز ١٩٧٦

اتفاق الصليب الاحمر الدولي لاخلاء جرحى تل الزعتر	٢٩ تمـــوز ١٩٧٦
مقتل ٤ فدائيين في قرية عين ابل واسرائيل تتدخل لصالح الانعزاليين	٣٠ تموز١٩٧٦
انتخاب المجلس السياسي للحركة الوطنية اللبنانية	٣٠ تمــوز ١٩٧٦
خطف خليل سالم المدير العام لوزارة المالية	٣١ تمــوز ١٩٧٦
بيان حركة الديمقراطيين الشيعة يكشف دور الصدر والاسعد في تغريـــغ النبعــة	٤ آب ١٩٧٦
اجـــلاء جرحى تـل الزعتـــر	٤ آب ١٩٧٦
سقـــوط النبعـــة	٥ آب ١٩٧٦
سقوط تل الزعتر	١٢ آب ١٩٧٦
الحركة الوطنية تدعو الى انشاء قوات التحرير الشعبية	١٣ آب ١٩٧٦
سعيد عقل يعلن ولادة الطليعة التبادعية اللبنانية	١٤ آب ١٩٧٦
الاعلاز عن تاسيس جبهة المسيحيين الوطنيين	١٧ آب ١٩٧٦
فرنجية يوجه رسالة تحريض الى اللبنانيين بمناسبة ذكـرى انتخابـــه السادسة	١٧ آب ١٩٧٦
الاعلان عن ولادة الجبهة العكارية وجناحها العسكري لواء عكار برئاسة عبدالله الراسي	٢٠ آب ١٩٧٦
زيارة الياس سركيس الى دمشق	٢١ آب ١٩٧٦
مجلس قيادة موحد للقوات الانعزالية برئاسة بشير الجميل	٣١ آب ١٩٧٦
طرح مشروع الكانتونات	٢ ايلول ١٩٧٦
اجتماع مجلس وزراء خارجية الدول العربية لبحث الازمة اللبنانية	٤ ايلول ١٩٧٦
الاعلان عن قيام الجبهة الوطنية الاسلامية تحت شعارفوق اليمين واليسار	٤ ايلول ١٩٧٦
زيارة كميـل شمعون الى دمشق	٨ ايلول ١٩٧٦
اعلان الجبهة الوطنية في الشمال برئاسة الشيخ قبلان عيسى الخوري	٩ ايلول ١٩٧٦
الحركة التصحيحية للاتحاد الوطني الكردستاني تعلن استقلالها عن القيادة بدمشق	٩ ايلول ١٩٧٦
المؤتمر التاسيسي الاول لجبهة المسيحيين الوطنيين	١١ ايلول ١٩٧٦
لقاء سوري فلسطيني مفاجيء في صوفر	١٢ ايلول ١٩٧٦
فرنجية يحدث تغييرا وزاريا في حكومة رشيد كرامي	١٥ ايلول ١٩٧٦
اجتماع سركيس ، عرفات ، ناجي جميل في شتورا	١٧ ايلول ١٩٧٦

زيارة سركيس الى القاهـــــرة	١٨ ايلول ١٩٧٦
اجتماع شتورا الثاني : سركيس ـ عرفات ـ ناجي جميل	١٩ ايلول ١٩٧٦
سركيس رئيس الجمهورية اللبنانية يؤدي اليمين الدستورية في شتورا	٢٣ ايلول ١٩٧٦
لقاء الرئيس سركيس مع كمال جنبلاط ، وسفر جنبلاط الى القاهرة	٢٦ ايلول ١٩٧٦
القوات السورية تفتح معركـــة الجبل	٢٨ ايلول ١٩٧٦
مجازر كفرسلوان وصليمـــا	٢٩ ايلول ١٩٧٦
التنظيم الوطني الثوري يصدر بيانا عن عملية عسكرية ضد الكتائب في جبيـل	٢٩ أيلول ١٩٧٦
اعلان راس بيروت والاوزاعي منطقة عسكرية	١ تشرين اول ١٩٧٦
محاولة اغتيال نائب جزين السابق جان عزيز	١ تشرين اول ١٩٧٦
مبادرة سوفياتية لحل الازمة اللبنانية	١ تشرين أول ١٩٧٦
بيان طلائع الجيش المعني الدرزي « منظمة الجهاد الدرزية »	٢ تشرين اول ١٩٧٦
محاولة اغتيال المفتي الجعفري في طرابلس	٣ تشرين اول ١٩٧٦
اعلان الجبل من كفرشيما الى الباروك منطقة عسكرية	٥ تشرين اول ١٩٧٦
اجتماعات اللجنة الرباعية في شتورا والخروج بورقة اتفاق	٩ـ١٠ـ١١ـ ت ١ ١٩٧٦
هجوم سوري على منطقـــة روم	١٢ تشرين اول ١٩٧٦
هجوم سوري على بحمدون	١٣ تشرين اول ١٩٧٦
بيان منظمة الشبيبة الدرزيــــــة	١٤ تشرين اول ١٩٧٦
اسرائيل تشن هجوما بريا على قرية حانين	١٦ تشرين اول ١٩٧٦
سرية اليات من القليعة تحتل ثكنة مرجعيون	١٨ تشرين اول ١٩٧٦
مؤتمر القمة السداسي في الرياض	١٩ تشرين اول ١٩٧٦
اعادة انتخاب كامل الاسعد رئيس مجلس النواب في شتورا	١٩ تشرين اول ١٩٧٦
تطهير العيشية من جيوب الانعزاليين	١٩ تشرين اول ١٩٧٦
اسرائيل والانعزاليون يشنون هجمات على مرجعيون وبنت جبيل وتقطع طريق الخيام	٢١ تشرين اول ١٩٧٦
مؤتمر القمة العربي في القاهـــرة	٢٥ تشرين اول ١٩٧٦
جنود اسرائيليون يدخلون الهبارية لجمع السلاح من الاهالي	٢٥ تشرين اول ١٩٧٦
تصفية جيوب الانعزاليين في معاصر بيت الدين	٢٩ تشرين اول ١٩٧٦

الرئيس سركيس يعين العقيد احمد الحاج قائدا لقوات الردع العربية ٤ تشرين ثاني ١٩٧٦

اسرائيل تطوق بلدة الخيام ٧ تشرين ثاني ١٩٧٦

الوطنيون الاحرار يقدمون مشروع موسى برنس الكونفدرالي كمدخل لتوحيد لبنان ٩ تشرين ثاني ١٩٧٦

قوات الردع العربية تبدأ المرحلة الاولى ١٠ تشرين ثاني ١٩٧٦

محاولة اغتيال ريمون اده للمرة الثانية امام منزله ١١ تشرين ثاني ١٩٧٦

عودة قوات الصاعقة الى بيروت ١٣ تشرين ثاني ١٩٧٦

المؤتمر الاسلامي التمهيدي الاول ١٤ تشرين ثاني ١٩٧٦

قوات الردع تدخل مدينة بيروت ، وابو ارز يعلن اعتصامه ١٥ تشرين ثاني ١٩٧٦

قوات الردع في طرابلس وصيدا ٢١ تشرين ثاني ١٩٧٦

رياض طه يبدأ الحوار مع بشير الجميل في الاشرفية ٢٣ تشرين ثاني ١٩٧٦

دكتور اسامة فاخوري يلتقي بيار الجميل في الاشرفية ٣٠ تشرين ثاني ١٩٧٦

ليبيا تسحب قواتها من قوات الامن العربيـــة ٣٠ تشرين ثاني ١٩٧٦

ابو عمار يعقد اجتماعا مع العقيد الركن احمد الحاج ٢ كانون الاول ١٩٧٦

حزب البارتي ورزكاري يعلنان اندماجهما في جبهة كردية وطنية واحدة ٣ كانون الاول ١٩٧٦

انفجار سيارة بالقرب من منزل كمال جنبلاط ٤ كانون الاول ١٩٧٦

محاولة اخرى لاغتيال ريمون اده ٧ كانون الاول ١٩٧٦

تكليف الدكتور سليم الحص بتاليف الحكومة ٨ كانون الاول ١٩٧٦

توحيد الاعلام الرسمي ١٢ كانون اول ١٩٧٦

اطلاق النار على كميل شمعون وانسحاب الاحرار من القوات اللبنانية ١٢ كانون اول ١٩٧٦

اجتماع اللجنة الرباعية الاولى ١٤ كانون الاول ١٩٧٦

قوات الردع تدخل مباني صحف ـ بيروت ـ المحرر ـ الدستور ١٥ كانون الاول ١٩٧٦

قوات الردع تدخل مبنى جريدة السفير ١٧ كانون الاول ١٩٧٦

نسف سيارة ابراهيم قليلات ١٨ كانون اول ١٩٧٦

قوات الردع تدخل مباني صحف النهار والاوريان لوجور والنداء ١٩ كانون اول ١٩٧٦

المجلس السياسي للحركة الوطنية والتقدمية يصدر نشرة الوطن الاخبارية ٢٠ كانون اول ١٩٧٦

تفجير عدد من المنازل في بلدة الفاكهة في البقاع ٢١ كانون اول ١٩٧٦

اللجنة الرباعية تعقد اجتماعا بغياب ممثل سوريا	٢٣ كانون أول ١٩٧٦
مجلس النواب يجتمع في قصر منصور لمناقشة البيان الوزاري	٢٣ كانون اول ١٩٧٦
الانعزاليون ينسفون ٤٧ منزلا في ترشيش	٢٥ كانون اول ١٩٧٦
الحركة الوطنية تعلن عن مخطط لجبهة الكفور لمورنة ٢٥ الف قبطي مصري ومنحهم الجنسية اللبنانية	٢٧ كانون اول ١٩٧٦
وفد انعزالي رسمي يزور اسرائيل	٢٧ كانون اول ١٩٧٦
القوات اللبنانية تعلن عدم استعدادها لتسليم الثكنات ، وتعلن انها سلمت سلاحها الى الجيش	٢٧ كانون اول ١٩٧٦
المجلس السياسي لمدينة صور يقرر منع دخول الصحف غير المصادرة الى المدينة	٢٧ كانون اول ١٩٧٦
عدوان اسرائيلي ـ انعزالي على قرية الطيبة	٢٨ كانون اول ١٩٧٦
الحركة الوطنية تحدد اماكن تجميع سلاحها الثقيل	٢٩ كانون اول ١٩٧٦
اذاعة عمشيت تفك ارتباطها باذاعة الصنائع عند بث القرآن الكريم	٢٩ كانون اول ١٩٧٦

الملحق الاول

ـ ١ ـ
التنظيمات السياسية والعسكرية في مناطق اليمين اللبناني

١ ـ حزب الكتائب اللبنانية	بيـار الجميل
٢ ـ حزب الوطنيين الاحرار	كميل شمعون
٣ ـ جبهة حراس الارز	ابو ارز (اتيان صقر)
٤ ـ حزب الطليعة التبادعية	سعيد عقـــل
٥ ـ الاتحاد العام للقوميين اللبنانيين	رشاد الموسوي واحمد المقداد
٦ ـ التنظيم اللبناني	فؤاد الشمالي وجورج عدوان
٧ ـ الرابطة المارونية اللبنانية	شاكر ابو سليمان
أ) حركة اشبال الارز	
ب) حركة فتيان ادونيس	
٨ ـ التجمع الزحلي العام	جوزف سكاف
٩ ـ الجبهة الوطنية في الشمال	برئاسة الشيخ قبلان عيسى الخوري
أ) جيش التحرير الزغرتاوي	

ب) لواء المردة الزغرتاوي

ج) التمجع الزغرتاوي

د) لواء تنورين البتروني

هـ) لواء المقدمين البشراوي

و) لواء قاديشيا البشراوي

ز) التجمع الكوراني

١٠ ـ الجبهة العكارية ـ لواء عكار	عبد الله الراسي
١١ ـ حركة الشبيبة اللبنانية	مارون خوري
١٢ ـ الجيش اللبناني	مجلس قيادة الجيش اللبناني العليا
١٣ ـ جيش لبنان	الرائد فؤاد مالك
١٤ ـ أنصار الجيش اللبناني للدفاع عن الجنوب	التجمع اللبناني
١٥ ـ منظمة النهضة الوطنية اللبنانية	الحدث
١٦ ـ منظمة فرسان هنيبعل	جامعة التراث اللبناني
١٧ ـ منظمة الحركة اللبنانية	المحامي نبيل مشنتف
١٨ ـ حركة الوعي	القوة الجامعية اللبنانية
١٩ ـ حزب الاستقلال الجمهوري	حزب ١٩٤٣
٢٠ ـ لجنة البحوث والدراسات اللبنانية	الكسليك
٢١ ـ المؤتمر الدائم للرهبانيات المارونية	شربل قسيس
٢٢ ـ حزب الطاشناق	الارمني
٢٣ ـ هيئة لبنان الشعبية	حركة انصار الكتائب اللبنانية
٢٤ ـ منظمة تحرير لبنان	يوسف جرمانوس

٢٥ ـ جبهة الشبيبة اللبنانية

٢٦ ـ حركة الوعي اللبنانية

٢٧ ـ حزب الاستقلال الجمهوري

٢٨ ـ حزب الاستقلال

٢٩ ـ حركة الشبيبة الطالبة اللبنانية

٣٠ ـ الحركة العلمانية الديمقراطية

٣١ ـ حركة كنيسة من اجل عالمنا

٣٢ ـ حركة لبنان الواحد

٣٣ ـ الحزب الديمقراطي

٣٤ ـ عصبة البنائين الاحرار (الماسونية) كميل برباري

الملحق الاول

-ب-

النشرات والصحف ★ التي تصدر
في المناطق التي يسيطر عليها اليمين اللبناني

١ ـ الانصـــار	التجمع اللبناني ـ انصار الكتائب
٢ ـ ملحق العمل	اقليم زحلـــة
٣ ـ الكتائبـــي	المجلس الحربي في حزب الكتائب
٤ ـ مجلة نمور الاحرار	حزب الوطنيين الاحرار
٥ ـ جريدة صوت الاحرار	حزب الوطنيين الاحرار
٦ ـ لبنـــان ★★	حراس الارز
٧ ـ حراس الارز	حراس الارز
٨ ـ التحرير اللبناني	جبهة المساندة المارونية
٩ ـ المصيـــر	لسان حال الاكثرية الصامتة
١٠ ـ المــردة	انصار الرابطة المارونية ـ الفتوح
١١ ـ التـــراث	صوت منظمة فرسان هنيبعل
١٢ ـ كسروان	جيش لبنان الخفي
١٣ ـ الصمـــود	حركة الجامعيين اللبنانيين
١٤ ـ الاولـــى	نادي لبنان المستقبل
١٥ ـ الرابطة اللبنانية	الرابطة اللبنانية
١٦ ـ وطنـــي	منظمة دعم الجيش
١٧ ـ ما باتري	منظمة دعم الجيش (باللغة الفرنسية)
١٨ ـ الحركـــة	حركة التجمع اللبناني

★ اسقطنا من هذا الجدول الصحف المسجلةفي نقابة الصحافة ·

★★ استقلت هذه النشرة في الصدور لصالحسعيد عقل بعد خلافه مع ابو ارز الذي اصـــدر نشرة باسم التنظيم ويمكن اعتبارها تصدر باسم حزب الطليعة التبادعية ·

١٩ ـ صوت الارز	منظمة الحركة اللبنانية
٢٠ ـ الرابطة	الرابطة السريانية
٢١ـ جبهة الحرية	الرميـــل
٢٢ ـ مجلة الصيحة	الشعبة الخامسة في لواء عكار
٢٣ ـ جند لبنان	الشعبة الخامسة في الجيش اللبناني
٢٤ ـ الاستقلال	حراجـل ـ لبنان
٢٥ ـ مجلة المقاتل اللبناني	حركة الشبيبة اللبنانية
٢٦ ـ صوت الدامـور	ابناء الدامـور
٢٧ ـ اللبنانـي	
٢٨ ـ الجـلاء	
٢٩ ـ الفـداء	
٣٠ ـ النضـال	
٣١ ـ بـلادي	
٣٢ ـ لو ليبيرال	الوطنيون الاحرار (باللغة الفرنسية)
٣٣ ـ صوت زحلـة	التجمع الزحلي العام
٣٤ ـ البديـل	لسان حال الاكثرية الصامتة
٣٥ ـ البناؤون الاحرار	عصبة البنائيين الاحرار

الملحق الثاني

ـأـ

التنظيمات السياسية والعسكرية الوطنية والتقدمية

١ ـ الحزب التقدمي الاشتراكي
٢ ـ الحزب الشيوعي اللبناني
٣ ـ الحزب السوري القومي الاجتماعـي
٤ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي
٥ ـ حزب العمل الاشتراكي العربي
٦ ـ منظمة العمل الشيوعـي

٧ ـ حركة الناصريين المستقلين المرابطون

٨ ـ الاتحاد الاشتراكي العربي (التنظيم الناصري)

٩ ـ الاتحاد الاشتراكي العربي (الافواج العربية)

١٠ ـ التنظيم الشعبي الناصري (صيدا)

١١ ـ اتحاد قوى الشعب العامل (التنظيم الناصري) الحركة التصحيحية ٠

١٢ ـ انصار الثورة الفلسطينية

١٣ ـ حزب البارتي (الكردي)

١٤ ـ جيش لبنان العربي

١٥ ـ الجبهة الوطنية الاسلامية

١٦ ـ الجماعة الاسلامية (المجاهدون)

١٧ ـ حركة رواد الاصلاح (المقاومة الشعبية)

١٨ ـ التجمع الاسلامي

١٩ ـ حزب النجادة (الحركة التصحيحية)

٢٠ ـ جبهة الاتحاد الوطني

٢١ ـ حركة وجهة نظر « الجامعة الاميركية »

٢٢ ـ حركة الديمقراطيين الشيعة

٢٣ ـ الحركة الثورية الاشتراكية اللبنانية

٢٤ ـ قوات الثورة العربية

٢٥ ـ رابطة الشغيلة ٠

٢٦ ـ منظمة كفاح الطلبة

الملحق الثاني

ـ ب ـ

الجبهة القومية

١ ـ منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي

٢ ـ حركة المحرومين (منظمة امل)

٣ ـ اتحاد قوى الشعب العامل (التنظيم الناصري)

٤ ـ الحزب السوري القومي الاجتماعي (قنيزح)

٥ ـ منظمة فتيان علي
٦ ـ التنظيم الشعبي الثوري المسلح
٧ ـ طلائع الجيش العربي اللبناني
٨ ـ الحزب الديمقراطي الاشتراكي ٠

النشرات والصحف (١) الصادرة عن الحركة الوطنية اللبنانية

ـ ج ـ

١	المرابط	حركة الناصريين المستقلين (المرابطون)
٢	صوت الجماهير	الحركة الشعبية اللبنانية
٣	الثورى (٢)	حزب العمل الاشتراكي العربي
٤	التحرير	منظمة العمل الشيوعي
٥	الاشتراكي (٣)	الاتحاد الاشتراكي العربي (الافواج العربية)
٦	الاتحاد (٤)	قوات الثورة العربية
٧	القومي العربي	الاتحاد الاشتراكي العربي (التنظيم الناصري)
٨	الشروق	قوات الثورة العربية
٩	المصير	الاتحاد الاشتراكي العربي (الافواج العربية)
١٠	رواد الاصلاح	حركة رواد الاصلاح
١١	صرخة النجاد	النجادة اللبنانية (الحركة التصحيحية)
١٢	الاخبار الشمالية	الحزب الشيوعي اللبناني ـ طرابلس
١٣	تشرين	حركة ٢٤ تشرين ـ طرأبلس
١٤	طريق التجرير	المقاومة الشعبية في عكار
١٥	الانتفاضة	جيش لبنان العربي في الشمال
١٦	الانصار	جيش لبنان العربي

(١) اسقطنا من هذا الجدول الصحف الوطنية المسجلة في نقابة الصحافة ٠

(٢) صدرت نشرة مرتين كل اسبوع واعتبارا من العدد ٨٨ بدأت الصدور كمجلة ٠

(٣) نشرة صدرت عن الافواج العربية استعيض عنها بمجلة المصير ٠

(٤) الاتحاد هي العدد الاول من نشرة قوات الثورة العربية ٠ وصدر العدد الثاني واستمرت باسم الشروق

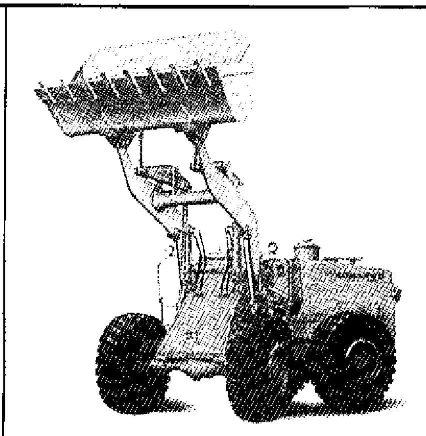
١٧	وطني	الحركة الشعبية الوطنية اللبنانية
١٨	جماهير البقاع	المقاومة الشعبية في البقاع
١٩	كفاح الشوف	شباب الشـــوف
٢٠	صوت العقل	لجنة التهدئة والحوار في برج البراجنة ـ المريجة ـ الحدث الليلكي ـ التحويطة والسلم ·
٢١	الجماهير	الحركة الوطنية ـ صيدا
٢٢	صيدا الصمود	حزب العمل الاشتراكي ـ صيدا
٢٣	الكلمة	جبهة المسيحيين الوطنيين
٢٤	الفجر	
٢٥	صوت الشياح	
٢٦	راية الشعـــب	

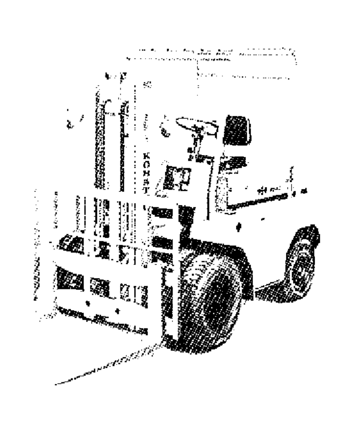
الملحق الثالث

وسائـل الاعلام السماعية في المنطقتين

١	اذاعة لبنان من بيروت	الصنائع
٢	اذاعة عمشيت	عمشيت
٣	صوت لبنان العربي	المرابطون
٤	صوت لبنان	الكتائب اللبنانية
٥	صوت الناصرية	اتحاد قوى الشعب العامل
٦	صوت النهضة	الحزب السوري القومي
٧	صوت لبنان التقدمـــي	الحزب التقدمي الاشتراكي
٨	صوت لبنان الحر	الوطنيون الاحرار
٩	اذاعة الثورة العربية	الاتحاد الاشتراكي العربي
١٠	اذاعة ٢٤ تشرين فـي طرابلس	حركة ٢٤ تشرين
١١	اذاعة التنظيم الشعبي الناصري	التنظيم الشعبي الناصري في صيدا
١٢	شركة تلفزيون لبنـــان والمشرق	الحازمية
١٣	شركة التلفزيـــــون اللبنانية	تلة الخياط (بيروت الغربية)

الشركة الوطنية للتجارة والآليات





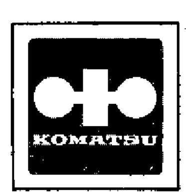
بالشركة ورشة صيانة مجهّزة تجهيزاً كاملاً في خدمة عملائها .. وقطع الغيار متوفرة

للاستعلام : هاتف ٤٨٧٨٨ طرابلس

برقياً : اللحنة - ص.ب ٢١٧ طرابلس

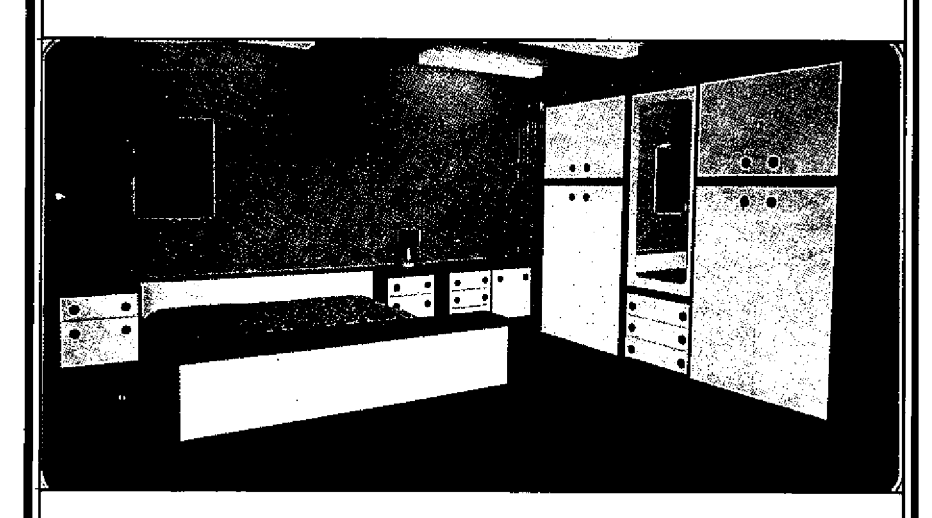
المعرض : باب بن غشير - امام جامع البدري بطرابلس

الجمهورية العربية الليبية



عوض عيسى الشعافي

محلات الشرق للأثاث المنزلي
ومعرض الاطفال للأثاث



تقدّم

أفخم وأجمل المفروشات

الستيل والمودرن

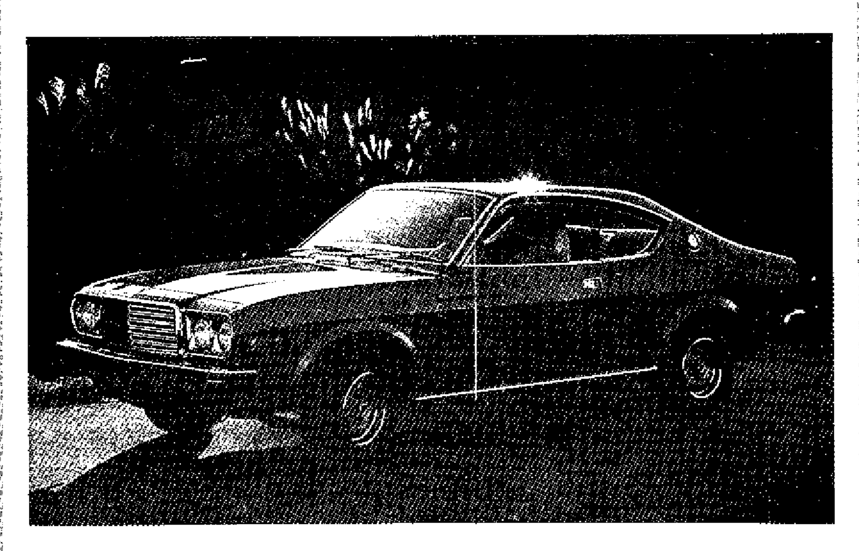
زوروا صالة العرض

باب العزيزية - هاتف ٣٣٠٤٦ - ص . ب ٤٣٨٧

طرابلس - الجمهورية العربية الليبيّة

الاقتصاد والاناقة والقوة شاهدوها بسيّارتكم

مازدا ٩٢٩

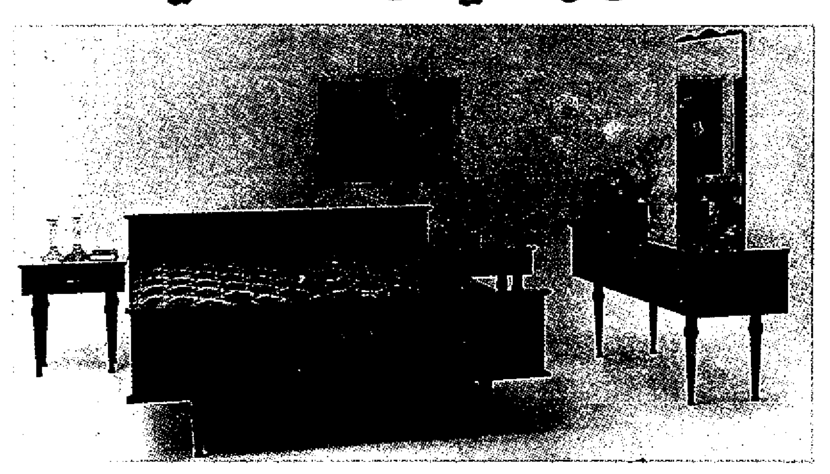


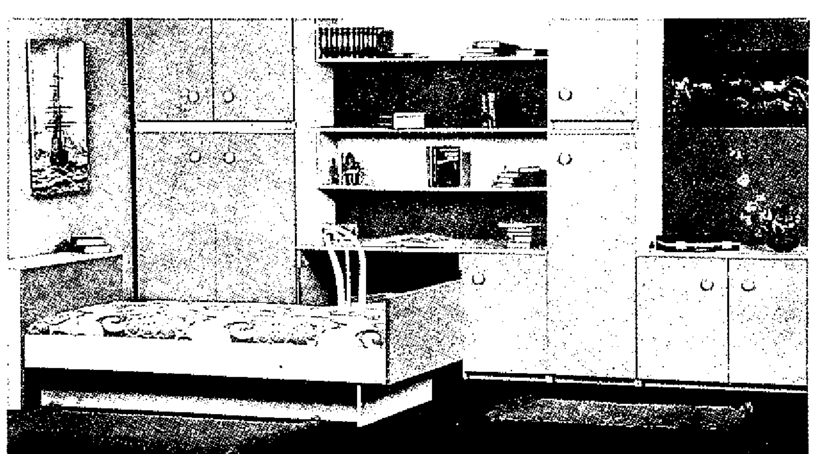
- مريحة وممتعة في القيادة، في اصطحابك للأسرة، في الشكل والجوهر
- اقتني سيارة مازدا ٩٢٩ لتتمتع بكل هذه الميزات

دار المازدا للسيارات

هاتف: ٣٤٩٧٤ - ٣٤٦٨٥
الهضبة الخضراء، كم ٢ ½
ص.ب ٥٣٠
طرابلس - الجمهورية العربيّة الليبيّة

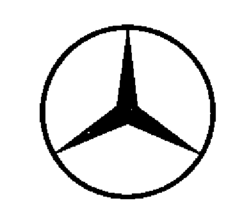
محلات الشروق للأثاث المنزلي
ومعرض الأطفال للأثاث
عوض عيسى الشعافي





يقدّم أحدث المفروشات وأجملها

صالة العرض في باب العزيزية
هاتف ٣٣٠٤٦ - ص. ب ٤٣٨٧
طرابلس - الجمهورية العربية الليبية



منشأة النهضة الليبيّة

الوكلاء الوحيدون لسيّارات مرسيدس

للاستعلام والحجز: شارع النصر - طرابلس - ليبيا

قــوّة
و
متانـة

2416 VH 7

دار المازدا للسيّارات

تقدم السيارة الأولى في اليابان لعام ١٩٧٥ م

مـازدا ١٢١



تجمع بين الاقتصاد والمتانة والاناقة

دار المـازدا للسيارات

هاتف ٣٤٩٧٤ - ٣٤٦٨٥
الهضبة الخضراء كم ٢ ½
ص . ب ٥٣٠
طرابلس - الجمهورية العربيّة الليبيّة

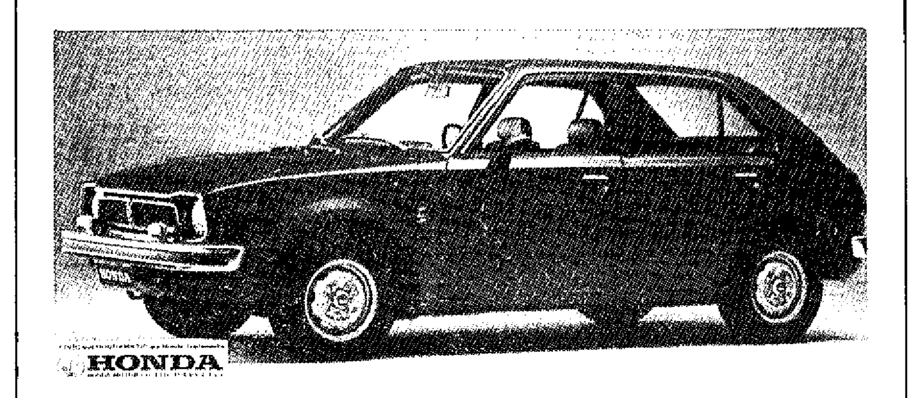
الشركة العَربية للتجارة والمقاولات

قسم السيّارات

طرابلس - هاتف : ٤١٧٨١ - ٤١٧٨٢

الجمهوريّة العربيّة الليبيّة

تقدّم



هوندا

الحلم الذي تحقّق بفضل مواصفاتها

اقتصاد - متانة - اناقة